

دكتور
محمد عيسى الحزري

تأليف
المعري الأندلسي
في العصر المديني



0130632

Bibliotheca Alexandrina

تاريخ
المغرب الإسلامي والأندلس
في العصر المريني
(٥٦١٠ / ١٢١٣ م) - (٨٨٦٩ / ١٤٦٥ م)

الله ...

إلى أحبائي

ماجدة وریم وزیاد

تاريخ
المغرب الإسلامي في الأندلس
في العصر المريني

(١٤٦٥ - ٨٦٩ هـ) - (١٢١٣ / ٨٦٠ م)



محمد عيسى الحزيري

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد
National Organization of the Alexandria Library (O.N.O.A.)
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - مصر



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
الطبعة الثانية : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

دار القلم للنشر والتوزيع

ص.ب : ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقياً توزيعكو



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

أحمد الله تعالى على نعمه وفضله وتوفيقه ، وأسجد له شاكراً على خيره ورحمته ،
وأدعوه تعالى مخلصاً أن يمنحني القوة والقدرة على مواصلة العمل دون ككل ، في خدمة
العلم والمعرفة بجهد خالص لوجهه الكريم .

وبعد ...

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب « تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر
المربني » ، الذي يؤرخ لفترة من أهم فترات تاريخنا الإسلامي ، ولا شك أن استيعاب
الدروس التاريخية لهذه الفترة ، يمثل في تقديري عوناً كبيراً لأبناء الأمة العربية والإسلامية
على اجتياز أخطار المرحلة التي نعيشها الآن بكل ملبساتها ، والحذر بكل الحق من قوى
الحقد الأوربي المتطلعة إلى التهام ديار الإسلام .

والله ولي التوفيق ...

د. محمد عيسى الحريري

القاهرة — المهندسين : ٢٣ من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ

١٧ أغسطس ١٩٨٧ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله

فأتمت كل خير

وتمام كل نعمة

فهرس الكتاب

الصفحة

تقديم (هـ)

مقدمة (ز)

الفصل الأول

قيام دولة بني مرين

قيام دولة بني مرين	٣
نسب بني مرين	٣
منازل بني مرين	٤
بيت بني مرين	٥
ظهور بني مرين على مسرح الأحداث في بلاد المغرب	٦
دخول بني مرين إلى بلاد المغرب الأقصى	٨
بنو مرين في المغرب الأقصى	٩
تأسيس دولة بني مرين	١٠
مرحلة استقرار بني مرين في مناطق التلؤل والأرياف	١٠
مرحلة استيلاء بني مرين على المدن الكبرى في المغرب الأقصى	١٧
مرحلة الاستيلاء على العاصمة مراكش	٢٧
جهود أبي يوسف يعقوب لاستكمال تأسيس دولة بني مرين	٣٧
هوامش الفصل الأول	٥٣

الفصل الثاني

توطيد دولة بني مرين واتساعها

أولا : توطيد دولة بني مرين ٨١

(أ) توطيد دولة بني مرين في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف ٨١

٩٢	(ب) جهود السلطان أئى ثابت عامر لتوطيد دولة بنى مرين .
٩٧	(ج) سياسة السلطان أئى الربيع سليمان لتوطيد دولة بنى مرين .
١٠٠	(د) نشاط السلطان أئى سعيد عثمان لتوطيد دولة بنى مرين .
١٠٨	ثانيا : اتساع دولة بنى مرين
١٠٩	(أ) التوسع فى عهد السلطان أئى الحسن المرينى
	(ب) استعادة بنى مرين لنفوذهم فى المغرب الأوسط وإفريقية فى عهد السلطان
١٢٥	أئى عنان المرينى .
١٣٣	هوامش الفصل الثانى

الفصل الثالث

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين

١٥٥	عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين
١٥٧	١ - تفكك الدولة المرينية
١٥٧	٢ - المرينيون تحت وزارة الحسن بن عمر الفودودى
١٥٩	٣ - وزارة ابن مرزوق الخطيب
١٦٢	٤ - استبعاد الوزير عمر بن عبد الله بدولة بنى مرين
١٦٦	٥ - مقتل عمر بن عبد الله واسترداد هيئة الدولة المرينية
١٧١	٦ - الوزير أبو بكر بن غازى وتدخلى بنى الأحمر فى شئون بنى مرين
١٨١	٧ - نهاية بنى مرين
١٨٩	هوامش الفصل الثالث

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية لبنى مرين

٢٠٣	علاقة المرينيين بمصر والمشرق العربى
٢١١	علاقة المرينيين بالدولة الحفصية
٢١٦	علاقة المرينيين ببنى عبد الواد
٢٢١	علاقة المرينيين بالسودان الغربى
٢٢٧	علاقة المرينيين ببنى الأحمر
٢٣٨	علاقة المرينيين بنصارى أسبانيا
٢٤١	هوامش الفصل الرابع

الفصل الخامس

النظم الادارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين

أولا : النظم الادارية	٢٥٩
(أ) نظام الحكم	٢٥٩
(ب) ادارة الأقاليم	٢٦٨
- التقسيم الادارى	٢٦٨
- الدواوين	٢٦٩
- النظم القضائية	٢٧٠
ثانيا : النظم الاقتصادية	٢٧٧
(أ) النظام المالى	٢٧٧
(ب) مصادر الدخل فى دولة بنى مرين	٢٨٠
(ج) عناصر الاقتصاد المربنى	٢٨٤
(١) الصناعة	٢٨٤
(٢) الزراعة	٢٨٨
(٣) التجارة	٢٩٢
هوامش الفصل الخامس	٣٠١

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية والفكرية فى دولة بنى مرين

أولا : الحياة الاجتماعية	٣١٧
(أ) المجتمع المغربى فى دولة بنى مرين	٣١٧
(ب) البناء والتعمير	٣١٩
(ج) المظاهر الاجتماعية	٣٣٠
ثانيا : الحياة الفكرية	٣٣٧
(أ) مجالس سلاطين بنى مرين العلمية	٣٣٨
(ب) المذهب المالكى	٣٤٠
(ج) العلوم الدينية	٣٤١
(د) المواد العلمية	٣٤٤

٣٤٩	(هـ) المكتبات .
٣٥٠	(و) الأدباء والشعراء . . .
٣٥٥	(ز) التصوف
٣٥٩	هوامش الفصل السادس

الملاحق

٣٧٣	ملحق رقم (١)
٣٧٤	ملحق رقم (٢)
٣٧٥	ملحق رقم (٣)
٣٧٦	ملحق رقم (٤)
٣٧٧	ملحق رقم (٥)
٣٧٨	ملحق رقم (٦)
٣٧٩	ملحق رقم (٧)
٣٨٩	خريطة رقم (١)
٣٩١	خريطة رقم (٢)
٣٩٣	خريطة رقم (٣)
٣٩٥	خريطة رقم (٤)
٣٩٧	المصادر والمراجع

تقديم

بقلم

الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العدوى

نائب رئيس جامعة القاهرة

ما زال المغرب العربى يكون ميدانا هاما من ميادين التاريخ الإسلامى ، التى تحتاج إلى دراسة وبحث وتمحيص حتى يقف أبناء الأمة الإسلامية اليوم على منابع القوة الحقيقية التى تكفل لهم استرداد سالف عظمتهم ورسالتهم السامية فى خدمة الحضارة الإنسانية . ذلك أن المغرب العربى قد أسهم بدور فريد فى حمل رسالة الإسلام وحضارته إلى أوروبا ، كما كان فى الوقت نفسه أرض الطليعة التى تعرضت للأحقاد الأوربية الزاحفة على دار الإسلام ، والدرع الذى كسر أنياب هذه الهجمة الخافضة على الإسلام وأهله .

وتمثل هذه الدراسة عن بنى مرين صورة حية لسمات المغرب العربى ومكانته فى التاريخ الإسلامى ، وكيف تصدّت هذه الدولة للموجة الأوربية الباغية على الإسلام ، وهذّت من طغيانها وعنفها دون أن يبالى رجال هذه الدولة الإسلامية بأن يجودوا بحياتهم وسلطانهم ومالهم فى سبيل الدفاع عن الكيان الإسلامى . ويزيد فى أهمية الدور الذى قام به بنو مرين ، أنهم حملوا راية الجهاد الإسلامى من بعد الموحدين ، دون أن تنزل بهم رهبة لما حل بمن سبقهم من ضربات سددها إليهم الحقد الأوربى ، أو يترددوا لحظة فى صد الخطر الأوربى الزاحف على المسلمين فى غرب البحر المتوسط .

وقد تمت دولة بنى مرين دماء أبنائها ومقومات بلادها المادية رخيصة فى سبيل تكوين سد منيع يحول دون تحقيق الطغيان الأوربى لأطماعه فى ابتلاع دار الإسلام .

وتطلبت هذه الصورة الإسلامية المشرقة ، ورسم أبعادها قلم باحث مجد مخلص ، لا يتردد فى بذل الجهد العلمى ، إيمانا بأنه يؤدى بعمله دوره فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وتقوية القاعدة التى ينطلق منها نضالهم اليوم . وهذا الباحث هو صاحب تلك الدراسة التى تظالعنا اليوم ، وهو الأستاذ الدكتور محمد الحريرى . فقد استطاع بما أوتي من جرأة العلماء

وإخلاصهم أن يجعل من دراسته رافداً ثراً يغذى الإسلام والدراسات الإسلامية المعاصرة ،
وتحقيق أهدافها في تمهيد السبيل أمام المسلمين لاستئناف مسيرتهم المظفرة - إن شاء الله - في
خدمة الإسلام ورسالته الحضارية المحيية .

وأرجو لصاحب هذه الدراسة دوام التوفيق والعمل السديد في خدمة تاريخ المغرب
العربى ، وأن يسهم بأبحاثه فيما يكفل لهذا الشطر الحيوى أن يستعيد دوره الخالد باعتباره
الجناح الأيسر للإسلام ، يدفع مع قرينه المشرق العربى ، أى الجناح الأيمن للإسلام ، وأن
يتعاونوا سوياً حتى تحلق الأمة الإسلامية مرة أخرى فى أجواز المجد العالمى والعزة والسؤدد .

أ.د. إبراهيم أحمد العدوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين .

وبعد :

هذه دراسة عن دولة بني مرين في المغرب والأندلس ، تلك الدولة التي قامت في المغرب الأقصى ، في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وظلت حتى سقوطها سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) تقدم للعالم الإسلامي في جناحه الغربي عطائها السياسي والحضاري ، متأثرة ومؤثرة في شعوب المغرب الإسلامي وبصفة خاصة في بلاد الأندلس ، حيث حمل المرينيون على أكتافهم مسؤولية الدفاع عن الجناح الغربي للعالم الإسلامي ضد الزحف الأسباني على ممتلكات المسلمين في الأندلس . إذ نذر المرينيون قوتهم لخدمة الإسلام في هذا الميدان الأندلسي ، دون سائر القوى الإسلامية الأخرى التي كانت موجودة آنذاك في بلاد المغرب كالحفصيين ، وبني عبد الواد . ولذلك حاول المرينيون في حياتهم السياسية التوفيق بين العمل لتحقيق الوحدة المغربية ، والجهاد في الميدان الأندلسي .

ولم يكن عطاء المرينيين الحضاري ، أقل من عطائهم السياسي والعسكري حيث تسلموا مشعل الحضارة الإسلامية من الموحدين ، ووقفوا طيلة عصرهم في بلاد المغرب يمثلون واجهة الحضارة الإسلامية المغربية في هذه الاصقاع .

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي أدته هذه الدولة الفتية في تاريخ بلاد المغرب ، فإنها لم تحظ بدراسة متكاملة ، تظهر وجهها السياسي المشرق وعطاءها الحضاري القياض . وإنما ذكرت في صفحات قليلة هنا أو هناك في كتابات المؤرخين ، ضمن المقالات أو الدراسات العامة لتاريخ المغرب . ومن هنا كان اتجاهي لدراسة الدور السياسي والحضاري لهذه الدولة لاستجلاء عناصر القوة الإسلامية في غرب البحر المتوسط ، ودورها الطليعي في خدمة الأهداف الإسلامية العليا والمحافظة عليها .

وخلال الفصل الأول من هذا البحث ظهر أن المرينيين قفزوا إلى قمة الأحداث في بلاد المغرب الأقصى ، بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) إذ غيرت هذه المعركة وجه التاريخ في بلاد المغرب ، فكانت أهم العوامل التي شجعت بني مرين على الدخول إلى المغرب الأقصى ، وعلى وجه التحديد سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) ومنذ هذا التاريخ ، وحتى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) عمل المرينيون على تأسيس دولتهم ، وأتموا ذلك على مراحل ثلاث : في الأولى استولوا على مناطق تلؤل المغرب الأقصى وأريافه ، وفي الثانية : استولوا على المدن الكبرى في المغرب الأقصى ، وفي الثالثة : تمكنوا من إسقاط عاصمة الموحدين (مراكش) في أيديهم ، وأعلنوا قيام دولتهم الجديدة . ثم مضوا بعد ذلك في استكمال تأسيس دولتهم في الميدان المغربي والميدان الأندلسي وفي هذا الميدان الأخير حقق السلطان يعقوب بن عبد الحق انتصارات كبرى خلال المرات الأربع التي عبر فيها إلى بلاد الأندلس ، وتمكن خلالها من إيقاف حركة الاسترداد المسيحي لبلاد الأندلس .

والفصل الثاني تتبع جهود سلاطين بني مرين الذين اعتلوا العرش المريني بعد مؤسس دولة بني مرين السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وتميز هؤلاء السلاطين بالقوة ، حيث كانت مقاليد الأمور والسلطة كاملة في أيديهم ، ومن ثم كان عصرهم عصرا لسلاطين بني مرين الأقوياء ، حيث بلغت الدولة في عهدهم أقصى درجة من الازدهار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، وأقصى حد أيضا من الاتساع ، ففي عهد السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) - (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) ، اشتملت دولة بني مرين على بلاد المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، وإفريقية ، وأجزاء أخرى من بلاد الأندلس ، ولكن مشاريع التوسع هذه منيت بانتكاسة كبرى ، أثرت تأثيرا كبيرا في دولة بني مرين ، فكانت هزيمة السلطان أبي الحسن في طريف بالأندلس سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) . لا تقل في مضاعفاتها عن هزيمة الموحدين في معركة العقاب ، فهذه المعركة بددت قوة بني مرين وأنهكتها ، ولذلك كان توسعهم في إفريقية بعد ذلك هشا ، لم يقو على مواجهة تطورات الأحداث التي خلفتها القبائل العربية ، عندما أحست بالخطر يقترب من مصالحها هناك . ولم تمض سنوات قليلة حتى تدهور هذا التوسع ، لتعود دولة بني مرين أخيرا إلى حجمها الحقيقي في بلاد المغرب الأقصى .

وقادتنا هذه الظروف الجديدة إلى الانتقال بالدراسة إلى الفصل الثالث للتعرف على مرحلة التفكك والانحلال ، التي تولى فيها أمر بني مرين مجموعة من السلاطين الضعاف ، إما صغار السن ، أو ضعاف العقول أو ضعاف الشخصية ، وهؤلاء جميعا عجزوا عن مواجهة

نفوذ الوزراء ، الذين سيطروا على السلطة ، ومقاليد الأمور في الدولة ، واقترب ذلك بتدخل بنى الأحمر في الشؤون الداخلية لبنى مرين ، وشجعهم على ذلك احتفاظهم ، بعدد من الشخصيات الهامة من أبناء البيت المريني الحاكم ، وكثيرا ما استخدموا هذه الشخصيات للتأثير على الأوضاع السياسية في الدولة المغربية ، الأمر الذي أضعف دولة بنى مرين تماما ، وأدى إلى سقوطها سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) .

أما الفصل الرابع فدراسة للعلاقات الخارجية لبنى مرين ، الذين أصبح لهم منذ قيام دولتهم شخصيتهم الدولية المستقلة ، ومن خلال هذه الشخصية ، تعامل المرينيون مع سائر الدول الأخرى ، سواء تلك التي تربطها بها حدود مباشرة ، أو تلك التي تبعد عنها . وقد كان لهذه العلاقات أثرها الكبير في دعم دولة بنى مرين ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا ، وكانت قوة التأثير والتأثر في هذه النواحي تتوقف على مدى طبيعة هذه العلاقات ، من حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث ميلها إلى الصداقة أو العداء ، واتضح من هذه العلاقات ، أنها كانت واسعة شملت معظم بلاد العالم الإسلامي شرقه وغربه ، حيث حرص المرينيون على إظهار شخصيتهم الدولية ، ففي المشرق كانت لبنى مرين علاقات قوية مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ، وفي المغرب كانت لهم علاقات أكثر بالحفصيين ، وبنى عبد الواد ، وبلاد السودان الغربي ، وبلاد الأندلس ، وما فيها من قوى إسلامية تتمثل في بنى الأحمر ، وقوى مسيحية معادية تتمثل في القشتاليين والأراغونيين .

واستوعب الفصل الخامس ، دراسة النظم الإدارية والاقتصادية في دولة بنى مرين ، وارتكز نظام الحكم المريني على نظام السلطنة الذي اختاره المرينيون بدلا من نظام الخلافة الذي كان في عهد المرحدين ، كما كان نظام الحكم وراثيا في أبناء البيت المريني ، ولذلك كان لمنصب ولي العهد أهمية كبيرة في أيام بنى مرين ، واتخذ سلاطين بنى مرين الوظائف المعلونة لهم في الحكم وإدارة الدولة ، كالوزارة والكتابة والحجابة . وجرت الإدارة المرينية في الدولة وفق نظام دقيق ، فقسمت الدولة تقسيما إداريا ، إلى أقاليم ، وعلى كل إقليم وإلى يمثل السلطة المركزية في فاس ، وإلى جانب ذلك كله كانت هناك الدواوين ، والنظم القضائية كالتقضاء والنظر في المظالم والشرطة والحسبة ، وهذه ساهمت في ضبط شؤون الدولة وإدارتها على نحو دقيق .

وسارت النظم الاقتصادية في الدولة على نفس المستوى من الدقة ، وفي هذا الفصل درست جوانب النظام المالي للدولة ومصادر الدخل فيها ، وعناصر الاقتصاد المريني ، الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، وما يتصل بها من المكاييل والموازين والسكة .

والفصل السادس والأخير درست فيه (الحياة الاجتماعية والفكرية في دولة بني مرين) . ويثبت فيه عناصر المجتمع المغربي في دولة بني مرين ، وسياسة المرينيين في البناء والتعمير ، وقد شهدت بلاد المغرب في العصر المريني نهضة عمرانية ، ما زالت آثارها باقية حتى الآن تشهد بعظمة العصر المريني في هذا المجال . كما تحدثت عن بعض المظاهر الاجتماعية في الدولة ، كالحياة اليومية لسلاطين بني مرين ، والبلاط المريني والاحتفالات ، والأفراح والأتراح والملابس .

أما في مجال الحياة الفكرية فقد أرسى المرينيون عدة دعائم قوية لتنمية الحركة الفكرية في دولتهم ، كان من آثارها تلك النهضة الفكرية التي ازدهرت في العصر المريني ، وشملت جميع فروع العلم والمعرفة ، ومن معالم الحركة الفكرية التي انعكست عليها آثار هذه النهضة الفكرية ، المذهب المالكي ، وإنتاج الأدباء والشعراء والمكتبات والتصوف .

ويسعدني أن اتقدم بالشكر إلى أستاذنا العالم الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العلوي ، الذي منحني رعاية العلماء لتلاميذهم ، ولم ييخل أهدأ عليّ برأى أو علم أو مشورة .

وختاماً : أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم والله ولي التوفيق .

المهندسين ٢٤ من ذي القعدة ١٤٠٥ هـ
١٠ أغسطس ١٩٨٥ م د. محمد عيسى صابر الحريري

دراسة عن أهم مصادر البحث

اعتمدت في هذه الرسالة على عدد من المصادر الأصلية ، بعضها مخطوط والآخر مطبوع ، ومن أهم المصادر المخطوطة كتاب : « المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن » تأليف أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني المتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) وعثرت على نسخة لهذا المخطوط مصورة بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (١٨٥ تاريخ) ، وهي مصورة عن الخزانة العامة بالرباط ، والنسخة كتبت بخط مغربي ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأبواب ، وفي المقدمة استعرض المؤلف في اختصار شديد نسب المرينيين ، ونشأتهم ، وسلاطين بني مرين الذين سبقوا السلطان أبا الحسن ، وانتهى المؤلف بالمقدمة عند عهد السلطان أبي سعيد عثمان ابن يعقوب . ثم تناول بعد ذلك في كل باب من أبواب الكتاب صفة من صفات السلطان أبي الحسن ، وأفاض في الحديث عنها وعن أثرها في حياته

وتأتى أهمية هذا المخطوط من أن صاحبه كان معاصرا لدولة بني مرين ، وكان أحد رجال الإدارة والبلاط في الدولة ، ومن ثم اطلع على كثير من الحقائق والأحداث التي تتعلق بهذه الدولة عن قرب ، وقد أفاد المخطوط هذا البحث في مواضع كثيرة ، وبصفة خاصة ما كتبه عن عهد السلطان أبي الحسن المريني ، والنظم الإدارية والاقتصادية لدولة بني مرين ، وعند الكتابة عن كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية .

ويأتى بعد هذا المخطوط في الأهمية مخطوطان بعنوان « النفحة النسرنية واللمحة المرينية » و « وروضة النسرين في دولة بني مرين » ألفهما إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج ابن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر . والمخطوط الأول مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٤/٣٥٧ تاريخ) ، مصور عن مكتبة الاسكوريال بمطرد . وهذه النسخة كتبت بخط المؤلف نفسه ، وهي بقلم أندلسي معتاد ، وتقع المخطوطة في ست وخمسين ورقة ، وحجم الورقة ٢٠×١٥ سم ، وتحتوي كل ورقة على خمسة عشر سطرا ، والمخطوط في أصل وضعه عبارة عن قصيدة طويلة نظمها مؤلفها لرصد تاريخ أمراء بني مرين وسلاطينهم منذ نشأتهم الأولى حتى عهد السلطان أبي العباس أحمد المستنصر بالله بن إبراهيم (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) - وهو السلطان الذي أهده المؤلف هذا الكتاب - وانتهت هذه

القصيدة المطولة عند الورقة ١٦ ، أما باقى المخطوطة فقد مضى المؤلف فيها فى شرح هذه القصيدة ، واتخذ المؤلف لنفسه منهجا التزم به من أول الشرح إلى آخره ، فهو يذكر اسم السلطان ، ثم كنيته ، ولقبه ، وأمه وتاريخ مبايعته ، وتاريخ وفاته ، ومدة حكمه ، وصفاته ، ثم يذكر أولاده الذكور والإناث ، ثم يتبع ذلك بالحديث عن وزرائه وحجابه ، وكتابه ، وقضاته ، ونادرا ما يتعرض المؤلف لبعض الأحداث السياسية ، ونفس هذا المنهج سار عليه المؤلف فى كتابه الثانى « روضة السرين » وهذا المخطوط اعتمدت على نسخته المصورة بالميكروفيلم ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (٦٣٧) تاريخ مصنف غير مفهرس) وهى مصورة عن النسخة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع فى سبع وعشرين ورقة . وهذه النسخة منقولة عن الأصل - الذى كتبه المؤلف بيده ، وقد انتهى الناسخ من كتابتها فى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر صفر عام ثلاثين وألف من الهجرة .

وكلا المخطوطتين وثيقة هامة جدا عن العصر المرينى ، فى مجال التعرف على النواحي الإدارية ونظم الدولة بما حوته من مادة وفيرة عن الوزراء والحجاب والكتاب والقضاة فى دولة بنى مرين .

ومخطوط آخر أفادنى كثيرا وهو : « نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان » لعبد الجليل التنسى ، والمخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٨٦٦١ ح) ، وهو مخطوط بخط مغربى ، فى أربع وثلاثمائة ورقة ، وقد قسمه مؤلفه إلى عدة أقسام ، حوى القسم الأول مادة وفيرة عن بنى زيان أفادت البحث عن الحديث عن العلاقات الخارجية ، وبيان الظروف التى انفصل فيها بنو عبدالوادر عن الموحدين ، وفى الفصل الذى كتبه عن قيام الدولة عند الحديث عن غزو السعيد الموحدى للمغرب الأوسط ومقتله هناك ، وحروب السلطان يوسف ابن يعقوب المرينى مع بنى عبدالوادر وشرح بعض أسبابها ، والحصار الكبير لمدينة تلمسان ، ومقتل السلطان يوسف بن يعقوب ، ودور المتصوفة فى هذا الحصار ، وتوسع أى الحسن المرينى وأبى عنان المرينى فى المغرب الأوسط .

ومن المخطوطات الهامة التى استخدمتها : « نهاية الأرب فى فنون الأدب » لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالكريم البكرى المعروف بالنويرى المولود سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٦٨ م) والذى كان كاتب الإنشاء فى عهد الناصر قلاوون المعاصر لبنى مرين ، والمتوفى سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) . وقد أمدنى القسم الثانى من الجزء الثلاثين من المخطوط بمعلومات هامة عن توقف جهود بنى مرين فى بلاد الأندلس فى عهد أبى سعيد المرينى .

ومخطوط آخر اعتمدت عليه هو « الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس » ولم أجد على المخطوط اسم مؤلفه ، وإنما وجدت أن تاريخ تأليفه فى سنة ١٠٩٩ هـ ،

وهو مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، والنسخة مصورة عن النسخة الموجودة بالخزانة العامة في الرباط . وقد أمد المخطوط البحث بقطعة هامة عن أسباب بناء مدينة فاس الجديدة .

وإلى جانب هذه المصادر المخطوطة اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر المنشورة ، وعدد من مؤلفي هذه المصادر عاصروا أحداث دولة بنى مرين ، كابن خلدون ، وصاحب الذخيرة السنية ، وابن أوى زرع ، وابن الخطيب . ومعظم هؤلاء عاشوا في البلاط المرينى ، ومن ثم اكتسبت معلوماتهم التى وردت ضمن مؤلفاتهم أهمية كبيرة ، وأول هذه المصادر الهامة ، كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » لمؤلفه « عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى التونسى » المتوفى سنة (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) . وقد اعتمدت على طبعتين لهذا الكتاب الأولى وهى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ ، واستخدمت منها الجزء السابع فقط ، والطبعة الثانية طبعة مؤسسة الأعلمى ببيروت سنة ١٩٧١ م . واستخدمت منها الجزء الأول والسادس . والطبعة الأولى ، سارت مع البحث فى جميع مراحلها ، فأمدته بمعلومات وفيرة فى النواحي السياسية والحضارية ، أما الطبعة الثانية ، فقد أفدت منها فى الفصل الذى كتبه عن النظم الإدارية والاقتصادية .

وكتاب الذخيرة السنية من أهم البحوث المطبوعة ، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه المجهول عاصر كثيرا من أحداث الدولة المرينية ، ورآها رأى العين ، فقد قال : « إننى كنت » معتمدا فى جميع ما أذكره من ذلك على ماشهدته وقيدته وما رويته عن أثق به من الأشياخ والثقاق من أهل العلم بالتاريخ وأيام الناس والمعرفة بالأنساب » .

وحقق هذا الكتاب محمد بن أوى شنب سنة ١٩٢٠ م وطبعه بالجزائر . وفهرس الكتاب الذى سطره المؤلف بيده فى أول الكتاب يحدد أنه وضع الكتاب فى عشرة أبواب ، تنتهى عند عهد أوى سعيد المرينى ، ولكن الذى يبدو أن المحقق وجد الكتاب ناقصا ، إذ ينتهى الكتاب عند الباب السابع الذى تحدث فيه المؤلف عن عهد السلطان أوى يوسف يعقوب ابن عبدالحق ، والباب السابع ناقص هو الآخر ، إذ إن المادة الموجودة به تتوقف عند بناء مدينة (فاس الجديدة) ، ومن ثم فقد افتقدنا مادة لا بأس بها فى هذه الأبواب الثلاثة المفقودة ، ولكن على كل حال ، فقد حصلت من هذا الكتاب على مادة علمية وفيرة أفادتني كثيرا فى جميع فصول الرسالة ، وبصفة خاصة فى الفصل الأول الذى تحدثت فيه عن قيام الدولة ، وجهود بنى مرين الأولى فى الميدان الأندلسى ، كما أمدنى الكتاب بمادة لا بأس بها عند الكتابة عن النظم الإدارية ، والتقسيم الإدارى للدولة والنظم الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية والفكرية فى الدولة وخاصة ما كتبه عن الأدباء والشعراء .

كذلك اعتمدت اعتمادا كبيرا على كتاب : « الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ، ومؤلفه ابن ابن زرع - ١ على بن محمد بن أحمد ابن عمر بن أبي عمر بن أبي زرع الفاسي - الذي كان معاصرا لدولة بنى مرين وتولى الكتابة لأبي سعيد عثمان المريني (٧١٩ هـ - ٧٣١ هـ) واعتمدت على جميع الطبعات التي صدرت لهذا المؤلف الهام . الطبعة الأولى طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٣ هـ ، والطبعة الثانية طبعة نشرتها دار المنصور للطباعة بالرباط سنة ١٩٧٣ م ، والثالثة حققها محمد الهاشمي الفيلاي سنة ١٩٣٦ ، وقد أفدت كثيرا من المادة التي وردت بهذه الطبعات الثلاث في مواضع كثيرة من الرسالة ، في كلا الجانبين السياسي والحضاري لدولة بنى مرين .

ومن المصادر الهامة التي أمدت البحث بمعلومات قيمة كتاب : « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » - لابن عذارى المراكشي - وقد استخدمت الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي حققه : أوثنى ميراندا وإبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ، وطبع سنة ١٩٥٦ بالمطبعة الحسنية بتطوان . واستفاد البحث من هذا الكتاب مادة قيمة عن دخول المرينيين إلى المغرب الأقصى ، والصراع بين المرينيين والموحدين ، والمؤامرة التي دبرها الموحدون لاغتيال الأمير أبي سعيد المريني ، وتحطيم الجبهة المرينية بإغراء بنى عسكر للخروج على أبناء عمومتهم القائمين على رئاسة بنى مرين ، وتحالف الموحدين مع بنى زيان ضد بنى مرين .

ومن بين الكتب الهامة التي رجعت إليها كتاب : « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » لأحمد بن خالد السلاوي ، واستخدمت الجزء الأول والثاني من طبعة القاهرة التي طبعت سنة (١٣١٢ هـ) والجزء الثالث والرابع من طبعة الدار البيضاء التي نشرت سنة ١٩٥٤ م . ولكن استخلام هذه الطبعة الأخيرة جاء قليلا ، ولذلك أشرت إليها في هوامش الرسالة بطبعة الدار البيضاء ، تميزا لها عن الطبعة الأخرى . والمعلومات التي وردت في هذا المصدر الهام ، تكاد تتطابق مع المعلومات التي وردت في كتاب العبر لابن خلدون ، لأن المؤلف كثيرا ما كان ينقل عنه ، إلا أن أهمية هذا الكتاب تأتي بما يحويه من معلومات أخرى نقلها السلاوي عن بعض المؤرخين من أمثال المقرئ وابن أبي زرع ، وبعض المؤرخين الأسبان الذين ألفوا في تاريخ المغرب الأقصى ، وقد استخدمت كثيرا من المادة العلمية الوفيرة - التي رصدتها هذا المؤرخ عن بنى مرين خلال أجزاء متفرقة كثيرة من الرسالة .

كما استفدت كثيرا من مؤلفات لسان الدين بن الخطيب - (ت ٧٧٦ هـ) - ولا ينبغي أن شخصية ابن الخطيب لعبت دورا من أخطر الأدوار السياسية والحضارية ، في تاريخ بلاد المغرب والأندلس ومن ثم اكتسبت مؤلفاته أهمية كبرى بالنسبة لهذا البحث ، وكان كتاب : « الإحاطة في أخبار غرناطة » من أهم كتبه التي اعتمدت عليها في مواضع كثيرة من

الرسالة ، وبصفة خاصة عند كتابتي عن عصر تقوُّذ الوزراء وسقوط دولة بني مرين ، وعلاقة بني مرين ببني الأحمر في الأندلس ، وعن الحياة الفكرية . واستخدمت من طبعات هذا الكتاب طبعة الخانجي ، وطبعة دار المعارف ، وهذه الأخيرة أشرت إليها في هوامش الرسالة بطبعة دار المعارف تمييزاً لها عن الطبعة الأخرى .

كما اعتمدت على كتاب : « اللوحة البدريّة في الدولة النصرية » الذي حققه عبّ الدين الخطيب سنة (١٣٤٧ هـ) ، وأفادني هذا الكتاب بما فيه من معلومات عن سلاطين بني مرين ، ولذلك شاع استخدامه في معظم فصول الرسالة ، وخاصة عند الكتابة عن علاقة بني مرين ببني الأحمر ، والجدير بالملاحظة أن أكثر المادة التاريخية التي وردت في اللوحة البدريّة ، تكاد تكون هي نفسها الموجودة في كتاب الإحاطة .

وكتاب آخر لابن الخطيب هو : « القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام » ، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات قيمة عن فتح سجلماسة في عهد الأمير أبي يحيى المريني ، وفي عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق . والنسخة التي اعتمدت عليها ، وهي التي حققها الدكتور أحمد مختار العبادي ، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، ونشرها في الدار البيضاء سنة (١٩٦٤ م) ، وصدر تحت اسم « تاريخ المغرب العربي في العصر الرويضي » .

ومن مؤلفات ابن الخطيب التي استخدمتها في هذا البحث كتابه المسمى « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » الذي حققه الدكتور محمد كمال شبانة سنة ١٩٦٦ ، وهذا الكتاب من الكتب التي ألفها ابن الخطيب وهو في منفاه في بلاد المغرب الأقصى أيام بني مرين ، وضم رسائل متبادلة بين البلاط المريني وبلاط بني الأحمر ، ومن ثم أفاد هذا الكتاب كثيراً فيما كتبه عن العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر .

وأسهّم كتاب : « صبح الأعشى في صناعة الإنشاء » للقلقشندي بمعلومات طيبة وردت خلال الجزء الخامس والسابع والثامن ، وأفادت هذه المعلومات عند الحديث عن نسب بني مرين ، ومنازلهم في بلاد المغرب ، وأمراء بني مرين الذين حملوا عيه تأسيس الدولة ، وسلاطين بني مرين الذين وطدوا دولة بني مرين ، كما أفادني هذا المصدر بمعلومات قيمة عن العلاقات بين بني مرين وسلاطين المماليك في مصر ، ومعلومات أخرى وفيرة عن النظم الإدارية والاقتصادية في دولة بني مرين .

كذلك أفدت من كتاب : « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » وقد استخدمت النسخة التي حققها الدكتور إحسان عباس ، والصادرة في بيروت سنة ١٩٦٨ م . وقد حفل الكتاب بمادة تاريخية خصبة ، أفادت البحث عند الحديث عن علاقة المرينيين ببني الأحمر ، وعند الحديث عن الحياة الفكرية في دولة بني مرين ، وبصفة خاصة

ما كتبه عن الأدباء والشعراء والمواد العلمية .

واستخدمت أيضا كتاب : « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » لأبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الزركشي ، واستخدمت الطبعة الثانية التي حققها محمد ماضور سنة (١٩٦٦ م) ، ونشرتها المكتبة العتيقة في تونس ، وقد أفادني هذا المصدر الهام عند تنبهي للتوسع المريني في إفريقية وتبعية المرينيين في آخر أيامهم لبنى حفص ، وفي الكتابة عن تاريخ العلاقات بين بني مرين وبني حفص .

ومن المصادر الهامة التي استفاد منها البحث كتاب : « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد » ألفه ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (يحمي بن خلدون) وحققه الفردل في جزئين ، وكل جزء يحتوي على تحقيق كامل باللغة العربية والفرنسية . وقد سار المؤرخ فيه على طريقة السنيين ، وانتهى فيه إلى سنة (٧٧٧ هـ) ، واستفدت من هذا الكتاب كثيرا عند الكتابة عن عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بني مرين ، ومحاولات بني مرين استرداد المغرب الأوسط ، في عهد أبي عنان المريني ، والعلاقات بين بني مرين وبني عبدالواد .

ورجعت إلى كتاب : « الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية » ، الذي ألفه أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ المتوفى سنة (٨١٠ هـ) ، وحققه محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، وقدم لي هذا الكتاب مادة لا بأس بها استخدمتها في مواضع كثيرة من البحث خاصة في عهد السلطان أبي سعيد المريني ، وأبي الحسن المريني ، وعند الحديث عن العلاقات الحفصية المرينية .

وساعدني كثيرا كتاب : « المؤنس في تاريخ أفريقيا وتونس » - الذي ألفه ابن أبي دينار القيرواني ، وحققه محمد شمام حيث أمدني بمعلومات قيمة في أجزاء متفرقة من البحث وخاصة في الفصل الأول عند الحديث عن قيام دولة بني مرين ، واستخدمت الطبعة الثالثة ، التي أصدرتها المكتبة العتيقة بتونس سنة ١٣٨٧ هـ .

كذلك أفادني كتاب : « الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية » - الذي حققه ي . س . علوش ، وصدر في رباط الفتح سنة ١٩٣٦ م - وأمدني بمعلومات قيمة عن منازل بني مرين وحركة انتشارهم في أفريقية والمغرب الأوسط ، وموقعة العقاب التي أضعفت دولة الموحدين ، وجهود الأمير أبي سعيد المريني في تأسيس دولة بني مرين ، ومقتله ، وأحداث الصراع بين المرينيين والموحدين حتى إعلان قيام الدولة .

ومن أهم المصادر التي أمدت البحث بمادة قيمة وفيرة ، عند الكتابة عن النظم الإدارية

والاقتصادية والحياة الاجتماعية والفكرية كتابا « سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس » ، « وجلوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس » .
والكتاب الأول ألفه محمد بن جعفر ابن إدريس الحسنى الإدريسي الكنانى ، والكتاب فى ثلاثة أجزاء ، وطبع طبع حجر بفاس سنة (١٣١٦ هـ) ، أما الجلوة فألفه أحمد بن محمد ابن محمد (ابن القاضى) ، وطبع طبع حجر بفاس أيضا سنة ١٣٠٩ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

قيام دولة بنى مريـن

قيام دولة بني مرين

- النسب بني مرين (١) :

المرينيون فخذ قوى من قبيلة زناتة البترية ، فجد المرينيين الأعلى الذى يتسبون إليه . : « مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن بدر بن نجفت بن عبد الله بن تبيص بن المعز بن إبراهيم بن رجيك بن واشين بن بصلتن بن مشد بن إكيا بن ورسيك بن بدت بن جانا وهوزناتة » (٢) .

وقد نقل صاحب الدخيرة السنية ما ذكره الفقيه أبو علي الملياني مشيرا إلى انتفاء بني مرين إلى الأصل العربى الذى ينتمى إليه سائر البربر فيقول إن : « مرين فخذ من زناتة وهم لمرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن بدر بن نجفت بن بصلتين بن عبد بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيج بن واسين بن بصلتين بن مسرى بن زاكيا بن سيد بن زانات بن جانا بن يحيى بن تمرمت ابن ضريس وهو جالوت ملك البربر بن رجيع مادغيس الأثر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهم عرب الأصل بمون من ولد نزار بن معد وهو أصح ما ذكر فى نسبهم » (٣) .

ويؤكد انتفاء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زناتة ما قاله ابن رشيق : أصل زناتة من الشام وكانت دارهم بفلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام أتت البربر إلى المغرب فانتشروا إلى السوس الأقصى » (٤) . ويقول ابن أوى زرع فى هذا بأن أيضا : « فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريجون » (٥) .

وكان بنو مرين هؤلاء يمثلون قسما قويا له عراقته وسطوته بين قبائل زناتة فهم : على قبائل زناتة حسبها وأشرفها نسبا وأغزرها كرما وأحسنها شجما وأرعها ذملا وأرجحها لاما وأشدّها فى الحروب بأسا وإقداما » (٦) .

وقد حاول بعض المؤرخين أن يضيفى على النسب المرينى حالة من التكريم فرفع نسب بنين إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالوا عن عبد الحق المرينى - وهو من تطلع من بنى مرين إلى إقامة دولة لهم فى بلاد المغرب « هو عبد الحق بن يحيى بن أبى ر بن حمامة بن زيان بن محمد بن محمد بن على بن تاشفين بن يحيى بن على بن إبراهيم بن

إسماعيل بن عمر بن أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧) .

وقد ذهب بعض المؤرخين في هذا الشأن إلى ما هو أبعد من ذلك فرأى أن المرينيين : « من زناتة ، وزناتة عرب من مضر وهم (أي بنو مري) يجتمع نسبهم بنسب رسول الله ﷺ في مضر وهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان » (٨) وقد يكون هذا الرأي صحيحا لاتفاق معظم المؤرخين وعلماء الأنساب في السلسلة التي رصدوا فيها تسلسل نسب المرينيين حتى عدنان .

أما الرأي الذي ينسب المرينيين إلى الإمام علي بن أبي طالب فهو رأي يبدو بعيدا عن الصحة لأن تسلسل النسب المريني - عند من رأى هذا الرأي - ابتداء من والد حماسة المريني وحتى الإمام علي بن أبي طالب لا يتفق مع سلسلة النسب التي اتفق عليها معظم المؤرخين .

وقد حفظت كتب التاريخ شيئا من روايات بعض النسابة في العصر المريني ومحاولاتهم لتحقيق النسب المريني ، وما يروى في هذا الشأن أن أحد النسابة وهو أبو القاسم الملاحى قدم على السلطان أبي يعقوب المريني يحمل إليه شجرة بنسب المرينيين وكان السلطان المريني أبو يعقوب يوسف آنذاك محاصرا لمدينة تلمسان فلما قدم عليه أبو القاسم قرأها بين يديه وبين في هذه الشجرة صلة المرينيين وانتسابهم إلى الرسول ﷺ والإمام علي بن أبي طالب ، ولما فرغ من قراءتها قال له السلطان أبو يعقوب يوسف : « أما هذا فقد شكرنا ... وحمدنا لك مسعاك .. فخرجوا النفع به عند الله في العقبى وإن كان غير ذلك فلا خير لنا في التمسك بما فيه مطعن علينا » (٩) .

وتستوقفنا هذه الرواية بعض الشيء فالسلطان أبو يعقوب لم يقف منها موقف القابل لها وإنما وقف منها موقف التشكك فيها ، وهذا ما يجعل من الصعب الجزم بصحة الروايات التي ترفع النسب المريني إلى الإمام علي بن أبي طالب .

٢ - منازل بنى مريين :

تعددت منازل بنى مريين - قبل دخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى - نتيجة لأسلوب الحياة الذي درجوا على اتباعه في معيشتهم ، وهو أسلوب البداوة الذي غلب على كل شيء في حياتهم ، فقد نزلوا بأنعامهم التي يمتلكونها في القفار والصحارى في نظام عظيم يمتد من جنوب مدينة القيروان إلى صحراء بلاد السودان (١٠) . وهم في هذا الامتداد العظيم يتمتعون بما يتمتع به المجتمع البدوي الذي يحيا حياة الصحراء ، وقد وصفهم ابن أبي دينار في المؤنس قائلا : « وبنو مريين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية وينتقلون من مكان إلى مكان

وجل أموالهم الإبل والخيول وطعامهم اللحوم والتمر » (١١) . ومؤرخ آخر يذكر أن المرينيين كانوا « لا يعمرّون إلا القفار ولا يؤدون لسلطانهم بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان ولا يرضون بذل ولا هوان لهم همم عالية ونفوس إلى المعالي سامية لا يعرفون الحرث ولا التجارات ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات جل أموالهم الإبل والخيول ودأبهم الحرب وخوضان الليل وشيعتهم إكرام الضيف وضرب أعدائهم بالسيف » (١٢) .

وفي ضوء هذه الحقائق - التي تتعلق بنظم الحياة في المجتمع المريني القبلي المتقل - لم يتفق المؤرخون على أماكن محددة لإقامة هذه القبائل - فابن خلدون يرى أن إقاعة القبائل المرينية كانت بمجالات القفر من فيكيك إلى سجدلماسة في الجنوب ، ومن فيكيك إلى ملوية في الشمال ، وربما يتقدمون في ظعنهم شرقا إلى بلاد الزاب (١٣) . أما القلقشندي فيحدد إقامة المرينيين ما بين فيكيك وصا وملوية فقط (١٤) . ثم يأتي ابن مرزوق - مؤرخ الدولة المرينية - فيذكر في مسنده أن القبائل المرينية تملك مساحات شاسعة تنقلت فيها من بلاد الجريد إلى ناحية المغرب حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت وجهات تلمسان (١٥) .

أما صاحب الحلل الموشية فلديه معلومات أكثر أهمية عن الموطن الأول للمرينيين وطريقة انتشارهم في بلاد المغرب فيرى أن : « أصبل بنى مرين من حوز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان وكان وطنهم (بنو مرين) ما بينها (تلمسان) وبين تاهرت من شرقها » (١٦) وهذا يعني بطبيعة الحال أن تلمسان هي المركز الذي انتشرت منه قبائل بنى مرين شرقا وغربا ، وأن المرحلة الأولى من انتشار القبائل المرينية كانت إلى الشرق من تلمسان وإلى اتجاه مدينة تاهرت ، ثم تقدمت منها بعد ذلك نحو بلاد الزاب ، وبلاد الجريد . وقد نزلت قبائل بنى مرين بعد ذلك نحو الغرب ، من هذه المواطن إلى بلاد المغرب الأقصى (١٧) فأصبح المرينيون بذلك يقفون على مداخل المغرب الأقصى يراقبون ما يدور به من أحداث .

٣ - بيت بنى مرين :

كانت البيت المريني بيتا قويا عريقا في قبيلة زناتة ففي فترة مبكرة من حياة هذه القبيلة تولى ماخوخ الزناتي - وهو الجد الأعلى لمرين الذي من نسله تفرقت قبائل بنى مرين وعشايرها - رئاسة زناتة في وقته (١٨) ، فقد كانت لديه في ذلك الوقت ، كل الصفات التي تؤهله لقيادة هذه القبيلة وشعوبها إذ كان ماخوخ « أحد الشجعان الأجواد الأبطال المضروب بهم المثل في الشجاعة والكرم وعلو الهمة وكان ينحدر كل يوم نجمين من إبله وعشرين رأسا من الضأن فيطعمها الضيوف والواردون وأبناء السبيل » (١٩) . وفي المجالس التي كانت تضم

أشياخ زناتة من مغراوة وبنى يفرن وبنى واسن ونفوسة وغيرهم كان ماخوخ جد المرينيين يلو متفوقا عليهم ، فهو عندما يلعب معهم بأقلام الذهب والفضة - وكانت هذه اللعبة تسمى (تلاس) ، كان يهب جلساءه من شيوخ القبائل هذه الأقلام عندما يهزم بالقيام من المجلس (٢٠) .

في بيئة الرياسة هذه نشأ مرين وأبنائه الذين كان من بينهم جرماط بن مرين ، وولد لجرماط هذا ولدان بوجوس ويابان ومن يابان هذا تشعبت جميع قبائل بنى يابان . أما بوجوس فولد له ثلاثة أولاد ، هم : واطاس ، وتنالفت ، ووزرير ، فأنجب وزرير ولدين هما : ينجاس ومحمد ، وكان لمحمد هذا سبعة أولاد منهم أخوان شقيقان هما عسكر وحمامة (٢١) وفي أبناء هذين الحفيدين من أحفاد مرين كانت رياسة قبائل بنى مرين .

٤ - ظهور بنى مرين على مسرح الأحداث في بلاد المغرب :

الفترة المبكرة في حياة المرينيين يغلفها شيء من الغموض ، ولكن من خلال كتابات المؤرخين القليلة ، يمكن الخروج ببعض المعلومات الهامة عنهم وعن أوليتهم في بلاد المغرب . فلم تكن القبائل المرينية في المغرب الأوسط إفريقية قبائل خاملة ، وإنما كانت قبائل نشيطة مؤثرة في مجريات الأحداث ، فكان المخضب بن عسكر زعيما قويا موهوبا الجانب استطاع أن يسيطر على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب وبلغ من قوته أنه كالت له طوبله وبنوده الخاصة به (٢٢) ويذكر صاحب الذخيرة السنية أنه : « أذاق ملوك لمثونة وملوك ثكلاتة الصنهاجيين شرا كثيرا ولم يزل يغير في بلادهم بتلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك من البلاد يهزمون وينهبون ويهزم الجيوش ، ويقتل الرجال » (٢٣) وأمام وطأة هذا الزعيم المريني القوي اضطرب المرابطون إلى مصانعتهم ومهادنته بتقديم الهدايا له كي يسلمهم وظلوا على هذه الحالة حتى سقوط دولتهم (٢٤) .

وبلغ الأمر بالمرابطين وأهل تلمسان - حين كان عبد المؤمن بن علي يحاصرهم - إلى تهديده بقلوب المخضب بن عسكر ، ولكن الحظ لم يحالف المرابطين فقد كان المخضب غالبا ببلاد الزاب يقاتل بعض قبائل زناتة هناك (٢٥) . ويذكر ابن خلدون أن بنى يادين ، وبنى يلمومي - وبنى مرين ومغراوة اشتركوا معا في حرب قبائل زناتة بقيادة أبي حفص الذي أمره عليهم عبد المؤمن بن علي (٢٦) ويسلو أن المخضب لم ينل من الموحدين ما أرادته نظير اشتراكه معهم في حرب قبائل زناتة فما إن لفظت دولة المرابطين أنفاسها الأخيرة حتى كان على المخضب ابن عسكر أن يسير غور القوة الجديدة التي ظهرت في بلاد المغرب كي ينال منها ما كان يحصل عليه من المرابطين ، فأراد أن يمارس مع الموحدين ما كان يمارسه مع المرابطين من قبلهم ، ولم يضع المخضب وقتا طويلا ، فقد وصلته الأخبار بأن عبد المؤمن بن علي بعد أن فتح تلمسان

ووهران بعث بما وجد فيها من الأموال والدخائر والسلاح إلى تينال (٢٧) .

تحرك الخنضب بقوة جمعها من بنى مرين تقدر بخمسمائة فارس وانجه بهذه القوة إلى الجنوب سالكا أقصر الطرق حتى يقطع الطريق على هذه الأموال ، وقد تمكن من قطع الطريق عليها عند وادى تلاغ (٢٨) ، وفي هذه الأثناء علم عبد المؤمن بن علي بما آل إليه شأن الأموال ، فأرسل جيشا من ثلاثمائة فارس من الموحدين والجشم بقيادة الشيخ أبي محمد عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادى ، فالتقى هذا الجيش بالخنضب عند فحص حصون ، فلار بين القوتين قتال عظيم هزم فيه المرينيون وقتل الخنضب وأخذ الموحدون طبوله ويتوده ونهبت أمواله وحمل رأسه إلى عبد المؤمن في جمادى الآخرة سنة ٥٤٠ / ١١٤٥ م (٢٩) . ولم يجد المرينيون بعد مقتل أميرهم واكتساح الموحدين لهم - مفرأ. من العودة إلى صحراواتهم ومجالات قفرهم التي تعودوا على الحياة فيها (٣٠) .

بعد هذه الأحداث الجسيمة انتقلت رئاسة بنى مرين إلى الفرع المرينى الآخر وهو فرع أبناء حماسة بن محمد بن وزير حيث تولى أمر بنى مرين أبو بكر بن حماسة وهو ابن عم الخنضب ويبدو أن المرينيين قد آثروا السلامة في مجالاتهم التي يعيشون فيها فلم يشتركوا في أحداث المنطقة حتى توفى أميرهم أبو بكر بن حماسة سنة (٥٦١ / ١١٦٥ م) (٣١) .

أصبح محيو بن أبى بكر بن حماسة المرينى أميرا على قبائل مرين ، يقوم بأمرهم وينظر فى أحكامهم بعد وفاة والده أبى بكر (٣٢) . وفى عهده نشط المرينيون وشاركوا فى الأحداث السياسية العسكرية التى كانت تعيشها دولة الموحدين فى ذلك الوقت ، فما إن دعاهم المنصور (يعقوب بن يوسف) واستنفرهم إلى الخروج بما عندهم من رجال وسلاح للمشاركة معه فى غزوة الآراك الكبرى - التى جرت أحداثها ووقائعها فى بلاد الأندلس - حتى لبى المرينيون نداءه وكان ذلك فى سنة (٥٩١ / ١١٩٥ م) (٣٣) .

وعمد المنصور الموحدى إلى الأمير محيو بن أبى بكر المرينى - الذى كان محبوبا مطاعا فى قومه - فأسند إليه قيادة المتطوعين من قبائل بنى مرين وقبائل زناتة كلها (٣٤) . وقد أبلى الأمير محيو ومن معه من رجال بنى مرين بلاء حسنا فى هذه المعركة وأصيب بجراحات أثقلتة فعاد إلى بلاده من الغزوة ، واشتدت عليه جراحاته فمات شهيدا فى شهر صفر سنة (٥٩١ / ١١٩٥ م) بصحراء الزاب (٣٥) .

المرينيون إذن ساعدوا الموحدين فى مهيا تأسيس دولتهم وعملوا على تثبيت أقدامهم فى بلاد المغرب ، كما عاونوهم معاونة جدية وفعالة ، واشتركوا معهم فى معاركهم الكبرى خارج بلاد المغرب فى الميدان الأندلسى ، فكان المرينيون بذلك عنصرا من عناصر القوة التى تلتفت إليها الأنظار فى الدولة الموحدية .

٥ - دخول بني مرين إلى بلاد المغرب الأقصى :

تقلد أبو محمد عبد الحق بن محيو رئاسة القبائل المرينية بعد استشهاد والده (٣٦) ، ويعتبر هذا الزعيم المريني أول من قاد المرينيين إلى دخول بلاد المغرب الأقصى ، والمعروف أن كثيرا من القبائل المرينية تعودت منذ أيام الموحدين وما قبلها بأنهم في فصل الربيع والصيف يشلون رحالهم ويتجهون شمالا إلى التلول والأرياف إلى جهات تمتد من أجرسيف إلى وطات ، وهناك في هذه المناطق كانوا يأمنون بمن هناك من بقايا قبائل زناتة الأولى مثل مكناسة في جبال تازي وبني بدنيان ومغراوة الذين يقطنون في قصور وطات في المناطق المرتفعة من وادي ملوية ، فإذا ما توسط الحريف واقترب الشتاء ، فإنهم ينحدرون إلى مشاتهم بما يمتارونه من هذه المناطق من أنواع الحبوب التي يستعملونها لأقواتهم (٣٧) .

ولم يفكر المرينيون في الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية إلا في سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) في أعقاب الهزيمة الكبرى التي لحقت بالموحدين في بلاد الأندلس في معركة العقاب (٣٨) وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المريني بنفسه عملية الإشراف على تقدم المرينيين من إفريقية والمغرب الأوسط ودخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى (٣٩) .

ولابن عذارى رواية ترى أن دخول المرينيين للاستقرار في بلاد المغرب الأقصى كان في سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) (٤٠) ، وهي رواية تختلف عن الروايات التي أجمعت عليها معظم المصادر . وترى هذه الروايات أن دخول المرينيين إلى المغرب الأقصى كان في سن (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) (٤١) . وهي روايات تدعمها القرائن التاريخية وتثبت صحتها ، فالمرينيون لم يفكروا في الاستقرار في بلاد المغرب الأقصى إلا بعد أن اضطربت أحوال الموحدين نتيجة لهزيمتهم في موقعة العقاب وهذه الموقعة كانت في سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) (٤٢) وقد أعقبها ضعف شديد مُنَى به الموحدون وأصبحوا عاجزين عن حماية دولتهم ، ويصور صاحب الذخيرة السنية الأحوال السيئة التي وصلت إليها بلاد المغرب في ذلك الوقت حيث أصبح « المغرب خاليا ، قد باد أهله ورجاله ، وفنى نخيله ، وحماته ، وأبطاله ، وقتلت قبائله وأقياله وقد استشهد الجميع في غزاة العقاب فأقفر بلادهم (الموحدين) فعمرها اليوم والسباع والذئاب » (٤٣) ولو أن المرينيين فكروا في الاستقرار في المغرب الأقصى قبل سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) لكان في إمكان الموحدين أن يقاوموهم ويقضوا بسهولة على أية محاولة يقوم بها المرينيون للاستقرار في المغرب الأقصى .

ولكن رواية ابن عذارى يمكن قبولها في ضوء ما ذكره المؤلف المجهول صاحب الذخيرة السنية الذي يذكر أن خلافا شديدا حدث في سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) بين بني مرين وبين

بنى عبد الواد وبنى واسين بسبب امرأة ولم يذكر صاحب الذخيرة السنية شيئا عن طبيعة هذا الخلاف وإنما اكتفى بأن قال : « فوقعت بينهم (بنى مرين) وبين عبد الواد وبنى واسين حرب بسبب امرأة فافترقوا من تلك السنة (سنة ٦٠١ هـ) وقصدت مرين نحو المغرب فقتلوا بالجبل المطل على وادى ملوية وهو الجبل الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد الصحراء فأقاموا به إلى سنة عشر وستائة » (٤٤) . وهذا يعنى حسب هذه الرواية أن المرينيين فى سنة (٦٠١ هـ / ١٢١٤ م) فكروا فى التحرك نحو المغرب ووقفوا هناك عند مداخلة ، وفى سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) بعدما رأوا ما اعترى المغرب من أحداث وطرأ عليه من تغييرات دخلوه واستقروا فيه .

وكانت بلاد المغرب بطبيعتها بلادا مغربة للقبائل المرينية التى أقبلت على عاداتها للرعى وجلب الميرة والأقوات ، فمما إن شاهد المرينيون ما صارت إليه أحوال بلاد المغرب من الخلاء والضعف ، ورأوا أن الاستقرار فى بلاد المغرب الأقصى سيغير من الهيكل الاقتصادى لقبائلهم فيتحولون إلى قبائل مستقرة ، وفى نفس الوقت قبائل حاكمة مثلها فى ذلك المرابطين والموحدين . بعث المرينيون إلى إخوانهم وقبائلهم يخبرونهم « بحال البلاد وخلاتها وخصبها ونقايتها وهوائها وسعة مساحاتها ومراعيتها وعذوبة مياهها وكثرة أنهارها والتفاف أشجارها وبركات ثمارها ويأمرؤنهم بالمسير إليها والقدوم عليها فليس ثم من يصددهم عنها ولا ينازعهم فيها فوصل الخبر إلى أشياخ مرين فأعلمهم بخلاء البلاد وخصبها وضعف الموحدين عن حمايتها فشددوا رحلتهم وأقبلوا إلى المغرب مسرعين . حتى وصلوا إلى وادى تلاغ فولجوا المغرب من تلك الباب بالخييل والإبل والمراكب والقباب فى جيوش كالسيل أو الليل أو الغل أو الجراد المنتشر » (٤٥) .

٦ - بنى مرين فى المغرب الأقصى :

بدأ المرينيون فى أعقاب دخولهم إلى المغرب الأقصى حركة انتشار واسعة ، شملت منطقة الريف القبلى من إقليم تازة (٤٦) ، وفضلوا الاستقرار فى النواحي المرتفعة من المغرب الأقصى ، لأنها توفر لهم شيئا من الحماية الطبيعية ، ومن ناحية أخرى هذه المناطق المرتفعة يشرفون منها على سائر الأرجاء المحيطة بهم فيأمنون من مفاجأة العدو لهم (٤٧) .

وكان هدف بنى مرين أول الأمر الاستحواذ على خيرات المغرب والاستئثار بها تحت وطأة قوتهم التى تمتعوا بها ومن منطلق حاجتهم إلى هذه الخيرات التى لا تتوفر لديهم فى صحراواتهم (٤٨) ، ولكن المرينيين سرعان ما غيروا شعارهم البدوى ونصبوا أنفسهم لإقرار الأمن ونشر العلم ، واقرن هذا التغيير برغبة أكيدة لدى المرينيين فى الإطاحة بنفوذ الموحدين الذين تسببوا بسبب فشل سياستهم ، فى هذه الفوضى التى شملت البلاد (٤٩) .

وقبل أن يواجه المرينيون الموحديين حاولوا جذب الأنظار إليهم حيث عملوا على استتباب الأمن والعمل لصالح المواطنين ، فركزوا في سياستهم على استتصال شأفة الأعراب الذين كانوا يعيشون في الأرض فسادا (٥٠) ، وقد جذب هذا أنظار المواطنين وجعلهم ينظرون إلى بني مرين على أنهم المنقذون لهم من قسوة الاضطراب الذي يعانون منه بسبب ضعف قبضة الموحديين عن الإمساك بزمام الأمور في بلاد المغرب .

تأسيس دولة بني مرين

بدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحديين استمر ثمانية وخمسين عاما ، وكان لاشتراك بني مرين مع الموحديين . في ميادين القتال في بلاد المغرب والأندلس - الفضل الكبير في تعرف المرينيين واطلاعهم على كثير من الخبرات في مجالات الحرب والقتال ، وامتص المرينيون رحيق هذه الخبرات من بين صفوف الموحديين وأضافوا إليها قوتهم وخبرتهم وجلدهم ، وقد قاد المرينيون مراحل هذا الصراع ببسالة وعزم منذ وطئت أقدامهم أرض المغرب الأقصى ، وقد مر هذا الصراع بمراحل متعددة ، استطاع المرينيون بما لديهم من قوة ودراية بمجريات الأحداث أن يتفوقوا على الموحديين ، ويمكن استعراض أحداث هذا الصراع - الذي انتهى بفتح مراكش عاصمة الموحديين وإعلان قيام دولة بني مرين - من خلال مراحل ثلاث :

أولا : مرحلة استقرار بني مرين في مناطق التلول والأرياف :

يعتبر عبد الحق بن محيو المريني أول من نقل بني مرين من حالة البداوة في الصحراء إلى مرحلة التفكير العملي لإقامة دولة للمرينيين في المغرب الأقصى ، ولذلك فإن بعض المؤرخين يطلقون عليه أبو الأملاك (٥١) لأن أبنائه الأربعة الذين تولوا أمر بني مرين من بعده ، هم الذين حملوا على عاتقهم أعباء تأسيس الدولة المرينية ، وكان عبد الحق يدعو أبنائه بني مرين دائما إلى توحيد صفوفهم لتحقيق أملهم في العزة والسلطان بقوله لهم : « يا معشر بني مرين أما مادمت في أمركم مجتمعين وفي آرائكم متفقين وكنتم على حرب أعدائكم أعوانا وفي ذات الله إخوانا فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وإن اختلفت أهواؤكم وتشتتت آراؤكم ظفر بكم أعداؤكم » (٥٢) .

وقد اتصف هذا الأمير بكثير من الصفات التي أهلته لقيادة القبائل المرينية ، ومن ناحية أخرى أثرت هذه الصفات في سلوك القبائل المرينية في المغرب الأقصى مما أعطى انطبعا حسنا عن المرينيين لدى كثير من سكان المغرب الأقصى فأحبوا المرينيين ووجدوا في الانضمام إليهم

الأمن والأمان الذى فقدوه فى ظل السلطة الموحدية .

فقد تمتع عبد الحق بن محيو المريني بصفات جسمية خلعت على شخصيته كثيرا من المهابة والإجلال فقد كان أبيض اللون ، طويل القامة بعيد ما بين المنكبين حسن الوجه أشم (٥٣) ، كما كان مشهورا بالتقى والصلاح والبركة معروفا بين المرينيين بالورع ، موصوفا فى أحواله وأحكامه بالعدل ، وهو إلى ذلك كله يطعم الطعام ويؤثر على المساكين ، ويحنو على الفقراء والمستضعفين (٥٤) ، وبهذا توفر فى المرينيين حفظ قوانين الدين ، فحلولوا منذ اللحظة الأولى التى وضعوا فيها أقدامهم فى بلاد المغرب الأقصى أن يعملوا على استتباب الأمن فى المناطق التى بسطوا فيها سلطانهم فعملوا إلى قمع البغاة والمعتدين وحماية كل من نزل فى جوارهم أو استجار بهم مع رغبة أكيدة فى الوفاء بالعهود والوقوف مع الحدود وكان شعارهم فى ذلك التقوى والحق (٥٥) .

وقد حققت هذه المبادئ التى التزم بها المرينيون فى موطنهم الجديد انحصاراً معنوياً جذب إليهم كثيرا من قبائل المغرب التى كانت تنشق إلى الأمن والاستقرار بعد أن ذاقت من الاضطراب والفرع الكثير من الأهوال (٥٦) .

ظل المرينيون طيلة ثلاث سنوات متصلة وحتى سنة (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) يوسعون رقعة نفوذهم فى المغرب الأقصى ، وقد ساعدتهم على ذلك أن الخليفة الذى تولى أمر الموحدين بعد الناصر وهو ابنه يوسف المستنصر - نصبه الموحدون وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم ، قد شغلته أحوال الصبا وجنونه عن تدبير أمر دولته (٥٧) .

فاستفحل شأن بنى مرين . فلما أدرك المستنصر (الموحدى) أن الأمر بات يهدده ، حشد جيشا من الموحدين بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل بقيادة أنى على بن وانودين ويبدو أن هذا الجيش تضخم كثيرا فوصل إلى عشرين ألف مقاتل بما انضم إليه من مقاتلين من قبائل منكناسة وتسول والبرانس وسدراتيه وهوارة وصنهاجة وقشتالة وعطلة وغيرهم من قبائل ناس والرباط بقيادة السيد أبى إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن على والى فاس ، وكانت الأوامر الصادرة من الخليفة المستنصر متشددة تطلب إبادة المرينيين واستعصامهم (٥٨) .

وصلت الأخبار إلى بنى مرين بتقديم جيش الموحدين لمحوهم ، وكانوا فى ذلك الوقت قد بسطوا نفوذهم فى جهات كثيرة من الريف وبلاد بطوبة واستقر رأى المرينيين على ترك ألقاهم وأمتعتهم وحريمهم بمحصن تاروطا فى قاع الريف حتى تخف حركتهم ، ويسهل عليهم مقاومة الموحدين ، والتقى الجمعان بوادى نكور (٦٠) . فهزم المرينيون جيش الموحدين ومزقوه شر ممزق بعد حرب استمرت أكثر من أربعة أيام ، وامتلاأت أيدي المرينيين

من أسلاب الموحدين وأمتعتهم ، وبالح المرينيون في تجريدهم من ملابسهم وفر من فر إلى فاس وهم عرايا يسترون عوراتهم بأوراق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة ، ولذلك سميت الموقعة بعام المشعلة (٦١) وكان من بين الأسرى السيد أبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والى فاس ، أسره المرينيون عندهم ثلاثة أيام ثم أطلقوه وبعثوا به إلى فاس ، مع بعض كبار السن من الموحدين معززا مكرما (٦٢) .

وقد تضخمت قوة المرينيون بعد هذه المعركة إلى درجة كبيرة بما غنموه من أثاث وسلاح وأموال وخيل وعبيد وبغال ، وقد أصبح المرينيون قوة عظيمة ، فاستطاعوا بعد ذلك مباشرة مهاجمة مدينة رباط تازى وتم لهم الاستيلاء عليها بعد أن هزموا حاميتها (٦٣) .

وفى تلك الأثناء تعرض المرينيون لانقسام داخلي هدد كيان البيت المرينى الحاكم ففى سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) تحركت عوامل الحقد فى نفوس بنى عسكر بن محمد المرينى لاستقلال بنى عمهم حماسة بن محمد بالرياسة فى بنى مرين ، ولما حققوه من انتصارات ضد الموحدين رفعت من شأنهم فى بلاد المغرب الأقصى . ووصل الأمر ببنى عسكر إلى حد انضمامهم إلى قبائل عرب رياح ، ضد أبناء عمومتهم وعرب رياح هؤلاء كانوا أقوى قبائل العرب فى المغرب الأقصى وأكثرها أموالا ، وكان الموحدون قد أوكلوا إليهم حماية بلاد الهبط وحراستها (٦٤) . وفى شهر جمادى الآخرة سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أقبل بنو عسكر وحلفائهم عرب رياح لحرب المرينيين فالتقوا بهم (بواجرهان) على مقربة من وادى سبو على أميال قريبة من قرية تافراطاست فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الحق فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) وولده إدريس (٦٥) . وأقسم بنوه وجماعة من أشياخ مرين ألا يدفنوها حتى يأخلوا بثأرها . وزحف المرينيون نحو بنى عسكر وعرب رياح واشتدت الحرب بينهما حتى انتصر المرينيون واكتسحوا أمامهم عرب رياح وحلفاءهم من بنى عسكر ، وغنم المرينيون ما كان معهم من الأموال والخيل والعدد والثياب والإبل والدواب (٦٦) ولم يكتف المرينيون بذلك بل فرضوا على عرب رياح إتالة يؤدونها للمرينيين كل سنة (٦٧) .

لم يؤثر مقتل الأمير عبد الحق . وولده إدريس فى سلامة الجبهة المرينية فقد تولى أمر بنى مرين أبو سعيد عثمان بن عبد الحق سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) وقد اشتهر بين المرينيين باسم إمرغال وهى تعنى بلغتهم البربرية الأعور (٦٨) . وهو الذى أنهى الحرب الدائرة بين المرينيين وعرب رياح لصالح بنى مرين وأصبح المرينيون قوة يهابها الموحدون ويحسبون لها حسابها . فأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والى ناس أصبح : « يوالهم بالإكرام والبر والإحترام ويعظمهم ويرضهم فى كل عام ويقربهم ويدنيهم من (هذا) العام إلى عام سبعة

عشر حين ظهر الأمير أئى سعيد عثمان بن عبد الحق فإنه استبد برأيه دون غيره إلا ما كان من المراسلات بينهما ومهادنات إلى آخر دولة المستنصر بالله في عام عشرين (٦٩) .

وقد تركزت جهود أئى سعيد عثمان بن عبد الحق ، في بسط مزيد من نفوذ المرينيين على البوادي والضواحي والأرياف ، وقد ساعد المرينيين على ذلك أنهم كانوا لا يمثلون مذهباً دينياً يدعون الناس إليه مثل المرابطين أو الموحدين ، وإنما كانوا يركزون جهودهم على بسط الأمن والاستقرار في المناطق التي يمتد إليها نفوذهم وسلطانهم ، وفي نفس الوقت يتركون لرعاياهم الحرية التامة في اتباع المذهب الذي يحبونه وقد كان جمهور أهل المغرب يتوقون إلى الحرية في ممارسة مذهب أهل السنة وفقه مالك ، كما انتظر كثير من خصوم الموحدين الألداء لبدعة الموحدين هذه الفرصة فدخلوا في دائرة النفوذ المريني (٧٠) .

وفي سنتي (٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) كانت الأحوال في المغرب الأقصى تزداد في كل يوم سوءاً على سوء ، كثرت الفتن بين قبائل المغرب واشتد الخوف في الطرقات ونبت أكثر القبائل الطاعة وفارقوا الجماعة . وقالوا لا سمع ولا طاعة . وأكل القوى الضعيف . واستوى الدني والشريف وكان كل من قدر على شيء صنعه ومن أراد منكراً أظهره وابتدعه . إذ ليس لهم ملك يحوطهم ولا أمير يكفهم ويصدهم فكانت قبائل فازاز من جاناته وقبائل غمارة وأوربة وصنهاجة والعرب يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمجاشر مع شريف الأحيان والساعات فانقطع الحرث واشتد الغلاء في البلاد بسبب الإهمال والفساد (٧١) كل هذا كان يحدث بينا خلفاء الموحدين قد اعتكفوا في قصورهم واحتجبوا عن مهمات أمورهم وأنهم قد اشتغلوا بالخمور والغواني وتلذذوا باللهو وسمع الأغاني (٧٢) .

وأمام هذا التدهور في موقف الموحدين في المغرب الأقصى دعا الأمير أبو سعيد عثمان ابن عبد الحق أشياخ بني مرين وعقد معهم مؤتمراً لبحث أوضاع المغرب ، والخطوات التي يجب على المرينيين اتخاذها وقد تكشف هذا المؤتمر عن نتائج خطيرة ، حيث قرر المرينيون البدء في اتخاذ الترتيبات العملية لإقامة الدولة المرينية - فأعلنوا أن خلع طاعة الموحدين أصبحت واجبة ، كما أعلنوا على عاتقهم مهام رعاية البلاد والحفاظة على الأمن فيها (٧٣) . وأمر الأمير أبو سعيد شيوخ بني مرين « وندبهم إلى القيام بأمر الدنيا والدين والنظر في صلاح المسلمين » (٧٤) . ورأى الأمير أبو سعيد أن يقوم بحركة واسعة كى يضم القبائل في بوادي المغرب الأقصى إلى النفوذ المريني خاصة وأن الموحدين قد فقدوا سيطرتهم عليها تماماً ، والمحسر سلطانهم إلى حد بعيد في المدن بصفة خاصة (٧٥) . كما تقوم هذه القبائل

بدعم القوة المرينية الجديدة بالأموال اللازمة لها وذلك بدفع الخراج إلى المرينيين بدلا من الموحديين .

خرج أبو سعيد ومعه جيوش بنى مرين الضخمة « فمر على جميع قبائله (المغرب الأقصى) وأوديته وجباله ومعاقله فمن سارع إلى بيعته وطاعته أمنه ووضع عليه الخراج وأمره ببلده وماله آمنا منيعا ومن حاد عن طاعته ونابذه أباده نهبا وقتلا وغادره صريعا » (٧٦) فكان أول من بايعه من القبائل ودخل في طاعته هواره ، وتسول ، ومكناسه ، وبطوية ، وبطلاسة ، وكزناية ، وبنو يوتيان ، وغياثة ، ومجاصة ، وماهوه ، وبنو مكود ، وبنو سيستان ، وبنو يازغة ، وبنو واسليت ، وبنو بحر ، وبنو يوسف (٧٧) .

أما القبائل التي كانت تثير الشغب ، فقد فتح بلادها بالقوة ومن هؤلاء بنو كانون ، وجبل زرهون ، وبلاد أوربة ، وصنهاجة ، وقشتالة ، وسدراتة ، ولطة ، وبنو وارين ، وكثير من بلاد غمارة (٧٨) . ووضع على كل قبيلة مالا وزرعا معلوما يؤدونه في كل سنة وذلك في نظير ما تقوم به القوات المرينية من أعمال الخفارة على بلادهم ، كما وزع عليهم العمال لتدبير شعوبهم (٧٩) .

ولم يكتف أبو سعيد بذلك بل صالح أشياخ مدن فاس ، ومكناسة ، ورباط تازي ، وقصر كتامة على أموال محددة يدفعونها في كل سنة في نظير أن يقوم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بأعمال الخفارة وتأمين الطرقات لهم ، ويدفع عنهم أذى وغارات القبائل المجاورة لهم (٨٠) .

وفي سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) قام الأمير أبو سعيد يغزو بلاد فازاز ومن بها من قبائل زناتة ومكلاثة وغيرهم فأخضعهم ، وردعهم عن إلحاق الأذى بالناس . وفي سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) هاجم فححص أزغار ومن به من قبائل العرب والبربر الذين كانوا يقطعون الطريق (٨١) .

وما أن حلت سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) حتى قوى شأن المرينيين بالمغرب وخضعت لهم جميع قبائل المغرب ، وتملكوا جميع بوادي المغرب من وادي ملوية إلى رباط الفتح (٨٢) .

وهكذا حقق أبو سعيد عثمان بن عبد الحق انتصارات كبرى للمرينيين ، مما جعل الرشيد (الموحدى) الذي تولى الخلافة الموحدية سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٢ م) (٨٣) يرسل إلى بنى مرين مع عامله ابن وانودين أحمالا من الكساء الشرقية البديعة متعددة الأنواع لتوزع على بنى عبد الحق وأشياخ بن مرين . كان ذلك في سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) (٨٤) وهي

نفس السنة التى قتل فيها أبو سعيد عثمان بن عبد الحق وتذكر المصادر أنه قتل غدرا ، قتله عالج من عبيده نهرا ، عندما كان يجلس فى خبائه ، اغتاله بضربة غدر سددها إلى نحرة ، فمات فى حينه ، كان ذلك فى وادى رداد سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) (٨٥) .

وينفرد ابن غذارى من بين المؤرخين بذكر بعض التفاصيل عن مقتل أبى سعيد فيروى أنه بعد أن قتل العالج الأمير أبى سعيد هرب قاصدا إلى ابن وانودين : « فعرفه بالأمر فأعطاه وأرضاه وقيل أن ابن وانودين هو الذى حرضه على ذلك واتفق معه عليه ثم صرفه ابن وانودين من عنده فلم يعلم له بعد ذلك صحة خبر » (٨٦) . وهذا يعنى أن الموحدين لجأوا إلى أسلوب التآمر والاختيال لتحقيق أهدافهم التى عجزوا عن تحقيقها فى ميادين القتال ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن ابن وانودين استغل ما بين بنى عسكر و بنى حمامة من منافسة على رياسة المرينيين ، واستطاع عن طريق اتصالات سرية قام بها أن يستخلص « بنى عسكر لنفسه استخلاصا وأخلص لهم نيته فيما زعم إخلاصا واستعطفهم واستلطفهم ووعدهم بأموال يعطيهم وأحوال ترضيهم على أن يقاتل بهم أخوانهم ويطلق بهم أوطانهم فارتبط معهم على ذلك ارتباطا » (٨٧) .

أثرت جهود ابن وانودين فى فصل بنى عسكر من الجبهة المرينية : ورأى أن ذلك يضعف المرينيين ، ومن ناحية أخرى يقوى وضعه العسكرى أمام المرينيين بإضافة بنى عسكر إلى قواته ولكن المرينيين بزعامة الأمير محمد بن عبد الحق : الذى أصبحت له الرياسة على بنى مرين بعد مقتل أخيه أبى سعيد - لم يترك لابن وانودين الفرصة ليدمر المكاسب التى أحرزها المرينيون فى عهد أخيه .

وانتهج الأمير محمد بن عبد الحق سياسة قوامها المحافظة على متابعة الجهود التى قام بها أخوه أبى سعيد ، فأشعر أهل المناطق التى تحت سيطرته بقوة المرينيين وسطوتهم ، فأخذ منهم الضريبة من الأمصار والمغارم من أهل البادية (٨٨) . كما قام بفتح كثير من جبال المغرب ، وقلاعه المنيعه (٨٩) .

وفى نفس الوقت كان ابن وانورين يتنقل بين فاس ومكناسة الزيتون فى محولات لجمع المال والسلاح والرجال . وقد ألحق فى هذا السبيل بأهل هذه الجهات أضرارا بالغة من تعنته معهم فى جمع المال من الأهالى ، حتى إنه كان يلجأ إلى أسلوب الاستيلاء والسلب والنهب (٩٠) . واستقر به الأمر أخيرا فى مكناسة الزيتون ولم يتركه المرينيون يمشى فى سياسته هذه فقرروا الخروج إليه ، وتقدموا بقواتهم حيث نزلوا بالقرب من مكناسة الزيتون على بعد ثمانية أميال منها (٩١) . والتحمت طلائع الجيش المرينى - التى راحت تتجسس الطريق - بفرقة من أجناد الروم تابعة لجيش ابن وانودين واستطاعت هذه الطلائع المرينية أن تبديد فرقة الروم وتقتل قائدها (٩٢) .

تقدم جيش ابن وانودين من مكناسة نحو المرينيين والتقى بهم ودارت بين الجانبين حرب شديدة هزم فيها ابن وانودين واستولى المرينيون على محله « واحتلوا على جميع ما كان بها من دواب وأسباب وأخبية وأمتعة وغير ذلك من الأشياء الخفاف والثقال ولم يتركوا لأحد فيها ما يساوى العقال » (٩٣) وفر ابن وانودين هاربا إلى قصر عبد الكريم حيث كان هناك أولاده وعياله (٩٤) . كان ذلك في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) (٩٥) .

وامتاز الأمير محمد بن عبد الحق بأنه كان ذا عقل حصيف وفهم شديد للأحداث من حوله يصفه صاحب الذخيرة السنية فيقول : « وكان الأمير محمد بن عبد الحق مبارك الإمارة ميمون النقية ذا عقل وفهم وصدق ووفاء وكرم عجيب ورأى شديد إذا وعد وفى وإذا قال فعل وإذا أعطى أغنى . وإذا صال أفنى وإذا وجد الفرصة انتهزها وإذا رأى القوة حاد عنها ودار عنها حياطة على قومه » (٩٦) وقد أثبتت الأحداث صدق هذا الوصف ففى سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) وفد عليه الأمير ابن عبد الحق جرمون بن رياح العرنى الشقيانى فى جماعة من قومه - وكان الأمير جرمون هذا من أنصار الخليفة الرشيد الموحدى - فأحسن الأمير محمد بن عبد الحق استقباله وتلقاه بالبر وأصبح المرينيون ملاذا للخارجين على السلطة المركزية فى مراكش وقام المرينيون بإعطاء هؤلاء الخارجين ما يشبه حق اللجوء السياسى إلى الجماعة المرينية (٩٧) .

وعلى أثر هذه الأحداث أرسل الرشيد الموحدى جيشا آخر من الموحدىين والعرب والروم لقتال بنى مرين عند بلدة (كرت) فهزم جيش الموحدىين هزيمة شنيعة ، وأخذ المرينيون كل ما معهم من الأموال والخيل والرجال والسلاح (٩٨) . وكانت هزيمة ابن وانودين على هذا النحو ضربة جديدة للخلافة الموحدية ، وكسبا جديدا للمرينيين زاد من قوتهم وهيبتهم فى المنطقة (٩٩) . ولم يجد الرشيد الموحدى بدا من مسألة بنى مرين ومهادنتهم فكانت بينه وبينهم مراسلات ومهادنات ودية يقول ابن عذارى : « فكان بنو مرين يجولون فى تلك البلاد ولا مدافع لهم لقتال ولا جلاد ثم كانت بينهم وبين الرشيد مهادنات ومراسلات » (١٠٠) .

وفى سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) فى عهد السعيد الموحدى بدأت مؤشرات الخطر المرينى تقترب من مرحلة جديدة فى الصراع بين المرينيين والموحدىين . وبدأ الخليفة السعيد نفسه يحس بخطورة المرحلة المقبلة ، حيث أخبر السعيد بقوة سلطان الأمير أبى محمد عبد الحق المرينى ، وأنه « استحوذ على جميع بوادى المغرب وأنه زحف إلى المدن وأن جميع القبائل دخلت تحت طاعته خوفا من شدة بأسه » (١٠١) .

جهز السعيد جيشا كبيرا من عشرة آلاف جندى فى رواية الذخيرة السنية (١٠٢) .

ومن عشرين ألفا في رواية الحلل الموشية وابن خلدون وابن أنى زرع (١٠٣) . وقد ضم هذا الجيش الموحدون والعرب والغز والروم والمصامدة وقبائل هسكورة (١٠٤) . وقد التقى هذا الجيش بالمرينيين عند أنى نياس بالقرب من مدينة فاس (١٠٥) وفي هذه المعركة استطاع قائد من زعماء الروم اسمه جوان غيطان أن يطعن الأمير محمد بن عبد الحق بحربة كانت معه فأرداه قتيلا ، في يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) . ولحقبت الهزيمة ببني مرين وارتدوا على أثرها بسرعة من أحواز فاس إلى مناطق البوادي التي يسيطرون عليها فنزلوا ببجبال غيائة حيث بايعوا أخاه أبا بكر بن عبد الحق سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (١٠٦) . واشترك في هذه البيعة قبائل بني مرين وبعض القبائل الزناتية ، وبنو ورا وغيرهم من القبائل في بلاد المغرب الأقصى (١٠٧) .

وإذا كان الموحدون قد نجحوا هذه المرة في تأجيل مرحلة اقتحام المرينيين للمدن الكبرى في بلاد المغرب الأقصى ، فأنهم لم يستطيعوا اقتحام مناطق البوادي والأرياف التي كانت في يد بني مرين . ولذلك فقد ارتد المرينيون إلى مواطن نفوذهم لاستعادة تقييم موقفهم لبدء مرحلة جديدة من كفاحهم .

ثانيا : مرحلة استيلاء بني مرين على المدن الكبرى في المغرب الأقصى :

كان أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق ذا شخصية قوية متألفة استمدت عناصر قوتها وتألقها من مكوناته الجسدية وأوصافه الشخصية التي طبع عليها ، فقد كان أبيض اللون مشربا بحمرة ، تام القد سبط الجسم حسن الوجه والعينين ، أبيض الرأس ، أسمر أعسر يرمى ويطعن في الحزب بحريتين في وقت واحد ، لذلك كانوا يطلقون عليه فارس زناتة وكان بطلا شجاعا جوادا كريم الأخلاق ، صادقا وفيا بالعهود ذا أناة وحلم وحسن أخلاق وكرم طباع . فهو بهذه الأوصاف كلها نموذج للقوة في جسد قوى متين التركيب (١٠٨) .

كان المرينيون وهم يقبلون على هذه المرحلة الخطيرة من مراحل تأسيس دولتهم - في حاجة إلى أن تقودهم شخصية قوية صلبة كشخصية أبي بكر بن عبد الحق . الذي قام بوضع تخطيط دقيق يضمن للمرينيين الاستيلاء على المدن الكبرى في المغرب الأقصى ، واستند هذا التخطيط إلى ثلاث دعائم كبرى أتاحت له التقدم في مهمته بسهولة ويسر .

(أ) الاعتراف بتبعية المرينيين لبني حفص الذين استقلوا عن الدولة الموحدية منذ سنة (٦٢٥ هـ / ١٢١٧ م) (١٠٩) . ولهذا الاعتراف مغزاه ، فأبو بكر بن عبد الحق بهذا الاعتراف يضيف على أعماله العسكرية نوعا من الشرعية أمام الجماهير ، فلا تعارض هذه الجماهير في الانضواء تحت رايته خاصة وأن بني حفص كانوا قد

رفعوا شعارا بأنهم يحيون مبادئ ابن تومرت التي أهلها الموحدون وعجزوا عن حمايتها (١١٠). ومن ناحية أخرى حتى يأمن جانب بنى حفص، فيخرجهم من بوتقة الصراع بينه وبين الموحدين فلا يقع بين فكى الرحي، خاصة وأن اتجاهات القوى المتصارعة في بلاد المغرب قد بدأت منذ سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) تأخذ شكلا جديدا، ففي هذه السنة أرسل يغمراسن بن زيان هدية إلى السعيد الخليفة الموحدى الجديد « وعاهده على قتال بنى مرين وأن يأخذوهم بعساكرهم من الجانبين (١١١) ». وهذا التحالف لم يكن بعيدا عن آذان المرينيين، وبنى حفص، الذين قاموا على الفور بإجراءات وقائية لتدمير هذا التحالف، أسفرت عن استيلاء الحفصيين على تلمسان أواخر سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) وتعيين يغمراسن واليا عليها من قبل بنى حفص بعد أن رضخ لشروطهم (١١٢).

ويرى البعض أن المرينيين الزناتيين وهم من البتر اعلنوا تبعيتهم لبنى حفص لأن مناوأة المرينيين للحفصيين معناها إشعال نار الحرب بين قبائل البرانس وقبائل البتر مما قد يؤدي إلى القضاء على دولتهم في مهدها، فكان اعلان تبعية المرينيين للحفصيين سياسة تدل على بعد النظر (١١٣).

وقد ظل الأمير أبو يحيى يحافظ من جانبه على مظهر هذه التبعية طيلة حياته، فيذكر ابن القنفذ في فارسيتها أنه في « سنة اثنين وخمسين وستائة وصلت بيعة بنى مرين وفاس ورباط بارى » (١١٤).

(ب) تأمين الجبهة الداخلية للمرينيين، وذلك بإخضاعها لإشراف مالى وإدارى دقيق حتى يكتب لهم النصر فقسم مناطق المغرب الأقصى التي تقع تحت النفوذ المرينى على قبائل بنى مسرين وأنزل كل قبيلة بناحية وأصبحت كل قبيلة مسئولة أمامه عن جباية هذه المنطقة، كما أمر شيوخ القبائل كل فى ناحيته بإعداد الفرسان والاستكثار من الأتباع وقد ساعد ذلك على وفرة المقاتلين لدى المرينيين (١١٥). وقد دعت هذه الخطوة ابن أبى زرع إلى وصف هذا الأمير بقوله: « وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد وأعطى النصر والتمكين » (١١٦).

(ج) مهاجمة المدن الكبرى والاستيلاء عليها، لحصر النفوذ الموحدى فى عاصمته مراكش.

١ - الاستيلاء على مكناسة الزيتون :

بعد أن أعاد الأمير أبى بكر بن عبد الحق توحيد صفوف بنى مرين تقدم لينزل بالقرب من مكناسة الزيتون وكان معه قرابته وأخواته وحشمه وعبيده وأعوانه، نزل بهم فى المنطقة

الواقعة بين بلدة سَلَفَات وجبل زرهون ومن هذه المنطقة بدأ يشن الغارات على مدينة مكناسة وفى نفس الوقت يدعو أهلها إلى بيعة الأمير أبى زكريا الحفصى . ووصل الأمر إلى محاصرة المدينة . والتضييق عليها وقطع جميع المرافق والموارد عنها . واضطرت فى نفوس بنى عسكر من بنى مرين أحقاد المنافسة القديمة وولوا وجوههم ضوب السعيد الموحدى يحرضونه على بنى عبد الحق ومن معهم من بنى مرين ، وصادفت هذه الدعوة هوى فى نفس السعيد الذى اهتم كثيرا بحصار المرينيين لمكناسة الزيتون (١١٧) .

وعلى الفور جهز السعيد الموحدى جيشا سار به نحو فاس وهناك بايعته قبائل بنى عسكر وأعطته أربعين فردا من أبنائها رهينة عنده على صدقهم فى مناصرته ، كما وصل إلى فاس أيضا يغمراسن بن زيان ومعه ألف فارس من قومه وبايع السعيد ، فخلع عليه السعيد وأعطاه أموالا كثيرة وخيلا وسلاحا ، واستغل السعيد هذه الفرصة التى تجمعت حوله فيها جميع العناصر المعادية لبنى مرين وقرر توجيههم لحرب الأمير أبى يحيى بن عبد الحق ، وأمدهم بألف فارس من الموحديين وألف من الجنند (١١٨) . ولعل السعيد اراد بهذه العملية أن يضرب أعداءه بعضهم ببعض ، فإذا انهزم المرينيون فقد قضى على عدو قريب يترهبه به الدوائر ، وإذا انهزم يغمراسن فقد تخلص من عدو يهدد ممتلكات الموحديين فى المغرب الأوسط ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن أبى يحيى بن عبد الحق قال ليغمراسن وبنى عسكر : أن هذا الرجل (السعيد) عزم على غدرنا وغدركم ، (١١٩) .

وقد فطن يغمراسن وبنى عسكر إلى هذا الأمر الذى أشار به أبو يحيى بن عبد الحق فبعد أن تتبعوا الأمير أبى يحيى المرينى حتى بلدة كُرْت، عادوا ونكثوا عهودهم مع السعيد . فلما علم بذلك السعيد أرسل إليهم قائده أبى المسك ومعه الأجناد والروم ، ووجد بنو عسكر فى أبى المسك ومن معه من الجنند فرصة لتحرير رهائنهم ، التى كان السعيد قد أخذها منهم - فقبضوا على أبى المسك ومن معه ولم يطلقوا سراحهم حتى أخذوا رهائنهم . وانتهت محاولة السعيد بالفشل فى ذى الحجة سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (١٢٠) .

أما الأمير أبو يحيى فقد تشدد فى حصار مكناسة الزيتون وظل يباكرها ويرواجها بالقتال والغارات ، حتى إذا يئس أهلها من إنقاذ الموحديين لهم خلعوا طاعتهم ، وبيعوا بنى مرين . فأرسل أبو الحسن على بن أبى العافية ثلاثة من كبار أشياخ المدينة إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، واتفق الطرفان على فتح المدينة صلحا سنة (٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) (١٢١) . وأرسل أهل مكناسة بيعتهم إلى الأمير أبى زكريا الحفصى ، وقام بإعداد مراسم البيعة أبو المطرف بن عميرة المخزومى وهو من أعلام العصر ومشاهيره ، كان يتولى قضاء مدينة مكناسة (١٢٢) .

وقد منح الأمير أبو يحيى أخاه يعقوب ثلث جباية المدينة نظرا للجهود التي بذلها في فتح المدينة (١٢٣). يقول ابن مرزوق « وهي أول قاعدة ملكها بنو مرين من بلاد المغرب ولم يزل أهلها يفخرون بهذا » (١٢٤).

وكان لاستيلاء المرينيين على مكناسة الزيتون وقع الصاعقة على السعيد الموحدى الذي بادر إلى عقد اجتماع ضم رجال دولته وعرض عليهم تطورات الأحداث في الدولة الموحدية وأراهم كيف اقتطع الأمر عنهم شيئا فشيئا « فابن أبي حفص اقتطع إفريقية ثم يغمراسن بن زهان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الأوسط وأقاموا فيها دعوة ابن أبي حفص وأطمعوه في الحركة إلى مراكش بمظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الأندلس وأقام فيها دعوة بنى العباس ، وابن الأحمر بالجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبي حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سموا إلى تملك أمصاره ثم انتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبي حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك أن رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه الواقعات أن يحتل الأمر وتنقرض الدعوة » (١٢٥).

واستطاع السعيد الموحدى في سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م) أن يجهز جيشا قويا جرارا ، ضم أمما لا تحصى من الموحدين وقبائل المصامدة والمغرب والأندلس والأعزاز والروم وسار السعيد بهذه القوات الضخمة حتى نزل في وادي بهت (١٢٦) ، ولما علم أبو يحيى المريني بقلوم السعيد خرج ليلا من مكناسة ليتجسس أحوال السعيد فرأى جيوشا ضخمة لا قبل لبنى مرين بها ، وعلى الفور قرر أبي يحيى الانسحاب من مكناسة إلى تازة وقلاع الريف (١٢٧). ودخل السعيد مكناسة فاستقبله أهلها بأولادهم وصبيانهم وقد رفعوا المصاحف والألواح على رؤوسهم يطلبون عفو السعيد فعفا عنهم وأعطاهم الأمان (١٢٨). ثم ارتحل عن مكناسة إلى فاس ومن فاس إلى رباط تازي ، فنزل بظاھرھا ، وبعث إليه الأمير أبو يحيى بن عبد الحق ببيعته ، وقد حمل يحيى بن الوزير الوطاسي هذه البيعة ومعها هدية قيمة من الخيل العرب والدوق اللمطية ، وطلب منه الأمان لجميع قبائل مرين ، فقبل السعيد بيعته على أن يرسل له أبو يحيى حصّة من قبائل مرين للخدمة في الجيش الموحدى المتقدم نحو المغرب الأوسط وإفريقية (١٢٩). فقال له أبو يحيى : « يأمر المؤمنين لا تتعب نفسك في أمر يغمراسن أنا أكفيك أمره فارجع إلى حضرتك وقوى بالمال والعدة وأنا أبيع جميع عبد الوادي وغيرهم ممن ثار بتلك البلاد من قبائل زناتة وافتح لك البلاد وأمهدها فعزم السعيد على ذلك واستشار أشياخ الموحدين فأشاروا عليه ألا يفعل وقالوا له يأمر المؤمنين إن الزناتى أخو الزناتى لا يخذله ولا يسلمه فتخاف أن يصطلحا ويجمعا على حربك فتكون المشقة بهم أعظم والمقاساة في حربهم أشد فرجع (السعيد) عن ذلك » (١٣٠).

كتب السعيد إلى أبي يحيى يشكره ، ويأمره أن يظل بموضعه من قلاع الريف ، ويبحث إليه بالحصة التي طلبها منه فأرسل إليه أبو يحيى خمسمائة فارس من فرسان بني مرين مع ابن عمه عياد بن أبي يحيى (١٣١) .

اتجه السعيد بقواته إلى تلمسان ، وما أن اقترب منها حتى خرج منها يغمراسن بن زيان فارا إلى قلعة تامزجلدت الواقعة في جنوبي مدينتوجدة وامتنع بها . وعلى الرغم من أن يغمراسن بن زيان بعث ببيعته إلى السعيد ، إلا أن السعيد أصر على وجوب مقدم يغمراسن إليه ؛ ولكن يغمراسن رفض الحضور ، مما جعل السعيد يقرر مطاردته وقتاله ، يقول ابن عذارى : « فأقسم السعيد أنه إن لم يصل بنفسه إليه وإلا ونزل بمحلته عليه » . وكان الطريق إلى القلعة يمر من خلال شعب وأوعار ضيقة ، وقد حذر الوزير ابن عطوش السعيد من سلوك تلك المضائق ، ولكن السعيد رفض الاستجابة إلى نصيح الوزير وتقدم من خلال هذه الأوعار ، انقض بنو عبد الواد على السعيد بمنتهى العنف ، فقتلوه هو ومن معه ، وارتدت الفلول المتبقية نحو معسكر القوات الموحدية فساد فيها الرعب والفرع ، وفروا مسرعين نحو مراكش (١٣٢) ، وكان ذلك يوم الثلاثاء آخر صفر سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) (١٣٣) .

انتفض المرينيون عندما وصلتهم أنباء مقتل السعيد الموحدى فكأنما قد بعثوا من جديد إلى سابق عهدهم وقوتهم ويصور ابن خلدون هذه الانتفاضة الجديدة التي سرت في نفوس بني مرين بقوله : « وبُعِثُ بنى مرين من تيار تلك الصدمة » (١٣٤) فنهضوا للعمل ومتابعة الجهود لبناء الدولة المرينية ، وكان على أبي يحيى أن يبدأ باعتراض فلول الموحدين للاستحواذ على ما معهم من سلاح ومتاع ، وقد تم له ذلك عند أجرسيف ، واستطاع أن يضم إلى جيشه كتيبة الفرنج وفرقة الناشبة من الأغزاز ، واتخذ لنفسه المركب الملوكى (١٣٥) . ثم توجه نحو مكناسة الزيتون فاقنحمها واستولى عليها وأقام بها أياما ، توجه بعدها إلى رباط تازا خوفا من أن يسبقه إليها يغمراسن بن زيان وقد تم له فتحها بعد ثمانية أيام من مقتل السعيد . وظل أبو يحيى مقيما برباط تازا عشرة أيام خرج بعدها إلى فتح أجرسيف وأعمال وطاط وحصون ملوية في ربيع الأول سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) (١٣٦) . كل هذا ليؤمن الطريق أمام تقدمه للاستيلاء على مدينة فاس ، وعن فتح تازا يتحدث ابن عذارى فيقول : « ويسر الله فتح تازا لبني عبد الحق الكرام على يد الأمير أبي يوسف بتيسير مرام فهو كان قفل المدينة الغربية فصار مفتاحها وأول فتوحها لهذه الدولة المرينية » (١٣٧) .

٢ - الاستيلاء على فاس :

كانت الخطوة التالية لأبي يحيى الاستيلاء على فاس وانتزاعها من أيدي الموحدين وقد

تمت هذه الخطوة بعد أن حاصرها الأمير أبو يحيى بن عبد الحق بنخيله ورجاله حصاراً شديداً ضايق أهلها فطلبوا من أشياخهم مفاوضة المرينيين في أمر الصلح . وكان واليها الموحدى هو السيد أبو العباس بن أوى حفص لا يملك حولاً ولا قوة (١٣٨) . وتمت الاتصالات بين أوى يحيى وأشياخ المدينة الذين خرجوا إليه لمبايعته بالرابطة التى بخارج باب الشريعة من أبواب مدينة فاس وكان فى مقدمة المبايعين له العالم الولى الصالح أبو محمد القشتالى (١٣٩) . وتلطف أبو يحيى بالمبايعين ، وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الأذى عنهم والحماية الكفيلة لهم بحسن المغبة وصلاح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهدده وغنائه وأووا إلى ظله وركنوا إلى طاعتهم وانتحال الدعوة الحفصية بأمره (١٤٠) .

دخل أبو يحيى قصبة المدينة التى كانت مقراً لوالى الموحدين وقد أدخل هذا الوالى القصبة وغادرها بأولاده وعياله وحشمه بعد أن أمنه الأمير أبو يحيى وبعث معه سبعين فارساً من فرسان بنى مرين ليبلغوه مأمناً عند وادى أم الربيع (١٤١) . وكان دخول الأمير أوى يحيى مدينة فاس إعلاناً بانتهاء السيادة الموحدية عليها وذلك فى ظهر يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) (١٤٢) .

وظل الأمير أبو يحيى بمدينة فاس أكثر من عام ، يضع التنظيمات والقواعد لحكم مملكة بنى مرين التى أخذت تتألق فى الأفق المغربى ، وفى تلك الأثناء قدمت عليه الوفود من البلدان تباهيه وتمنّيه (١٤٣) . وتهذنت البلاد وصلحت الأحوال وسكنت الفنون وتأمّنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة وانطلقت الأسفار وأمر القبائل بمسكن الأوطية وعمارة القرى والمجاشر الحالية والاستكثار من الحرث فصلح أمر الناس ورخصت أسعارهم وأعطى حصون تازا وجميع حصون ملوبة إلى أخيه أوى يوسف (١٤٤) .

وقد انتهزت بعض العناصر السيئة من رجال فاس خروج الأمير أوى يحيى سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) إلى غزو بلاد فازاز ومعد وعوّام فخرجوا على عامل أوى يحيى المسعود بن خرباش وكان من عرب الجشم أحلاف بنى مرين وقتلوه ، وأعلنوا خلع الأمير أوى يحيى والبيعة للخليفة الموحدى المرتضى المتولى بمراكش سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) (١٤٥) وتمت هذه المؤامرة بموافقة قاضى المدينة أوى عبد الرحمن المغبلى وقائد جند الروم زنار الذى تولى هو وأربعة من رجاله قتل المسعود بن خرباش (١٤٦) وبعد أن تم للشوار الاستيلاء على المدينة نصبوا قائد الروم لضبط أحوال المدينة ، وأرسلوا بيعتهم إلى المرتضى فى مراكش (١٤٧) .

وصلت أنباء الثورة إلى مسامع الأمير أوى يحيى وهو فى معدن عوام ، فقطع على الفور مهمته فى هذه البلاد وعاد مسرعاً إلى فاس فوجدها مغلقة فى وجهه ، فقرر حصار

المدينة (١٤٨) . ولكن الأحداث تمضى بأى يحيى فى اتجاه آخر ، ذلك أن يغمراسن بن زيان أراد انتهاز هذا الموقف للاستيلاء على إقليم رباط تازى - الذى كان مربعا لبنى عبد الواد أيام الموحدىين (١٤٩) . وفى نفس الوقت كان الخليفة المرتضى الموحدى قد استنجد بيغمراسن ليوقف فى وجه بنى مرين (١٥٠) . وقد أدرك أبو يحيى خطورة هذه التحركات التى يقوم بها يغمراسن بن زيان . فما كان من الأمير أى يحيى إلا أن ترك قوات رمزية تقدر بحوالى خمسمائة فارس بقيادة أورياس المرىنى وكانت مهمة هذه القوات مباكرة فاس ومراوحتها بالحرب حتى لا يشعر من فى فاس بانصراف القوات الرئيسية لبنى مرين نحو رباط تازى (١٥١) .

وصل أبو يحيى إلى رباط تازى وأقام بظاهرها ثلاثة أيام ، تقدم بعدها يغمراسن بن زيان ، الذى تبهر أمامه إلى منطقة وجدة (١٥٢) . ولكن أبا يحيى انقض عليه هناك عند إيسلى (١٥٣) . ودارت بين الطرفين معارك طاحنة فر يغمراسن على أثرها إلى تلمسان ناجيا بنفسه ، وكانت هذه المعركة هى أول لقاء مباشر بين المرىنيين وبنى عبد الواد (١٥٤) .

عاد الأمير أبو يحيى إلى فاس فى آخر ذى الحجة سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) حيث أحكم قبضته على المدينة وشدد فى حصارها ، فقطع مجارى المياه التى تمد المدينة بالماء ، وأرسل فى طلب تعزيزات لقواته المحاصرة للمدينة من مكناسة والقبائل الأخرى (١٥٥) . حتى ضاقت الحال بأهل فاس ، فطلبوا من أى يحيى العفو والأمان والصفح ، فعهد لهم بالعفو عنهم على أن يقوموا بتعريض أى يحيى عما تلف من أمواله وأثاثه وسلاحه (١٥٦) . وفتحت أبواب المدينة فدخلها الأمير أبو يحيى ونزل بقصره فى قصبة المدينة فى العشرين من جمادى الآخرة سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) (١٥٧) .

وقد تشدد أبو يحيى مع أهل فاس تشددا كبيرا ، لإشعار الأهلىن بقوة الدولة الجديدة ، وسلطوتها ، فحين أحس بتراخى أشياخ المدينة فى رد الأموال والأثاث والسلاح التى نهبه من قصره فى أثناء الثورة عليه ، قبض عليهم جميعا وشد وثاقهم فى دار الجوزة (١٥٨) .

ولما واجههم بمطلبه قام أحد الأشياخ يعرف بابن الجنا وأعلن فى صراحة عن المدينتين لهذه الثورة (١٥٩) . وقال لأى يحيى : « يامولاي إنما فعل ذلك منا ستة من الأشياخ فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وإن فعلت ما أقول لك وقبلت رأى لكان حرما وصوابا وأدبا لرعيك قال (أبو يحيى) ، وما تراه أن أصنع أيها الشيخ قال : تخرج هؤلاء الأشياخ الستة الذين سموا فى الفتنة فتضرب أعناقهم وتأخذ بثأر من قتلوه من رجالك ... وتأخذنا نحن بفرم مالك عقوبة لمتابعتنا إياهم قال (أبو يحيى) صدقت والله ... فأخرج (أبو يحيى) الأشياخ الستة إلى خارج باب الشريعة من أبواب فاس فضربت أعناقهم » (١٦٠) .

ولم يكتف أبو يحيى بذلك بل قام بمصادرة دورهم ورباعهم وأملاكهم وقد كان لتوقيع العقوبة على مدبري هذه الثورة بهذه الصورة أثر كبير في توطيد النفوذ المريني والسلطة المرينية في هذه المدينة الضخمة فيقول صاحب الذخيرة السنية « ولم يكن بعدها منهم (أهل فاس) من يرفع رأسه إلى قومه ولا يتكلم بين اثنين إلى الآن » (١٦١) . ويقول ابن خلدون « فكان ذلك مما عيد رعية فاس وقادهم لآحكام بنى مرين وضرب الرعب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم الأصوات وانقادت لهم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة » (١٦٢) .

٣ - الاستيلاء على سلا ورباط الفتح :

كانت المهمة الملقة على عاتق المرينيين بعد ذلك مهمة حصر الموحدين في نطاق ضيق لا يتعدى المناطق المحيطة بعاصمتهم مراكش . وكان ذلك يتطلب من المرينيين القيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينة سلا ورباط الفتح . لأن الاستيلاء على هاتين المدينتين من شأنه أن يقطع كل اتصال للموحدين بشمال المغرب الأقصى ، فيبقوا وكأنهم محاصرون في جنوب المغرب الأقصى .

وكان الخليفة المرتضى يستشعر موضع الضربة القادمة للمرينيين فقرر أن يبدأ هو بالهجوم على بنى مرين بهدف إيقاف زحفهم نحو سلا ورباط الفتح ، وذلك بمنعهم من عبور وادي أفي رقرق إلى ارض تامسنا (١٦٣) وقد أغرى المرتضى وشجعه على القيام بهذه العملية العسكرية موسى بن زيان الونكاسي وأخوة على وهما من بنى مرين كانا قد خرجا على الأمير أفي يحيى ولحقا بالبلاط الموحدى (١٦٤) .

التقى المرتضى الموحدى - بما جمعه من جيوش ضخمة - بالمرينيين عند (بايملولين) وهى من نواحي مكناسة - واستطاع المرينيون في هذا اللقاء أن يقضوا على جموع المرتضى ، ويستولوا بسهولة على مأمعه حيث أشاع يعقوب بن جرمون شيخ عرب سفيان أن صلحا عقد بين المرتضى وبنى مرين وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الموحدية مرتبكة دون أمر من الخليفة وفي غير نظام إلى ثغر أزموور ، ولاحق بنو مرين فلول الجيش المنسحب وانتزعوا منه كثيرا من العتاد والأمتعة (١٦٥) .

وحلت بالموحدين الهزيمة دون قتال يقول ابن عذارى « فكانت عليه (المرتضى) هذه الهزيمة من غير قتال هزيمة عظيمة (١٦٦) . وكان ذلك دليلا على مدى ما أصاب قوى الموحدين المعنوية من الانهيار والتخاذل أمام بنى مرين (١٦٧) .

سارع المرينيون إلى استثمار هذا الانتصار ، فتقدم الأمير أبو يحيى إلى بلاد فازاز فافتتحها وأحكم قبضته على أوطان زنانة ، وفرض المغارم عليهم جميعا ، ثم تقدم بقواته بعد

ذلك نحو الغرب حيث فتح سلا ورباط الفتح سنة (٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) ، واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق (١٦٨) ولكن إقامة المرينيين لم تطل في سلا حيث تمكن المرتضى من استرجاعها بجيش أرسله إليها سنة (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) . ويبدو أن نجاح الموحيدين في استرجاع سلا كان بسبب وجود حامية مرينية صغيرة بالمدينة لم تستطع مقاومة الجيش الذي أرسله الخليفة المرتضى (١٦٩) .

أصبح وقف بنى مرين عن التقدم غربا إلى سلا ورباط الفتح - بالنسبة للموحيدين مسألة حياة أو موت ، ولذا فإن المرتضى في سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) حشد جيشا ضخما من الموحيدين والعرب والمصامدة والأغزاز والأندلسيين والروم بلغ ثمانين ألفا من المقاتلين سار بهم حتى وصل جبال بهلولة بالقرب من فاس (١٧٠) . وهناك التقى بالأمير أوى يحيى ، وصدقهم بنو مرين القتال فاقتتل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع إلى مراكش مقلولا واستولى القوم (بنو مرين) على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهور وامتلاأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم (١٧١) .

ويذكر ابن أوى دينار أن من بين أسباب الهزيمة أن فرسا من أفراس جند الموحيدين فر من مكانه فجرى صاحبه في أثره فظن الموحدون أن العدو قد دهمهم فجأة ففروا منهزمين . ووصل الخبر إلى أوى يحيى فخرج إلى الموحيدين واستولى على محلتهم ، وفر المرتضى إلى مراكش في نفر يسير (١٧٢) .

٤ - استيلاء بنى مرين على سجلماسة ودرعة :

كان انكسار الموحيدين في موقعة جبل بهلولة ضربة قاصمة لقوى الموحيدين المادية والمعنوية ، إذ جنح الخليفة المرتضى بعدها إلى الدعة والراحة ، ويذكر ابن عنارى في هذا الشأن أن المرتضى عقد الهدنة والسلم مع الأمير أوى يحيى المرينى ، واكتفى بما تحت يده من مناطق يمتد إليها نفوذه في جنوب المغرب الأقصى (١٧٣) . ولكن هذه الحالة من الهدوء النسبى التى بسط ظلالها على المغرب الأقصى لم تستمر طويلا لأن بنى مرين كانوا يتطلعون إلى اقتلاع الموحيدين نهائيا لإقامة دولتهم الفتية ، دون أن يكون هناك منازع يهدد أمنهم أو يعوق رخاء دولتهم (١٧٤) .

وجه المرينيون اهتمامهم بعد ذلك إلى الاستيلاء على سجلماسة ودرعة ، لما لهما من أهمية اقتصادية وتجارية واستراتيجية ، فمدينة سجلماسة متوسطة في صحراء المغرب الأقصى والمسافة بينها وبين فاس وتلمسان ومراكش متساوية تبلغ تسع مراحل (١٧٥) . وهى من هذا الموقع تقف على أول الطريق التجارى بين بلاد المغرب وأقطار السودان الغنية وبذلك

يضمن المرينيون - بالاستيلاء على هذه المدينة - موردا ومنفلا اقتصاديا هائلا .

وتختلف المصادر في تاريخ استيلاء المرينين عليها فبعضها يرى أنه كان في سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) (١٧٦) . وبعضها يرى أنه كان في سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) (١٧٧) . وقد لجأ المرينيون في فتح سجلماسة إلى أسلوب آخر غير أسلوب القتال المباشر ، فقد عقد المرينيون اتفاقا سريا مع أحد زعماء سلجماسة ويسمى ابن القطراني ، حيث قام ابن القطراني بانقلاب قبض فيه على عامل الموحدين ، وسهل للأمير أني يحيى مهمة الاستيلاء على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة (الجنوب) (١٧٨) .

قام أبو يحيى بتولية ثلاثة من رجاله على هذه البلاد حتى يضمن ألا يستأثر أحدهم بالحكم أو تسول له نفسه الخروج على المرينيين ، وهؤلاء الثلاثة هم يوسف بن بركاسن وعُين قائدا على الجند (١٧٩) ، وعبد السلام الأورني ، وداود بن يوسف على شئون الجباية (١٨٠) .

وفي سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ثار أهل سجلماسة وأحسن المرتضى بهذه الثورة فأرسل جيشا بقيادة ابن عطوش لاسترداد سجلماسة ، ولكن محاولته باءت بالفشل حيث سبقه إليها أبو حديد ابن الأمير أني يحيى ففر ابن عطوش. راجعا إلى مراكش (١٨١) .

وكان يغمراسن بن زيان قد تحرك نحو الآخر سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) نحو سجلماسة حيث راسله بعض أهلها وأطمعوه في الاستيلاء عليها ولكن يغمراسن فوجيء بوصول الأمير أني يحيى إلى سجلماسة في نفس اليوم ودارت معركة بين الطرفين في اليوم التالي بباب تاحسنت انسحب يغمراسن بن زيان على أثرها عائدا إلى بلده بعد أن تأكد من صلاية المزينيين في سجلماسة (١٨٢) . وغادرها الأمير أبو يحيى أيضا بعد أن رتب شئونها وأحوالها وأسند ولايتها إلى أني يحيى القطراني (١٨٣) .

وظل الأمير أبو يحيى طيلة سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) وجزءا من سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وهو يعمل على تثبيت أقدام المزينيين في سلا ورباط الفتح وسجلماسة (١٨٤) . حتى دهمه مرض الموت فتوفي في يوم الخميس من سلخ جمادى الآخرة سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (١٨٥) . وقد أجمعت معظم المصادر على هذا التاريخ بينما ترى بعض المصادر الأخرى أن وفاته كانت في سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) (١٨٦) .

دفن الأمير أبو يحيى بإزاء قبر الولي الصالح أبي محمد القشتالي عند باب الجيزين حسب الوصية التي أوصى بها في حياته (١٨٧) . ومع انتهاء حياة هذا الأمير

المريني المناضل انتهت مرحلة استيلاء المرينيين على المدن الكبرى في المغرب الأقصى ، وبدأت مرحلة جديدة لها أهميتها وخطورتها في بناء صرح الدولة الجديدة .

ثالثا : مرحلة الاستيلاء على العاصمة مراكش وإعلان قيام الدولة :

١ - يعقوب بن عبد الحق ومشكلة الإمارة على بنى مرين :

بويح عمر بن أبي يحيى بعد وفاة والده ليتولى أمر بنى مرين وكانت العلة من قومه كما يقول ابن خلدون ترضى عنه ، أما المشيخة وأهل الحل والعقد فقد كانوا يميلون إلى عمه يعقوب بن عبد الحق الذي كان غائبا عند وفاة أخيه أبي يحيى بتازي (١٨٨) . ونتيجة لذلك ظلت أموره مضطربة بالعاصمة فاس طيلة أربعة أشهر ، الأمر الذي دفع بعمة يعقوب بن عبد الحق إلى القدوم إلى فاس من رباط تازي (١٨٩) . وقد أثار مجيئه حفيظة أتباع عمر بن أبي يحيى فأخذوا يحرضون عمر على عمه يعقوب ، فاعتصم عمر بقصبة فاس ، وكان الأمير يعقوب بن عبد الحق يسعى إلى إنهاء هذا الوضع المتأزم بتحقيق مصلحة المرينيين وإقرار الأوضاع وتهئية الأحوال ، خاصة وأن العدو يترصد بالمرينيين الدوائر . وعلى هذا الأساس حسم الأمر وتنازل لابن أخيه عمر على أن تكون له بلاد تازي وبطوية وملوية (١٩٠) .

ولكن شيوخ بنى مرين لم يرضوا عن ذلك ، وتبعوا الأمير يعقوب الذي لحق بتازي ، وهناك أصروا على مبايعته ، وأجبروه على العودة إلى فاس ، وعاهدوه على مناصرته والوقوف إلى جانبه (١٩١) . وقالوا له : « والله لا نبايع عمر ابن أخيك ولا نرضى به أميرا وأنت بقيد الحياة أبدا فبليعه كافة أولاد عهد الحق ثم بليعه بنو علي ثم بنو عسكر وبنو بنجاسن وبنو وطاس ثم تتابع قبائل بنى مرين بالبيعة » (١٩٢) . وأمام هذا الإصرار القوي من جانب مؤيديه وافق على رأيهم وعاد بهم إلى فاس فلما علم عمر بذلك خرج للقاء عمه يعقوب فالتقى به عند وادي مكس ، وفر أصحاب عمر عنه وأسلموه إلى عمه يعقوب الذي أرسله مغلولا إلى فاس .

وهناك في فاس تنازل عمر عن إمارة بنى مرين إلى عمه يعقوب على أن يقطعه عمه مكناسة ، ووافق يعقوب بن عبد الحق على ذلك وتولى أمر المرينيين سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) (١٩٣) .

والناظر لأوضاع المغرب في ذلك الوقت يجد أن الموحدين قد انحسرت مناطق نفوذهم في المنطقة الواقعة بين وادي أم الربيع وبين عاصمتهم مراكش وبالنسبة لمنطقة السوس في جنوب مراكش فقد كانت في يد الثائر علي بن بدر (١٩٤) . أما بنو مرين فقد امتد سلطانهم ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة (١٩٥) . أما القبائل العربية فكان

ولأؤها مذبذب بين المرينيين تارة وبين الموحديين إذا ما اختلفوا معهم (١٩٦) وكثيرا ما كانت القبائل العربية تفقد ثقها في الموحديين تارة أخرى ، فهم يلجئون إلى بنى مرين ليحتموا بين ظهرانيهم من بطش الموحديين خاصة في السنوات الأخيرة وفي عهد المرتضى الموحدى بالذات (١٩٧) لذلك ظهرت بين القبائل العربية روح من السلبية في المقاومة مع الموحديين ضد بنى مرين وكثيرا ما انسحبت قوات هذه القبائل العربية من معارك كبرى خاضها الموحدون دون قتال ، وتسبب ذلك في هزيمة الموحديين أمام بنى مرين (١٩٨) ، على أن الجدير بالذكر أن المرينيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية ، وإنما اعتمدوا على قوتهم الذاتية في حرب الموحديين ، بينما على العكس من ذلك كان الموحدون يعتمدون على القبائل العربية كثيرا ، وكثيرا ما خذل هؤلاء العرب الموحديين ولم يخلصوا في القتال معهم (١٩٩) .

ولد الأمير الجديد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) (٢٠٠) وقد وصفته بعض المصادر بأنه سيد بنى مرين على الإطلاق (٢٠١) ، وقد استحق يعقوب بن عبد الحق هذا التفوق ، بما تحقق له من شخصية قوية جذابة متمرس ، جمعت فيها كثيرا من عناصر التفوق ، فقد كان ذا شكل مقبول لدى الجميع ، إذ هو معتدل الجسم ، أبيض اللون ، حسن الوجه والصوره ، تجلله لحيته البيضاء وسعة المنكين ، بكثير من الجلالة والمهابة (٢٠٢) . وتدعم هذه الصفات الجسمية صفات نفسية لا تقل عنها أهمية فقد كان : « كريم اللقاء ، شديد الصفع مؤثر للفقر حليما شفيقا متواضعا لأهل العلم والدين كريما جوادا ذا حزم وعزم ودين متين » (٢٠٣) . كما كان يعقوب بن عبد الحق وافر الحظ من الصفات الروحية فكان « صواما قواما دائم الذكر ، كثير البر لا يزال في أكثر نهاره ذاكرة وفي أكثر ليله قائما سبحته في يده لا تزال ما دام في أوقاته ، مكرما للصلحاء والمساكين ، متوضعا في ذات الله تعالى لأهل الدين قاهرا للطغاة المفسدين متوقفا في سفك الدماء » (٢٠٤) . وقد كان لهذه القيم والملكات الروحية ، التي تأصلت في نفسه ، أثر كبير في المناخ السياسى في بلاد المغرب والأندلس ، إذ ما كادت أوضاع المرينيين تستقر في بلاد المغرب حتى ركز هذا الأمير جهوده لخدمة الإسلام والحفاظة عليه من المحاولات التي كان يتعرض لها من جانب مسيحي إسبانيا . كما كان الأمير يعقوب رجلا من رجالات السياسة والإدارة والحرب حيث اكتسب في هذه المجالات خبرات كثيرة في أثناء الحكم في إقليم تازة من قبل أخيه أبى بكر .

وقد تعرض المرينيون في مطلع عهد أبى يعقوب سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) إلى غزو من جانب بنى عبد الواد ، فقد ظن يغمراسن بن زيان أن وحدة الأراضي قد تمزقت بانفراد عمر بن أبى يحيى بمكناسة ويعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس ، وأن هذه فرصة لضرب

المرينيين والقضاء عليهم (٢٠٥) ، فجمع يغمراسن جيشا كبيرا من قومه ، وضم إليه في هذا الجيش قبائل بنى توجين ، وقبائل مغراوة (٢٠٦)

ووصلت أنباء هذه التجمعات إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، فخرج بجيش من بنى مرين ، والتقى بمجموع يغمراسن عند بلدة (كلدامان) ، فهزم المرينيون بنى عبد الواد وانسحب يغمراسن ، يأكله الغيظ والحقد على بنى مرين ، حتى كان في أثناء انسحابه ينسف ويحرق الأخضر واليابس نكاية من بنى مرين (٢٠٧) .

٢ - تأمين الجبهة الداخلية لبنى مرين :

قام الأمير يعقوب بن عبد الحق بعد ذلك بعدة خطوات كان الهدف منها تأمين الجبهة الداخلية لبنى مرين ، التي سيواجهها . الموحدون ، خاصة وأن هذه الجبهة قد اعتراها بعض التصدع في أعقاب وفاة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق . وقد تمت أولى هذه الخطوات في أول المحرم سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) عندما قتل عمر بن أبي يحيى عند ساقية عبولة قتله بنو عمه عمر بن عثمان وإبراهيم بن عثمان والعباس بن محمد بن عبد الحق في دم وثأر كان بينهم . وبمقتل عمر هذا أعاد الأمير يعقوب مكناسة الزيتون إلى حظيرة النفوذ المريني في فاس ، وجلدت له البيعة وبذلك توحدت الأراضي المرينية مرة أخرى تحت قيادة واحدة (٢٠٨) .

وكانت مدينة سلامند استعادها المرتضى الموحدى سنة (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) من أبي يحيى المريني وهي تحت نفوذ الموحدون (٢٠٩) . وكان واليها المريني يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد انطلق إلى بلاد تامسنا مقتربا بذلك من مدينة سلا سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) ويرى ابن خلدون وصاحب الذخيرة أن تحرك يعقوب بن عبد الله ، كان بسبب خلاف وقع بينه وبين عمه الأمير يعقوب بن عبد الحق (٢١٠) . قرر يعقوب بن عبد الله على أثر هذا الخلاف الرحيل إلى بلاد تامسنا ليستوطنها للرعى والصيد ، وفي بلدة عبولة نزل بدواره بها يراقب منها الأحوال في مدينة سلاكي يستولى عليها . وكان والي سلا إذ ذاك من قبل الموحدون هو أبا عبد الله بن أبي يعلى الموحدى (٢١١) ، واستطاع يعقوب بن عبد الله التسلل إلى رباط الفتح وسلا واستقر في قصبتها وأخرج عامل الموحدون إليها يعلى منها ، وتملك زمام الأمور ، وجاهر بخلع طاعته لعمه يعقوب ، وبدأ في الاتصال بتجار السلاح وأدوات الحرب والقتال من نصارى الأسبان ، الذين كثر ترددهم على مدينة سلا ، وقد انتهز هؤلاء النصارى من الأسبان فرصة انشغال المسلمين بيوم عيد فطرهم واستولوا على المدينة ، بينما ظل يعقوب بن عبد الله متحصنا برباط الفتح (٢١٢) .

ترامت هذه الأنباء إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق الذن كان بتازى يراقب منها أحوال
يغمراسن بن زيان ، فبادر على الفور بتجميع جيوشه وتوجه من فوره إلى سلا فوصلها في يوم
وليلة . ثم تابعت عليه الإمدادات من كل مكان (٢١٣) . وظل الأمير يعقوب بن عبد الحق
يلاحق المدينة بالحرب أربع عشرة ليلة ، ثم اقتحمها عنوة ، وأثنى القتل فيمن بها
من النصارى (٢١٤) . وبعد استيلائه على المدينة شرع في ترميم سورها الغربى الذى تسلل
منه نصارى الأسبان ، وقد اشترك بنفسه في عمليات التحصين والبناء (٢١٥) . بينما فر
يعقوب بن عبد الله إلى حصن علودان من جبال غمارة بطارده الأمير أبو مالك بن يعقوب
بن عبد الحق ومعه القائد المرينى على بن زيان (٢١٦) . وظل يعقوب خارجا على السلطة
المرينية حتى قتله طلحة بن على بساقية عبولة سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) (٢١٧) .

بعد أن أتم الأمير يعقوب بن عبد الحق تنظيم شعون سلا وأصلح ما تخرب منها ، قدم
على ولايتها أحد رجاله وهو أبا عبد الله بن أحمد الفنزاري ، وخرج بقواته إلى تامسنا
فأخضعها للحكم المرينى وبايعته جميع قبائلها ثم استولى على أنفى لبنى مرين (٢١٨) . وبذلك
وصل النفوذ الفعلى لبنى مرين حتى وادى أم الربيع مما جعل فرائص المرتضى (الموحدى)
ترتعد ، وبادر بإرسال هدية إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، ومع هذه الهدية رسالة
من الصلحاء وسائر شيوخ الموحدين ، يطلبون الصلح والموادة بينهم وبين بنى مرين ، فوافق
الأمير يعقوب على الصلح وكانت أهم بنود هذا الصلح أن يكون الحد الفاصل بين بنى مرين
والموحدين هو وادى أم الربيع (٢١٩) . وتعتبر هدية المرتضى والصلح كلاهما اعتراف صريح
من الموحدين بالوجود المرينى كما أنهما يظهران مدى ما وصل إليه النفوذ المرينى من قوة
حصرت الموحدين هناك خلف وادى أم الربيع .

وفي نفس الوقت التقى الأمير يعقوب بن عبد الحق- يغمراسن بن زيان عند
(جوجرمان) وأسفر هذا اللقاء عن عقد صلح آخر بين بنى مرين ويغمراسن بن زيان
أساسه المحافظة على السلم بين الطرفين ووضع أوزار الحرب بينهما (٢٢٠) . ومعاهدات
التصالح هذه - التى تمت بين سائر القوى السياسية المتصارعة فى المغربين الأوسط
والأقصى - أشبه ما تكون بتوزيع لمناطق النفوذ بين الأطراف المتصارعة .

وقد استغل الأمير يعقوب بن عبد الحق فرصة السلام فى علاج بعض المشكلات
الداخلية فقد خرج عليه أبناء أخيه إدريس وثاروا عليه بقصر كتامة ، متبعين فى هذه الثورة
رأى يعقوب بن عبد الله (٢٢١) . حاصرهم الأمير يعقوب فى جبال غمارة ، ولكنه لجأ
إلى أسلوب فيه شئ من الحكمة وحسن التصرف ، حيث استرضاهم وعقد لعامر بن إدريس
سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) على ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون عن ذلك . ووجههم

إلى القتال والحرب والجهاد في الميدان الأندلسي ، فكانوا بذلك أول قوة مربية عاملة في الميدان الأندلسي (٢٢٢) . وبهذا وجه الأمير يعقوب طاقة هذه الجماعة الثائرة من البيت المريني إلى حرب أعداء الإسلام هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أمن شرورهم وما قد يحدثه وجودهم في بلاد المغرب على حال من الثورة من بلبلة للأفكار حول الدولة الجديدة الناشئة .

٣ - الاستيلاء على مراكش :

لم يدم الصلح الذي عقد بين المرينيين والموحدين زمنا طويلا ، حيث كان هدنة مؤقتة ، وسلاما زائفا ، فلم يكن يعقوب بن عبد الحق من جانبه ينوي التوقف عن مطاردة الموحدين والقضاء عليهم ، وكان المرتضى هو الآخر على درجة كبيرة من التشكك في نوايا بني مرين ، لذا فقد كان يتأهب لجولة جديدة من القتال مع المرينيين (٢٢٣) .

وكانت هذه الجولة في سنة (٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) حسب رواية ابن أبي زرع وصاحب الدخيرة وفي سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) حسب رواية ابن خلدون (٢٢٤) . حيث التقت جيوش بني مرين بجيوش الموحدين الضخمة التي حشدتها المرتضى وتألفت من : « وجوه الموحدين وأشياخهم من سفيان والخلط والأثيج وبني جابر والعاصم وقواد الروم والأغزاز والمصامدة » (٢٢٥) . وكان اللقاء عند بطن وادي أم الربيع في منطقة تنحسر عنها مياه الوادي ، فقبلو وكأنها أرجل فسميت الموقعة بأم الرجلين ، ورغم أن الموحدين فاجأوا القوات في هذا الموضع إلا أن الموحدين هزموا هزيمة شنيعة (٢٢٦) . جعلت قائد الموحدين يحيى بن عبد الله بن وانودين يحضر للخليفة المرتضى ويذكر له أن سبب الهزيمة يرجع إلى تخاذل عرب بني جابر وانسحابهم من المعركة (٢٢٧) . وكان لهذه الهزيمة وقع عظيم في العاصمة الموحدية مراكش وخشى الناس أن يزحف المرينيون إليها فأغلقت بعض أبواب المدينة ، ولكن الهدوء ساد بعد ذلك ، عندما وردت الأخبار بانصراف بني مرين إلى بلادهم (٢٢٨) .

ولم يمض وقت طويل حتى عبأ الأمير يعقوب بن عبد الحق جيشا ضخما سار به نحو العاصمة الموحدية مراكش ، ووصل في تقدمه حتى جبل (إيكليز) (٢٢٩) . وأقلم الأمير يعقوب بن عبد الحق بالجبل ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع « ركب في جميع جيوشه المنصورة ثم أقبل حتى نزل على باب المدينة واصطفت جيوشه أمامها وبرز عليها في أحسن تبريز فانحصر المرتضى بداخلها ، وغلق على نفسه أبوابها » (٢٣٠) . وكانت جيوش الموحدين بقيادة أبي العلاء إدريس المعروف بين الموحدين (بأبي دبوس) تخرج لتقاتل المرينيين في معارك ضارية استمرت قرابة الشهرين (٢٣١) ، ضاع فيها من خيرة

بنى مرين الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان المرينيون يطلقون عليه (العجوب) وذلك لمقدرته وتفوقه فى فنون الحرب والقتال (٢٣٢) . ويذكر ابن خلدون أيضا أن مقتل هذا المحارب المرينى أثر فى مجريات أحداث القتال : « قفت مهلكة فى عضدهم (بنى مرين) وارتحلوا عنها (مراکش) إلى أعمالهم » (٢٣٣) . وأكد سبب الانسحاب هذا أيضا صاحب الذخيرة السنية بقوله : « فارتحل ... » (يعقوب بن عبد الحق) عن مراکش بسبب قتل ولده » (٢٣٤) . « وقد أرسل المرتضى رسالة يعزى فيها الأمير يعقوب بن عبد الحق ويلاطفه وضرب له آتاة يبعث بها إليه فى كل عام فرضى (يعقوب بن عبد الحق) وارتحل » (٢٣٥) .

ولم تتوقف جهود بنى مرين ومحاولاتهم للاستيلاء على مراکش ففى سنة (٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) تقدم يعقوب بن عبد الحق للاستيلاء على مراکش ، ووصل فى تقدمه إلى أحوازها ، وهناك بايعته أكثر القبائل المحيطة بالمدينة من العرب والمصامدة ، واكتفى أبو يوسف بذلك وعاد إلى فاس (٢٣٦) .

لم يكد أبو يوسف يصل إلى فاس ، حتى وصل إليها فى إثره أبو العلاء وإدريس ابن عبد الله بن أى حفص بن الخليفة عبد المؤمن الموحدى الملقب بأبى دهبوس (٢٣٧) - لأنه كان وهو فى بلاد الأندلس لا يفارقه الدهبوس فاشتهر به . أحسن أبو يوسف استقباله ، وبالح فى إكرامه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال له : « ولست بزائر ولكنى دخيل مستجير بك إننى فررت من القتل وقصدت حماك لتصرفنى وتعيننى على علوى وعلوك » (٢٣٨) .

وترى معظم المصادر أن فرار أبى دهبوس كان لخوف المرتضى من تطلعه إلى العرش الموحدى (٢٣٩) . بينما ترى بعض المصادر أن فراره كان بسبب علم المرتضى بأن مراسلات سرية تتداول بين بنى مرين وأبى دهبوس (٢٤٠) . وفى كلتا الحالتين كانت نظرة المرتضى لأبى دهبوس على أنه خائن ، هى التى دفعت هذا الأخير إلى الفرار إلى البلاط المرينى .

وجرت مشاورات مستفيضة بين أبى يوسف وأبى دهبوس ، وتكشفت نوايا أبى دهبوس حين قال لأبى يوسف : « تعطينى جيشا من بنى مرين ويطبولا وبنودا وتعيننى بما أنفقته على ذلك فى طريقى وأنا أضمن لك فتح مراکش وأحوازها فإن أكثر من بها من الجيوش والقواد والأشياخ شيعة لى وإذا ملكتها يكون بيننا ملكها مشتركا نصفها لك ونصفها لى » (٢٤١) .

ووجد يعقوب بن عبد الحق في هذا العرض أمرا مشجعاً ، ونظر إليه على أنه حلقة من حلقات الصراع بينه وبين الموحدين ، ولعله بالموافقة على هذا العرض أراد أن يستفيد من هذا التصديق الذي طرأ على البيت الموحدى الحاكم في مراكش إلى أقصى حد ممكن . لذلك فقد سعى يعقوب بن عبد الحق في تهيئة كل عوامل النجاح لحملة قادها أبو ديهوس لفتح مراكش ، فأصدر أبو يوسف يعقوب أوامره بإمداد أبي ديهوس بخمسة آلاف من جنود بني مرين (٢٤٢) ، وأعطاه أموالاً كثيرة بلغت على حد تقدير ابن خلدون خمسة آلاف دينار عشرية (٢٤٣) . وأمدّه كذلك بكثير من آلات الحرب والقتال ؛ وأمر القبائل العربية الخاضعة للنفوذ المريني بإعطائه عوناً ضخماً من الرجال والعتاد ، ومن هذه القبائل قبائل الخلط بزعامة ابن أبي علي الخلطى وقبائل هسكورة وهزرجة (٢٤٤) . وقد تضخم هذا الجيش كثيراً بمن انضم إليه من الخارجيين على المرتضى من العرب ، وللوحديين ، والجند ، والنصارى (٢٤٥) .

وكان المرتضى بمراكش غافلاً عن تحركات أبي ديهوس ، فكانت أسوار المدينة خالية من الحراس والحامية ، وقد أعطى ذلك لأبي ديهوس فرصة عظيمة لاحتحام المدينة بسهولة ، وتمكن من دخولها من باب أغمات (٢٤٦) ، ففسور (أبو ديهوس) البلد من هنالك ودخلها على حين غفلة وقصد القصبة فدخلها من باب الطبول ، وفر المرتضى ومعه الوزير أبو زيد بن يعلو (٢٤٧) إلى أزموور مستنجداً بصهره ابن عطوش وإلى أزموور وكان ذلك في الثاني والعشرين من محرم سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) (٢٤٨) . ولكنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار فقد قبض عليه ابن عطوش ، واقتاده أسيراً إلى أبي ديهوس ، الذى سارع بإرسال مولاة مزاحم ، فقتل المرتضى في الطريق واحتز رأسه ، وتولى أبو ديهوس خلافة الموحديين (٢٤٩) .

وصلت أنباء استيلاء أبي ديهوس على مراكش إلى أبي يوسف يعقوب ، فبعث إليه رسولا يهتبه بالفتح ، ويطلب منه الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه فقال أبو ديهوس لرسول أبي يوسف : « ما بينى وبينه عهد إلا السيف أرجع إليه ومعه أن يبعث يبعث وأقره على ما بيده من البلاد فإن بادر بالبيعة وسارع إلى الخدمة خير له من الدنيا والآخرة وإن امتنع من ذلك غزوته بجنوده لا قبل له بذلك وكتب له بذلك كتاباً يخاطبه فيه تخاطبة الخلفاء إلى عمالهم » (٢٥٠) .

قرر أبو يوسف يعقوب على أثر وصول هذه الرسالة إليه مهاجمة أبي ديهوس والقضاء عليه ، فحشد قوات ضخمة خرج بها إلى مراكش وأحكم حصار المدينة ، وأطلق سرايا الجيش المريني في جهات مراكش ونواحيها ، تحطم الزروع وتنسف الأقوات (٢٥١) .

ورأى أبو دهبوس أن الأحداث تسير في غير صالحه ، فأرسل إلى أبي يوسف الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن مخلوف المسكوري ومعه هدية سنية ، ويتعهد على لسان ذلك الشيخ بالوفاء لأبي يوسف بما سبق أن عاهد عليه ، فرضى بذلك أبو يوسف وعاد إلى فاس (٢٥٢) ، وقد أتاحت عودة أبي يوسف إلى فاس لأبي دهبوس فرصة عظيمة يلتقط فيها أنفاسه ، فخرج من مراكش قاصدا السوس ، فقدم عليه عرب الخلط والمعلل قبائعه ، وفي نفس الوقت وصلته بيعة يغمراسن بن زيان في رسالة خاطب فيها أبا دهبوس بقوله : « إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم » (٢٥٣) .

شعر أبو دهبوس أنه في موقف يستطيع معه مواجهة بني مرين ونقض عهودهم ، فخرج أبو يوسف لحصاره مرة ثانية في مراكش حتى ضاق الحصار بأبي دهبوس ، وانتشرت المجاعة ببلاده وغلّت الأسعار ، الأمر الذي جعله يستنجد بيغمراسن بن زيان أمير تلمسان ، وعلى الفور قام يغمراسن بشن غارات على أطراف المغرب وخاصة بلاد ملوية (٢٥٤) .

فلما وقف أبو يوسف على تطورات الأحداث هذه قرر إرجاء أمر العاصمة الموحدية ، ورفع الحصار عنها مؤقتا ، وعاد إلى فاس ، حيث أقام بها أياما استكمل فيه أهبطه واستعداداته لحرب يغمراسن ، وفي منتصف ربيع الأول سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) سار أبو يوسف إلى وادي ملوية متخذاً طريق أجريسيف ، وكان اللقاء بوادي تلاغ (٢٥٥) . « وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعصى كل منهم كتابه وزحف مصافه وبز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض » (٢٥٦) « ودارت المعركة طاحنة قتل فيها أبو حفص عمر أكبر أبناء يغمراسن وفر يغمراسن بعد أن لحقت به الهزيمة هو وقومه من بني عبد الواد . وعاد أبو يوسف إلى فاس ليستأنف منها العمل للاستيلاء على مراكش » (٢٥٧) .

وفي شعبان سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م) خرج أبو يوسف يعقوب من فاس في حشود ضخمة عبر بها وادي أم الربيع (٢٥٨) ، وكانت خطته في هذه المرة تقوم على ضرب المؤيدين لأبي دهبوس في كل مكان وبكل قوة حتى يضعف من جهودهم في مساعدة أبي دهبوس ، وفي نفس الوقت تقوم القوات المهيبة بتدمير كل عناصر الاقتصاد في المنطقة ، لإضعاف مقاومة أبي دهبوس ومن معه . فانتشرت سرايا الجيش المهيبة في كل مكان تحطم الزروع ، وتخرب الضياع ، وتسلب وتنهب كل ما يقع في يدها . وقام بغزو شامل لعرب الخلط ، ووادي العبيد ، وبلاد صنهاجة (٢٥٩) . واستغرقت هذه العمليات الحربية ما تبقى من سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م) وشطرا من سنة (٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) (٢٦٠) وقد أتت هذه الخطوة المحكمة بثمارها التي توقعها أبو يوسف حيث اجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند

أبى دبوس وقالوا له : « يا مولانا كم تقعد عن حرب بنى مرين وقد ترى ما نزل بنا في حرمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا إليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فإنهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برياط تازا لحراسة ذلك الشجر من بنى عبد الواد ولم يزالوا يقتلون له في النوبة والغرب حتى أجابهم إلى رأيهم » (٢٦١) .

استعد أبو دبوس للقاء أبى يوسف وخرج من مراکش في جيوش ضخمة وجمع وافرة ، وتظاهر أبو يوسف بالفرار أمامه ، وكان هدفه من ذلك إبعاده عن مراکش حتى لا يعود أبو دبوس إلى التحصن بها إذا ما هزم أمام أبى يوسف ، وحتى يبعده أيضا عن أى إمدادات قد تصله من مراکش (٢٦٢) .

ظل أبو يوسف يتظاهر بالانسحاب وأبو دبوس في أثره حتى إذا نزل أبو دبوس بوادى غفو كر عليه أبو يوسف في هذا الوادى والتحم القتال بين الطرفين ، واشتدت الحرب ، وحاول أبو دبوس الفرار من المعركة إلى مراکش (٢٦٣) فأدركته الخيول وحطمت الرماح فخر صريعا وأخذ رأسه وجيء به إلى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الأحد ثلثي محرم سنة ثمان وستين وستمائة (٢٦٤) .

وتشكل معركة وادى غفو هذه نقطة تحول بارزة في تاريخ دولة بنى مرين إذ كانت هذه المعركة نهاية للدولة الموحدية وبداية لقيام دولة جديدة فنية هي الدولة المرينية . حيث لم تقم للموحدين قائمة بعد هذه المعركة .

تقدم أبو يوسف صوب العاصمة مراکش فدخلها بعد سبعة أيام من معركة وادى غفو في يوم الأحد التاسع من محرم سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) (٢٦٥) وكان من بها من الموحدين قد فروا إلى تينملل حيث بايعوا هناك إسحق أخا المرتضى ولكنه كان شيخا هزلا لا أثر له (٢٦٦) .

دخل أبو يوسف مراکش في موكب فخيم ، واستقبلته جماهير المدينة وعلى رأسهم فقهاؤها وصلحاءها وقضاةها وعمامها وأشياخها ، وأعلنوا بيعتهم لأبى يوسف يعقوب (٢٦٧) ، وطلبوا منه الأمان فأمنهم (وتلقاهم بالبر والإكرام وأحسن إلى جميعهم بالخلع والأموال كل على قدر مرتبته) (٢٦٨) .

وبهذا الانتصار الضخم طوى الأمير يعقوب بن عبد الحق آخر صفحات من صفحات دولة الموحدين بالمغرب ، وبدأ يسطر بنفسه أولى الصفحات في تاريخ الدولة المرينية الجديدة ، وجرت في البلاط المريني مراسم تتفق ومستلزمات الدولة الجديدة حيث تلقب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بلقب « أمير المسلمين » بعد أن كان يلقب قبل ذلك

بالأمير وصدرت الكتب والرسائل من البلاط المريني إلى القبائل وسائر بلاد المغرب تحمل هذا اللقب الجديد (٢٦٩) ، وكان ذلك إعلانا رسميا بقيام الدولة المرينية ، التي أصبحت تسيطر على سائر أنحاء المغرب الأقصى من وادي ملوية وجبال الأطلس الوسطى شرقا وحتى المحيط الأطلنطي غربا ، ومن رباط تازي وجبال غمارة شمالا حتى مراكش ووادي تنسيفت جنوبا (٢٧٠) ، وغدت هذه الدولة شاحنة تقوم بدورها في خدمة الإسلام وبناء الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب .

جهود أبي يوسف يعقوب لاستكمال تأسيس دولة بني مرين

(٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) - (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

أ - جهود أبي يوسف لاستكمال تأسيس الدولة في الميدان المغربي :

قام أبو يوسف يعقوب - بعد إعلانه الدولة المرينية - بجهود سياسية ضخمة ، وكانت أهم أهداف هذه الجهود استكمال تأسيس الدولة الجديدة ، وتدعيم أركانها ، وإظهار سطوتها ، وقوتها . وسيطرته الكاملة على كافة أقاليمها ومواطنيها . ومما ساعد المرينيين على نجاحهم في بسط سلطانهم ، أن حركتهم كانت حركة سياسية محضة ، لم تتشع بثوب الدين كما فعل الموجدون من قبلهم (٢٧١) . فلم يتخذ المرينيون من الدين وسيلة لإثارة مشاعر الجماهير وتوجيههم الوجهة التي يريدونها ، وإنما كان شعار المرينيين - الذي رفعوه ولاقى كثيرا من مظاهر التأييد - هو إقامة حكم سياسي يراعى مصلحة البلاد ، ويحافظ عليها من مخاطر الانحرافات ، ويبعث في المواطنين الشعور بالأمن على أنفسهم وأموالهم .

وفي ضوء هذا الشعار الذي رفعه المرينيون سار أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، وتابع جهوده بنفس الدرجة من القوة والكثافة ، فقد كانت هناك أجزاء من الدولة الموحدية تقع تحت نفوذ بعض الثائرين مثل منطقة السوس وإقليم درعة ، فضلا عن ذلك كانت طنجة وسبتة منطقتين تقعان خارج السيطرة الموحدية ، وأصبح لها بعد سقوط دولة الموحدين أهمية «استراتيجية» - إذا جاز استعمال هذا التعبير - بالنسبة للدولة الجديدة ناهضة لها مشاريعها الخاصة بها في تأمين نفسها ضد أي خطر خارجي ، وكان هناك أيضا يغمراسن بن زيان يراقب المرينيين ، ويسيطر نفوذه بالفعل على إقليم سجلماسة ، وهذا الإقليم من الناحية السياسية كان تابعا قبل ذلك للنفوذ المريني (٢٧٢) .

أرسل أبو يوسف يعقوب حملة كبيرة إلى بلاد السوس بقيادة ابنه الأمير أبي مالك عبد الواحد وتمكنت هذه الحملة من إخضاع ثوار السوس ومن فر إليهم من بقايا الموحدين (٢٧٣) . كما خضعت جميع قبائل المنطقة للنفوذ المريني من ماسة - ثغر السوس الأقصى - إلى نول إلى البحر المحيط (الأطلسي) (٢٧٤) .

وقام أبو يوسف بنفسه بغزو منطقة درعة ومن بها من طوائف العرب في أول رمضان سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) وكان هؤلاء العرب « قد ثاروا ببلاد درعة

وأبادوا رجالها بالقتل وأموالها بالنهب وكثر أذاهم في تلك النواحي ، (٢٧٥) وكانت هذه التصرفات لا تتفق وتقاليد الدولة الجديدة التي ترى الأمن والاستقرار من أهم أهدافها .

اخترق أبو يوسف النطاقات الجبلية والأوعار لينزل إلى أرض درعة في أقرب وقت ، فنزلها في منتصف رمضان فقتل أبو يوسف من هؤلاء الثائرين من العرب حلقا كثيرا وسبى نساءهم وأموالهم بعد أن حاصروهم بمقل من معاقل درعة أياما فنزلوا إليه بأمان ولده الأمير أي مالك فعفا عنهم وأمضى أمان ولده لهم وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها ومعاقلها (٢٧٦) . وقام أبو يوسف بنقل هؤلاء العرب إلى مراكش ليكونوا تحت رقابة عمال الدولة هناك ، كما عين على المنطقة العمال اللازمين لها لتأكيد سلطان الدولة على هذه المنطقة وقد استغرقت عملية درعة هذه شهرين عاد بعدها أبو يوسف إلى مراكش (٢٧٧) . حيث عقد عليها وعلى أعمالها محمد بن علي بن يحيى وهو من أكابر وزراء أبي يوسف وقرابته ، وأسند إليه أبو يوسف أيضا قيادة الجيوش ، وأصدر إليه أوامر مشددة بالقضاء على الموحدين ومحو آثارهم (٢٧٨) .

وغادر أبو يوسف مراكش متجها إلى رباط الفتح فدخلها في آخر ذي القعدة سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) (٢٧٩) . وغادرها إلى سلا ، وهناك في سلا أصابه مرض جعله يتخذ إجراءات سريعة لتعيين ولي للعهد ، وجمع شيوخ مرين وأخذ عليهم العهد بولاية ولده أي مالك عبد الواحد (٢٨٠) ، وهذه أول مرة تم فيها مراسم تعيين ولي للعهد في الدولة الجديدة .

ولم يدرك بعض شيوخ بني مرين شديدي القرابة لأبي يوسف أهمية هذه الخطوة في تأمين الدولة وتدعيم أركانها ، حيث رأوا أن هذه الخطوة جرت على غير المألوف من طبيعتهم القبلية ، وانتهى أمر هؤلاء المعارضين إلى الاعتصام بجبل علودان . وقد تولى أمر هؤلاء الثوار وقيادتهم محمد بن إدريس بن عبد الحق ، وموسى بن رحو بن عبد الله (٢٨١) . وكانت هذه الثورة تمثل خطرا كبيرا يهدد وحدة البيت المريني لذا عزم أبو يوسف على مواجهتها بحزم شديد ، فأرسل إليهم جيشا من خمسة آلاف جندي بقيادة ولده يوسف بن يعقوب وقد حاصروهم هذا الجيش في معقلهم ، وفي نفس الوقت خرج جيش آخر بقيادة أبي مالك عبد الواحد ومعه مسعود بن كانون شيخ قبائل سفيان ، وأخيرا خرج أبو يوسف بنفسه ومعه جيش ثالث ليحسم الموقف ، واستمر القتال ثلاثة أيام ، طلب الثائرون الأمان بعدها على أن يسمح لهم بمغادرة الأراضي المرينية إلى تلمسان ، فوافق أبو يوسف على ذلك ، فانتقل بعضهم إلى تلمسان وغادروها بعد ذلك إلى الأندلس (٢٨٢) .

ويذكر ابن خلدون ونقل عنه السلاوى ، أن أبا يوسف فكر جدبا في توجيه ضربة قاصمة لخصمه العنيد يغمراسن بن زيان - الذى يقف حجرة عثرة تهدد شرق الدولة المرينية دائما ، ويترصد بها اللواتر . ويرى ابن خلدون أن ذلك كان بدافع من الانتقام لأن أبا يوسف : « رأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره على غزوهم » (٢٨٣) ولكن صاحب الذخيرة السنية يضيف إلى ذلك سببا آخر ففى سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) أرسل ابن الأحمر صاحب غرناطة بالأندلس إلى أبى يوسف يستنصر به ويدعوه إلى العبور إلى الأندلس للقيام بدوره فى مساندة المسلمين هناك ضد النصارى (٢٨٤) . ولم يكن أبو يوسف ليستطيع أن يقوم بهذه الخطوة ويغمراسن بن زيان يقف مهددا شرق الدولة لذا بعث أبو يوسف إلى يغمراسن يشرح له حقيقة الأمر ويطلب عقد الصلح بينهما ، وأن يتعاونوا معا فى إنقاذ الجبهة الإسلامية فى الأندلس (٢٨٥) . ولكن يغمراسن رفض هذا العرض بشدة : « وأقسم ألا يصالحه أبدا حتى يأخذ منه الثأر أو يموت دون ذلك » (٢٨٦) .

كان ذلك الرد العنيف يمثل فى رأى أبى يوسف قصورا من جانب يغمراسن ابن زيان عن فهم طبيعة الأحداث السياسية التى تمر بها المنطقة ، ومن ناحية أخرى يمثل تقصيرا فى خدمة الإسلام الذى يواجه موقفا حرجا فى بلاد الأندلس . لذا أعلن أبو يوسف التعبئة العامة فى أنحاء الدولة واستخدم فى عملية التعبئة هذه ولده أبا مالك ، حيث أرسله إلى مراكش ومعه عدد كبير من خاصة الوزراء للقيام بهذه المهمة (٢٨٧) . ونجح أبو يوسف فى حشد جيوش ضخمة . هزم بها يغمراسن بن زيان عند وادى لاسطى من بسائط وجدة سنة (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) (٢٨٨) . ثم تقدم بعد ذلك نحو تلمسان فحاصرها . وكان يعاونه فى هذا الحصار قبائل توجين بقيادة زعيمها محمد بن عبد القوى التجينى - وكانت هذه القبائل قد جاءت لتحارب يغمراسن بن زيان حتى تأخذ منه بثأرها (٢٨٩) . وشدد المرينيون فى حصار المدينة « فقطعوا الثار والجنان وخرّبوا الرباع وأفسدوا الزروع ، وأحرقوا القرا والضباع حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم » (٢٩٠) .

وقرر أبو يوسف رفع الحصار عن المدينة ، ولكنه لم يفك حصاره للمدينة إلا بعد أن تحركت قبائل توجين إلى مواطنها ووصلت فى تحركها إلى ونشريس وبلغت مأمنا ، فقد كان أبو يوسف يخاف أن يتبعها يغمراسن بن زيان (٢٩١) . وقد أعطى أبو يوسف هذه القبائل كثيرا من غنائم هذه الحرب ، فأعطى محمد بن عبد القوى شيخ توجين « ألف ناقة من مال بنى عبد الوادى ومائة فرس من مراكبهم وخلعا وسيفا ودراقا ومضارب » (٢٩٢) .

رفع أبو يوسف الحصار عن تلمسان وعاد إلى فاس سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) (٢٩٣). بعد أن اتخذ بعض الخطوات الدفاعية بإعادة تحصين حصن تاونت وشحنه بالموثون والأقوات ليقف مركزاً متقدماً لمراقبة يغمراسن بن زيان وتحركاته ، وكان قبل ذلك قد أمر بهدم مدينة وجدة وتحصيناتها حتى لا يحتوى بها يغمراسن مرة أخرى (٢٩٤) .

وبعد عودة أبي يوسف إلى فاس توفي ولي عهده الأمير أبو ملك ، في صفر سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) ، - ورغم حزن أبي يوسف الشديد على أبي مالك فقد خرج من فاس في آخر صفر من نفس السنة لمتابعة جهوده لتدعيم الدولة المرينية . وفي رباط الفتح أخذ البيعة على بني مرين بولاية العهد لولده الأمير يوسف (٢٩٥) . ثم توجه بعد ذلك إلى مراكش ومنها قاد حملة كبيرة إلى بلاد السوس لضبطها ، وأرسل وزيره فتح الله ابن عمر السدراتي في جيش من ثلاثة آلاف فارس إلى عرب المعقل ، فغزاهم ذلك الوزير وقتل منهم أعداداً كبيرة بتمرس (٢٩٦) . وكان لهذه الجولة التي قام بها أبو يوسف أثرها في تهدئة الأحوال في هذه المناطق حديثة الانضمام إلى الدولة الجديدة .

اتجهت أنظار أبي يوسف بعد ذلك إلى الاستيلاء على طنجة وسبتة ، لما لهما من أهمية كبرى ، فقد كانتا من أعظم عمالات الموحدين ، فهما ثغراً بالعلوة المغربية ، ومرفأ الأساطيل ، وبها دور صناعة السفن والآلات البحرية ، كما أنهما المعبران الرئيسيان إلى بلاد الأندلس حيث ميادين الجهاد الواسعة التي كانت تنتظر المرينيين (٢٩٧) . وكانت طنجة إذ ذلك تقع ضمن مناطق نفوذ ابن العزى حاكم سبتة (٢٩٨) .

وفي سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) تحرك أبو يوسف نحو طنجة وضرب عليها حصاراً ضخماً وظل يقاتلها صباحاً ومساء طيلة ثلاثة أشهر حتى أوشك أن يرفع الحصار عنها (٢٩٩) ، وذات مساء يوم من أيام الحصار ، رأى المرينيون جماعة من الرماة في برج من أبراج طنجة المحاصرة (وكان معهم شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجي فأشار إلى المحلة ورفع راية بيضاء شعاراً فبادر إليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهمز أهل البلد وأخلوا الأسوار وركنوا للفرار - فدخلت المدينة عنوة على أهلها (٣٠٠) ، ويذكر صاحب الذخيرة أن السبب في مبادرة أهل المدينة إلى التسليم بسرعة يرجع إلى شروع أبي يوسف في البناء عليها حيث بنى جزءاً من البنية المنصورة فضاق أهلها لأجل ذلك ، (٣٠١) وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين أبي يوسف إليها في يوم الخميس أول ربيع الأول سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) (٣٠٢) .

وبعد أن انتهى أبو يوسف من تنظيم الأوضاع في المدينة وأرسى فيها التقاليد والنظم المرعية في الدولة الجديدة أرسل ولي عهده الأمير يوسف على رأس قوات كبيرة للاستيلاء على سبتة ، فحاصر الأمير يوسف المدينة حصارا شديدا وقطع عنها ما كان يأتيها من الإمدادات من الريف والبادي (٣٠٣) . ونتيجة لهذا الحصار الشديد عقد الصلح بين الأمير يوسف وابن العزى ، على أن يقوم ابن العزى ، بدفع مبلغ من المال سنويا لخزانة الدولة المرينية (٣٠٤) . وذكر صاحب الذخيرة أن هذا المال كان في صورة كميات من السلاح والخياب والأخبية ، وكان ذلك أيضا في سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) (٣٠٥) وأما كان المدفوع أموالا أو سلاحا أو غير ذلك فقد كان فتح طنجة وسبتة تنويجا للانتصارات المرينية في الميدان المغربي ، ونقطة تحول خطيرة في تاريخ هذه الدولة ، إذ أصبح الطريق مفتوحا أمام المرينيين ليعبروا في سلام إلى بلاد الأندلس ليقوموا بدورهم في خدمة الإسلام والمسلمين هناك .

لم يبق أمام المرينيين سوى سجلماسة وهي القاعدة الجنوبية لدولتهم والمفتاح الجنوبي للمغرب الأقصى ، وكان الاستيلاء عليها بالنسبة للمرينيين يعد أمرا حيويا ، خاصة وأن يغمراسن بن زيان يسيطر عليها هو وحلفاؤه من عرب المنبات ، وكان يبعث في كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع عرب المنبات (٣٠٦) .

تقدم أبو يوسف نحو سجلماسة بحشوده الضخمة التي ضمت أعدادا كبيرة من زناتة والعرب والبربر وكافة جنده ، وحاصر المدينة ، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات (٣٠٧) . واستخدم البارود في هذا الحصار ، وهذه أول مرة تأتي فيها الإشارة إلى استخدام البارود في الحروب في بلاد المغرب ، فقد استخدم أبو يوسف هندام النفط القلاف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام التل الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها (٣٠٨) .

ظل المرينيون سنة كاملة يحاصرون المدينة حتى سقط جزء من سور المدينة تحت إلحاح ضربات المنجنيق ، فافتحم المرينيون المدينة من خلال فتحة السور هذه في صفر سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) (٣٠٩) . وبسقوط سجلماسة كمل للمرينيين السيادة التامة على أراضي المغرب الأقصى كلها يقول ابن خلتون « وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تتحيز إلى غير فتنه ولا أمل ينصرف إلى سواه » (٣١٠) .

واتخذ أبو يوسف من فاس عاصمة للدولة المرينية الجديدة (٣١١) . ولكن بعد عودته من عبوره الأول إلى الأندلس رأى أن فاس القديمة لم تعد تتسع بهيئتها التي هي

عليها لجميع المرافق اللازمة للحكم ، ومن ناحية أخرى فقد تضخم عدد العسكريين كثيرا ، وكبر حجم الإدارات والمرافق الحكومية . لذلك فقد أمر أبو يوسف ، في شوال سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) ببناء عاصمة جديدة سماها (فاس الجديدة) (٣١٢) وغلب على المدينة الطابع الإدارى والعسكرى إذ يقطنها السلطان وأسرته ، وأعيان الدولة ورجالاتها ، والموظفون والخدام والجند (٣١٣) . حيث أمر أمير المسلمين هذه الفئات بالبناء والاستقرار في المدينة الجديدة ، وأمر رحمه الله عماله ووزرائه ببناء الديار بها فبنى كل واحد منهم دارا (٣١٤) .

وقد أطلق على هذه المدينة أيضا المدينة البيضاء (٣١٥) ، بينما ظلت فاس القديمة مركزا للتجارة والعلم ، وأتاح بناء هذه المدينة الجديدة لفاس القديمة أن تحافظ على سكانها القدامى المستقرين بها (٣١٦) .

واستكمالا لتأسيس الدولة الجديدة اتخذ أبو يوسف لنفسه الوزراء ، والحجاب والكتاب ، والقضاة . ومن أشهر وزرائه عيسى بن ماسى الفودوذى ، وفتح الله ابن عمر السدراى ، وقد تولى الحجابة في عصره مولاه الخصى عتيق ، أما الكتاب فمنهم محمد بن الفقيه الكاتب ، ومحمد بن سعد الكلبي المعروف بالكثاني . وتولى منصب القضاء في عصره عدد من الشخصيات البارزة ، منهم محمد بن عمران العمرانى ، وأبو الحسن ابن أحمد الهربى ، وأبو جعفر أحمد المزغنى (٣١٧) .

جهود أبى يوسف لاستكمال تأسيس الدولة فى الميدان الأندلسى .

نظر المرينيون إلى الميدان الأندلسى على أنهم ورثة للموحدين ، لذلك فكروا - بعد إتمام استيلائهم على المغرب الأقصى - فى استئناف سياسة الجهاد ضد نصارى أسبانيا ، كما كان يفعل أسلافهم من المرابطون والموحدين . والمرينيون بهذه السياسة يتميزون عن معاصريهم من الحفصيين وبنى عبد الواد ، فالحفصيون وبنى عبد الواد ، لم تكن لديهم هذه السياسة للعمل والجهاد فى الميدان الأندلسى (٣١٨) .

وبدا المرينيون عملهم فى الميدان الأندلسى فور عودة أبى يوسف من فتح سجلماسة ، فقد صادفت عودته وصول وفد من شيوخ الأندلس يحمل رسالة من السلطان محمد الفقيه سلطان غرناطة وتشرح هذه الرسالة تدهور أوضاع المسلمين فى بلاد الأندلس ، وتكالب العدو عليهم ، وتطلب النجدة والعون من بنى مرين (٣١٩) .

أحسن أبو يوسف استقبال الوفد وقرر تلبية نداء المسلمين والإسراع إلى فتحهم ، ورأى أبو يوسف أن يبدأ جهاده فى الميدان الأندلسى بحملة استطلاعية ، جعل ابنه أبازيان مندبل قائدا عليها ، وتكونت هذه الحملة من خمسة آلاف مقاتل (٣٢٠) . وقد هبها لها أبو يوسف كل عوامل النجاح حيث أشرف بنفسه على كافة الاستعدادات اللازمة لها فخرج من فاس فى شوال سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) قاصدا إلى طنجة ، ومن هناك أرسل إلى الفقيه أبى القاسم العزفى يأمره بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين ، وإصلاح الأجفان وإعدادها لجواز المجاهدين (٣٢١) ، ونحيز أبو يوسف جنود الحملة من أنجاد بنى مرين وفرسان العرب ، وهبأهم للقتال ، وأعطاهم رواتبهم ، ودفع إليهم رايته المنصورة ، وأوصى ولده بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية (٣٢٢) .

عبرت الحملة من قصر المجاز ونزلت بطريف من بلاد الأندلس ، وقامت بشن غاراتها على أرض النصارى حتى وصلت فى تقدمها إلى شريش ، ثم عاد أبو زيان إلى الجزيرة مقلدا بالغنائم والسبى من النصارى (٣٢٣) . وقد شجعت هذه النتائج الأولية لهذه الحملة أباه يوسف على العبور بنفسه إلى الميدان الأندلسى .

١ - العبور الأول :

قبل أن يعبر أبو يوسف إلى الأندلس بعث حفيده تاشفين بن أبى مالك إلى يغمراسن ابن زيان يطالبه بعقد الصلح حتى يعبر أبو يوسف إلى الأندلس وهو مطمئن إلى أن

بغمراسن بن زياد لن يقوم بالإغارة على حدود دولته ، فوافق على هذا العرض ، وتم الصلح بين الطرفين (٣٢٤) . وقد أثمرت هذه السياسة التي اتبناها أبو يوسف إذ أحدثت جوا من الاستقرار والهدوء في سائر بلاد المغرب ، ونقلت مجال العمل العسكري للمرينيين إلى الميدان الأندلسي . وقد سعد أبو يوسف بهذا الصلح كثيرا حتى إنه تصدق بأموال كثيرة شكرا لله على وحدة كلمة المسلمين (٣٢٥) .

وأضاف أبو يوسف إلى هذه السياسة الحكيمة ألوانا أخرى من السياسة الناجحة ، إذ عمد هذا السياسي البارع إلى توجيه طاقات القبائل العربية - التي كانت من قبل في أيام الموحدين تنتهج سياسة الإفساد في البلاد ، وقطع الطرق ، ونسف الأخضر واليابس - إلى الجهاد المقدس دفاعا عن الإسلام والمسلمين في الميدان الأندلسي . فقد حشد أبو يوسف قواته في قصر الحجاز ، وكان ضمن هذه القوات معظم هذه القبائل العربية من سفيان والخلط والعاصم وبنى جابر والآبيج وبنى حسان ورياح والشبانات (٣٢٦) . وكان أبو يوسف يجهز في كل يوم قبيلة من هذه القبائل العربية ومن بنى مرين وطوائف من المتطوعين والبربر (٣٢٧) . وعبر أبو يوسف في الحادي والعشرين من صفر سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) فنزل بساحل طريف (٣٢٨) . وكان أبو يوسف قد اشترط على السلطان محمد الفقيه (ابن الأحمر) حينما استنجد به أن يتنازل للمرينيين عن بعض الثغور والقواعد الساحلية ، لتنزل بها القوات المرينية ، فنزل له ابن الأحمر عن رنده وطريف والجزيرة الخضراء (٣٢٩) ، وكان والده الشيخ أبو عبد الله بن الأحمر قد أوصاه عند وفاته أن يستدعى أمير المسلمين أبا يوسف للجهاد ، ويعطيه ما يريد من البلاد (٣٣٠) .

اتجه أبو يوسف من طريف إلى الجزيرة الخضراء حيث عُقد هناك مجلس للحرب ضم أبا يوسف وابن الأحمر وابن أشقيلولة (٣٣١) . وعلى الرغم من أن صاحب الذخيرة السنية وابن أي زرع يذكran أن أبا يوسف نجح في إنهاء الخلاف الذي كان بين محمد الفقيه (ابن الأحمر) ، وبين ابن أشقيلولة (٣٣٢) . فإن ابن خلدون والسيلاوي يذكran أن الخلاف بينهما ظل موجودا وأن ابن الأحمر غادر الجزيرة الخضراء غاضبا إلى غرناطة ، ويبدو أن رأى ابن خلدون والسيلاوي هو الأقرب إلى الصحة لأن تصرفات ابن الأحمر واتصالاته المرينية بالنصارى - بعد الانتصارات الأولى التي أحرزها أبو يوسف - تشير إلى ذلك ، فقد عطر ابن الأحمر رأس القائد النصراني ذنونة - دون نونيو دي لارا بالمسك وأرسله إلى بلاط قشتالة وهذا يحمل في طياته عدم رضاه عن تصرفات أي يوسف (٣٣٣) . وقد أكد ابن الخطيب ذلك إذ ذكر أن الاجتماع أفضى إلى وحشة كبيرة بين السلطان يعقوب وابن الأحمر (٣٣٤) .

لم يعبأ أبو يوسف بهذه الخلافات الشخصية ، وانطلق يؤدي مهمته في تحرير الأراضي الإسلامية فنفذ بجيوشه الجسارة إلى الوادى الكبير قبل أن يشعر به العدو ، وكون مقدمة استطلاعية قوامها خمسة آلاف جندي جعل على قيادتها ولده الأمير يوسف ، وسار هو خلفه بالقوات الرئيسية ، وانتشرت الجيوش في أرض الوادى الكبير تقتل وتأسر وتنسف الزروع وتخرب الضياع ، حتى وصلت هذه القوات إلى حصن المدور وبياضة وأبلدة بالقرب من قرطبة ، واستولوا على حصن بلمة بالقوة (٣٣٥) . واستلأت أيدي بنى مرين بالغنائم ، فأمر أمير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيل والنواب والعلوج والروميات والذراى والثياب والعدد فتألف منها ما ملأ السهل والوعر ولا يحويه عدد ولا حصر (٣٣٦) .

اقترب أبو يوسف من استجه ، ووصلته الأخبار بتقدم النصارى نحوه بقيادة ذننه المعروف في الروايات الأسبانية باسم (نونيو دى لارا) . وقدرت بعض الروايات جيشه بثلاثين ألف فارس ، وستين ألف راجل (٣٣٧) : واستطاع أبو يوسف أن يهدد هذا الجيش بين قتيل وأسير وفار في يوم السبت الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) (٣٣٨) . وذكرت بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ ثمانية عشر ألف قتيل (٣٣٩) ، بينما تذكر الأخرى أن القتلى كانوا ستة آلاف من النصارى وثلاثين من المسلمين (٣٤٠) . وقتل في المعركة القائد للنصارى ذننه وقطعت رأسه وأرسلت إلى ابن الأحمر الذى عطرها بالمسك وأرسلها إلى بلاط فشتالة تقربا إليهم (٣٤١) . وقد أطلق بعض المؤرخين على هذه الموقعة (غزة دونونة) للنصر الساحق الذى أحرزه المسلمون على هذا القائد النصارى (٣٤٢) .

عاد أبو يوسف إلى الجزيرة الخضراء بعد هذه المعركة الناجحة حيث قسم الغنم بين المحاربين وجعل خمسمها لبيت المال (٣٤٣) . وبعد أيام خرج أبو يوسف بجيوشه مرة ثانية واتجه في هذه المرة إلى إشبيلية ، ونزل بظاهرها عند موضع يعرف (بالماء المفروس) (٣٤٤) . ويبدو أن جولة أبى يوسف في هذه المرة كانت للتعرف على مساح العمليات الحربية في الميدان الأندلسى ، ومن ناحية أخرى لاستعراض قوى المسلمين وإشاعة الرعب والفرع في نفوس النصارى ، فقد وقف أبو يوسف أمام أبواب إشبيلية وطوله تخفق وبنوده ترفرف ، والنصارى ينظرون إليه في رعب من فوق الأسوار ، بينما باقى قواته تدمر المناطق المحيطة بإشبيلية وتخربها (٣٤٥) ، وأحدث أبو يوسف في شرهش ما أحدثه في إشبيلية (٣٤٦) ، وعاد إلى الجزيرة الخضراء حيث أمر ببناء مدينة البنية لتكون معسكرا للقوات العابرة إلى الأندلس . ثم عبر هو إلى المغرب في رجب سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م) (٣٤٧) .

وكان قد سبقته إلى المغرب أخبار انتصاراته العظيمة ، فقد كتب أمير المسلمين أبو يوسف إلى جميع بلاد المسلمين بالأندلس والمغرب يشرح تفاصيل حروبه وانتصاراته على النصارى ، وقرئت هذه الكتب على المناير ، وأخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا الرقاب شكرا لله على النصر ، ونشرت رايات جيوش النصارى المنهزمة منكسة في أعلى منار القرويين ، ومنار جرجا مع الكتبيين بمراكش (٣٤٨) .

وأُسفر هذا العبور الأول عن تثبيت أقدام المرينيين في ثلاثة قواعد رئيسية من قواعد بلاد الأندلس ، وهى رندة ، وطريف ، والجزيرة الخضراء ، وتأسيس قاعدة أخرى جديدة وهى البنية . كما أطاح هذا العبور بأحلام نصارى أسبانيا في القضاء على ما تبقى للمسلمين من أراضي في بلاد الأندلس إذ رأوا قوة جديدة تقتحم عليهم ميادين القتال ، كانوا يظنون أنهم متفوقون فيها على المسلمين لا بحالة .

العبور الثاني :

في آخر المحرم من سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) عبر أبو يوسف يعقوب إلى بلاد الأندلس للمرة الثانية (٣٤٩) . وترى بعض الروايات أن ذلك كان في سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) (٣٥٠) . وجه أبو يوسف حملته هذه المرة مباشرة إلى إشبيلية (٣٥١) . وقد عاونه فيها أبو إسحاق بن أشقيلولة صاحب قمارش ، وأبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة ، وقد نجح أبو يوسف في إيقاع الهزيمة بجيوش إشبيلية التي كان يقودها ابن أدفونش ملك النصارى ، وقد فرت بقايا هذا الجيش لتحصن بالمدينة (٣٥٢) . ورأى أبو يوسف ألا يضيع وقتا في حصار المدينة ، فعمد إلى القضاء على كافة الحصون المحيطة بها ، وتدمير كل مظاهر العمران من حول إشبيلية ليوهن قوى النصارى . ونالت شريش من أى يوسف ضربات لا تقل شراسة عما تلقتها إشبيلية (٣٥٣) .

ورأى أبو يوسف أن الخطوة القادمة لمهاجمة قرطبة تحتاج إلى تكاثف جهود سائر القوى الإسلامية في بلاد الأندلس وبخاصة قوة غرناطة ، فراسل ابن الأحمر الذى استجاب لهذه الخطوة من جانب أى يوسف والتقى به عند قرطبة (٣٥٤) وقامت الجيوش الإسلامية بمهاجمة قرطبة ، ولم تستطع الجيوش النصرانية الصمود أمام هذا التحالف القوى فتراجعت وتحصنت بالمدينة (٣٥٥) . وقد ظهرت نتائج تحالف القوى الإسلامية في الميدان الأندلسى سرية إذ أرسل ملك النصارى القشتالى وفدا من القساوسة والرهبان يطلب من أى يوسف الصلح . ولكى يظهر أبو يوسف لابن الأحمر سلامة نواياه ، وأن أهداف عمله في الميدان الأندلسى ليست إلا العمل من أجل حماية الإسلام والمسلمين قال :

« إنما أنا ضيف والضيف لا يصلح على رب المنزل » (٣٥٦) . وترك أبو يوسف لابن الأحمر عقد هذا الصلح مع نصارى قشتالة (٣٥٧) . والأكثر من ذلك أن أبا يوسف عند عودته إلى الجزيرة الخضراء مر في طريقه بغرناطة وهناك تنازل لابن الأحمر عن جميع الغنائم التي أحرزتها جيوشه في هذه الحملة (٣٥٨) .

ولكن هذه العلاقة الطيبة بين أبي يوسف وابن الأحمر سرعان ما تبددت بعد وفاة أبي محمد بن عبد الله بن إشقيلولة صاحب مالقة ، فقد وقد ولده محمداً على أبي يوسف وهو بالجزيرة الخضراء وتنازل له عن مالقة والغريبة ، وقد غضب لذلك ابن الأحمر ، لأن مالقة في نظره عمالة من عمالات دولته (٣٥٩) . وعاد أبو يوسف إلى المغرب في سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) (٣٦٠) . والحقيقة التي أظهرتها أحداث هذا العبور الثاني أن ابن الأحمر على الرغم من جدية أبي يوسف في إظهار نواياه بالنسبة للوجود المريني في بلاد الأندلس - كان يتوجس خيفة من بني مرين ، ويشك كثيراً في مسلكهم . كما أظهرت هذه الأحداث أيضاً عمل أبي يوسف إلى بني أشقيلولة ، نظراً للمعاونة الجدية التي كان يلقاها منهم ، بينما كان ابن الأحمر يبدى تحفظاً شديداً فيما يقوم به من عون لبني مرين .

العبور الثالث :

كان لتنازل محمد بن أشقيلولة عن مالقة والغريبة لأمر المسلمين أبي يوسف ، ردود فعل عنيفة لدى محمد بن الأحمر ، إذ قرر ابن الأحمر التحالف مع القشتاليين ضد أبي يوسف (٣٦١) . وهذا يعني أن القضية التي كانت تشغل ابن الأحمر ليست هي قضية الدفاع عن الإسلام ضد الزحف النصراني لا بتلاع أملاك المسلمين في أسبانيا ، وإنما خوفه على ملكه ، ورغبته في الاستيلاء على ما في يد بني أشقيلولة من ممتلكات وهذا يعني أن بعد النظر لم يكن متوافراً لدى ساسة غرناطة . وكانت هذه فرصة عظيمة كي ينقض ملك قشتالة الصلح بينه وبين أبي يوسف (٣٦٢) .

أرسل ملك قشتالة أساطيله إلى الجزيرة الخضراء ، حيث رست هناك بالزقاق ، لتقطع الطريق أمام أية إمدادات تنتقل من المغرب إلى الأندلس ، وفي نفس الوقت هاجمت هذه الأساطيل مساح الجيوش المريني الراهض في هذه المناطق (٣٦٣) .

ولم يكتف ابن الأحمر بذلك ، بل أغرى عامل أبي يوسف على مالقة ، واتفق معه أن يتنازل لابن الأحمر عن مالقة في مقابل أن يعطيه ابن الأحمر شلوبانية والمنكب (٣٦٤) . ووصل ابن الأحمر في هذا الموقف العدائي من أبي يوسف إلى أبعد مدى . فراسل بغمراسن بن زيان وتبادل معه الهدايا ، واتفق الطرفان أن يقوم بغمراسن بمهاجمة حدود الدولة المرينية حتى يصرف أبا يوسف عن العبور إلى الأندلس (٣٦٥) . وقد حاول بعض

المؤرخين لتعليل موقف ابن الأحمر من المرينيين على هذا النحو بأنه كان يخشى أن يقف منه المرينيون نفس الموقف الذي كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف . وقد سيطرت هذه المخاوف دائما على جو العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر (٣٦٦) .

وقد عاصرت تلك الأحداث التي واجهها أبو يوسف المنصور في الأندلس فتن ومؤمرات داخلية في المغرب كثورة مسعود بن كانون ، أمير عرب سفيان ، كما كان أقليم السوس يعانى من بعض الخارجين على السلطة المرينية (٣٦٧) ، ولكن هذه الأحداث لم تصرف أبا يوسف عن سياسته في الاهتمام بالوجود المريني في الميدان الأندلسي فأمر في صفر سنة (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) ولي عهده الأمير يوسف بقيادة حملة بحرية تألفت من أكثر من سبعين سفينة . وتمكنت هذه الحملة من تحطيم الأسطول القشتالي ودخول الجزيرة الخضراء بالقوة (٣٦٨) . ويذكر ابن خلدون أن أساطيل ابن الأحمر عاونت الأساطيل المرينية ، بعد أن رأى ابن الأحمر خطورة تحالفه مع القشتاليين ضد أى يوسف (٣٦٩) .

وكان لهذه الانتصارات الجديدة للمرينيين في الأندلس صدىها في بلاد المغرب ، إذ اتجه أبو يوسف بعدها إلى يغمراسن بن زيان - حليف ابن الأحمر والقشتاليين - فقاد أبو يوسف حملة تأديبية ضده وتمكنت هذه الحملة من هزيمة يغمراسن ولاحقته وقضت على مقاومته عند موضع يعرف بالملعب قرب تلمسان (٣٧٠) .

وباستقرار الأوضاع في بلاد المغرب ، عادت شغون الميدان الأندلسي تستغرق اهتمام أى يوسف ، وتشكل عنصرا هاما وبارزا في سياسة بنى مرين ، وكانت مملكة غرناطة تلعب دورا كبيرا في شغون أسبانيا النصرانية كلما اضطربت الأوضاع الداخلية في البلاط النصراني ، ولما سطع نجم الدولة المرينية فيما وراء البحر ، لجأ المتنازعون من أعضاء البيت النصراني إلى مؤازرة غرناطة أو بنى مرين (٣٧١) . وهذا ما حدث في سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) فقد وصل إلى مراكش وفد من قبل الملك الأسباني هراندة « يطلب معاونته في استرجاع عرشه الذى استولى عليه ولده شالجة » (٣٧٢) .

عبر أبو يوسف المنصور إلى الجزيرة الخضراء في ربيع . الثاني سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وعند صخرة عباد التقى بهراندة (الفونسو العالم) (٣٧٣) . ورأى أبو يوسف في معاونته ضد ولده شالجة (سانشو) فرصة لتعميق الخلاف داخل البيت الحاكم في قشتالة وهى فرصة ثينة لإضعاف الجبهة النصرانية ، يقول ابن خلدون « فاغتنم (أبو يوسف) الفرصة في فساد بينهم لقضاء إربه من الجهاد » (٣٧٤) .

أمد أبو يوسف المنصور الفونسو العالم بمائة ألف دينار ، ليستعين بها على حرب ولده سانشو ، وفي مقابل ذلك رهن الفونسو تاجه لدى المنصور (٣٧٥) . ودخل أبو يوسف المنصور معه إلى دار الحرب ، التي شهدت معارك طاحنة حول قرطبة وطليلة وحصن مجريط ، وعاد إلى الجزيرة مثقلا بالغنائم (٣٧٦) . وخرج من الجزيرة الخضراء سنة (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) لاسترجاع مالقة والحصون القريبة من ابن الأحمر ، وكادت أن تنشب بين المنصور وابن الأحمر فتنة مستطيرة ، لولا أن خشي ابن الأحمر العاقبة ، وتوسط لدى الأمير يوسف ولد المنصور لحل هذه الأزمة ، وصفا الجو بين الطرفين نتيجة لجهود الأمير يوسف بن يعقوب (٣٧٧) .

وقام أبو يوسف المنصور بجولة حربية أخرى في دار الحرب شملت طليطة وقرطبة ووصل في بجولته هذه حتى أبدة وبياسة وجبال البرت . وغص جيشه بالسبي والغنائم ثم عاد إلى المغرب بعد أن ولى أحد أحفاده وهو عيسى بن عبد الواحد (٣٧٨) .

العبور الرابع :

عبر أبو يوسف إلى الميدان الأندلسي للمرة الرابعة في أول صفر سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٧٩) وتعتبر هذه الحملة من أقوى الحملات التي واجهها القشتاليون إذ بلغ عدد الجيوش من المتطوعين التي عبرت إلى الميدان الأندلسي خلال هذه الحملة ثلاثة جيوش عدا الجيش الرئيسي الذي عبر به أبو يوسف ، والجيش الذي أرسله محمد الفقيه ابن الأحمر لمعاونة أبي يوسف (٣٨٠) ، وقد بلغ أحد جيوش المتطوعين في هذه الحملة ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من بربر المغرب (٣٨١) . وقد سهل هذا العدد الضخم من المحاربين عملية ضرب النصارى في وقت واحد وفي كل مكان (٣٨٢) . وبالإحصاء يظهر مدى عنف الضربات التي وجهها أبو يوسف لدولة قشتالة بجلال هذه الحملة فقد بلغ عدد ما هوجم من المدن والحصون خلال فترة هذه الحملة اثنتي عشرة مدينة ، وكان الجهد الحربي الرئيسي لهذه الحملة مركزا على مدينة إشبيلية ، باعتبارها عاصمة قشتالة ، ومقر البلاط القشتالي - ومدينة شريش باعتبارها قاعدة رئيسية لهذه الدولة - وتمثل في نفس الوقت مصدر خطر مباشر على المسلمين في بلاد الأندلس ، وقد ظلت شريش محاصرة طيلة فترة وجود أبي يوسف في هذا العبور الرابع (٣٨٣) . أما إشبيلية فقد حاجتها جيوش أبي يوسف خلال هذه المدة القصيرة أربع مرات ، حتى أصاب أهلها الفزع والهلع ، ووضع أبو يوسف بعد ذلك فرقة مكونة من مائتين من الجنود لمراقبة المدينة والتجسس عليها والتقاط أخبارها (٣٨٤) .

كما اشترك الأسطول المريني في هذه الحملة ، وكانت مهمته منع سفن الأسطول القشتالي من الاقتراب من ممر العبور بين المغرب والأندلس واستطاعت سفن الأسطول المريني التي كانت تتكون من ست وثلاثين سفينة من القيام بمهمتها على خير وجه (٣٨٥) .

وقد حال دون استمرار الحملات المغربية في بلاد الأندلس حلول فصل الشتاء ، وكان أبو يوسف المنصور يفضل ألا يخوض بجنوده الحرب في طقس غير مأمون العواقب ، ومن ناحية أخرى فإن الميرة والأقوات تشح في ذلك الوقت . لذلك اضطر أبو يوسف المنصور إلى فك الحصار عن شريش وعاد بجيوشه إلى الجزيرة الخضراء (٣٨٦) .

ويعصور ابن خلدون ما ألحقته هذه الحملة بالعدو من أضرار بالغة بقوله : « فلا يخلو يوما عن تجهيز عسكر أو إغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط إشبيلية وليلة وقرمونة وأستجة وجبال الشرق وجميع بسائط الفرنجة » (٣٨٧) .

ورأى سانشو أنه لا قبل له بحرب أبي يوسف المنصور فأرسل وفدا من القساوسة والرهبان وزعماء النصارى لطلب الصلح (٣٨٨) . وقد تردد هذا الوفد على الجزيرة الخضراء - مقر أبي يوسف - مرتين ، وأخيرا تم عقد الصلح على أساس شروط وضعها أبو يوسف وقبلها سانشو ملك قشتالة (٣٨٩) . وجاءت بنود هذا الصلح دليلا على السيادة الكاملة للمرنيين على الملوك في الميدان الأندلسي . وقد أجمل ابن أبي زرع بنود هذا الصلح فيما جاء على لسان الشيخ عبد الحق الترجمان - الذي أوفده أبو يوسف إلى سانشو حاملا شروط الصلح - حيث قال لسانشو : « يقول لك أمير المسلمين لا أسألك ولا أترك حربك وغزو بلادك إلا على شروط منها أن لا تتعرض بعد هذا لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجن من أجفانهم ولا تصلهم بإذية في بر ولا بحر ، كان ذاك من أهل طاعنه أو غيرهم ، وتكون أنت لى بمنزلة الخديم فيما أمرك به وأنهاك عنه ، وأن يكون المسلمون يسيرون في بلادك لتجارهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لا يتعرض لهم بشر ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولا تدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولا تعقد مع أحد منهم محاربة » (٣٩٠) . وقد حضر سانشو بنفسه لمقابلة أمير المسلمين أبي يوسف ، فاجتمع به في حصن عين الصخرة على مقربة من (وادي لك) وتم الصلح بينهما في العشرين من شعبان سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٩١) .

واستكمالا لمظهر السيادة المرينية على ما بأيدي المرنيين من أراضي أندلسية أرسل أبو يوسف المنصور ولده الأمير أبا زيان بجيش ليوقف به على الحدود : « بين بلاده وبلاد ابن

الأحمر وأمره أن لا يحدث في بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها بأذية ولا مضرة» (٣٩٣) .

وما لبث أبو يوسف قليلا حتى مرض ووافته منيته وهو بقصره من مدينة البنية بالقرب من الجزيرة الخضراء في العشرين من محرم سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٣٩٣) . ونقل جثمانه إلى رباط الفتح حيث دفن بمسجد شبالة (٣٩٤) .

ويعتبر أبو يوسف المنصور من أعظم ملوك المغرب فقد كان بشغفه وحرصه على الجهاد ، ووفرة جيوشه واستعداداته ، يعيد إلى الأذهان ذكرى أسلافه العظام من أشبال يوسف بن تاشفين ، وعبد المؤمن بن علي ، ويعقوب المنصور (٣٩٥) . وقد استطاع أبو يوسف من خلال هذه الجولات الأربع أن يوسع رقعة دار الحرب في الميدان الأندلسي ، فوصل إلى أحواز طليطلة وقرطبة ، بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك إلى مجريط وهي قرية من آخر حيز وصل إليه الإسلام في بلاد الأندلس كما قال عنها الحميري في صفة جزيرة الأندلس (٣٩٦) .

ومن التقاليد الحربية التي أرسى أبو يوسف المنصور قواعدها في بلاد الأندلس ، ما عرف في الخطط الغرناطية باسم « مشيخة الغزاة » وهي أثر عظيم من آثار التضامن بين ابن الأحمر والمنصور ، حيث أفسح ابن الأحمر لقراءة السلطان من بني مرين للتوجه إلى الأندلس ، رئاسة مشيخة الغزاة . ويحتل هذا المنصب على وجه الخصوص وتيس من بني العلاء المرينيين ويسمى « شيخ الغزاة » . وقد تولى بنو العلاء هؤلاء قيادة الجيوش الأندلسية دهرًا طويلا ، وكانت لهم جهود عظيمة في الميدان الأندلسي (٣٩٧) .

هوامش الفصل الأول

(١) ضبط ابن مرزوق الاسم (مَرين) : بفتح الميم وكسر الراء ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أوى الحسن ، مخطوط مصور بالميكروفيلم ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٨٥ تاريخ ، ورقة ١٦) .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ط. الأميرة ١٩١٥ م ، ج ٥ ص ١٩٤ (لم يكد المؤرخون يتفقون على تسلسل واحد لأجداد المرينيين ولعل مرجع هذا الاختلاف إلى أن البعض كان يذكر الاسم الحقيقي للجد وبعضهم كان يذكر لقبه الذي كان يلقب به بين البربر وقد اشتهر هذا الأمر خاصة بين زناتة في البربر ، فعسكر وهو أحد أجداد بنى مرين كان له ثلاثة من الولد هم لكوم ، وأبو بكر وهذا الأخير لقب بين قومه من بنى مرين بالخفض ، أما الثالث وهو على فقد لقب هو الآخر بالأعزر . انظر في شأن هذا الاختلاف ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٤ ، مجهول : اللخيرة السنية ، ت : محمد بن أوى شنب ، الجزائر ١٣٣٩ هـ ، ص ٩ ، ص ١٠ . ابن أوى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، طبع حجر بفاس ١٣٠٣ هـ ص ١٩٩) .

(٣) مجهول : اللخيرة السنية ، ص : ٩ ، ١٠ .

(٤) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ت : ي : س علوش ، ط رباط القنح ١٩٣٦ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، والنظر في هذا الشأن ما ذكره مؤرخون آخرون ، ابن أوى زرع الأنيس المطرب ، ط حجر ١٣٠٣ هـ ، ص : ١٩٩ ، ابن أوى دينار المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد همام ، ط ٣ المكتبة العتيقة بتونس ، ص : ١٤٥ .

(٥) ابن أوى زرع ، الأنيس المطرب ، طبع حجر ١٣٠٣ هـ ، ص : ١٩٩ . (ذكر ابن حزم في جهرته أن زنات جد المرينيين ينحدر أصله من ولد كنعان بن حام بن نوح النبي ﷺ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ت : عهد السلام هارون ، ط ٣ دار المعارف ، ص : ٤٩٥) .

(٦) ابن أوى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص : ١٩٩ .

(٧) ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ٦٣٧ تاريخ) ، ورقة ح ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، (على ابن إبراهيم ابن إسماعيل هكلنا في الأصل) .

(٨) ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ح .

(٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

(١٠) مجهول : اللخيرة السنية ، ص ٢٣ (القيروان : وهي في بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر اسفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرق بينها وبينه مسيرة يوم ، البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ط مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٢٤) .

(١١) ابن أوى دينار : المؤنس ، ص ١٤٦ ، (بلاد الزاب : وهي على طرف الصحراء بمحذاء بلاد

الجريد ، وهى تماثل بلاد الجريد فى هوائها الحار ، وكثرة النخيل ، وبلاد الزاب مدن كثيرة وأقطار واسعة ، وعمائر متصلة متوفرة المياه والأنهار والعيون (مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد - الإسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ١٧١) .

(١٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب : ط حجر ، ص ٢٠٢ ، (مع خلاف فى اللفظ) .

(١٣) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ١٢٨٤ هـ ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، سجلنامه : بنيت هذه المدينة سنة (١٤٠ هـ) وهى مدينة سهلية أرضها سهجة وحولها أرباض كثيرة ، وهى فى أول الصحراء ولا فى غربها ولا فى جنوبها عمران ، (البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٣٨ .

· ملوية : وادى ملوية يقع بين تلمسان ورباط تازا ويصب فى البحر المتوسط (المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد الريان ومحمد العرنى العلمى ، ط أول ١٩٤٩ ، ص ٣٦٤) .
(١٤) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٤ .

(١٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، (بلاد الجريد : سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها ، وهى مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة ، وهى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء ، (مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ١٥٠) ، تافرت : بفتح الهاء ، وسكون الراء ، وتاء فوقها نقطتان : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة ، والأخرى تاهرت المحدث ، بين تلمسان وقلعة بنى حماد (البغدادى : مراصد الأطلاع ، ت : على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ط أول ١٩٥٤ م ج ١ ، ص ٢٥١) ، تلمسان : وكانت تلمسان دار مملكة زناتة ، وحولها قبائل كثيرة من زناتة ، وتكتب بكسرتين وسكون الميم وسين مهمل ، (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة الخاتمي ، ج ٢ ص : ٤٠٨) .

(١٦) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٥ .
(١٧) ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائرى ، ط الجزائر ١٩٦٩ ، ص ١٩٦ ، اللردبيل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ترجمة : عبد الرحمن بدوى ط بنغازى ١٩٦٩ ، ص ٣٠٨ .

(١٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦ ، ١٧ ، ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ٣٥٧ / ٤ تاريخ) ورقة ١٦ ، (يذكر ابن الأحمر أن مقر حكمه فى بلاد الزاب كان فى جبل يقال له إيكجان ، ابن الأحمر : روضة السرين مخطوط ورقة ٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ط ١٩٦٦ هـ العصر الإسلامى ، ص ٨٦٨) .

(١٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦ ، ١٧ .
(٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحات (لم يرد فى المصدر الذى تحدث عن هذه اللعبة أو غيره من المصادر التى تمكنت من الاطلاع عليها تفاصيل عن هذه اللعبة) .

(٢١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧ ، ١٨ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ .
(٢٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ .

- (٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، ابن الأجر : روضة السرين ، مخطوط ورقة ٤ .
- (٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .
- (٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط أولى ١٩٦٤ م ، ص ٣٣٥ .
- (٢٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بير فونطانا الشرقية ، الجزائر ١٩٠٤ ، ج ١ ، ص ١٠١ ، (تينال : ذكرها ياقوت) (تين ملل) ، الميم مفتوحة واللام الأولى مشددة ، جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابرة ، بينها وبين مراكش نحو ثلاثة فراسخ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .
- (٢٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .
- (٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٨ ، ١٩ ، (فحص حسون : ذكر ياقوت أن كلمة الفحص تطلق على كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا ، بشرط أن يزرع . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٩) .
- (٣٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .
- (٣١) ابن الأجر : النبعة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ١٩ . مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ١٩ (يذكر ابن مرزوق أن أبا بكر هذا هو عم الخنضب وهذا غير صحيح لأن حملة والد أبي بكر هو عم الخنضب ، كما أن ابن خلدون يرى أنه بعد مقتل الخنضب قام بأمر بني مرين ابن عمه حملة وهذا غير صحيح أيضا لأن حملة هو عم الخنضب وقد تولى حملة هذا أمر بني مرين قبل أخيه عسكر وعسكر هذا هو والد الخنضب ، انظر ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨) .
- (٣٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، الزركلي : الأعلام ، ط ٢ ، مطبعة كوستا توماس القاهرة ، ج ٨ ، ص ٦٧ .
- (٣٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٣٣٦ .
- Julien, Hist, de L'Afrique du Nord (DE LACONQUETE ARABE A 1830) P. 163 .
- (٣٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ .
- (٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٨ ، ص ٦٧ ، (يذكر صاحب الذخيرة السنية سنة ٥٩٢ هـ بدلا من سنة ٥٩١ هـ التي ذكرها ابن خلدون) .
- (٣٦) السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ط مصر ١٣١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابن الأجر : روضة السرين مخطوط ، ورقة ٥ .
- (٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ابن أبي زرع : الأليس المطرب ط حجر ، ص ٢٠٢ ، الفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص : ٣٠٨ . (أجزسيف : قرية عامرة على نهر ملوية بالقرب من مليلة ، البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٢) .
- (٣٨) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ابن أبي زرع : الأليس المطرب ،

ط حجر ، ص ٢٠٢ ، عن موقعة العقاب انظر : Manual de historia de Espana, vol, I, P. : 643-645 نقلاً عن التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمن الحجي ، ص ٤٩٠ .

(٣٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٢ .

(٤٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ت : اوثيني ميراندا ، إبراهيم الكتاني ، محمد بن تاويت ، الجزء الرابع ، ط ١٩٥٦ ، تطوان ص ٢٤٧ .

(٤١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص ٢٠٢ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٤٢) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٣٤ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٩٣ ، يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطون والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ج ٢ ، ط ١٩٤١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، فؤاد دهاب : المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر ، كتب سياسية ، رقم ١٤١ ، ص ٣٠ .

(٤٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص ٢٠٢ (مع خلاف في اللفظ وذكرت بعض المراجع أن قتل المسلمين بلغوا مائتي ألف قتيل ، عنان : عصر المرابطون والموحدين ، القسم الثاني ، ص ٣١٤ ، ٣١٥) .

(٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، (خالف روجيه لوتورنو ما أجمع عليه معظم المؤرخين فذكر أن دخول بني مرين إلى المغرب الأقصى كان في سنة ٦١٢ هـ ، وقد نظم شاعر مريني وهو محمد بن عبد العزيز الملوزي شعرا يؤرخ به لدخول المرينيين إلى بلاد المغرب الأقصى يقول فيه :

في عام عشرة وستائة أتوا إلى الغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجايب

روجيه لوتورنو . فاس في عصر بني مرين ، ترجمة : د. نقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين - بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٥ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٥) .

(٤٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤٦) ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، ت : أحمد رفعت البدرأوى ، ط أولى ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٠ م ، ج ٢ ، ص ٣١٧

GAUTIER, E.F., LE PASSE DE L'AFRIQUE DU NORD, P. 408 .

(٤٧) د. أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ج ١ ، دار المعارف ١٩٦٩ ، ص ٨٩ .

(٤٨) محمد الفاسي : التعريف بالمغرب ، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ١٩٦١ ، ص ٤٦ .

(٤٩) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية ، مجلة البنية ، العدد الثامن ، السنة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، ص ١٨ .

(٥٠) محمد الفاسي : التعريف بالمغرب ، ص ٤٦ .

(٥١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(٥٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٢ ، ٣٣ ، محمد بن

عبد السلام بن عبودة ، تاريخ المغرب ، ج ١ ، ط ثانية ١٩٥٧ ، دار الطباعة المغربية - تطوان ، ص ١٧٦ .

- (٥٣) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ .
- (٥٤) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ السلاوى : الاستقصا ، ج ٥ ، ص ٢٤
(ويذكر المؤرخون أنه كانت للأمير عبد الحق المرينى ٥ بركات معروفة ودعاء مجاب وكانت قلنسوته وسرويله يتبرك بها فى جميع أحياء زناتة تحمل إلى الحوامل التى صعب عليهن الوضع فيسهل عليهن الوضع وتكون عليهن الولادة ببركة بقية ماء وضوئه يحمله الناس تيركا ... ويستشفون لمرضهم ، وكان رضى الله عنه على ستة أهل الفضل والدين يسرد الصوم فلا يزال صائما فى شدة الحر قائما فى ليالى البرد ... كثير الذكر والتسبيح لا يكاد يفتر عن الذكر على أية حالة ولا يأكل إلا الحلال المحض من طيب كسبه ولحوم إبله وغنمه وألبانها أو مما يطايبه يبله من الصيد فكان فى قبائل مرين علما مشهورا وأميرا مطاعا) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجز ، ص ٢٠٤ مع اختلاف فى اللفظ .
- (٥٥) أبو مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ .
- (٥٦) نفس المصدر السابق ، ونفس الورقة .
- (٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، وانظر أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ج ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٥ .
- (٥٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٦ .
- (٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣ . مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٦ .
- (٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٧ ، (بلاد بطوية : وهذه البلاد من بلاد الريف القريبة من ساحل البحر المتوسط) السلاوى : الاستقصا ، ط الدار البيضاء ، ج ٤ ، ص ٦٤ .
- حصن تاروطا : ذكره السلاوى (حصن تاروطا) ، ويقع هذا الحصن فى بلاد الريف من المغرب الأقصى (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣ ، ٦) .
- وادى نكور : ويقع هذا الوادى بين رباط تازا والمقرمبة ، (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦) .
- (٦١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩
- (١٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٦٨ .
- (٦٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٦٩ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ، مجلة البنية ، العدد الثامن ، السنة الأولى ١٣٨٢ / ١٩٦٢ م ، ص ١٨ ، (ويذكر صاحب الذخيرة السنية أن الأمير عبد الحق المرينى طلب من عامل رباط تازى أن يقيم له الأسواق بخارج المدينة ليتجهز منها بنو مرين مما يحتاجون إليه من الثياب والجهاز والسلاح وغير ذلك ويرتحلون لرفض عامل الرباط ذلك واغتباط واستشاط وجمع من كان عنده من الموحدين والعرب والتقى بهم بالأمير عبد الحق فهزم عامل الرباط ، وأمر الأمير عبد الحق بتوزيع ما أحرزه الجنود من غنائم عليهم وتعفف هو وبنوه عن أخذ شيء منها ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣١ ، ٣٢) .
- (٦٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٢ ، محمد الفاسى : مجلة البنية ، نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ص ١٨ .

(٦٥) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩ .

(٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩ ، ٢٠ .

(٦٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٦ .

(٦٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ (هاذا) هكلنا في الأصل .
(٧٠) الفردبيل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣٢٥ ، مراجع عقيلة الغناى : سقوط دولة الموحدين الطبعة الأولى ١٩٧٥ م ، منشورات جامعة بنغازى ، ص ٢٦٨ ، (وجه الموحدين مهنة الكفر إلى كل من بقى على طاعة المرابطين انطلاقا من أن المرابطين لا يؤولون الآيات القرآنية التى تتصل بلمات الله تعالى ، ويقفون عند ظاهر الآيات ، وأمام قوة الموحدين اضطر المغاربة إلى الخضوع لهم والدخول في طاعتهم ، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يحقنون على الموحدين لفرضهم هذه الأفكار الدينية عليهم وأخذ هذا الحق قد ينمو في نفوس المغاربة ، حتى إذا ما بدأت بوادر الضعف في الظهور على الموحدين ، أظهرت الرعاية ما بنفسها من أحقاد وساهمت في حركة إسقاطهم والقضاء عليهم . د. عبد الله على علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ١٩٦٨ ، ص ٦٢ ، محمد ولد دادة : مفهوم الملك في المغرب ، ط أولى ١٩٧٧ ، دار الكتاب المصرى ص ١٣٧ ، ١٣٨) .

(٧١) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مع خلاف في اللفظ .

(٧٢) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٥ ، ابن أبي زرع : الأليس المطرب ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٨ ، مع خلاف في اللفظ .

(٧٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الدخيرة السنية ص ٣٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٧٤) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٥ ، وانظر السلاوى : الاستقصا ج ٢ ، ص ٥ ، مع اختلاف في اللفظ .

(٧٥) ابن أبي زرع : الأليس المطرب ، ص ٢٨٨ ، ط الرباط ١٩٧٣ ، مجهول : الدخيرة السنية ص ٣٥ .

(٧٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٧٧) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مجهول : الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٧٨) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٦ .

(٧٩) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، مجهول : الدخيرة السنية ص ٣٦ ، د. السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير ص ٨٦٩ .

(٨٠) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ،

مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(٨١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ ، (مكلاتة : وهؤلاء كانوا يسكنون موضعاً يعرف بالمزى بينه وبين فاس ثلاث مراحل ، البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٣٧) .
(٨٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٧ .

(٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب ، مكتبة القرجاني طرابلس الغرب ، ص ١٤٤ .

(٨٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .
(٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩٥ ، (وترى بعض المصادر الأخرى أن اغتيال الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق كان في سنة ٦٢٨ هـ) ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المروية ، مخطوط ورقة ٢١ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص ١٤٥ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٧ ، وابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٣٧ ص ٢٨٩ ، وانفرد ابن مرزوق بالقول بأنه قتل في سنة ٦٣٦ هـ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠) .

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١١ .
(٨٧) المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

(٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٨٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٢ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٩ وقد نظم أحد شعراء المرينيين أرجوزة تحدث فيها عن الأمير محمد بن عبد الحق قال فيها :

ثم تولى بعده (أبو سعيد محمد)
وكان لا يفتر عن قتال
وكان في أموره مُستَدَّ
مواظباً للحرب والنزال
كم عسكر لاقى وكم حشود
ومن جموع جمّة الجنود
وكل جيش جاء من مراكش
أفضله بالحروب والتلوش
نهاره وليله طمسان
لكنه مؤيد معان

المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٣ .

(٩٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٧١ .

(٩١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٣ .
(٩٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (وأجناد الروم هؤلاء هم بقايا الأسرى الذين عاشوا في المغرب الأقصى وقد أسروا في المعارك التي خاضها المرابطون والموحسون في الأندلس ، وقد استخدمهم ولاية الأمر في المغرب الأقصى للخدمة وبصفة خاصة في الجيش للاستفادة من خبرتهم العسكرية . دـ حسن علي

حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦٤ .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٩٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة (قصر عبد الكريم : مدينة على ساحل بحر المغرب قرب سبتة مقابل الجزيرة الخضراء من الأندلس ، البغدادى : مرصد الأطلال ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩) .

(٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٩٨) المصدر السابق ، ص ٦٤ (كُرث : بالضم ثم السكون و ثاء مثلثة ، مدينة في أقصى المغرب قرب بلد السودان وربما قيلت بالثاء المثناة ، البغدادى : مرصد الأطلال ، ج ٣ ص ١١٥٤) .

(٩٩) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

Abdallah Laroui, L'histoire du maghreb, P. 204 .

(١٠٠) ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

(١٠١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ .

(١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٠٣) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٠ .

(١٠٤) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ ، (والفز : جنس من الترك مواطنهم في أقصى المشرق على تخوم الصين ، استعان بهم المرابطون في جيوشهم ، وزاد عددهم كثيرا في عهد المنصور الموحدى ، وقد طعم الموحدون جيوشهم بهذه الدماء الجديدة للاستفادة من دربتهم وخبرائهم العسكرية ، المراكشى : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٨٨ ، د. حسن علي حسن : الجيش المغربي في دولة الموحدين ، حويات دار العلوم ، العدد الخامس ١٩٧٥ ، ص ٥٣ ، ٥٤) .

(١٠٥) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٦ .

(١٠٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ، ابن الأحمر : النسخة النصرية واللمحة المربنية مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٠ .

(١٠٧) ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ .

(١٠٨) ابن الأحمر : النسخة النصرية واللمحة المربنية ، مخطوط ورقة ٢٠ ، ٢٣ ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ، طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٩ هـ ، ص ١٠١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩١ ، (وما قيل من الشعر في أبي بكر بن عبد الحق :

وفاء والصدق والكرامة	فاق ملوك الأرض في الزعامة
ويكرم العلماء الزهاد	يستوهب الدعا من العباد
مبتلا للواحد العلام	ويسرد الصوم على الدوام

- مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨) .
- (١٠٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، د. إحسان عباس : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع الهجري ، ج ١ ، ط أول ١٩٦٧ م ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي ، ص ١٩٤ ، د. أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ٥٤ .
- (١١٠) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، المطبعة الوهية ١٢٨٥ هـ ، ص ١٩٠ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٥ ، ٨٧٦ .
- (١١١) ابن عذارى : البيان-المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .
- (١١٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٥ - ٤٢٨ .
- (١١٣) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ط رابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ ، ص ١٠٠ .
- (١١٤) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الخفصية ، ت : محمد الشاذلي ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ، ص ١١٩ (رباط بازي) ذكرت هكلا في النص وهي رباط تازي) .
- (١١٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠١ .
- (١١٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩١ .
- (١١٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ج ١٠ ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٧٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٦٨ ، السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ٦ ، (مَكْتَنَسَةٌ : بكسر أوله وسكون ثنية ونون وبعد الألف سين مهملة ، مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الأعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ١٣٣) .
- (١١٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
- (١١٩) المصدر السابق ، ص ٦٩ .
- (١٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، (يذكر ابن خلدون أن تراجع بغمر سن بن زيان وبني عسكر كان لإحتسابهما بالعجز عن لقاء أبي يحيى ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١) .
- (١٢١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠١ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ .
- (١٢٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثاني ، ص ٥٢٤ ، (ونص هذه البيعة أورده ابن عذارى ص : ٤٤٦ - ٤٥١) .
- (١٢٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧١ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦ .
- (١٢٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ .
- (١٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٢ (شيئا فشيئا هكلا في الأصل) .
- (١٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٤ .
- (١٢٧) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ،

ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٧٢ . (يذكر ابن أوى زرع أن الأمير أبا يحيى استقر في قلعة تازوطة من بلاد الريف ، ابن أوى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٢) .

(١٢٨) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(١٢٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٥ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١١٣ ، (ويذكر ابن عشاري أن هذه الحصنة من الجند كانت من بني عسكر ، انظر ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧) .

(١٣٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ابن أوى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٢ (مع خلاف في اللفظ) .

(١٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ص ١٣ ابن عشاري : البيان المغرب ، ٤/٤٦٥ .

(١٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، التنس : نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، مخطوط ، دار الكتب رقم (٨٦٦١ ج) ص ٤٥ ، عنان : عصر المرابطون والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(١٣٣) ابن أوى دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٨ ، ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ ، المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٦ ، المقرئ : نفع الطيب ، د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ، (يذكر يحيى بن خلدون : أن الذي قتل السعيد الموحدى هو يوسف بن خروون المدلولي ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١١٤ ، التنس : نظم الدرر ، مخطوط ص ٤٥) .

(١٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ت : محمد ماضور ، ط ٢ ، المكتبة العتيقة بتونس ، ص ٣١ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧ ، ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٣ ، (سبق التعريف بهذه العناصر من الروم الفرنج والأعزاز ، انظر هامش ٩٢ ، ١٠٤ من هذا الفصل) .

(١٣٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٠ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، عنان : عصر المرابطون والموحدين ، القسم الثاني ، ص ٥٣١ .

(١٣٧) ابن عشاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .

(١٣٨) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٣٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(١٤٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٤١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، السلاوي : الاستقصا ، ص ٧ ج ٢ ، ص ٢ ، (وادى أم الربيع : نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس ويصب في المحيط الأطلسي عند أزموور ، ابن أوى زرع : الأنيس

- المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، هامش ص ٣٠٢ .
- (١٤٢) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، (يرى ابن عذارى أن دخول المدينة كان في الثامن عشر لربيع الآخر سنة ٦٤٦ هـ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .
- (١٤٣) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، ص ٥٣٢ .
- (١٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ .
- (١٤٥) المصدر السابق ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٤ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ٢١ ، (يذكر ابن عذارى أن اسم عامل أبي يحيى هو (المسعود بن خريش الحشمي) ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .
- (١٤٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، (كان زنار هذا قائد المائتين من جند الروم عند فتح فاس وقد أبغاهم أبو يحيى على حالهم عند استيلائه على فاس ولكنهم كانوا يضمنون في نفوسهم الولاء للموحدين ، المصدر السابق نفس الصفحات) .
- (١٤٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٧٥ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٤٠ .
- (١٤٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٢ .
- (١٤٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .
- (١٥٠) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
- (١٥١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٢ ، ٨٣ .
- (١٥٢) المصدر السابق ، ص ٨٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ .
- (١٥٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ .
- (١٥٤) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٣ ، عبد الرحمن الجليلاني (تاريخ الجزائر العام ، ط ثانية ١٩٦٥ ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ص ٧٧) .
- (١٥٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة (يذكر السلاوي أن عودة أبي يحيى إلى فاس لإحكام الحصار حولها كانت في جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ هـ وهذا التاريخ هو تاريخ دخوله قصبة فاس بعد القضاء على الثورة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨ .
- (١٥٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن . مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ .
- (١٥٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ .

- (١٥٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، (بلغت التعويضات التي طلبها أبو يحيى من أهل فاس ثلاثمائة ألف دينار عشرية ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٤) .
- (١٥٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٢٩٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٤ (مع خلاف في اللفظ) .
- (١٦٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ ، (وهؤلاء الستة الذين أعدموا هم : القاضي أبو عبد الرحمن المغيل وولده والمشراف ابن جشار وولده وابن أبي طاهر وأخوه ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥) .
- (١٦١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ .
- (١٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ .
- (١٦٣) المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ص ٥٤٠ ، ٥٤١ ، (سلا : اسمها بالمعجم شلة وهي مدينة قديمة أزلية تقع على ضفة وادي الرمان الذي يصب في المحيط وهي تجاور رباط الفتح بينها وبين مراكش تسع مراحل ، مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد ص ١٤٠ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد العريان ، ط أولى مطبعة الاستقامة ص ٣٥٩ ، رباط الفتح : بناها المصامدة على ساحل البحر المحيط وبينها وبين سلا وادي الرمان ، المصدر السابق . نفس الصفحة) .
- (١٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٧ .
- (١٦٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٧ .
- (١٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩١ ، (يذكر ابن عذارى اسم الواقعة : أمن ملولفين ، انظر ص ٤٨٩) .
- (١٦٧) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٤١ .
- (١٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ .
- (١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٦ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩ .
- (١٧٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ١٧٦/٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوطة ، ورقة ٢١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ .
- (١٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٣ ، ص ١٧٦ .
- (١٧٢) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٩ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ .
- (١٧٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٩ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، ص ٥٤٤ .

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٥٤٥ .

(١٧٥) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥٧ ، (سيجلماسة : مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء لا يعرف من قبلها ولا غربها عمران يتناولين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال و جهال غير عامرة قليلة الماء) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وقارن البكري . المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٣٨ .

ذُرْعَة : « وإنما تعرف درعة بواديا فإنه نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب ومتبعه من جبل درن وعليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام وفيها أسواقا حافلة كثيرة » ، مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١٨٧ .

(١٧٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ١٧٦ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٩ .
(١٧٧) ابن علقري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ت : د . أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، النار البيضاء ١٩٦٤ ، القسم الثالث ، ص ١٥١ .
(١٧٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٦ .

(١٧٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٩ (يذكر مؤلف الذخيرة أن اسمه يوسف بن برجاسن) .

(١٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .
(١٨١) المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ .
(١٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٤ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ٢٢ (ويذكر ابن مرزوق أنهما التقيا بباستا حسنوت) .

(١٨٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٢ .

(١٨٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(١٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ابن الأحمر : النجدة السرينية واللحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٩٦ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ .
(١٨٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، (ويروى ابن الوردي تاريخا سابقا لهذا التاريخ بكثير فيقول أن أبا يحيى تولى سنة ٥٦٥٣ هـ ، ابن الوردي : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٧) .

(١٨٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ ،

(ويحدد صاحب الذخيرة هؤلاء العامة بأنهم الحشم والأجناد وجماعة من بنى مرين ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٦) .

(١٨٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٢ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .
(١٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .
(١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .
(١٩٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٦ .
(١٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن الأحمر : روضة السنين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن الأحمر : النبعة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ .
(١٩٤) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٤٧ ، ٥٥٢ .

Abdallah Laroui, opcit, P. 204.

(١٩٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .
(١٩٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمي) ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ .
(١٩٧) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .
(١٩٨) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، انظر ص ٢٤٠ .
(١٩٩) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ .
(٢٠٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣ (وترى بعض الروايات أن مولده كان في سنة ٦٠٩ هـ ، ابن الأحمر : روضة السنين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، النبعة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤) .

(٢٠١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .
(٢٠٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣ ، ابن الأحمر : روضة السنين ، مخطوط ، ورقة ٧ .
(٢٠٣) المصدر السابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٨ ، يذكر مؤلف الذخيرة السنية ، أن والدته يعقوب بن عبد الحق هي أم اليمن بنت مَخْلِي البطونى الزناتي كانت من عقلاء النساء رأت في منامها وهي بكر كأن القمر خرج من قبلها فعلى وصعد حتى استوى في السماء وأشرق نوره على الأرض فقصت رؤياها على والدها فصار إلى الشيخ الصالح أي عثمان الوريكلي فقص عليه رؤياها فقال له : إن صدقت رؤيا هذه الجارية فإنها تلد ملكا عظيما مباركا فاضلا يعم المسلمين خيره وتشملهم بركته فكان كذلك ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣) .

(٢٠٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٤ .
(٢٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
(٢٠٦) المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٧ .
(٢٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، (ويذكر صاحب الذخيرة جلدانان ، بدلا من « كلدانان » التي ذكرها ابن خلدون ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٩٧) .
(٢٠٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٨ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٢٠٩) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٢ (يقول مؤلف الذخيرة : « سار يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق عن عمه أمير المسلمين منافرا إلى بلاد تامسنا » ويقول ابن خلدون : « ولما بويج يعقوب بن عبد الحق أسفته بعض الأحوال فذهب مغاضبا حتى نزل عبولة » المصدرين السابقين ، نفس الصفحات) .

(٢١١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٢ .

(٢١٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، (ويذكر عنان أن يعقوب بن عبد الله كتب إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة يرجوه أن يعث إليه بمائتين من المرتزقة النصارى لمعاونته على مقاتلة أعدائه ، فأرسل الفونسو حملة بحرية صغيرة ، استقرت في مياه سلا ، واعتقد أهل المدينة أنهم قدموا للتجارة معهم ، بينما اعتقد يعقوب أنهم الجند الذين طلب إلى ملك قشتالة إرسالهم لمساعدته وجمع القشتاليون سفنهم تدريجيا في مياه سلا ، ثم فاجأوا أهلها بالهجوم واستولوا على المدينة ، عنان : عصر المرابطين وللوحدين ، القسم الثاني ، ص ٥٤٨ ، ٥٤٩) .

(٢١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، المخطوط ، ورقة

٢٣ .

(٢١٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ (الذي أورد الخبر باختصار شديد) ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢١٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٧٠ .

(٢١٦) السلاوي : الاستقصاء ج ٢ ، ص ١١ .

(٢١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .

(٢١٨) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٢١٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .

(٢٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص

١١ .

(٢٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ . (كان أبناء إدريس يرون أنهم أحق بأمر بني مرين من عمهم يعقوب . لأن أباهم إدريس هو أكبر أبناء عبد الحق ، السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢) .

(٢٢٢) المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٣ ، شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ط أولى ١٣٥٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ (ويذكر صاحب الذخيرة أن هذه القوات عبرت سنة ٦٦٢ هـ إلى الأندلس ، وتمثل هذه القوات أول نشاط حرى للمرينيين في الميدان الأندلسي ، وقد فكر المرينيون في إرسالها على إثر قصيدة لمالك بن المرحل شاعر الأندلس يستنهض فيها أهل المغرب لإيقاظ مسلمي الأندلس من نصارى أسبانيا ، وكان هذا الشاعر الأندلسي يشغل منصب الكتابة للأمير مالك بن يعقوب بن عبد الحق ويقول في مطلع هذه القصيدة التي تبلغ واحدا وخمسين بيتا :

فإنكم إن تسلموه يسلم
وأمرجوا النصره وأجموا

استنصر الدين بكم فاستقدموا
لا تسلموا الإسلام يا إخواننا

مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

- (٢٢٣) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٥٢ .
(٢٢٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ، مجهول : الذخيرة
السنية ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٤٦٠ .
(٢٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٥ .
(٢٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ،
السلوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .
(٢٢٧) ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ ، عنان : عصر
المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٥٣ .
(٢٢٨) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، د. مراجع عقيلة الغنای : سقوط دولة الموحدين ، ص
٢٧٤ .

- (٢٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص
١٠٧ ، السلوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ (ويذكر اسم الجبل جبل « جليل ») .
(٢٣٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٧ ، (وقد أرخ أحد الشعراء المربطين واسمه عبد العزيز
لهذه الأحداث بقوله :

سار لمراكش سلطاني مرين
ميرزا في أحسن التبريز
ذا أرّف في قصره مقصورا
واعتملوا فيها على الحصار

في عام ستائنة وستين
فوقف المنصور في يجليل
وعاد فيها المرتضى محصورا
ودارت الأعراب بالأسوار

المصدر السابق ، نفس الصفحة .

- (٢٣١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٣٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .
(٢٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .
(٢٣٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٧ .
(٢٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ .
(٢٣٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ،
ص ١٢٣ .

- (٢٣٧) مجهول : التحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤١ ، (صاحب أبادهوس ابن عمه
السيد أبو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى ، ج ٦ ،
ص ٢٦٠) .

- (٢٣٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط
١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ (مع خلاف في اللفظ) ، (يذكر ابن خلدون والسلوى أن قلوب أي دهبس كان في

سنة ٦٦١ بينا يرى صاحب الذخيرة وابن أبي زرع أن قدومه كان في أعقاب حملة سنة ٦٦٣ هـ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٢) .

(٢٣٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، العبر ، ج ٦ (طبعة مؤسسة الأعللى) ، ص ٢٦٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢٤٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ .

(٢٤١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، (مع خلاف فى اللفظ) .

(٢٤٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ٧ / ١٧٩ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، (يذكر صاحب الذخيرة السنية أن أبا يوسف يعقوب أمد أبا دحوس بألف فقط من المحاربين ، وهذا يخالف ما ذكره ابن خلدون وابن أبي زرع من أنهم خمسة آلاف وقد يكون ذلك الرقم هو عند من خرج من المرينيين مضافا إليه من خرج معهم من جند القبائل الخاضعة للنفوذ المرينى وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٤) .

(٢٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعللى) ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ط أولى ، دار السلمى - الدار البيضاء ، سنة ١٩٦٥ ، ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعللى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

(يذكر ابن حوقل أنه على يسار الطريق المتجه من فاس إلى سجلماسة يقع إقليم أغمات وهورستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة ولعل هذا الباب كان من اتجاه هذا الإقليم ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠)

(٢٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعللى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

(٢٤٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٥ .

(٢٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعللى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ابن أبي دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد شلم ، ص ١٢٩ ، مجهول : الحلل الموشبة فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤١ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٤ . (الذى يذكر أن اقتحام مراكش كان فى سنة ٦٦٦ هـ وهو بذلك يخالف ما أجمعت عليه المصادر السابقة) .

(٢٥٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٦ ، ابن أبي دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد شلم ، ص ١٢٩ مع خلاف فى اللفظ (يذكر عبد الواحد المراكشى أن أبا دحوس سلم للمرينيين مدينة مراكش ثمنا لمعونتهم وهو بذلك يخالف ما رواه المؤرخون من أن المرينيين لم يحصلوا من أبي دحوس على شيء من وعوده لهم ، عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد الريان ، ص ٣٣٦) .

(٢٥١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٧ ، ص

(٢٥٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٦ .
(٢٥٣) المصدر السابق ، ص ١٢٧ . (انفراد صاحب الذخيرة عن غيره من المؤرخين بذكر هذه التفاصيل) .

(٢٥٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢٥٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٥ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٦٧ .

(٢٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣١ ، ابن الأجر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(٢٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ .

(٢٥٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٦ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢٦٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، (يذكر ابن أبي دينار أن خروج أبي يوسف لهذه الحملة كان في سنة ٦٦٧ هـ) خلافا لما ذكره ابن خلدون وابن أبي زرع والسلاوي ، ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٢٩) .

(٢٦١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٦ .

(٢٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢٦٣) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

(٢٦٤) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، مع خلاف في اللفظ (خالف ابن أبي دينار وابن القنفذ ما أجمع عليه معظم المؤرخين حول تاريخ مقتل أبي دهب وسقوط دولة الموحدين فابن القنفذ يرى مقتل أبي دهب في سنة ٦٦٦ هـ وسقوط عاصمة الموحدين مراكش في سنة ٦٦٧ هـ) أما ابن أبي دينار فيجعل مقتل أبي دهب في آخر ذي الحجة سنة ٦٦٧ هـ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٩ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، وانظر أيضا ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٢٦٥) المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، المقرئ :

نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ ، Roland Oliver and J. D. Fage, Ashort History of Africa, P.86 .

(٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣

(بقي إسحق الموحدي في تنمّل حتى قبض عليه وجماعة من الموحدين سنة ٦٧٤ هـ) سيقوا جميعا إلى مراكش حيث أعدموا ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٢٦٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

- (٢٦٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ .
- (٢٦٩) المصدر السابق . نفس الصفحة ، Roland Oliver, Op. Cit, P.86, Toynbee, A.. Op. Cit, . P.336.
- (٢٧٠) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٢٠ .
- (٢٧١) د. حكمة على الأوس : الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، مكتبة الخانجي ١٩٢٥ ، ص ٢٣ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المهيمنة ومميزات العصر المهيمن الأدبية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ١٧ .
- (٢٧٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ .
- (٢٧٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ .
- (٢٧٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (تؤول : آخره لام وأوله مضوم وثانيه ساكن ، مدينة في جنوبي بلاد المغرب ، وهي حاضرة لَمَطَة فيها قبائل من البربر ، ياقوت : معجم البلدان ، ط الخانجي ، ج ٨ ، ص ٣٢٨) .
- (٢٧٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٨ .
- (٢٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ .
- (٢٧٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٢٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .
- (٢٧٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ .
- (٢٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٣ .
- (٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ .
- (٢٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥ .
- (٢٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .
- (٢٨٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتلويح العرب المتنصرين ، ط ١٩٦٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٥١ ، (ابن الأحمر القتي راسل أبو يوسف هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله ، انظر ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ت : محمد عبد الله عنان ، ط ١٩٧٤ ، المجلد الثاني ، ص ٩٢) .
- (٢٨٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .
- (٢٨٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٣ .
- (٢٨٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٢٨٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ٢٢ ، (ولقد منى بنو عبد الواحد بخسائر فادحة في هذه الموقعة فقتل فيها فارس ولد يغمراسن بن زيان ، كما قتل من بنى عبد الوادى وبنى راشد خلق كثير ، وقتل أيضا جميع من كان بمحلتة من الروم ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٠) .

(٢٨٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ .

(٢٩٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة (القرا ، هكذا في الأصل) .

(٢٩١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٩٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٧ ، ص ٣١١ (مرة هكذا في الأصل) .

(٢٩٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٢٩٤) المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(٢٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٤ .

(٢٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٩٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٥ .

(٢٩٨) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢٩٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ ، السلاوى : الاستقصا ،

ج ٥ ، ص ١٧ .

(٣٠٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، مجهول : الذخيرة

السنية ، ص ١٥٦ مع خلاف في اللفظ .

(٣٠١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٦ .

(٣٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص

٣١٢ .

(٣٠٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٧ .

(٣٠٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، ابن خلدون : العبر ،

ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٣٠٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٧ ، ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ،

ص ٣١٧ .

(٣٠٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ،

ص ١٥٨ .

(٣٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، الرزكى : الأعلام ، ج ٩ ، ص

٢٦٣ .

(٣٠٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، انظر عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر

الحضارة المغربية ، ط أولى ١٩٥٨ ، القسم الثاني ، ص ٣٦ .

(٣٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٩ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ،

ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٢ ، يحيى بن

- خللون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٥ ، ٢٦٣ .
- (٣١٠) ابن خللون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٩ .
- (٣١١) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٤ .
- (٣١٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ابن خللون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
- (٣١٣) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بنى مرين ، ص ٢٢ ، انظر خريطة الدولة في الملاحق .
- (٣١٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٨ .
- (٣١٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
- (٣١٦) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بنى مرين ، ص ٢٦ .
- (٣١٧) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، ابن الأحمر : النسخة النسرية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ .
- (٣١٨) الفردل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣١٦ .
- (٣١٩) ابن خللون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩١ ، ابن أوى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٩ . (نص الرسالة موجود بملحق رقم ١) .
- (٣٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٤ ، القرى : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، (وأبو زيان منديل هذا ولد أوى يوسف وليس حفيده كما أشار إلى ذلك عنان ، انظر ابن الأحمر : النسخة النسرية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، عنان : نهاية الأندلس ، ط ٣ ، هامش ص ٩٩) .
- (٣٢١) ابن أوى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ .
- (٣٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٦٤ .
- (٣٢٣) ابن خللون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٩ .
- طريف : اسم بلد جزيرة طريف ، على البحر الشامي في أول الجواز المسمى بالزقاق ، وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ومن جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا ، (الحميرى صفة جزيرة الأندلس : ت آلاف بروفنصال) لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٣٧ ، ص ١٢٧) .
- شريس : من كور شلونة بالأندلس ، وهي على مقربة من البحر ، وبين المغرب والقبلة من شريس حصن روضة على شاطئ البحر بينهما ستة أميال ، (المصدر السابق) ص ١٠٢ .
- الجزيرة : بالأندلس وهي الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم وهي على ربوة مشرقة على البحر وسورها متصل به ، وهي منيعة حصينة سورها حجارة ، ومرسى الجزيرة مشى مأمون وهو أيسر المراس للجواز ، وأقربها من بر العلوة وبجاذبه مرسى مدينة سبتة ويقطع البحر بينهما في ثلاث مجاز ، (المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ٧٤) .
- (٣٢٤) ابن خللون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣١٤ .

(٣٢٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٦ . (يذكر ابن خلدون أن أبا يوسف عبر إلى الأندلس من فرضة طنجة) ابن خلدون ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .
(٣٢٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ١٦٦ .

(٣٢٨) المصدر السابق ، ص ١٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ ، (ويرى ابن القنفذ أن عبور أبي يوسف إلى الأندلس كان في سنة ٨٦٧٥هـ ، ابن القنفذ : الفارسية في ميادى الدولة الحفصية ، ص ١٣٤) .

(٣٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، (رُلَّة : مدينة قديمة ، وهي على نهر ينسب إليها يصب في نهر لكه ، الحميري : صفة جزيرة الأندلس ص ٧٩) .

(٣٣٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٧٣ ، ص ٣١٣ .

(٣٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٣٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٧ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٥ ، كان أبو محمد بن أشقيلولة وأخوه أبو إسحق بن أشقيلولة من أصحاب ابن الأحمر وكانا يستوليان على مالقة ووادي آش وقمارش ووقع بينهما وبين ابن الأحمر خلاف فخرجوا عن طاعته ، وقد سبق أبو محمد ابن أشقيلولة ابن الأحمر إلى لقاء أبي يوسف وأخلص إليه النصيحة وبر مقدمه ولعل ذلك لم يعجب ابن الأحمر أو أنه صدرت من ابن أشقيلولة جفوة بمحض السلطان يعقوب أدت إلى عودة ابن الأحمر غاضبا كما يقول السلاوي ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

(٣٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ .

(٣٣٤) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط ثانية ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ .

(٣٣٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٧ ، ص ٣١٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، (المُنْتَوَر : حصن بالقرب من مدينة فَرْجُوكْش ، الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٣) .

يُاسَة : بينها وبين جيان عشرون ميلا ويياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، (المصدر السابق ، ص ٥٧) .

أُبْلَة : بينها وبين يياسة سبعة أميال وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير ، (المصدر السابق ، ص ١١) .

قُرْطَبَة : قاعدة الأندلس وأم مدائنها ، وهي في ذاتها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حاجز ، وهي في سفح جبل يطل عليها يسمى جبل العروس ، (المصدر السابق ، ص ١٥٣) ،

بلمة : ذكر الحميري أن اسمه حصن بِلْمَالَة ، (المصدر السابق ، ص ١٠٧) ،

إِسْتِجَّة : بين القبلة والغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة ، (المصدر السابق ، ص ١٤) .

(٣٣٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٥ .

(٣٣٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٠ . محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ١٩٦٩ ، لجنة البيان العربى ، ص ٢٨ . وانظر ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ / ٥٦٥ .

(٣٣٨) المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ / ٥٦٥ ، محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ١٩٦٩ ، لجنة البيان العربى ، ص ٢٨ . (٣٣٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٣ .

(٣٤٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ . (٣٤١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٦ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٧٤ . (٣٤٢) المصدر السابق ، ص ١٧١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(٣٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٩٣ ، (وقد رصد ابن خلدون الغنائم التى غنمها المسلمون فى ذلك الوقت بمائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السى ، وسبعة آلاف وثلاثمائة وثلاثين من الأسرى ، ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستائة ، وأما الغنم فأتسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا أن الشاة بيعت فى الجزيرة بدينارهم ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

(٣٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، (إشبيلية : مدينة جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام ومن الأميال ثمانون وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة ، وهى على النهر الكبير وهو فى غربها ، الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨) . (٣٤٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٢١ .

(٣٤٦) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ . (٣٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٤ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، (البنية : وتقع فى خارج الجزيرة الخضراء ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٩) .

(٣٤٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٥٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط ثانية ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٢ . (٣٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ .

Julien, Op. Cit, P. 172 .

- (٣٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .
- (٣٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة (من الحصون التي استولى عليها أبو يوسف حصن قطيانة ، وجليانة ، والقلعة) .
- (٣٥٤) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، ابن الخطيب : اللوحة البديرة ، ص ٤٥ .
- (٣٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .
- (٣٥٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
- (٣٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٧ .
- (٣٥٨) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .
- (٣٥٩) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
- (٣٦٠) المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .
- (٣٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ .
- (٣٦٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٦٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
- (٣٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠١ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٢ .
- (٣٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- (٣٦٦) المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
- (٣٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .
- (٣٦٨) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ . (ذكر السلاوى أن الأسطول تألف من اثنتين وسبعين سفينة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٥) .
- (٣٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ . (بلغ عدد السفن التي أرسلها ابن الأحمر اثنتى عشرة سفينة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٥) .
- (٣٧٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ٢٠٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
- (٣٧١) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٣ .
- (٣٧٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، (ذكر عنان أن هذا الإمبراطور هو الفونسو العالم وأن ولده هو سانشو ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضا ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ، ابن الأحمر : سلطان غرناطة ، ص ٢٩) .
- (٣٧٣) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، المقرئ : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ت : مصطفى السقا وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ ، ص ٦١ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٢٠ .
- (٣٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- (٣٧٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٦١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

- (٣٧٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، (طُلَيْطَلَة : وهي مركز لجميع بلاد الأندلس بينها وبين كل من قرطبة وبلنسية والمرية تسع مراحل ، (الحميرى : صفة جزيرة الأندلس . ص ١٣٠) .
- مجريط : بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن وهي قرية من قنطرة ماقدة آخر حيز للإسلام في بلاد الأندلس ، وهي بمقرية من طليطلة ، (المصدر السابق ، ص ١٧٩) .
- (٣٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ .
- (٣٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ .
- (٣٧٩) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٧ .
- (٣٨٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .
- (٣٨١) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ابن أئى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ، ١٩٧٣ ، ص ٣٥٠ .
- (٣٨٢) المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، (وقد رصد ابن أئى زرع تفاصيل دقيقة عن أحداث سير هذه العمليات العسكرية في صورة يوميات حربية ، انظر المصدر السابق ، ص ٣٤١ - ص ٣٧٤) .
- (٣٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، (يرى صاحب الحلل الموشية أن شريش حوصرت مدة أربعة أشهر فقط ويرى السلاوى أن مدة الحصار كانت ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠) .
- (٣٨٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٨ .
- (٣٨٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٨٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
- (٣٨٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٨ ، (لَبْلَة : ليست كما ذكرها ابن خلدون ليه ، وهي مدينة في غرب الأندلس بينها وبين إشبيلية أربعون ميلا ، (الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٨ .
- قَرْمُوتَة : مدينة بالأندلس في شرق إشبيلية ، بينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا ، (المصدر السابق ، ص ١٥٨) .
- (٣٨٨) ابن أئى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .
- (٣٨٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ .
- (٣٩٠) ابن أئى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٥٩ .
- (٣٩١) المصدر السابق ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، انظر مقال ارنولد توينبى في La Rousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History .
- (٣٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ ، (أن لا هكلنا في الأصل) .
- (٣٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن برمزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٣ ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ص ٤٢ ،

مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ (ويذكر ابن الأحمر أن وفاته كانت في الثالث والعشرين من محرم سنة ٨٦٨٥ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ٧) .

(٣٩٤) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، (ويذكر صاحب الحلل أن الجثمان نقل إلى سلا ولم يذكر شيئا عن التفاصيل غير ذلك ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٣٩٥) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٨ .

(٣٩٦) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٥ ، (بين مجريط وقنطرة ماقلة وهو آخر حيز الإسلام إحدى وثلاثون ميلا) .

(٣٩٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٦٦ وما بعدها ، المقرئ : نفيح الطيب ، ج

١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

الفصل الثاني

توطيد دولة بني مرين

(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٥٧٣١ هـ / ١٣٣١ م)

توطيد دولة بنى مرين واتساعها

أولا : توطيد دولة بنى مرين :

(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) .

(أ) توطيد دولة بنى مرين فى عهد السلطان أبى يعقوب يوسف ابن يعقوب .

(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .

شخصية أبى يعقوب يوسف بن يعقوب :

كنيته أبو يعقوب ويلقب بالناصر لدين الله (١) ، وينتمى إلى ذلك الطراز القوى من سلاطين بنى مرين ، وقد استمد ذلك السلطان عناصر قوته من مصادر مختلفة منها بنائه الجسدى فقد كان « أبيض اللون ضخيم الجسم رحب الوجه معتلى الأنف معتدل القامة عظيم البطن والخلق كث اللحية كثير شعر الحاجبين (٢) » كما كان تركيبه المعنوى يمثل عنصرا هاما من عناصر قوته إذ كان جريما شجاعا صارما عادلا (٣) . وأمدته ملازمته لوالده السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق - بخبرات واسعة فى مجالات السياسة والإدارة وفنون الحرب والقتال ، فقد شاركه فى جهوده لبناء الدولة المرينية ، فكان ساعده الأيمن سواء فى الميدان المغربى أو فى الميدان الأندلسى ، فهو شخصية صقلتها الخبرة ونمتها الأحداث ، حتى إذا جاء دورها انطلقت تساهم بدورها فى صنع الأحداث على نحو هو أحسن ما يقبل منها ، ويصف ابن أبى زرع هذه الشخصية القوية فيقول : إنه كان « مهيبا لا يكاد أحد يتدنه بالكلام من مهابته ، ذا أناة وسياسة فإذا عزم بطش ، وإذا أخذ أفنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا فى سلطانه ، إذا أعطى أغنا ، وإذا صال أفنا ، شفيقا بالضعفاء ، متفقدا لأحوال رعيته وبلاده ، غليظ الحجاب ، لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد (٤) » .

جهود أبى يعقوب لإقرار الأوضاع فى بلاد المغرب والأندلس :

كان أبو يعقوب غائبا فى بلاد المغرب عند وفاة والده أبى يوسف بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس فأخذ له الوزراء وأشياخ بنى مرين البيعة باعتباره وليا للعهد ، ثم جددت له البيعة مرة ثانية عند حضوره إلى الجزيرة الخضراء فى أول صفر سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٥) . ولم يغادر أبو يعقوب بلاد الأندلس حتى عمل من جانبه على خلق حالة من الاستقرار السياسى فى هذه المنطقة حتى يتفرغ لتنظيم الأوضاع الداخلية فى

دولته التي كانت في حاجة إلى كثير من الإصلاحات الداخلية .

أرسل أبو يعقوب إلى محمد الفقيه ابن الأحمر وحدد معه موعدا للقاءه ، وقد تم هذا اللقاء عند مربالة في أول ربيع الأول سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حيث تمت المصالحة بينهما على أن يحتفظ المرينيون بنفوذهم في مناطق محددة من بلاد الأندلس وهذه المناطق هي الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادي آش وأحوازها . أما ما عدا ذلك فتركه المرينيون لابن الأحمر (٦) . وفي الثامن من ربيع الآخر (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حضر وفد من قبل سانشو ملك قشتالة لتجديد المعاهدة - التي سبق أن عقدت بين سانشو وبين أبي يوسف - مع سلطان بني مرين الجديد (٧) .

ودعم أبو يعقوب الوجود المريني إداريا في بلاد الأندلس بتعيين أخيه أبي عطية واليا من قبله هناك وأوصاه « بتقوى الله تعالى وضبط ثغوره والحزم في جميع أموره » (٨) ، وترك معه حامية قوية من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة علي بن يوسف ابن يرتاجن . وعاد السلطان أبو يعقوب إلى عاصمته فاس الجديدة في الثاني عشر من جمادى الأولى (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٩) . حيث كانت تنتظره كثير من المهام الداخلية .

ويعتبر السلطان أبو يعقوب يوسف « أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك » (١٠) ، فقد حرص ذلك السلطان على الاهتمام بشعبه غاية الاهتمام منذ اللحظة الأولى التي تولى فيها مهام منصبه ، وكانت أهم أهدافه تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المريني وإبعاد الظلم عن المواطنين وبخاصة ظلم العمال لهم (١١) . وقد أجرى أبو يعقوب تقليدا جديدا يتفق ومظاهر الأبهة والعظمة التي بدأت تظهر في البلاط المريني ، فما أن تمت له البيعة حتى فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس والأغزاز وسائر الجند ، وأحسن إلى الفقهاء والصلحاء ، وأطلق سراح المسجونين في جميع البلاد (١٢) . كما أجرى أبو يعقوب تعديلات جديدة في بعض قوانين الدولة ونظمها بما من شأنه أن يعطي المواطن في الدولة الكثير من الحرية في التصرف في شئونه الخاصة ، وما يرفع عن كاهله أيضا كثيرا من الأعباء التي ترهقه ، فأصبح للفرد مثلا حرية التصرف في زكاة الفطر بعد أن كانت الدولة تقوم بجمعها والأشراف على إنفاقها كما رفع نوعا من الضرائب كان يفرض على ديار الرعية يسمى الأنزال ونوعا آخر وهو المكوس (١٣) . وفوق هذا وذاك عمل على استتباب الأمن في البلاد « فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه » (١٤) على حد قول ابن زرع .

المشكلات التي واجهها السلطان يوسف بن يعقوب :

(أ) الثورات الداخلية : يبدو أنه كان لانشغال السلطان يعقوب بن عبد الحق في الأعمال العسكرية المتتالية في الميدان الأندلسي أثره في الوضع السياسي الداخلي في بلاد المغرب حيث هبت في أعقاب وفاة هذا السلطان بعض الثورات الداخلية التي أخذت كثيرا من وقت السلطان الجديد يوسف بن يعقوب وبذل في إخمادها جهدا كبيرا ، وكان بعض هؤلاء - الثائرين ينتمون من قريب أو بعيد إلى البيت المريني الحاكم ، وقد عاقب السلطان يوسف هؤلاء الثائرين بصفة خاصة - بأقسى أنواع العقوبة حيث تراوحت بين القتل أو النفي والتشريد من البلاد (١٥) .

١ - ثورة محمد بن إدريس :

وهو محمد بن إدريس بن عبد الحق ، وقد دأب بنو إدريس هؤلاء على الثورة كلما انتقلت السلطة في الدولة المرينية إلى حاكم جديد ، حدث هذا في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق ، إذ أن أبناء إدريس هؤلاء يرون أنهم أحق بالحكم من السلطان يعقوب وأبنائه ، لأن أباهم إدريس كان أكبر من عمهم يعقوب (١٦) .

ويبدو أن أبناء إدريس هؤلاء كانوا يملكون كثيرا من وسائل الإقناع والحجة ، فحين أرسل إليهم السلطان يوسف بن يعقوب أخاه محمد بن يعقوب اقتنع هو الآخر برأيهم وانضم إليهم . (١٧) وتوالت جيوش السلطان على الثائرين لإخماد حركتهم ، وعن طريق السياسة استطاع السلطان يوسف إبعاد أخيه عن الثائرين بعد أن أعطاه الأمان على نفسه (١٨) ، وفر محمد بن إدريس وبنوه إلى تلمسان ، وفي طريقهم إليها قبض عليهم وسبقوا مكبلين بالحدود إلى رباط تازي حيث أعدموا خارج باب الشريعة في رجب سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (١٩) .

٢ - ثورة عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري :

أعلن هذا الأمير الثورة في قلعة فندلاوة في جبال بني يازغة في سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٢٠) . وأصدر أمير المسلمين يوسف بن يعقوب أوامره إلى قبائل بني عسكر وسدراتة وبني وارثين وبني يازغة وبني سيتان وغيرهم من قبائل المنطقة بمحاربة هذا الثائر وقتاله . ولم تفلح جهودهم التي استمرت شهرا في القضاء عليه . (٢١) فتحرك السلطان يوسف بن يعقوب بنفسه لإخماد الثورة في جيش ضخيم جهزه بالرماة والمتجنين وآلات الحرب ، وما أن وصل السلطان إلى قرية سدورة ، وأحس الثائر بمصيره ، حتى أرسل إلى السلطان وفدا من العلماء يطلبون له الأمان ، فأعطاه السلطان الأمان على شريطة أن يقبل عمر بن عثمان وأهله النفي من البلاد إلى تلمسان (٢٢) .

٣ - ثورة طلحة بن علي البطونى :

- هرب ذلك الشيخ من مراکش إلى بلاد السوس ، وهناك احتفى بعرب بنى حسان من المعقل ودعا لنفسه . (٢٣) وكان السلطان أبو يوسف في ذلك الوقت يقيم في مراکش لضبط أحوالها . وعلى الفور استدعى السلطان يوسف ابن أخيه منصور بن عبد الواحد وعينه حاكماً عاماً من قبله على ولاية السوس ، وأمدّه بالأموال والجيش للقمع هذه الثورة . (٢٤) وتمكن منصور في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) من أخماد هذه الثورة ، وقتل رأسها المدير لها طلحة بن علي ، وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور إلى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر أن يطاف به في جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة فلم يزل عليها طول أيام خلافته معلقاً في شبكة من نحاس ، (٢٥) .

٤ - ثورة الأمير أبي عامر ابن السلطان يوسف :

اتجهت سياسة السلطان يوسف بن يعقوب إلى تعيين أحد أبنائه في إقليم مراکش إلى جانب والى الإقليم رغبة منه في إحكام السيطرة عليه ، للحيلولة دون قيام أية حركة انفصالية به ، خاصة وأن هذا الإقليم كان مهدداً للموحدين ، وفيه كانت عاصمتهم . وكان أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بعد أن خمدت ثورة طلحة بن علي البطونى - قد عين ولده أبا عامر مع محمد بن عطوا عامل مراکش لتكون له اليد العليا في مراکش (٢٦) ، ولكن الخبر يؤتى من مأمنه فقد استطاع هذا العامل إغراء أبي عامر بخلع طاعة أبيه والدعوة إلى نفسه ، كان ذلك في أول ذى القعدة سنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) (٢٧) .

وما أن وصلت الأنباء إلى السلطان يوسف حتى خرج للقاء الثائر وتمكن من إلحاق الهزيمة بهما بظاهر مراکش ، وفر الأمير أبو عامر وابن عطوا إلى بلاد القبلة ومنها إلى تلمسان حيث آواهما عثمان بن يغمراسن بن زيان (٢٨) . وفي تلك الأثناء تحركت عاطفة السلطان نحو ولده فعفا عنه وأعادته إليه ، بينما طالب السلطان عثمان بن يغمراسن بأن يسلم إليه ابن عطوا ، ولكن عثمان رفض الاستجابة لمطالب السلطان ، وأغلظ رسول السلطان في الحديث إلى عثمان ابن يغمراسن الأمر الذى دعاه إلى اعتقاله . (٢٩) وكانت هذه الأحداث سبباً في إثارة السلطان يوسف وتحريك كوامن غيظه . فجرد حملة تأديبية كبيرة في السابع والعشرين من ربيع الثانى سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) لقتال عثمان بن يغمراسن ، ولم تنجح هذه الحملة إلا في حصار تلمسان وتخريب المناطق المحيطة بها إذ أن الحصار استمر ستة عشر يوماً عاد بعدها السلطان يوسف إلى المغرب (٣٠) .

- ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي :

بنو وطاس هؤلاء منافسون آخرون للبيت المريني الحاكم ، فهم فخذ من قبيلة بنى

مرين ، وكانت بلاد الريف من نصيبهم عند دخول المرينيين إلى بلاد المغرب ، وكان حصن تازوطا هو معقلهم المنيع ، وقد فطن البيت المريني الحاكم إلى تطلعات بنى وطاس هؤلاء ، فجرت سياستهم على الاهتمام بهذا الحصن فأنزلوا به حامية قوية تستطيع أن تكبح جماح بنى وطاس كلما سولت لهم أنفسهم الخروج على السلطة المركزية في فاس . (٣١) وكانت آخر جهود السلطان يوسف بن يعقوب في الاهتمام بهذا الحصن هي تعيين ابن أخيه منصور بن عبد الواحد قائدا على حامية هذا الحصن (٣٢) .

وفي شعبان سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م) وثب عمر وأخو عامر بن يحيى بن الوزير الوطاسي ، وكانا رئيسين على بنى وطاس في ذلك الوقت ، ثائرين على منصور بن عبد الواحد ، الذي فر من الحصن ليلا إلى رباط تازي (٣٣) . بينما فتك عمر بمن كان في الحصن من الرجال واستولى على الأموال والأسلحة والمتاع وما كان بالحصن من أعشور للروم كانت مخزنة فيه (٣٤) . ويرجع السلاوي أسباب هذه الثورة إلى استهانة بنى وطاس بالسلطان يوسف بعد وفاة والده (٣٥) .

أرسل السلطان يوسف على الفور جيشا كبيرا بقيادة وزيره عمر بن السعود بن خرباش ، وتبعه هو الآخر بقوات ضخمة ، وأحكما الحصار حول القلعة الثائرة (٣٦) . ولما رأى عامر بن يحيى الوطاسي تدهور الأحوال من حولهم خالف أخاه عمر ، ونزل من القلعة بقومه ، وانضم إلى السلطان يوسف حذرا من مغبة الأمر (٣٧) .

وطلب عامر بن يحيى من السلطان أن يسمح له بالصعود إلى الحصن لإنزال أخيه عمر ، ولكن عمر انتهز هذه الفرصة وفر في الليل هاربا إلى تلمسان (٣٨) . وخاف عامر من النزول إلى السلطان حتى لا يعاقبه لافلات أخيه ، وظل متحصنا بالقلعة حتى قدم على السلطان وهو يحاصر القلعة - الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل ابن الأحمر ، فطلب عامر بن يحيى من الرئيس أبي سعيد أن يتشفع له عند السلطان يوسف بن يعقوب ، وقبل السلطان شفاعته على أن يقبل عامر وذويه النفي إلى بلاد الأندلس (٣٩) .

ووافق عامر على شرط السلطان وأنزل حاشيته إلى المرسى حيث ركبوا في السفن ، وانتظر هو حتى الليل فنزل من الحصن وانطلق في الصحراء هاربا إلى تلمسان وتبعته خيل السلطان فلم يدركوا سوى ولده أبا الخيل فقبضوا عليه ، وبعث به السلطان إلى فاس حيث ضربت عنقه هناك وصلب جسده (٤٠) . وأنزل السلطان يوسف حاشية عامر من السفن ومن كان بالحصن من أتباعه وقرابتهم وذرياتهم ونفذ السلطان فيهم جميعا حكم الإعدام ، واستولى على الحصن وأنزل به عماله ، وشحنه بالأسلحة والمؤن والعتاد ، وعاد إلى فاس في آخر جمادى الأولى من سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) (٤١) .

٦ - حركات الأعراب في جنوب درعة :

وإلى جانب هذه الثورات المنظمة كانت هناك تحركات من جانب بعض القبائل العربية استهدفت قطع الطرق ، والقيام بأعمال السلب والنهب . وقد قابل السلطان يوسف هذه الحركات من جانب العرب بمتهى العنف والقسوة ومن ذلك ما حدث للعرب المقيمين في قبلة درعة وهم من معقل كانوا يقطعون طريق سجلماسة حيث هاجمهم السلطان يوسف باثنى عشر ألف جندي في سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) (٤٢) . فقتل منهم خلقا كثيرا وسبأ أموالهم ونساءهم وأمر بقطع رءوسهم وحملها إلى مراكش وفاس وسجلماسة وتعليقها في الأسوار (٤٣) .

(ب) مشاكل الجبهة الأندلسية :

أثرت الثورات المتتالية في بلاد المغرب في عهد السلطان يوسف بن يعقوب في مدى الجهد المبذول من جانبه في الجبهة الأندلسية فلم يكن جهده فيها في حجم ذلك الجهد الجبار الذي بذله والده السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق . وقد حاول السلطان يوسف من جانبه المحافظة بكل الوجوه على بقاء العلاقات بينه وبين ابن الأحمر قوية حتى ولو كان ذلك على حساب الرقعة التي تسيطر عليها الدولة المرينية في بلاد الأندلس فشهدت هذه الفترة تنازلات كبيرة من جانب السلطان يوسف بن يعقوب حرصا منه على إحياء الجبهة الأندلسية وعلى سلامتها أمام القشتاليين ، فأعطى السلطان يوسف لابن الأحمر كل ما يرضيه من الحصون والبلاد (٤٤) . كما حرص السلطان يوسف أيضا على القضاء على كافة أوجه الخلاف الرئيسية بين المرينيين وابن الأحمر ، ومن بينها مناصرة المرينيين لابن أشقيلولة ، فأرسل إلى أبي إسحق بن أشقيلولة يأمره بتسليم وادي آش إلى ابن الأحمر ، والانتقال إلى بلاد المغرب ، وهناك أعطاه في مقابلها عمالة القصر الكبير له ولبنيه من بعده (٤٥) . وأنهى السلطان يوسف بذلك مشكلة كبرى طالما أظلمت جو العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر بسببها . ويؤرخ ابن أبي زرع لتسليم وادي آش لابن الأحمر بسنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) ويضيف أن ابن الأحمر تسلم معها أيضا عددا من الحصون ، وهي حصن رانجة وحصن بليانة وحصن الدبر والأيتير وغور وغورب (٤٦) . ولم يكن ذلك تراجعا من السلطان يوسف في الميدان الأندلسي ، لأن ابن الأحمر هو الذي طلب ذلك من السلطان يوسف (٤٧) .

وكان السلطان يوسف من جانبه يرى أن هذه الخطوات من شأنها تقوية العلاقات بين فاس وغرناطة ، وكان بقاء هذه العلاقات قوية يمثل شيئا مهما في نظره ، فهو من ناحية يكبح جماح مملكة قشتالة بحيث لا تفكر في شن هجوم على المسلمين في الأندلس في غفلة من سوء العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ومن ناحية أخرى فإن ذلك الهدوء يتيح للسلطان يوسف

توطيد وتدعيم دولته في بلاد المغرب حيث كانت تنتظره متاعب كثيرة بعد وفاة والده .

نجحت سياسة السلطان يوسف بن يعقوب في تهدئة الأحوال في بلاد الأندلس حتى سنة (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) ففي هذه السنة نقض سانشو - ملك قشتالة - معاهدة الصلح بينه وبين بنى مرين وهاجم التخوم والثغور المرينية في الأندلس (٤٨) . فأرسل السلطان يوسف بن يعقوب أوامره إلى علي بن يوسف بن يزكاتن قائد المساح المرينية بالأندلس بالقيام بالهجوم على مدينة شريش ، وشن الغارات على حدود قشتالة (٤٩) .

وفي نفس الوقت جهز السلطان يوسف قوات ضخمة ، استعداد للعبور بها من قصر مصمودة (قصر المجاز) ولما أحس سانشو بذلك أرسل أسطولا قشتاليا ليمنع المرينيين من العبور إلى الأندلس ، ونجح هذا الأسطول في تحطيم الأسطول المريني الذي تصدى له في بحر الزقاق في شعبان سنة (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) (٥٠) . وأدى ذلك إلى تأخير تنفيذ العمليات العسكرية المرينية في بلاد الأندلس ، حتى قامت دور صناعة السفن بتعويض الأسطول المريني ما افتقده من سفن (٥١) . وقد استطاع الأسطول المريني في هذه المرة انجاز عملية العبور بنجاح دون أن يجرؤ الأسطول القشتالي على الاقتراب من الأسطول المريني العامل في بحر الزقاق (٥٢) .

نزل السلطان يوسف بطريف ومنها انتقل مباشرة إلى جبهة القتال فشن غارات مكثفة على شريش وأشبيلية ، كما حاصر حصن بيجر ثلاثة ، أشهر . ولكن الشتاء كان دائما عاملا هاما في حسم المعارك العسكرية في بلاد الأندلس فمجيئه كان يؤذن دائما بتوقف عمليات الجهاد في دار الحرب لانقطاع الميرة والأقوات - عن المقاتلين ، وسوء الأحوال الجوية ، لذا عاد السلطان يوسف إلى المغرب في أول محرم سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) (٥٣) .

ويكشف ابن خلدون أن مراسلات ومفاوضات مستفيضة تمت بعد ذلك بين سانشو وابن الأحمر ، ومن خلالها استطاع سانشو أن يقنع ابن الأحمر بمخاطبة تحالفه مع السلطان المريني وأظهر سانشو لابن الأحمر أيضا أن هدف المرينيين الاستيلاء على الأندلس ، واستعرض الطرفان خلال المفاوضات عناصر القوة لدى المرينيين في الميدان الأندلسي (٥٤) . وقد حرص سانشو على إبرازها والتأكيد على خطورتها على ابن الأحمر يقول ابن خلدون : « ففاوض (ابن الأحمر) الطاغية وخلصوا نجيا وتحدثوا أن استمكانه (السلطان يوسف) من الإجازة إليهم إنما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفاقة لتصرف شوائبهم وسفنهم متى أرادوا فضلا عن الأساطيل وأن أم تلك الثغور طريف وأنهم إذا استمكنوا منها كانت ربيعة لهم على بحر الزقاق وكان أسطولهم بمرفأها يبرصد لأساطيل صاحب المغرب » (٥٥) .

واتفق الطرفان على أن يستولى سانشو بمساعدة ابن الأحمر على طريف ، وحدد ابن أبي زرع مدى هذه المساعدة فقد تعهد ابن الأحمر لسانشو بأن « ينفق عليه وعلى محله طول إقامته عليها (طريف) (٥٦) » .

على أن يقوم سانشو بتسليمها لابن الأحمر في مقابل أن يتنازل : له ابن الأحمر عن ستة من الحصون ، وقد تنازل ابن الأحمر لسانشو عن هذه الحصون الستة مقدما ، وقبل بدء القتال للاستيلاء على طريف (٥٧) .

هاجم سانشو طريف وحاصرها « وسرب (ابن الأحمر) إليه المدد من السلاح والرجال والميرة والأقوات » (٥٨) واضطر أهل المدينة إلى التسليم تحت ضغط الطرفين عليهم ، ولما طالب ابن الأحمر من سانشو أن يسلم له طريف ، رفض سانشو أن يعطيه شيئا (٥٩) . وبهذا خسر ابن الأحمر حصونه الستة وأفقد المسلمين قاعدة من أهم قواعدهم الدفاعية المتبقية في بلاد الأندلس (٦٠) .

عاد ابن الأحمر بخطب ود بنى مرين مرة أخرى ، وأرسل لهذه المهمة وفدا كبيرا كان على رأسه ابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل ، ووزيره أبو سلطان عزيز الثاني (٦١) . وكان هذا الوفد كما يقول ابن خلدون : « لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعاهدة عن شأن طريف » (٦٢) ، وقد التقى هذا الوفد بالسلطان يوسف وهو يحاصر قلعة تازوطا ، فأحسن السلطان استقبالهم وأجاب مطالبهم في شأن الصلح (٦٣) .

ولما عاد الوفد إلى غرناطة يحمل هذه الأخبار السارة ، قرر محمد الفقيه ابن الأحمر القدوم بنفسه على السلطان وحمل معه هدية نفيسة كان من بينها « المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الأربعة المنبثة إلى الآفاق المختص هذا منها بالمغرب » (٦٤) . واجتاز ابن الأحمر المضيق إلى بلاد المغرب في ذى القعدة سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، وجاء السلطان يوسف بنفسه إلى طنجة لمقابلته ، وتمت المقابلة في جو من الحفاوة والتكريم (٦٥) ، وفي هذا اللقاء تنازل السلطان يوسف لابن الأحمر عن الجزيرة ورندة وأرض الغريبة وعشرين حصنا من ثغور الأندلس في رواية السلاوي (٦٦) ، واثنين وعشرين حصنا في رواية ابن أبي زرع (٦٧) . أما ابن خلدون فيعكس الوضع تماما ، إذ يجعل ابن الأحمر هو الذى يتنازل للسلطان يوسف عن هذه الثغور والحصون يقول ابن خلدون : « ونزل له ابن الأحمر عن الجزيرة ورندة والغريبة وعشرين حصنا من ثغور الأندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب (٦٨) » . ورواية ابن خلدون هنا تتضارب مع رواية ابن أبي زرع والسلاوي . والحقيقة ان ابن الأحمر لم يكن يملك فعلا هذه الثغور والحصون حتى يعطيها للسلطان يوسف بن يعقوب ، وإنما الذى كان يملكها من الناحية الفعلية هو السلطان

يوسف ، ويقرر هذه الحقيقة ابن خلدون نفسه ، ففي مطلع عهد السلطان يوسف التقي بابن الأحمر « وتجاوى (السلطان يوسف) له (لابن الأحمر) عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت لمملكته ما عدا الجزيرة وطريف (٦٩) » .

ولعل السلطان يوسف بتنازله في هذه المرة عن هذه المواضع أراد أن يؤكد لابن الأحمر سيادته التامة على كافة أراضيها التي كان يمتلكها قبل دخول المرينيين إلى بلاد الأندلس ، وأن مهمة المرينيين هناك هي معاونة المسلمين والمساهمة في المحافظة على وجودهم هناك . وكأنه أراد بهذا أيضا القضاء على الدعاية التي كان يرددها ملك قشتالة دائما لابن الأحمر عن أطماع بنى مرين في بلاد الأندلس ، تلك الدعاية التي أثرت قبل ذلك في ابن الأحمر ، وفي العلاقة بينه وبين السلطان يوسف المريني وأدت إلى ضياع طريف من المسلمين (٧٠) .

عاد ابن الأحمر إلى الأندلس وأرسل السلطان يوسف معه حملة مرينية لغزو طريف يقودها وزيره عمر بن السعود بن الخرباش الحشمي ، ولكن هذه الحملة لم تحقق أهدافها في الاستيلاء على المدينة (٧١) .

~ واستمرت العلاقات الطيبة تسود بين غرناطة وفاس حتى وفاة السلطان محمد الفقيه سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م) (٧٢) . وفي عهد ولده أبو عبد الله الملقب بالخلوع حلول في مطلع عهده لإحكام المودة بينه وبين السلطان يوسف ، فأرسل أبا سلطان عزيز الداني وزير أبيه ، ومعه وزيره لمن الحكيم إلى سلطان المغرب لتجديد المودة والصداقة (٧٣) .

قدم الوزيران على السلطان يوسف وهو يحاصر تلمسان ، فأكرمهما وطلب إليهما إمداده بعدد من جند الأندلس من ذوى الخبرة بمهاجمة الحصون ، فأرسل أبو عبد الله المخلوع إليه قوة من الخبراء العسكريين لمعاونة الجيش المريني في حصار تلمسان (٧٤) .

ولكن ابن الأحمر عدل فجأة عن سياسة التحالف هذه مع بنى مرين ويكتفى السلاوى في الإشارة إلى أن سبب ذلك كان « لمناقشات جرت إلى ذلك (٧٥) » ، وعاد ابن الأحمر (المخلوع) إلى سياسة التحالف مع ملك قشتالة (هراندة) ، فأثار ذلك التصرف السلطان يوسف ، وقرر وقف التعامل مع بنى الأحمر ورد إليهم الفرقة التي كانت تعمل بين قوات الجيش المريني في آخر سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) (٧٦) .

وبدأ ابن الأحمر (المخلوع) في تصعيد الموقف مع سلطان المغرب فتآمر مع ابن عمه صاحب مالقة الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل للاستيلاء على مدينة سبتة ، وقد تم لهما ذلك عن طريق حملة بحرية جهزها أبو سعيد فرج بن إسماعيل ، وكانت بقيادة عثمان بن أبي العلاء المريني ، ونجحت الحملة في الاستيلاء على سبتة ، والقبض على بنى العزى - حكاهما من قبل

سلطان المغرب - وترحيلهم إلى غرناطة (٧٧). وفي حقيقة الأمر كان وصول عثمان بن أبي العلاء إلى سبتة يعد عملا خطيرا ، إذ أن عثمان هذا هو أحد أفراد الأسرة المرينية من بنى العمومة ، وهو أيضا يمثل في واقع الأمر شخصية عسكرية تحلوها أطماع فوق مستوى القادة من أمثاله (٧٨) .

علم السلطان يوسف بذلك الموقف الغادر من جانب ابن الأحمر وهو تحت أسوار تلمسان يحاصرها ولم يستطع أن يتحرك بنفسه لمواجهة الموقف في سبتة فتلمسان توشك أن تسقط في يده كما يقول ابن خلدون « كانت (تلمسان) على شفا هلكة ومحاينة انفضاض (٧٩) » . ولذلك أرسل ولده أبا سالم بم جيش لمواجهة الأمر هناك ولكنه هزم أمام عثمان بن أبي العلاء (٨٠) . وتغير الظروف فجأة بمقتل السلطان يوسف بن يعقوب في ذي القعدة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) (٨١) .

(ج) حصار تلمسان الكبير :

وهذا الحصار أطول حصار قام به المرينيون لعاصمة بنى عبد الواد تلمسان ، وكان السلطان يوسف بن يعقوب يهدف من وراء هذا الحصار وضع حد لأعمال بنى الواد العدوانية ضد بنى مرين ، إذ أصبحت دولتهم ملاذا للثائرين عليه ، والأخطر من ذلك أن عثمان بن يغمراسن بدأ في الاتصال بملك قشتالة وأرسل إليه سفيرا يدعى ابن بربدى في سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) . وقد رد ملك قشتالة على ذلك بسفارة قام بها (الريك ركس) ، ثم أرسل عثمان يغمراسن سفيرا آخر يسمى (بالحاج مسعود) (٨٢) .

أثرت هذه التصرفات من جانب عثمان بن يغمراسن في نفس السلطان يوسف كثيرا يقول ابن خلدون : « واعتدها السلطان عليه (عثمان بن يغمراسن) وطوى له على الغث (٨٣) » وأخذ السلطان يوسف يتحين الأوضاع الدولية المناسبة للقضاء على ذلك الخصم العنيد ، وقد وافته الفرصة ففى سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) مات سانشو ملك قشتالة (٨٤) .

وبعدها في سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) قويت العلاقات بين السلطان يوسف وبنى الأخير بعد الزيارة التي قام بها محمد الفقيه ابن الأحمر للسلطان يوسف في طنجة وتحالفهما معا ضد قشتالة (٨٥) ، ثم جاءت حادثة جزئية لتفجر الموقف بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان تماما ، ففى نفس السنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) قدم على السلطان يوسف ثابت بن منديل أمير قبيلة مغراوة مستنجدا به من عثمان بن يغمراسن ، فبعث السلطان يوسف رجلا من كبار قومه وهو مرسى بن أبى حمو ليتشفع لثابت بن منديل عند عثمان بن يغمراسن « فرده عثمان أقبح رد وأساء إجابته فعلاود (السلطان يوسف) الرسالة

إليهم في شأنه (ثابت بن مندبل) فلم يزد لهم إلا اصراراً (٨٦) .

وكانت هذه الحادثة هي السبب المباشر في حصار تلمسان والتي اختفت خلفها جميع الأسباب الأخرى غير المباشرة . وبدأ الحصار الفعلي لتلمسان في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) (٨٧) . وقبل ذلك جرت استعدادات ضخمة في مناطق الحدود ، وفي قلب أراضي الدولة الزيانية ، ووصلت بعض هذه الحملات إلى تلمسان نفسها (٨٨) .

وصل السلطان يوسف إلى تلمسان في شعبان سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م) فحاصر المدينة من فوره ، وأدار حول المدينة سياجا ضخما من الأسوار حتى يحكم عليها الحصار ، وظلت القوات الرئيسية بقيادة السلطان يوسف تحاصر المدينة (٨٩) . بينما خرجت جيوش متعددة للاستيلاء على مدن وأقاليم دولة بني عبد الواد ، فاستولت على « ندرومة وهنن ووهران وتاوانت ومزگران ومستغانم وتنس وشرشال وبوشك والبطحاء ومازونة ووينشريس ومليانة والقصبات والمدينة وتازجذنت » ، وجميع بلاد بني عبد الوادى وبلاد تميم وبلاد مغراوة (٩٠) . وظلت تلمسان تعاني من الحصار طيلة سنوات سبع حتى أكل أهلها الجيف والحيات والعقارب ، كل ذلك والسلطان يوسف يشدد عليها الحصار ويقول : « لا أرحل عنهم حتى أقتلهم جوعا » (٩١) .

وكان لمظهر القوة والسطوة التي أحاط بها السلطان يوسف حملته هذه أثر كبير في نفوس بعض زعماء الأقاليم والمدن بل والدول المتاخمة لبني عبد الواد فبايعة « صاحب الجزائر ووفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذلك محاصر لتلمسان » (٩٢) .

وحقق السلطان يوسف إلى جانب هذه الانتصارات العسكرية انتصارا عمرانيا كبيرا فأنشأ مدينة المنصورة (تلمسان الجديدة) (٩٣) . ويصف ابن خلدون هذه المدينة التي اتسع عمرانها وقويت مكانتها الاقتصادية بقوله : « واستبحر في عمرانها ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت إحدى مدائن المغرب » (٩٤) .

وفجأة تنقلب الأوضاع في المغرب الأوسط رأسا على عقب ، فقتل السلطان يوسف نتيجة مؤامرة دبرها خصيان القصر السلطاني ، ففي السابع من ذي القعدة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) (٩٥) . استأذن أحد الخصيان ويسمى سعادة على السلطان وهو في بعض الحجر من قصره فأذن له السلطان يوسف بالدخول ، وكان السلطان مستلقيا على فراشه مخضبا بالحناء فوثب عليه سعادة وطعنه طعنات قطعت أمعاءه وخرج هاربا من القصر ، وتابعه الحراس فأمسكوا به وسبق إلى القصر حيث قتله العبيد والحاشية . أما السلطان يوسف فلم يتحمل آلامه فتوفي في آخر النهار من ذلك اليوم الأربعاء السابع من ذي

القلعة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) ، ودفن بمقابر سلاطين بنى مرين بشالة (٩٦) .

وتتجه أصابع الاتهام في هذه المؤامرة إلى الخصيان باعتبار أن الجاني واحد منهم ، وباعتبار أن علاقتهم في أثناء وقوع الحادث بالسلطان كانت بالغة في السوء . (٩٧) ويشرح ابن خلدون أسباب الجريمة فيقول : « وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزمولاه واتهم بمدخلة بعض الحرم وقتل بالظنة واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابس لداره واعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير عريفهم وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك (٩٨) » . وبحسب رواية ابن خلدون يكون سبب القتل هو الانتقام لضياح مكانة جماعة الخصيان في البلاط المريني . ولكن بعض الروايات تحدد جهات أخرى مسئولة عن هذه الجريمة ، فابن زرع يشير إشارة عابرة إلى أن الجاني نفسه كان مولى لأبي على الملياني قبل أن ينضم إلى البلاط المريني (٩٩) . والمعروف أن السلطان يوسف قتل أبا على الملياني هذا - وكان أحد موظفي الدولة المعينين على جباية قبائل المصامدة - عندما ثبت عند السلطان المخافة في مهمته . (١٠٠) والصلة بين الجاني وأبي على الملياني تصلح أن تكون مبررا لأن يقتل السلطان انتقاما لسيده ، وقد أكد ذلك ابن حجر العسقلاني في روايته حيث يقول : « إلى أن قضي الله له (السلطان يوسف) عبدا خصيا جشيا فقد عليه أنه قتل قريبا له في جناية جناها فاستقبله يوما وهو في قصره فوجأه بسكين فأتى على نفسه » (١٠١) . وذكر ابن حجر أيضا أن التآمر في هذه الجريمة كان بين الخصي سعادة وبين أبي بكر الذي كان أخا للسلطان يوسف ، وقد نفذ في أبي بكر هذا حكم الإعدام بسبب تأمره في هذه الجريمة بعد ذلك (١٠٢) . على أنه من الجائز أن تكون هذه العوامل مجتمعة سببا في وقوع الجريمة على هذا النحو .

وقد لخص ابن الخطيب الدور العظيم الذي قام به ذلك السلطان الجليل في قوله : « أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق وهو الذي وطّد الدولة المرينية وجبا الأموال العريقة ، واستأصل من تنقى شوكته من القرابة وغيرهم وجاز إلى الأندلس في أيام أبيه وبعده غازيا ثم محاصر تلمسان وهلك عليها » (١٠٣) ، وقال عنه ابن حجر العسقلاني أيضا : « وأعظمته الملوك شرقا وغربا وجاءته الهدايا من كل وجه » (١٠٤) .

(ب) جهود السلطان أبي ثابت عامر لتوطيد دولة بنى مرين :

من (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) إلى (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .

أبو ثابت عامر هذا هو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب وليس ابنه كما يقول بذلك بعض المؤرخين (١٠٥) . وقد نشأ ذلك السلطان هو وأخوه سليمان في كفالة جددهما السلطان يوسف لأن والدهما الأمير أبا عامر ولى عهده مات شريدا ببلاد بنى سعيد من غمارة الريف

سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) (١٠٦) . وكان لذلك أثر كبير في نفسية السلطان يوسف ،
« فكان لهننا بعينه حلاوة وفي قلبه لوطه لمكان حبه فيهما واغترابه عنه فحذب عليهما وآثرهما
من نفسه بمكان » (١٠٧) .

كانت ردود الفعل المقتل السلطان يوسف بن يعقوب عنيفة في داخل البيت المريني
الحاكم ، لأنه لم يرشح في حياته وليا جديدا للعهد بعد وفاة ولده عبد الله الذي كان صاحب
هذا المنصب (١٠٨) ، ومن ثم انقسم المرينيون إلى فريقين الفريق الأول ضم أشياخ بني مرين
والعرب - بايع الأمير أبا ثابت عامر بن عبد الله خارج مدينة المنصورة وأيد وجهة نظر هذا
الفريق بني ورتاجن لصلتهم القوية بالأمير أبي ثابت (١٠٩) . أما الفريق الثاني فكان يضم
البطانة والحاشية والوزراء والأجناد وهؤلاء بايعوا الأمير أبا سالم ابن السلطان يوسف الذي كان
مقيما داخل المنصورة في ذلك الوقت (١١٠) .

واستطاع أبو ثابت بما لديه من الإقدام والشجاعة والجرأة أن يدير دفة الأحداث في
صالحه (١١١) . إذ بادر فور مبايعته إلى الاجتماع بأشياخ بني مرين والعرب ورؤساء الناس
للتشاور معهم في أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرحل عنها إلى المغرب ؟ فكلهم أشار
عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له « أدرك بلاد المغرب وسكنه فإن عثمان بن علي بن أبي
العلاء بسبته وقد سمع بموت جلدك وخرج قاصدا إلى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة
أصيلة وأن الناس قد قنطوا في هذه البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع عشرة سنة فسر
إلى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جاش أهلها (١١٢) » . وكان ذلك الرأي دعوة للسلطان
الجديد لكي يستأنف الجهود لتوطيد الدولة المرينية والقضاء على الأخطار التي تهددها .

بدأ أبو ثابت على الفور في الاتصال بصاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حموا ابتا يغمرا سن
واتفقا على معاهدة صلح تضمنت بنودها أن يرفع السلطان المريني الحصار عن تلمسان ويرد
جميع البلاد التي استولى عليها إلى بني عبد الواد (١١٣) ، وإن يقوم بنو عبد الواد بمعلونة أبي
ثابت في القضاء على خصمه أبي سالم ، وفي حالة فشل أبي ثابت يقوم بنو عبد الواد بحمايته
وضمه إليهم (١١٤) .

ويقضى البند الأخير من المعاهدة ألا يتعرض بنو عبد الواد لمدينة المنصورة « بسوء وأن
يتعاملوا مساجدها وقصورها بالإصلاح وأن من أراد الإقامة بها من أهلها فما لأحد عليه من
سبيل » (١١٥) .

ولم يجرؤ أبو سالم على مواجهة أبي ثابت ففر هاربا من المنصورة إلى بلاد المغرب ولكن
فرقة من جند السلطان أبي ثابت تمكنت من القبض عليه بندرومة وقتلته ، وقام السلطان أبو
ثابت بحركة تصفية واسعة النطاق لجميع العناصر التي تحوم حولها شبهة التطلع للحكم أو

مناوأة السلطان ، ومن هؤلاء الأمير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه (١١٦) .

اتخذ السلطان أبو ثابت بعد ذلك عدة خطوات للانسحاب من المغرب الأوسط ، فبعث أوامره إلى جيوش جده وجنوده التي كانت متفرقة في بلاد المغرب الأوسط ، يأمرها بالانسحاب من مواقعها وتسليم مافي أيديهم من المدن والنواحي إلى أهل البلاد (١١٧) . ثم أرسل إلى فاس جيشا بقيادة الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب « وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الأموال على الخاصة والعامة (١١٨) » وسار هو إلى فاس فوصلها بعد ذلك من المحرم سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) (١١٩) . وعلى الرغم من أن السلطان أبا ثابت نفذ لبنى عبد الواد بنود معاهدة الصلح بالكامل . فإنهم بادروا إلى خرقها بتدميرهم لمدينة المتصورة ومحو آثارها من الوجود (١٢٠) .

وبعد أن استقر السلطان أبو ثابت بعاصمته فاس أرسل جيشا بقيادة الحسن بن عامر ابن عبد الحق لمحاربة عثمان بن أبي العلاء الذي استفحل أمره في سبتة وما حولها . وفي نفس الوقت أرسل ابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق إلى مراكش ، وعندما وصل هذا الأخير إلى مراكش أعلن خروجه نائرا على السلطان ودعا لنفسه وقبض على والى مراكش وقتله ضربا بالسياط (١٢١) . وما أن وصلت هذه الأنباء إلى أبي ثابت حتى أرسل إلى مراكش جيشا من خمسة آلاف جندي بقيادة وزيره عيسى بن السعود الجشمي ويعقوب بن أصناك (١٢٢) . وقد نجح هذان القائدان في إلحاق الهزيمة بيوسف بن محمد عند الضفة الشرقية لوادي أم الربيع . وفر يوسف إلى مراكش ومنها إلى أغمات ثم فر ثانية إلى جبل هسكورة مستجيرا بمخلوف بن هند المسكوري . ولكن مخلوف بن هند رفض أن يجره ، وقبض عليه مع ثمانية من كبار معاونيه في الثورة ، وبعثهم إلى أبي ثابت الذي وصل إلى مراكش في منتصف رجب سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) فقتلهم جميعا بعد أن مثل بهم بالسياط ، وأرسلت رأس يوسف بن محمد إلى فاس فعلقت على أسوارها (١٢٣) . وقبض أبو ثابت على كل من كانت له صلة بيوسف بن محمد ، ويذكر المؤرخون أنه قتل منهم بمراكش ستائة (١٢٤) « وصلبهم على / سورها من باب الرب أحد أبواب مراكش إلى برج دار الحرة عزونة وقتل في أغمات منهم مثل ذلك » (١٢٥) . وتوجه أبو ثابت بعد ذلك إلى ثائر آخر يسمى بالسكسيوى وما أن وصل إلى تامزورت حتى أرسل إليه السكسيوى بطاعته ومعها بعض الهدايا ، فقبل السلطان طاعته وخدمته (١٢٦) . ومن تامزورت وجه أبو ثابت أيضا حملة تتألف من ثلاثة آلاف جندي ، يقودها يعقوب بن أصناك لتأديب قبائل زكنه القاطنين ببلاد حاحة من السوس ، ففروا أمام هذه الحملة إلى الرمال حتى انقطعت آثارهم (١٢٧) . عاد أبو ثابت بعد ذلك إلى مراكش ، ومنها عاد إلى فاس ، وفي طريق العودة . قام بحملة

تأديبية واسعة شملت معظم القبائل العربية التي تثير الشغب ، وتمكر صفو الأمن في البلاد ، ففى آنفى اعتقل ستين من شيوخ عرب جشم (١٢٨) وأودعهم سجن المدينة وضرب أعناق عشرين من فسادهم الذين كانت لهم يد فى قطع الطرق على مواطنى الدولة - وصلهم على أسوار مدينة آنفى . وفى رباط الفتح قتل ثلاثين من زعماء العرب المتهمين بقطع الطرق وصلبت أجسادهم على أسوار المدينة ، ولقى عرب رياح منه أيضا ضربات قاسية حيث قتل وأسر منهم عددا كبيرا (١٢٩) .

وعاد إلى فاس فى منتصف ذى القعدة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) (١٣٠) وهناك فاجأه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان أمام عثمان بن أبى العلاء وأن عثمان قد استفحل أمره بجهات غمارة (١٣١) . وبات واضحا للسلطان أبى ثابت أمام هذه الأحداث التى تتطور بسرعة فى شمال دولته ، أن توطد نفوذه على دولته مرهون بالقضاء على حركة ابن أبى العلاء التى كادت كما يقول السلوى « تلج عليه دار ملكه » (١٣٢) خاصة وأن ابن أبى العلاء كانت تدعّمه جهات أجنبية تتمثل فى ابن الأحمر سلطان غرناطة (١٣٣) . كما انضم إلى عثمان كثير من ذوى الأطماع والرغبة فى السلطة وقد ذكر ابن خلدون منهم « يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان .. ومسعود بن الأمير أبى مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبى العلاء بمكانه من غمارة (١٣٤) » .

قرر أبو ثابت أن يخرج بنفسه لمواجهة هذه الأخطار فى منتصف ذى الحجة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) ووصل بقواته إلى قصر كتامة حيث أمضى بها ثلاثة أيام حتى استكمل استعداداته وتلاحقت به قبائل بنى مرين والعرب والرمّة من سائر القبائل (١٣٥) . وتوجه بعد ذلك إلى جبال غمارة ، فانسحب عثمان بن أبى العلاء إلى نواحي سبتة ، وتقدم أبو ثابت إلى محصن علودان فاقترحه بالقوة وهجم على بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبى النساء واللبة ، إذ تمسك أهل هذه البلدة بطاعة ابن أبى العلاء وعاونوه معلونة كبيرة فى الاستيلاء على قصر كتامة وأصيلا واشتركوا معه فى نهب كثير من أموال أهلها ، وارتحل أبو ثابت بعد ذلك إلى طنجة فدخلها فى سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) (١٣٦) .

تحصن ابن أبى العلاء داخل سبتة ، وبدأ السلطان أبو ثابت عملياته واستعداداته العسكرية للاستيلاء على المدينة ، فأمر « باختطاط بلدة تيطاوين لنزول العسكر والأخذ بمخنق سبتة » (١٣٧) وفى نفس الوقت أمر فرقا من جيشه بالإغارة على نواحي سبتة واكتساح أموالها لإضعاف القدرة الاقتصادية للمحاصرين داخل المدينة (١٣٨) . وحاول أبو ثابت أيضا أن يضعف من تأييد سلطان غرناطة لعثمان بن أبى العلاء حتى يبقى فى الميدان وحده فيسهل القضاء عليه ، فأرسل فى هذا الشأن كبير الفقهاء بمجلسه أبى يحيى بن أبى الصبر إلى ابن الأحمر

يطلب منه التخلي عن مدينة سبتة ، وظل مقيما بقصبة طنجة منتظرا ما يأتي به الرسول (١٣٩) . ولكن الموت عاجله فجأة ، وتذكر بعض المصادر أنه مرض بطنجة أياما قلائل مات بعدها (١٤٠) . وذكر ابن أبي زرع أنه مات فجأة (١٤١) .

بينما تذكر بعض المصادر الأخرى أنه مات مسموما (١٤٢) وكان ذلك في ثامن صفر سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) ودفن خارج طنجة وبعد أيام حمل جثمانه إلى مدفن آبائه بشالة (١٤٣) .

(ج) سياسة السلطان أبي الربيع سليمان لتوطيد دولة بني مرين

(٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) - (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)

وهو سليمان بن عبد الله ، حفيد آخر للسلطان يوسف بن يعقوب (١٤٤) يكنى بأبي الربيع ، تولى أمر بني مرين في نفس يوم وفاة أخيه السلطان أبي ثابت ، الثامن من صفر سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) (١٤٥) وكان عمه علي بن السلطان يعقوب بن عبد الحق قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس (١٤٦) . ولكن أهل الحل والعقد والوزراء وكاتب أخيه عبد الله ابن أبي مدين شعيب بايعوا أبا الربيع سليمان ، الذي بادر إلى اعتقال عمه علي وسجنه بطنجة حتى مات (١٤٧) .

ورأى أبو الربيع سليمان أن ينتقل من طنجة إلى فاس (١٤٨) . وربما كان ذلك ليعطى نفسه فرصة ليعبى عناصر قوته حتى يتمكن من مواجهة عثمان بن أبي العلاء ، وقد يكون قرار رجوعه بالقوات المرينية من طنجة إلى فاس خطة عسكرية هدفها استدراج عثمان بن أبي العلاء ليخرج من سبته فيسهل على القوات المرينية القضاء عليه . وسير الأحداث يؤكد كثيرا هذا الرأي الأخير دون أن تجزم به مصادر التاريخ صراحة .

فابن خلدون يذكر أن أبا الربيع بعد أن تمت مبايعته وزع العطاء على الناس ثم ارتحل نحو فاس ، وتبعه عثمان بن أبي العلاء في جيش كثيف ، يروي ابن أبي زرع أنه كان يضم جمعا عظيما من رجاله وبنيه وإخوانه ليهاجم السلطان أبا الربيع سليمان ليلا (١٤٩) . ووصلت أنباء تحركات عثمان ابن أبي العلاء إلى مسامع السلطان أبي الربيع فأصدر أوامره إلى جنوده بالسهرة واليقظة والاستعداد طول الليل ، حتى التقى بعثمان بن أبي العلاء بساحة علودان (١٥٠) . « فكانت بينهما حروب شديدة فر فيها ابن أبي العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكريه وقتل آخرون (١٥١) » . وفي نفس الوقت وصل أبو يحيى بن أبي الصبر من الأندلس ، وقد نجح أبو يحيى في سفارته إلى ابن الأحمر الأمر الذي جعل ابن أبي العلاء يرحل من فوره هو ومن معه إلى غرناطة (١٥٢) .

وفي أول ذي الحجة سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م) أرسل السلطان أبو الربيع قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسي إلى حصار سبتة ، وتمكن من فتح المدينة بالقوة « بأمر أشياخها وموافقة عامتها فإنهم كرهوا إمارة أهل الأندلس عليهم وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة » (١٥٣) . وبذلك عادت إلى الدولة المرينية تلك المنطقة الحساسة من أراضيها (١٥٤) . واتجهت سياسة السلطان أبي الربيع بعد ذلك إلى توطيد نفوذ الدولة

السياسى لدى الدول الأخرى ، فعقد اتفاقا لحسن الجوار بينه وبين موسى بن عثمان بن يغمراسن (١٥٥) . كما صالح ابن الأحمر (أبا الجيوش نصر) وتنازل له هذا الأخير عن الجزيرة الخضراء ورندة ونواحيها ، ووصلا في دعم العلاقات بينه وبين ابن الأحمر إلى حد المصاهرة حيث تزوج من أخت السلطان ابن الأحمر (١٥٦) . وكانت هذه التنازلات من ابن الأحمر تحت وطأة سوء الأحوال في بلاد الأندلس فقد استولى النصارى على جبل الفتح (جبل طارق) ، وهاجموا المرية والجزيرة الخضراء (١٥٧) . وقد استجاب السلطان أبو الربيع لنداء ابن الأحمر ولكن استجابته لم تكن إلا في صورة امدادات بالأموال والخيول اللازمة للقتال (١٥٨) .

ولم يكتف أبو الربيع بذلك بل عمد إلى توطيد نفوذه وسلطانه على جميع أجهزة الدولة ، وتخلص من كل من رأى منه إساءة أو زيادة في النفوذ ، أو رأى منه تطلعا إلى الرياسة أو السلطان . فقتل كاتبه الفقيه عبد الله بن أوى مدين لوشاية وصلت إليه عن طريق يهودى يسمى خليفة الأصفر ، وبعد أن تعرف السلطان أبو الربيع على كذب خليفة الأصفر ، أمر بقتله ، وذويه من اليهود القائمين على الخدمة في البلاط المرينى (١٥٩) .

وحدث أيضا أن رسولا من رسل ابن الأحمر من المترفين قدم إلى العاصمة فاس وجاهر فيها بشرب الخمر (١٦٠) . وكان القائم بأحكام القضاء والإفتاء الشيخ أبو الحسن الصغير ، وكان متشددا في إقامة الحدود حتى أنه اتخذ شماما يستنشق على الناس روائح الخمر (١٦١) . فلما اقتادوا إليه رسول ابن الأحمر هذا أقام عليه حد الخمر ، فسارع ذلك الرسول إلى الوزير رحو بن يعقوب الوطاسى وكشف عن ظهره ليريه أثر السياط ، فأمر ذلك الوزير بإحضار القاضى بعد إهائته والتكيل به ، فاعتصم القاضى بالمسجد الجامع وثارته معه العامة (١٦٢) . فلما علم السلطان بتلك الأحداث ، أحضر أنصار الوزير الذين أساءوا للقاضى وضرب أعناقهم ، فما كان من الوزير إلا أن تأمر مع الحسن بن على بن أى الطلاق محمد من بنى عسكر بن محمد - وهو شيخ من شيوخ بنى مرين - وقائد الروم (عنصالة) ، على مبايعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق وخلع طاعة السلطان ، وخرجوا إلى تازى حيث رابطوا هناك بمن انضم إليهم وراسلوا من هناك موسى بن عثمان بن يغمراسن ليساعدهم ، ولكنه أحجم عن مساعدتهم (١٦٣) .

خرج السلطان أبو الربيع بميوشه لملاحقتهم في تازى ، فلما يمسوا من مناصرة بنى عبد الواد لهم تفرق جمعهم فعبر عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب إلى الأندلس بعد أن سهل لهم أبو حمو صاحب تلمسان أمر الفرار ، أما من تبقى من أتباعهم فقد أعمل فيهم أبو الربيع القتل والسبى والأسر (١٦٤) . وفى أثناء هذه الجهود المبذولة لتوطيد سلطان الدولة مرض

السلطان ولم تمض عليه ليال حتى توفي في آخر جمادى الأخيرة سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) ودفن بصحن الجامع الأعظم من تازى (١٦٥) . وترى بعض الروايات أنه مات مسموما (١٦٦) .

وقد ظهرت آثار الجهود التي بذلها ذلك السلطان وأسلافه السابقين في مجال توطيد الدولة المرينية واضحة جليلة في عهده ، فوصلت الدولة إلى حالة عظيمة من النضج والازدهار والتقدم وصفها ابن خلدون بقوله « وأقام (أبو الربيع) وادعاً بحضرته . وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لأهل الدولة وفي أيامه تغالى الناس في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء فعالوا الصروح واتخلوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والتقوش وتنافسوا في لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف والسلطان وادع بداره متملى أريكته » (١٦٧) .

(د) نشاط السلطان أبي سعيد عثمان لتوطيد دولة بني مرين

(٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) - (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م)

أبو سعيد عثمان وإصلاحاته الداخلية :

ولد أبو سعيد في سنة (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م) ، وأمه عريية حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبي عطية مهلهل بن يحيى ، ويكنى أبا سعيد ، ويلقب بالسعيد بفضل الله (١٦٨) ، تولى أمر بني مرين بعد وفاة السلطان أبي الربيع رغم محاولة قام بها أحد المتطلمعين إلى السلطان من أعضاء البيت المريني وهو أبو سعيد الأصغر عثمان بن السلطان يوسف بن يعقوب ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل (١٦٩) . إذ اجتمع الوزراء والمشايخ بالقصر السلطاني بعد هدأة من الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم في نهاية الأمر على أبي سعيد الأكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق . وقاموا على الفور باستدعائه ، وبايعوه في نفس الليلة (١٧٠) .

واتخذ أبو سعيد على الفور جميع الإجراءات اللازمة لإتمام مبايعته من العامة والخاصة في الدولة فأرسل كتبه إلى أقاليم الدولة وجهاتها باقتضاء البيعة له ، وأرسل في نفس الوقت ابنه الأكبر أبا الحسن إلى فاس عاصمة الدولة لاقرار الأوضاع فيها لصالح السلطان الجديد ، فوصلها أبو الحسن في أول رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) فاستولى على قصر الخلافة ، ووضع يده على أموال الدولة وذخائرها في العاصمة (١٧١) .

ويبدو أن هذه الإجراءات السريعة كانت تتخذ على وجه السرعة ، حتى لا يسطو على الحكم من لا يستحقه ، خاصة إذا بويع السلطان الجديد خارج العاصمة .

وجرت مراسم البيعة العامة للسلطان أبي سعيد في رباط تازي ، ففي صبيحة يوم الأربعاء أول رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) ركب (أبو سعيد) من قصر رباط تازي إلى خارج المدينة في زى عجيب ، واحتفال عظيم . فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مرين وكافة العرب والأندلس والأعزاز وقواد الروم ، ثم بايعه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه (١٧٢) .

وقد تمتع أبو سعيد بصفات كثيرة دعمت موقفه لدى أهل الحل والعقد في الدولة ولدى العامة أيضا ، فقد كان من أهل العلم والحلم والعفاف ، جوادا متواضعا ، متوقفا في

سفك الدماء ، حازما في الدين ، ذا شفقة على جميع المسلمين (١٧٣) . واجتمعت فيه أيضا صفات جسدية جعلته مقبولا من حيث هيئته ، وقد أشاد كثير من المؤرخين بهذه الصفات . بوجه خاص فهو أبيض اللون ، معتدل القد ، جميل الوجه والصورة ، حسن القبول بعيد ما بين المنكبين ، بعينه حور ، لطيف الشمائل ، وقد جعلته هذه الصفات موضع القبول من جميع الأطراف (١٧٤) .

وصل أبو سعيد إلى عاصمته فاس في العشرين من رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) (١٧٥) . وقام فور وصوله بعدد من الإصلاحات الداخلية التي من شأنها أن تدعم وتوطئ أركان الدولة المرينية ، وبدأ بحركة الإصلاح هذه بمراجعة التقاليد السابقة في الدولة حين يتم انتخاب سلطان جديد لها ، ففرق الأموال على قبائل بني مرين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والعلماء وأحسن إلى الخاصة والعامة من الناس (١٧٦) .

وحرص أبو سعيد على مباشرة أحوال الدولة وأمور الرعية بنفسه وقلعت حركة الإصلاح في عهده على أساس رفع المظالم عن الناس والتخفيف عنهم . فرفع عنهم ما كان مفروضا عليهم من المغارم ، وأفرج عن المسجونين إلا من كان مسجوناً لأنه من أهل الفساد في الأرض ، أو من أصحاب الدماء ، أو من سجن في حق شرعى (١٧٧) . كما اتخذت الصدقات التي تخرجها الدولة في عهده مفهوماً أشبه كثيراً بما هو معروف في أيامنا بنظام التأمين والمعاشات إذ أمر أبو سعيد بتوزيعها على « الضعفاء وأهل السر من البيوتات » بصفة خاصة (١٧٨) . كما راعى إزالة المعوقات التي ترهق أهل مدينة فاس وتوق نشاطهم ورواجهم الاقتصادي فرفع عن رباعهم ما كان مفروضا عليها من الوظائف الخيرية في كل سنة (١٧٩) . وقد رفعت بعد ذلك تباعاً عن سائر أنحاء الدولة (١٨٠) . ولم يقف أمر الإصلاح في عهد أبي سعيد عند هذا الحد ، بل كان يقوم بجولات استطلاعية يتفقد فيها أقاليم الدولة ومدنها ويدرس احتياجاتها من الإصلاح ففي شهر ذي القعدة سنة (٧١٠ هـ / ١٣١١ م) ، خرج من فاس إلى رباط الفتح للدراسة أحوال الرعية هناك ، والنظر في أحوال بلاد الأندلس عن كثب ، واتخذ بعد ذلك عدة قرارات من بينها إنشاء الأساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة ومداومة الغزاة عنها (١٨١) . وفي سنة (٧١١ هـ / ١٣١١ م) أمر بتعيين أخيه الأمير يعيش بن يعقوب والياً من قبله على الجزيرة الخضراء ورندة ونواحيها من بلاد الأندلس (١٨٢) . وقد جعلت هذه الجهود الإصلاحية مؤرخاً كابن الخطيب ، يصف هذا السلطان بأنه محمد الدولة المرينية (١٨٣) .

المتاعب التي واجهت السلطان أبي سعيد عثمان :

تعرض السلطان أبو سعيد خلال فترة حكمه إلى كثير من المتاعب كان بعضها من

جانب بنى عبد الواد فى تلمسان ، وبعضها من جانب بعض الثائرين خاصة فى إقليم مراكش ، وأكثر هذه المتاعب كان من جانب ولى عهده أى على الذى ثار عليه أكثر من مرة ، علاوة على ماكان يدور من مؤامرات انفصالية فى سبته قادها بنو العزفى ، ومادار بالأندلس من أحداث متردية . وستعرض لهذه المتاعب كل منها على حدة .

١ - نقض بنى عبد الواد لقواعد الصلح مع بنى مرين :

كان على بنى عبد الواد بمقتضى الصلح المنعقد بين السلطان أبى الربيع وأبى حمو صاحب تلمسان أن يقوموا بتسليم الثائرين : عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى ، ولكن الذى حدث من بنى عبد الواد كان غير ذلك إذ قام السلطان أبو حمو بحمايتهما ، وتسهيل الطريق لهما للفرار إلى الأندلس (١٨٤) وبعد وفاة السلطان أبى الربيع ، رأى السلطان أبو سعيد سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ضرورة القيام بحملة تأديبية ضد بنى عبد الواد (١٨٥) . وقاد هو بنفسه هذه الحملة التى تضمنت جيشا عظيما جعل أبو سعيد على جناحيه ابنه أبى الحسن وأبى على وسار هو على رأس ساقة الجيش (مؤخرته) فاكتمح بلاد المغرب الأوسط وحاصر تلمسان ، وأحدث تخريبا شديدا فى نواحيها وعاد إلى تازى بعد أن لقن بنى عبد الواد درسا قاسيا (١٨٦) .

٢ - الاضطرابات فى إقليم مراكش :

كانت أول الاضطرابات التى حدثت فى عهده بهذا الإقليم من قبل عدى بن هند المسكورى (١٨٧) . ببلاد مسكورة حيث نقض طاعته للسلطان وأعلن العصيان . فخرج إليه أبو سعيد سنة (٧١٣ هـ / ١٣١٣ م) (١٨٨) ونزل على هذا الثائر بجيوشه وهو فى قلعة ، فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف فى الحديد وقدمه بين يديه موثقا مغلولا إلى مدينة فاس فثقفه بها (١٨٩) .

كما احتاجت مراكش نفسها إلى كثير من جهود السلطان أبى سعيد ، فانتقل إليها فى سنة (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) وكذلك فى سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ومرة ثالثة فى سنة (٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) . وكان فى كل مرة يتحرك إليها بنفسه ليسكن أحوالها ، ويضبط ثغورها ، ويتفقد أنحاءها ويشرف عليها بنفسه (١٩٠) .

٣ - حركات الأمير أبى على الانفصالية :

كان للسلطان أبى سعيد ولدان أكبرهما اسمه على ويكنى أبى الحسن وهو من أمة حبشية ، أما الصغير فهو عمر ، ويكنى أبى على ، وهو لملوكة من سبى النصارى (١٩١) . وكان هذا الأصغر أثرهما لديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حننا وبه

مشغوفاً (١٩٢) . ولذلك جعله ولياً لعهد من دون أخيه الأكبر أبى الحسن ، وأحاطه بأية الملك وعظمة السلطان ، فوضع له ألقاب الإمارة « وصير معه المجلس والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه » ، « وعقد على وزارته إبراهيم بن عيسى اليرباني » (١٩٣) وبدأ نفوذ عمر يتزايد فى الدولة « وخاطبه الملوك من النواحي وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات واثبت فى الديوان ومحاوَزاد فى العطاء ونقص » (١٩٤) . وكان لكثرة هذه الصلاحيات التى منحها السلطان أبو سعيد أثر كبير فى أفساد ولى عهده عمر ، وجعله يشعر بأنه فى مكانة من ولاية العهد يمكنه معها الاستغناء عن السلطان نفسه وخلع طاعته . وهذا ماحدث فى أعقاب عودة السلطان أبى سعيد من حملته على تلمسان سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ، فقد أقام السلطان بتازى وأرسل ولديه إلى فاس ، وهناك فى فاس راودت ولى العهد عمر فكرة السطو على منصب والده السلطان وخلعة (١٩٥) .

ولم يمض وقت طويل حتى أعلن الأمير عمر خلع طاعته لوالده السلطان ، ودعا الناس إلى مبايعته ، وتحرك السلطان أبو سعيد نحو فاس لقمع ثورة ولده الأمير عمر . ولكنه عندما التقى بالأمير عمر منى بهزيمة فادحة عند المقرمة ما بين فاس وتازى ، وأقلت السلطان أبو سعيد من المعركة بصعوبة بالغة بعد أن جرح فى يده ، وتابعه الأمير عمر حتى وصل إلى تازى ، وهناك سعت بعض الشخصيات فى عقد الصلح بين السلطان أبى سعيد ولده عمر ، ووجد السلطان أبو سعيد نفسه فى مأزق خطير الأمر الذى دعاه إلى قبول شروط الصلح ، التى تقضى بأن يتنازل السلطان أبو سعيد لولده عمر عن عرش الدولة المرينية ، وأن يكفى أبو سعيد بما تحت يده فى تازى (١٩٦) .

عاد الأمير عمر إلى فاس ، وبعد ذلك بايعة الناس بالمدينة البيضاء فى الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (١٩٧) ، ولكن الأحداث مضت به فى طريق آخر غير الذى أراده ، إذ مرض مرضاً شديداً غاب فيه عن وعيه ، مما جعل وزيره أبابكر بن | التوار ، وكاتبه منديل بن محمد اللقاني وعدد من الخاصة يستغيثون بالسلطان أبى سعيد فى تازى ، الذى قدم على وجه السرعة وحاصر فاس الجديد (١٩٨) .

ولما أفاق الأمير عمر من غيبوبته ، ورأى ألا فائدة من المقاومة ، طلب من والده الصلح على أن يخرج من فاس الجديد ويأخذ من المال والذخيرة مالا يحق لأحد أن يعترض عليه ، وتم هذا الصلح فى سنة (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) (١٩٩) ويضيف السلاوى أن الصلح بين أبى سعيد والأمير عمر تم على أساس أن يعوض الأمير عمر لقاء تنازله عن الحكم ، بأن يكون له حكم إقليم سجلماسة (٢٠٠) . وعلى الرغم من أن ابن خلدون لم يشر صراحة إلى ذلك فالذى يفهم من روايته أن الأمير عمر ذهب إلى سجلماسة فى ذى القعدة سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٥ م) واستقل (٢٠١) بها « فأقام بها ملكاً ودون الدواوين واستلحق

واستركب وفرض العطاء ، (٢٠٢) . وهذا يعنى بطبيعة الحال انفصال سجلماسة عن الدولة المرينية لأن هذا الأمير أصبح يشكل فيها حكومة مستقلة عن السلطة المركزية في فاس . وفي الحقيقة أن الأمير عمر كان يعرف جيدا مكانته من قلب أبيه ، ولذلك كان يضرب على أوتار هذا القلب في الوقت المناسب ليظفر بما يريد . ومما يؤكد أن وضع الأمير عمر في سجلماسة كان باتفاق مع السلطان أبي سعيد أنه عندما فكر الأمير عمر في تخطي حدود سجلماسة بالتوسع سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) واتجه للاستيلاء على درعة وتطلع للاستيلاء على مراكش (٢٠٣) . بدأ السلطان أبو سعيد في مهاجمته ، بعد أن استولى فعلا على مراكش وقتل عاملها كندوز بن عثمان ، والتقى به السلطان أبو سعيد بوادي ملوية ، فهزم الأمير عمر وفر من أرض المعركة هاربا إلى سجلماسة (٢٠٤) . ولما تتبعه السلطان حتى سجلماسة ، عاود الأمير عمر طريقته في ابتزاز عطف أبيه وصفحه عنه فعفا عنه ويتحدث ابن خلدون عن ذلك السلاح القوي الذي كان يدافع به الأمير عمر عن نفسه كلما ضاقت به الأحوال مع والده السلطان أبي سعيد بقوله : « وارتحل السلطان إلى سجلماسة فدافعه الأمير أبو علي بالخضوع في الصفح والرضا والعودة إلى السلم فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب » (٢٠٥) وهذا التصرف من جانب السلطان أبي سعيد يعنى أنه أعطى ولده ما يشبه الحكم الذاتي لإقليم سجلماسة فقط ولم يرض عن أى مظهر لانفصال الإقليم عن الدولة الأم .

٤ - محاولات بني العزفي الانفصالية في سبتة :

عاد بنو العزفي من غرناطة إلى بلاد المغرب ثانية في عهد السلطان أبي الربيع ، واستقروا في فاس (٢٠٦) . ونظرا للعلاقات الطيبة التي جمعت بين أبي زكريا ويحيى بن أبي طالب العزفي والسلطان أبي سعيد قبل توليه الحكم قلد السلطان أبو سعيد أبا زكريا ويحيى العزفي على سبتة ، ولما أعاد بني العزفي إلى ماكانوا عليه (٢٠٧) ولكنهم مالبثوا أن أعيدوا مرة ثانية إلى فاس بأمر من الأمير عمر ، وظلت أحوالهم كذلك حتى انتهاء ثورة الأمير عمر والمحصار أمره في سجلماسة ، عندئذ أعاد السلطان أبو سعيد بني العزفي مرة ثانية إلى سبتة ، ولكنه في هذه المرة أخذ محمد بن أبي زكريا ويحيى العزفي رهينة عنده حتى يلتزم بنو العزفي بالطاعة للسلطان أبي سعيد (٢٠٨) .

ولم يمض على ذلك سنتان حتى « انتقض أبو زكريا بن أبي طالب على السلطان أبي سعيد ورجع إلى حال سلفه من الاستبداد وإقامة الشورى بالبلد واستقدم من الأندلس عبد الحق بن عثمان الذي خرج على السلطان أبي الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق به كلمة بني مرين بالمغرب ، ويهن بأسهم فتخف عليه

وطأنهم ، (٢٠٩) . وبهذا اتضحت أهداف بنى العزفى الذين استغلوا حركة الأمير عمر بن السلطان أبى سعيد فى استعادة نفوذهم الكامل فى سبته ، وتدخلوا بطريقة سافرة من جانبهم لتغيير نظام الحكم فى الدولة .

ولم يكن هناك بد من مواجهة خطر بنى العزفى ، فأرسل السلطان أبو سعيد جيشا إلى سبته بقيادة وزيره إبراهيم بن عيسى البرينانى ، وتمكن ذلك الجيش من حصار سبته . وهنا اعتذر أبو زكريا يحيى ، وعلل تصرفاته هذه بأنها بسبب احتجاج السلطان لولده رهينة عنده ، وأنه إذا أعاد له السلطان ولده ، فإنه سوف يعود مرة أخرى إلى طاعة السلطان (٢١٠) .

وأرسل السلطان على الفور الرهينة إلى وزيره إبراهيم بن عيسى ، وتمكن أبو زكريا عن طريق الخيلة ، وبمساعدة عبد الحق بن عثمان من استعادة ولده وتفريق جيش السلطان أبو سعيد (٢١١) . ولم يمض وقت طويل حتى قرر أبو زكريا العودة إلى طاعة السلطان أبى سعيد ولم تشر المصادر إلى الأسباب التى أدت إلى اتخاذ هذا القرار وتراجع عن مخططاته التى رسمها ضد بنى مرين الحاكمين فى فاس (٢١٢) . والأكثر من هذا أن أبى زكريا العزفى وضع شروطا على نفسه يلتزم بها أمام السلطان أبى سعيد منها ، أنه يقوم بنفسه بحمل جباية سبته وما يقدمه من هدايا إلى السلطان (٢١٣) .

وفى سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) بعد وفاة أبى زكريا العزفى ، أسند السلطان أبو سعيد ولاية سبته إلى محمد بن أبى زكريا العزفى ولصغر سنه جعله تحت إشراف ابن عمه محمد بن على العزفى ، ولكن هذا الأخير تغلب على سبته من دون واليها محمد بن أبى زكريا (٢١٤) . وقد دعت هذه التطورات الأخيرة السلطان أبى سعيد المرينى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) ، إلى أن يغير سياسة الدولة المرينية تماما تجاه سبته باعتبارها ثغرا هاما من ثغور الدولة ، ومحطا للطامعين فى السلطة من أبناء البيت المرينى الحاكم ، وقربها من الأندلس التى يقيم فيها معظم هؤلاء الطامعين . واتضحت معالم السياسة الجديدة فى عدم تولية الحكم فى هذه المدينة لأسرة من الأسر . وبدأ تنفيذ هذه السياسة بإقصاء بنى العزفى تماما من حكم سبته (٢١٥) . ومن بين معالم هذه السياسة الجديدة توزيع السلطة فى سبته على أكثر من فرد ، وهذا من شأنه أن يقلل من فرصة الخروج والثورة على السلطة المركزية فى فاس ، « فعقد (السلطان أبو سعيد) لحاجبه عامر بن فتح الله السدراى على حاميتها وعقد (لأبى القاسم بن أبى مدين العثمانى) على جبايتها والنظر فى مبانيتها وإخراج الأموال للنفقات فيها » (٢١٦) . وأتاحت هذه القواعد الجديدة التى أرساها السلطان أبو سعيد لحكم سبته الفرصة لهدوء الأحوال فى هذا الثغر الهام من ثغور الدولة المرينية .

٥ - الأوضاع المتردية في بلاد الأندلس :

يلاحظ أن المرينيين كانوا يفضلون معالجة مشكلاتهم الداخلية قبل أن ينظروا إلى أية أمور خارجية . وفي ضوء هذه الحقيقة الهامة لم يكن للمرينيين - في عهد السلطان أبي سعيد - أثر عسكري فعال في الحروب الدائرة في الميدان الأندلسي ، إذ أحجم أبو سعيد عن مشاركة بني الأحمر فيما كانوا يواجهونه من أخطار (٢١٧) . ووضع لبنى الأحمر شرطا قاسيا بالنسبة لهم وهو ضرورة قيامهم بتسليم قائد (مشيخة الغزاة) في بلاد الأندلس عثمان بن أبي العلاء (٢١٨) . ووقف هذا الشرط حائلا ضخما يعوق التعاون بين المرينيين وبني الأحمر . ومن الانصاف في هذا الموضع أن يرفض بنو الأحمر شرط أبي سعيد ، فالنصارى الاسبان يحيطون ببني الأحمر من كل جانب ، ودولتهم ماتزال بعد في طور النمو ولاغنى لها - في مثل هذه الظروف - عن هؤلاء القادة المغاربة المهرة الذين كانت لهم جهودهم الموقفة في المضمار الحربي (٢١٩) .

ويبدو أن تشدد السلطان أبي سعيد مع بني الأحمر على هذا النحو ، كان يخفى وراءه . السبب الحقيقي وهو أن الوضع الداخلي في الدولة المرينية لايسمح بأي تعاون بين الطرفين فولى العهد عمر بن أبي سعيد يقف متربصا بالسلطان ، وبني العزفي في سبته منذ سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وحتى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) يحاولون الانفصال عن الدولة ويعاونون أحد أفراد البيت المريني وهو عبد الحق بن عثمان للاستيلاء على السلطة في الدولة (٢٢٠) . وقد نجح بنو الأحمر بمعاونة عثمان بن أبي العلاء في صد هجوم كبير للنصارى على عاصمتهم غرناطة في جمادى الأولى سنة (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) ، وحققوا بفضلهم انتصارا عظيما مما أثبت وجهة نظرهم في تمسكهم بحماية عثمان بن أبي العلاء (٢٢١) .

٦ - محاولات بني عبد الواد للاخلال بميزان القوى في بلاد المغرب :

درج بنو عبد الواد على التوسع شرقا على حساب بني حفص ، وقد تمكنوا في سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) من إلحاق هزيمة كبرى بأبي يحيى بن أبي زكريا الحفصى ، واقتحموا عليه مدينة تونس عاصمة دولته ، ونصبوا على ملك الحفصيين أحد عملائهم وهو محمد بن أبي عمران (٢٢٢) . واستطاع أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصى النجاة إلى بجاية ، ومن هناك أرسل وفدا يرأسه ولده الأمير أبو زكريا ومعه وزيره أبو محمدا بن تافراكين للاستنجاد بالسلطان أبي سعيد على بني عبد الواد (٢٢٣) . وقد أحدث وصول هذا الوفد أثرا كبيرا في نفس السلطان أبي سعيد وولى عهده الأمير أبي الحسن ، وفي حفل الاستقبال الذى جرى للوفد الحفصى قال السلطان أبو سعيد لولى عهده أبي الحسن ، « يا بني لقد قصدك أكبر أقوامنا وموصلك ووالله لا بدلن في مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولاسيرن

بعساكرى إلى تلمسان فأنزلها مع أبيك ، (٢٢٤) .

والذى لاشك فيه أن السلطان أبا سعيد كان يستشعر الخطر من هذه الأحداث ، ففى استيلاء بنى عبد الواد على تونس اخلال بميزان القوى فى بلاد المغرب ، إذ أن وجود الحفصيين فى إفريقيا من شأنه أن يكبح جماح بنى عبد الواد ، ومن ثم كانت هذه الحادثة تمثل نقطة تحول خطيرة فى سياسة بنى مرين تجاه المغرب الأوسط وإفريقية إذ بدأ المرينيون يخططون سياستهم على أساس التوسيع للقضاء على أى خطر قد يهدد دولتهم من اتجاه الشرق .

ولكن الأحداث لم تمنح المرينيين الفرصة فى ذلك الوقت ، فما أن خرج السلطان أبو سعيد ، وولى عهده أبو الحسن بالجيش المرينية سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) ووصلوا إلى وادى ملوية حتى وصلتهم الأنباء باستعادة السلطان أبى يحيى الحفصى لتونس (٢٣٥) . فاستدعى السلطان أبو سعيد الأمير أبا زكريا ووزيره أبا محمد بن تافراكين ، وأمرهم بالعودة إلى تونس ، وأرسل معهما إبراهيم بن أبى حاتم العزفى ، والقاضى أبى عبد الله بن عبد الرازق ليقوما نيابة عنه بخطبة ابنه السلطان الحفصى أبى يحيى لولده الأمير الحسن (٢٢٦) . وقد نجح الرسولان فى مهمتهما ، ووصلت العروس سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) وخرج السلطان أبو سعيد بنفسه إلى تازى للقاءها والاحتفاء بها (٢٢٧) . ولكنه اعتل وأصابه المرض ، ولما أحس الأمير أبو الحسن بदनو أجل والده قام بنقله إلى العاصمة فاس ، وحمله فى فراشه على أكتاف الحاشية والخيول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا إلى داره ، وأدركته المنية فى طريقه فقضى رحمه الله عليه فوضعه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمولواته فوورى لشهر ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين (٢٢٨) . وذكرت عدة مصادر أن أبا سعيد توفى بعد أن أصيب بمرض النقرس فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) (٢٢٩) .

ثانيا : اتساع دولة بنى مرين

(٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) - (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

جرت سياسة بنى مرين - منذ تولى السلطان أبو الحسن مقاليد الأمور في الدولة المرينية سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) على التوسع في بلاد المغرب الأوسط ، وإفريقية ، وكان ذلك التوسع رغبة منه في تحقيق الوحدة المغربية التي كانت قائمة أيام المرابطين والموحدين ، ويبدو أن أمر الوحدة كان حلما يراود القوى الثلاث التي كانت موجودة في بلاد المغرب في ذلك الوقت وهي قوة المرينيين وبنى عبد الواد ، والحفصيين ومن ثم بدأت كل قوة تعمل لهذا الهدف بالتوسع على حساب القوى الأخرى ، ولكن المرينيين من ناحيتهم كانوا يشعرون بهله الرغبة أكثر من غيرهم باعتبارهم ورثة الموحدين ، ومن منطلق أنهم هم الوحيدون من بين سائر القوى في بلاد المغرب الذين حملوا العبء الأكبر في سبيل القضاء على دولة الموحدين .

وانتقل المرينيون إلى مرحلة التوسع هذه بفضل ماوصلت إليه دولتهم من القوة والاستقرار ، وما حققته من ألوان الازدهار والعظمة في تلك الآونة حتى إن مؤرخا كالسلاوي يصف السلطان أبا الحسن الذي بدأ عهد التوسع بقوله : « وهو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس » (٢٣٠) .

وقد أمضى المرينيون قرابة الثلاثين عاما في تنفيذ هذه السياسة التي استغرقت عهد اثنين من عظماء سلاطين بنى مرين وهما السلطان أبو الحسن على بن عثمان ، وأبو عنان فارس بن أبي الحسن . أما جهود المرينيين التي شهدتها مسرح السياسة العسكرية في المغرب الأوسط - قبل هذه الفترة - فلم تكن أكثر من عمليات تأديبية لبنى عبد الواد ، وكان أكثرها لتأمين الأراضي المرينية في أثناء العمليات العسكرية التي قام بها المرينيون في الميدان الأندلسي .

(أ) التوسع في عهد السلطان أبي الحسن

من سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) إلى سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م)

يروى ابن الأحرر في النفحة النسرنية ، أن السلطان أبا الحسن المرينى ولد في صيف سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) (٢٣١) . ولكنه يعود في روضة النسرين فيذكر أن مولده كان في سنة (٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) (٢٣٢) .

والرواية الثانية بعيدة عن الصحة لأن ابن الأحرر نفسه في مؤلفيه النفحة والروضة يقرر أن أبا الحسن مات في سن الستين في السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) (٢٣٣) . وهذا يعنى أن الرواية الأولى هي الأقرب إلى الصحة من الثانية وذلك واضح من الفرق بين تاريخ الرواية الأولى وتاريخ الوفاة . وعرف أبو الحسن عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه كانت حبشية وقد اكتسب منها اللون الاسمر (٢٣٤) . ويضاف إلى هذه الصفة مجموعة أخرى من الصفات الجسمية التي أكسبته كثيرا من قوة الشخصية ، إذ كان طويل القامة ، عظيم الهيكل ، ضخيم العضدين ، حسن الوجه ، جميل العينين (٢٣٥) . وقد أفاض ابن مرزوق الذى ظل أعواما كثيرة يلازم السلطان أبا الحسن - في مسنده في الحديث عن صفات أبا الحسن النفسية ، فذكر أنه كان شديد التقوى ، كثير الخوف من الله ، إلى جانب اتصافه بالحلم وسعة الصدر (٢٣٦) . وهذه الصفة الأخيرة كانت محلا لاشادة الكثيرين حتى من أعدائه فقد قال عبد الله بن عثمان بن عمر بن يعمر اسن بن زيان : « أنسى حلم مولاي أبا الحسن كل حلم تقدمه مما حفظ عن الملوك وبرهان ذلك شأننا معه ملكه الله رقابنا وحكمه فينا . ومكنه بسيوفه منا معشر بنى عبد الوادى ونحن ننازعهم ونقتل منهم وننازعهم منذ مائة سنة ثم أنه لم يسمعنا كلمة معتبة ولا توبيخا على قضية وهذا هو الصفح الجميل ونحن الآن عنده أعز من كبار قبيلة » (٢٣٧) .

وفي الحقيقة كان تمسك أبا الحسن بقيمة إلى أبعد الحدود يمثل ظاهرة كبرى في حياة هذا السلطان وبالتالي في الحياة السياسية للدولة المرينية ، فبينما كان أعداؤه لا يعرفون لهذه القيم معنى أو التزاما ، كان هو يتمسك بتقاليدها معهم ، حتى ضاعت عليه فرص كثيرة للقضاء على هؤلاء الأعداء ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الهامة بعض العلماء الذين حضروا كثيرا من مجالسه (٢٣٨) .

ويضاف إلى هذه الصفات أنه كان عالما مولعا بالأدب ، يحب العلم وأهله ، ويصاحب العلماء والمفكرين (٢٣٩) . وقد ساعده على ذلك جودة إدراكه وحسن فهمه وذكاء عقله

وحدة فراسته . (٢٤٠) وقد روى ابن مرزوق عن والده وعمه أن السلطان أبا الحسن كان منذ صغره حريصا على السماع والقراءة في المساجد خاصة مسجد المقوسى بالعباد السفلى ، وقلما يلعب مع الصبيان ممن هم في مثل سنه (٢٤١) . والأكثر من هذا أنه كان وهو في هذا السن الصغير يذهب « لزيارة الصالحين في العباد العلوى الأموات والأحياء ويسئل عن وظائف الأعمال (٢٤٢) » وذلك ليشبع نزعاته الدينية حتى لقد قال عنه الشيخ المتصوف الورع الزاهد أبو محمد عبد العزيز العزفى : « وهو والله آخر الملوك الفضلاء وبها أسفى على الناس أن فقدوه » (٢٤٣) .

مبايعة أبى الحسن :

وبعد وفاة السلطان أبى سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لإتمام مراسم تنصيب ولى العهد أبى الحسن سلطانا على الدولة المرينية (٢٤٤) . وأمر السلطان أبو الحسن بعد تمام هذه البيعة الخاصة بنقل معسكره من ناحية سبو إلى الزيتون من نواحي فاس ، وبعد أن انتهى من دفن أبيه خرج إلى معسكره بالزيتون ، حيث اجتمع إليه الناس على اختلاف طبقاتهم لمبايعته بمقره السلطاني من معسكر الزيتون . وتولى شئون أخذ البيعة العامة للسلطان أبى الحسن يومئذ الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، الذى كان يتولى منصب رئيس الوزعة والمتصرفين ، وحاجب الباب السلطاني بالدولة (٢٤٥) . كان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى العقدة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) (٢٤٦) .

التوسع المرينى فى المغرب الأوسط :

ساعدت العلاقات القوية التى توطد أمرها بين الدولة المرينية فى المغرب الأقصى ، ودولة بنى حفص فى إفريقيا ، السلطان أبى الحسن على أتمام مشروعاته التوسعية التى كان يأمل فى تحقيقها فى المغرب الأوسط ، إذ أعطت المصاهرة التى تمت بين الحفصيين وبنى مرين كما يقول الزركشى حقا للمرينيين ينتقمون ويدافعون بمقتضاه عن أصهارهم الحفصيين فى إفريقيا ، الذين كانوا يعانون كثيرا من مضايقات بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط (٢٤٧) . ومما ساعد أبا الحسن على المضى قدما فى سياسته التوسعية ، أن بنى عبد الواد رفضوا أى مظهر من مظاهر التعاون مع بنى مرين لخلق صيغة من التعايش السلمى وحسن الجوار بين القوى الثلاث فى بلاد المغرب ، ولو لفترة مؤقتة ، ويذكر ابن خلدون والسلوى أن سفارة تمت بين السلطان أبى الحسن المرينى والسلطان أبى تاشفين العبد الوادى ، وجاءت الصيغة التى اقترحها السلطان أبو الحسن لهذا التعايش السلمى على هذا النحو « أن يتخلى (أبو تاشفين العبد الوادى) عن عمل الموحدىين (بنو حفص) جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع إلى تخوم عمله منذ أول الأمر ولو عامدا » (٢٤٨) . ولكن أبا تاشفين أساء الرد على

رسول أبي الحسن . والأكثر من ذلك أن بعض السفهاء من العبيد أفحشوا في الرد على وفد أبي الحسن وقد عجل هذا الحادث ببدء سياسة التوسع المرينية في المغرب الأوسط ، وأخذ السلطان أبو الحسن في إعداد جيوشه للحرب ولكنه قبل أن يقوم بعملياته العسكرية في المغرب الأوسط ، اتجه نحو سجلماسة اختاراً لأخيه الأمير عمر ، حتى يطمئن إلى أن الأمير عمر لن يقوم بأي تحرك للاستيلاء على الحكم في أثناء عملية غزو المغرب الأوسط ، ولم ينتظر الأمير عمر حتى يدخل عليه السلطان أبو الحسن سجلماسة ، فأرسل الوفود لتقابل أخاه في الطريق ، وتقدم إليه بيعته وتطلب إلى أبي الحسن إقرار أخيه الأمير عمر على مكان عليه أيام أبيه من حكم سجلماسة وبلاد القبلة (٢٤٩) . فوافق أبو الحسن على ذلك وعقد له على سجلماسة وما إليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما وشهد الملائم القليل وسائر زناة والعرب (٢٥٠) .

انطلق السلطان أبو الحسن نحو تلمسان ، ونزل بقواته عند تاسالت في شعبان سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) ، إلى الشرق من تلمسان (٢٥١) .

وفي نفس الوقت كان الأسطول المريني يتقدم نحو سواحل تلمسان لمعاونة القوات البرية (٢٥٢) . ونجح الأسطول المريني في حمل مدد من جنود الجيش المريني من وهران بقيادة محمد البطوي إلى بجاية ، حيث اشتركت هذه القوات مع الجيش الحفصي في الاستيلاء على تيكلات ، وكانت ثغرا هاما لبنى عبد الواد يحشدون فيها قواتهم لحصار بجاية ، وبفضل هذه المعاونة السريعة من الأسطول المريني نجح الحفصيون في اكتساح هذه المدينة وتخريبها ، وأبعدوا عن بجاية خطراً محققاً (٢٥٣) .

ظل السلطان أبو الحسن متمركزاً بقواته عند تاسالت منتظراً قدوم صهره السلطان أبو يحيى الحفصي ليشتركوا معا في الاستيلاء على تلمسان (٢٥٤) . ولكنه فوجئ بمخروج أخيه الأمير عمر عليه باتفاق سري ، تم بينه وبين أبي تاشفين العبد الوادي ، وبفضي هذا الاتفاق بأن يقوم كل منهما بمعاونة الآخر ضد السلطان أبي الحسن (٢٥٥) . واتخذ السلطان أبو الحسن من الاستعدادات العسكرية مايكفل ضمان سلامة الدولة المرينية ضد هذا التحالف الخطير ، فترك فرقة قوية عند تاوريرت يقودها ابنه الأمير تاشفين ويعاونه في قيادتها الوزير منديل بن حمامة بن تيريعين ، وكان الهدف من ذلك حماية ظهر القوات الرئيسية - التي توجه بها السلطان أبو الحسن لحصار سجلماسة - من خطر أي هجوم مفاجئ يقوم به السلطان أبو تاشفين العبد الوادي ، لفك الحصار عن حليفه الأمير عمر في سجلماسة .

ونجح السلطان أبو الحسن في الإطاحة بهذا التحالف سريعا ، إذ منى السلطان أبو تاشفين العبد الوادى بهزيمة فادحة عند تاوريرت عاد على أثرها إلى بلاده . كما تمكن السلطان أبو الحسن من اقتحام سجلماسة بالقوة ، وقبض على أخيه الأمير عمر ، وعاد به إلى العاصمة فاس سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) (٢٥٦) . واعتقل أخاه (الأمير عمر) في إحدى حجر القصر إلى أن قتله لأشهر من اعتقاله خنقا بحبسه (٢٥٧) .

أ. توقفت أعمال المرينيين العسكرية في المغرب الأوسط ، وكان ذلك بسبب انشغال الجيوش المرينية في الجبهة الأندلسية بالاستيلاء على جبل الفتح وإنشاء تحصيناته الضخمة (٢٥٨) . ولم يستأنف السلطان أبو الحسن مشروعاته التوسعية في شرق الدولة إلا منتصف سنة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) (٢٥٩) حيث خرج بجيوش ضخمة وسار بها يجر الشوك والمدر من أمم المغرب على حد تعبير ابن خلدون . وحاصر أبو الحسن بقواته الرئيسية مدينة تلمسان بينما انتشرت فرق الجيش المريني الأخرى في أنحاء المغرب الأوسط تستولى على مدنه وحصونه ولم تنته سنة (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) حتى سقطت وجدة وهدمت أسوارها ، وتغلب المرينيون على وهران وهنين ومليانة وتنس والجزائر ، كما قام يحيى بن سليمان العسكري بالاستيلاء على شرق المغرب الأوسط حتى مدينة لمدينة (٢٦٠) . ومضى السلطان أبو الحسن في بسط النفوذ المريني على مدن المغرب الأوسط وأقاليمه المفتوحة ، وفي نفس الوقت عمل على تدعيم قواته التي تحاصر تلمسان ، فاخترت بغرى تلمسان البلد الجديد لتكون مقرا له ولقواته المحاربة وسماها المنصورة ، وكان في ذلك إحياء لمعالم المنصورة التي شيدها عمه يوسف بن يعقوب ، وأدار على المنصورة سياجا من السور ونطاقا من الخندق ، وقد كان للمجانيق والآلات الحرب التي نصبت حول تلمسان أثر كبير في ذلك المدينة وتخريب القصور والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في تشييدها ، واستمر حصار أبي الحسن لتلمسان ثلاث سنين حتى سقطت واقتحمها أبو الحسن ودخلها بالقوة في السابع والعشرين من رمضان سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ م) (٢٦١) . ووقف صاحبها (أبو تاشفين في ساحة قصره ، فقاتل هنالك مع خاصته حتى قتل/إبناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي وجملة من كبار أصحابه وأثخنه الجراح ووهن لها فقبض عليه ورفع إلى السلطان (أبي الحسن) فلقية الأمير عبد الرحمان ابن السلطان أبي الحسن فأمر به فقتل واحتر رأسه (٢٦٢) وانتهت بهنائه دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط . وبلغ عدد القتلى طيلة فترة الحصار ثمانين ألفا حسب رواية الزركشي (٢٦٣) .

وعلى الفور شرع أبو الحسن في اتخاذ خطوات إدارية استهدفت إدماج المغرب الأوسط بجميع سكانه في الدولة المرينية ، وبدأ ذلك بإصدار عفو عام عن بني عبد الواد ، وإثباتهم في الديوان ، وفرض لهم العطاء ، وأبقى كلا منهم في مكانته التي كان عليها ولكن تحت السيادة

المرينية الجديدة (٢٦٤). وأصبح فتح تلمسان يمثل انتصارا سياسيا عظيما لأبي الحسن ، إذ مكنه هذا الانتصار من « جمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصبا تحت لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم إلى ثغور عمله بالأندلس حامية ومرابطين اندرجوا في جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العلوتين » (٢٦٥).

توسع المرينيين في حركة الجهاد في الميدان الأندلسي :

كان لجهود السلطان أبي الحسن في جمع كلمة قبائل زناتة القوية ، وتوحيد قوى المغريرين الأوسط والأقصى أثر كبير في استئناف حركة الجهاد في الميدان الأندلسي بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة المرينية ، إذ أصبح المرينيون يتمتعون بطاقات بشرية واقتصادية هائلة ، تساعد في عملية الجهاد كما أنهم أصبحوا يعملون في الميدان الأندلسي وهم في مأمن بعد زوال خطر بني عبد الواد من المغرب الأوسط .

والحقيقة الهامة التي لا ينبغي إغفالها أن السلطان أبا الحسن كان مشغولا بالجهاد في الميدان الأندلسي واستئناف ماتصرم من أسبابه ، وكان فوق اضطرامه بعاطفة الجهاد ، يرى خطر أسبانيا النصرانية شاخصا أمام ناظريه يلوح داهما ليس على الأندلس فحسب ، بل وعلى المغرب أيضا ، لأن الأندلس أخذت تبدو منذ الحين وكأنها جناح المغرب ، وخطه الدفاعي الأول ، ذلك وكان يرى ضرورة تأمين هذا الخط والسهر على سلامته (٢٦٦).

وكان السلطان أبو الحسن قبل ذلك قد استقبل في بلاطه بفاس سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر - سلطان غرناطة ، وجرى في الاجتماع الذي عقد بينهما استعراض لأوضاع المسلمين العسكرية المتردية في بلاد الأندلس ، وكان من بين الموضوعات الرئيسية في محادثتهما ، موضوع جبل الفتح ، الذي كان سقوطه في يد النصارى سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م) أعظم نكبة منيت بها الأندلس منذ سقوط قواعد الكبرى ، وانهت المحادثات إلى ضرورة التعاون الكامل بين الدولتين لاستعادة جبل الفتح (٢٦٧).

عاد السلطان محمد بن إسماعيل وبصحبه حملة من خمسة آلاف جندي يقودها الأمير أبو مالك لجبل أبي الحسن ، وتابع الأسطول المريني العناية باحتياجات الحملة من المدد والمؤن ، حتى تمكنت - بمعاونة السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر وجيوشه الأندلسية - من الاستيلاء على جبل الفتح سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) (٢٦٨).

وبعد الاستيلاء على جبل الفتاح عملا عسكريا رائعا نظرا لموقعه الاستراتيجي وأهميته العسكرية للمسلمين في المغرب والأندلس ، ولذلك قررو أبو الحسن أن يقوم بتحصين سفح جبل الفتاح ، ببناء سور ضخيم يحيط بالجبل إحاطة تامة ، وقد كان إجراء هذه التحصينات الضخمة للجبل في نظر البعض ضربا من المستحيل (٢٦٩) . ولكن أبا الحسن ، صمم على ذلك ، فأنفق أموالا طائلة حتى تم تحصين الجبل بكامله ، يقول السلاوي : « واهتم (أبو الحسن) ببنائه (جبل الفتاح) وتحصينه وأنفق عليه أحمال المال في بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاريبه » (٢٧٠) .

وانشغل السلطان أبو الحسن بعد ذلك بالتوسع في المغرب الأوسط ، وتثبيت أقدام المرينيين فيه ، وكانت الأحداث في الأندلس قد تمخضت عن مقتل السلطان محمد بن إسماعيل ابن الأحمر في سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) نتيجة لمؤامرة دبرها بنو العلاء (٢٧١) . واعتلى عرش بني الأحمر السلطان يوسف الأول الذي حرص أشد الحرص على توطيد العلاقات مع المرينيين فأرسل - تحت الضغط الكبير الذي كان يعانيه من النصارى - يستنجد بالسلطان أبي الحسن . وصادفت هذه الدعوة استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية في دولة بني مرين ، ورغبة السلطان أبي الحسن في الجهاد ، وتحقيق ماحققة المرابطون والموحدون قبل ذلك من انتصارات ونفوذ في بلاد الأندلس (٢٧٢) .

أصدر السلطان أبو الحسن أوامره إلى ولده الأمير أبي مالك بالدخول إلى دار الحرب في الميدان الأندلسي ، وأمر وزرائه بوضع كافة الامكانيات اللازمة تحت تصرف أبي مالك ، الذي عبر على الفور بالكتائب المرينية ، واقتحم بها الثغور الأندلسية متوغلا في الأراضي القشتالية ، حيث حقق انتصارات مبدئية ضخمة ، عاد على أثرها مثقلا بكميات كبيرة من السبي والغنائم ، رابط بها في صدر الأراضي القشتالية (٢٧٣) .

وصلت الأنباء إلى الأمير أبي مالك بمتابعة النصارى له ، ورفض الاستجابة إلى نصائح قادة جيشه بالانسحاب وعبور الوادي الفاصل بين أراضي المسلمين ، ودار الحرب ، وصمم على البقاء في موضعه ، وكان كما يقول ابن خلدون : « قرما ثبتا إلا أنه غير بصير بالحروب لمكان سنه فصيحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبوا في إبايتهم وأدرك الأمير أبو مالك بالأرض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم » (٢٧٤) .

صمم السلطان أبو الحسن على العبور إلى الميدان الأندلسي ليتولى بنفسه قيادة العمليات العسكرية ضد نصارى أسبانيا ، وبدأ على الفور حركة تعبئة عامة شملت أنحاء الدولة المرينية

لتجهيز الجيش والأسطول فأمر وزرائه بالتوجه إلى السواحل الشمالية للإشراف بأنفسهم على تجهيز الأساطيل المرينية للحرب ، ولم يكتف بما عنده من قوة بحرية بل أرسل إلى مراسي الأندلس لتعد أساطيلها للقتال ، وكذلك بعث إلى حلفائه الحفصيين في إفريقية يطلب إليهم إرسال نجدة بحرية ، فأرسلوا إليه أسطولا من ست عشرة سفينة ، بقيادة زيد بن فرحون قائد أسطول بجاية وقد ضم هذا الأسطول الحفصى سفنا من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية ، وبلغ عدد السفن الحربية التي تجمعت نتيجة لهذا الاستنفاذ البحري مائة سفينة تولى قيادتها محمد بن علي العزفي صاحب سبتة (٢٧٥) .

وأهتم أبو الحسن أيضا بأعداد جيوشه البرية ففتح « ديوان العطاء واعترض الجنود وازاح عنهم واستنفر أهل المغرب كافة » (٢٧٦) وانتقل هو إلى سبتة حيث جعلها مقرا مؤقتا لقيادة جيوشه ، ومن هناك أصدر أوامره إلى الأسطول المريني بالهجوم على الأسطول الأسباني الذي حشده النصارى في بحر الزقاق عندما أحسوا باستعدادات أبي الحسن ، وكانت مهمة الأسطول الأسباني تعويق عبور الجيوش المرينية إلى الأندلس (٢٧٧) . وتمكن الأسطول المريني من سحق أسطول النصارى حيث نجح رجال الأسطول المريني في جذب سفن النصارى والالتحام بها وانقضوا عليهم « هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة » (٢٧٨) وبهذا الانتصار أصبح الطريق مفتوحا أمام عبور القوات البرية دون عائق أو خطر ، وقد بلغ حجم هذه القوات ستين ألفا من المتطوعة والمرتزة (٢٧٩) .

وعبر السلطان أبو الحسن بعد ذلك ومعه خاصته وحشمه في آخر سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) (٢٨٠) . وفي الثالث من محرم سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) بدأ السلطان أبو الحسن في توجيه ضرباته إلى طريف ، يعاونه في ذلك السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر بما معه من قوات من غزاة زنانة وحامية الثغور ورجال البدو (٢٨١) . وبينما القوات الإسلامية مشغولة بهذا العمل العسكري ، كانت قوى النصارى تقوم بعمل بحري خطير ضد القوات الإسلامية المحاربة حول طريف حيث تمكنت الأساطيل النصرانية من السيطرة على المضيق بين المغرب والأندلس وبهذا تمكنت من قطع خطوط الإمدادات والتأمين عن القوات المرينية المحاربة حول طريف (٢٨٢) . واستغل النصارى عامل الوقت استغلالا ممتازا فلم يشتبكوا مع المسلمين إلا بعد مضي ستة أشهر ، شحت خلالها أقوات المسلمين وأزودتهم وعلوفات ماشيتهم حتى اختلت الأحوال في معسكراتهم (٢٨٣) . وبينما كانت الأمور تمضي على هذا النحو من التدهور في الجبهة الإسلامية كانت جيوش البرتغال بقيادة صاحب لشبونة وغرب الأندلس تنضم إلى قوات قشتالة (٢٨٤) . التي كان يقودها الفونسو

الحادى عشر ملك قشتالة ، وفى جمادى الأولى سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) دارت رحى معركة كبرى بين الفريقين (٢٨٥) .

وقبل بدء المعركة استطاع النصارى أن يسربوا إلى طريف بعضا من قواتهم ، فدخلوها ليلا على حين غفلة من الحراس ، وقد استطاع الحراس قتل بعضهم ، ولكنهم أخفوا عن السلطان أبى الحسن أن عددا منهم قد اجتاز الحصار إلى داخل المدينة خوفا من بطشه (٢٨٦) .

وفى الصباح دارت المعركة بين الطرفين ، وفجأة خرجت قوات النصارى التى تسربت إلى طريف وأخذت تهاجم مؤخرة الجيوش الإسلامية ، وتمكنت من الوصول إلى معسكر السلطان أبى الحسن فأشعلت به النيران وقتلت حريم السلطان وحاشيته ، وكان لهذا الكمين أثره فى اختلال صفوف المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم ، ونجا السلطان أبو الحسن إلى الجزيرة الخضراء ومنها إلى جبل الفتح ، حيث عبر من هناك إلى سبتة فى نفس الليلة (٢٨٧) . وكانت هذه المعركة محنة عظيمة للمسلمين فى المغرب والأندلس لا تقل فى قسوتها عن هزيمة العقاب (٢٨٨) .

وبدأت ردود الفعل العنيفة لهذه الهزيمة تتوالى على المغرب والأندلس ، حيث استأسد النصارى على المسلمين كما يقول ابن خلدون (٢٨٩) فاستولوا على قلعة بنى سعيد التى لا تبعد عن غرناطة إلا بمرحلة واحدة ، كما فشل الأسطول المربنى فى استعادة سيطرته على بحر الرقاق ، وتبع ذلك سقوط الجزيرة الخضراء فى يد القشتاليين ، بعد أن عجزت حاميتها المربنية عن الصمود للحصار الذى ضربه القشتاليون عليها . (٢٩٠) وسمح القشتاليون لأهلها بالعبور إلى بلاد المغرب سنة (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) حيث تلقاهم السلطان أبو الحسن بالمبرة والإكرام ، وخلع عليهم وأعطاهم ما عوضهم عما افتقدوه فى الجزيرة الخضراء (٢٩١) .

ومهما يكن من أمر ، فإن أهم النتائج التى تمخضت عنها هذه الأحداث هى عودة السلطان أبى الحسن إلى استكمال مشاريعه التوسعية فى أراضى الدولة الحفصية فى إفريقيا ، وربما كان ذلك لصرف الأنظار عن الهزائم التى لحقت به فى الميدان الأندلسى .

التوسع المربنى فى إفريقية :

كان السلطان أبو الحسن - على الرغم من علاقة المصاهرة بينه وبين الحفصيين - يتحين الفرص للتوسع فى بلاد إفريقية ، والقضاء على الحفصيين (٢٩٢) . الذين كانوا يمثلون البقية الباقية التى تحمل كثيرا من أفكار الموحدين ، وفى نفس الوقت كان الحفصيون القوة التى تحول دون وحدة بلاد المغرب كلها تحت الحكم المربنى . وكان أبو الحسن قد أرسل عددا من رجالات دولته لخطبة إحدى بنات السلطان أبى يحيى الحفصى عوضا عن فاطمة بنت

أبى يحيى الحفصى التى استشهدت فى موقعة طريف ، ووصل الوفد إلى البلاط الحفصى فى ذى الحجة سنة (٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٣) . ولكن ما لبث أن أخبار ذلك الوفد أن انقطعت ، وانطلقت الإشاعات فى تلمسان بأن السلطان أبى يحيى الحفصى قد رفض التصاهر مع أبى الحسن ثانية ، وقد وصلت هذه الشائعات إلى مسامع أبى الحسن الذى كان قريبا من تلمسان فى مدينة المنصورة ، فرحل على الفور إلى عاصمته فاس ، وأخذ فى إعداد جيوشه لغزو إفريقية ، وأعطى تفويضا لحفيده منصور ابن الأمير أبى مالك لإدارة شئون المغرب الأقصى فى أثناء غيابه وجعل إلى جانبه الحسن بن سليمان بن ترزيكن متوليا لأمر الشرطة والضواحي ، ولكن هذه الاستعدادات ما لبثت أن توقفت ، بعد أن وصلت الأنباء إلى أبى الحسن بتمام المصاهرة الجديدة (٢٩٤) .

أوقف أبو الحسن تحركاته نحو إفريقية انتظار لبادرة جديدة ، ومبرر آخر للقيام بعملية التوسع ، ولم تكن أخبار تمام المصاهرة هى الأنباء الوحيدة التى وصلت إلى أبى الحسن ، وإنما وصل معها نبأ وفاة السلطان أبى يحيى أبى بكر الحفصى فى رجب سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٥) . وأحدثت وفاة أبى يحيى الحفصى رجة كبرى زلزلت كيان البيت الحفصى إذ وثب الأمير عمر بن أبى يحيى لأخذ الأمر لنفسه دون أخيه أبى العباس أحمد ولى العهد وتملك قصر السلطان وضبط أبوابه ، واستطاع بمعاونة الحاجب ابن تافراجين - تلك الشخصية التى لعبت أدوارا خطيرة فى سياسة إفريقية - أن يأخذ البيعة لنفسه (٢٩٦) . حيث سارع ابن تافراجين « واستدعى وجوه الموحدين وبعض وجوه البلد (تونس) وأخرج لهم الأمير عمر فبايعوه » (٢٩٧) .

بلغ الخبر إلى ولى العهد الأمير أبى العباس أحمد ، فجهز جيشا سار به إلى أخيه الأمير عمر الذى خرج هو الآخر بجيوشه لحرب أخيه أبى العباس ، وكان بصاحبه فى حملته الحاجب ابن تافراجين الذى لم يطمئن إلى نوايا الأمير عمر نحوه ، ففر هاربا إلى السلطان أبى الحسن المرينى (٢٩٨) .

وقد أحدث هروب ابن تافراجين خلا فى صفوف الأمير عمر فتراجع بقواته إلى باجة ، بينما واصل الأمير أبو العباس أحمد ولى العهد التقدم بجيوشه نحو تونس فدخلها وبويع بها فى التاسع من رمضان سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٩) ولم تمض أيام حتى وصل الأمير عمر بقواته من باجة « وأصبح على تونس يوم السبت سادس عشر شهر رمضان المعظم وفرق خيله ورجله على أبواب المدينة وكسرت الأقفال وفتحت الأبواب وقامت معه العامة فلم يجيء وقت الضحى إلا وقد استولى على المدينة وقتل أخاه الأمير أحمد ونصب رأسه على قناة وقطع أبهى أخويه خالد وعبد العزيز فمات عبد العزيز فى الحين وكمل على خالد وقتل

في ذلك اليوم في المدينة وفي الربض نيف وثمانون رجلا من العرب الواصلين صحبة الأمير أبي العباس أحمد بتونس » (٣٠٠) . وكانت نهاية هذه الحرب الأهلية بهذه المأساة المروعة ، بداية التدخل المريني العسكري في إفريقية .

إذ أن وثيقة ولاية العهد لأبي العباس أحمد ، كان السلطان أبو الحسن قد وقع عليها بنفسه كضامن لسريانها في حالة وفاة السلطان الحفصي (٣٠١) . ولعل السلطان الحفصي استهدف من ذلك إشعار أبنائه بقوة هذه الوثيقة وفعاليتها ، فلا يتصارعون على الخلافة من بعده . ولذلك كان للأحداث السابقة أثر كبير في نفس السلطان أبي الحسن فيقول الزركشي « فتغصن السلطان (أبو الحسن) من ذلك ورأى أن الأمير عمر ارتكب مذاهب العقوق في إخوته وخرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم فأجمع أبو الحسن الحركة على إفريقية وقوى عزمه على ذلك قلدوم الوزير ابن تافراجين » (٣٠٢) . ورغم أن هذه الرواية لم توضح دور ابن تافراجين في تشجيع أبي الحسن على غزو إفريقية ، فإن ابن خلدون أشار إلى دور ذلك الوزير صراحة فقال : « ورغبه ابن تافراكين في ملك الموحدين فرغب (أبو الحسن) » (٣٠٣) .

تحرك أبو الحسن بجيوشه نحو إفريقية في صفر سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) (٣٠٤) . بعد أن أسند إلى ابنه الأمير أبي عنان إدارة شئون المغرب الأوسط وجبايته (٣٠٥) . وإذا كان السلطان أبو الحسن قد التمس في خلافات البيت الحفصي مبررا كبيرا لاقتحام إفريقية ، فقد كان لهذه المبررات قوتها في نظر الكثيرين من حكام الأقاليم في الدولة الحفصية . فلم يكف السلطان أبو الحسن يدخل بقواته في أراضي إفريقية حتى انتهت عليه وفود هؤلاء الحكام يباهونه وينضمون إليه ويباركون تحركه نحو إفريقية ، فعند وهران « وافاه هنالك وفد قسطنطينية وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكى أمير جربة وريفي أخيه عبد الملك في امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر ... وأحمد بن عامر بن العابد رئيس نفطة ... فلقية هؤلاء الرؤساء بوهران في ملأ من وجوه بلادهم فاتوه يبعثهم وقضوا حق طاعته » (٣٠٦) كما حملت هذه الوفود معها بيعة محمد بن ثابت صاحب طرابلس (٣٠٧) . وبالقرب من بجاية وفد على أبي الحسن لمبايعته والانضمام إليه يوسف بن منصور بن مزى حاكم بسكرة وبلاد الزاب (٣٠٨) . كما انضم إلى أبي الحسن وبايعه عدد كبير من أمراء الحفصيين منهم أبو عبد الله بن أبي زكريا أمير بجاية ، وكذلك أمير قسنطينة أبو زيد حفيد السلطان أبي يحيى الحفصي وسائر إخوته (٣٠٩) . وجرت سياسة السلطان أبي الحسن بالنسبة لهؤلاء الأمراء على تحويلهم إلى مجرد عمال أو موظفين في الدولة ، وله حق نقل مقر عملهم إلى أى مكان آخر ، فنقل أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا من عمله في بجاية ، إلى تدرومة في بلاد المغرب الأوسط ، وأبو زيد عامل قسنطينة وأخوته نقلهم أيضا إلى وجدة من عمالات المغرب الأوسط أيضا ،

وأحل محل هؤلاء جميعا حلفاؤه وعماله لتأمين الوجود المريني في إفريقية (٣١٠) . أما حكام الأقاليم الذين بايعوا أبا الحسن من غير الأمراء الحفصيين فقد أكرمهم ، وغقد لهم على أمصارهم وصرفهم إلى أعمالهم » (٣١١) . وكانت هذه خطوة هامة نحو تحويل هذه الأقاليم من الإدارة الحفصية إلى الإدارة المرينية ، ومن ناحية ثانية حصرت نفوذ الأمير عمر في منطقة العاصمة تونس .

وقد أدت القبائل العربية دورا كبيرا في تأييد السلطان أبي الحسن ، فبايعه يعقوب بن علي سيد الزواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة ، وقد ضمهم أبو الحسن إلى ساقة جيشه (٣١٢) . وانضم إليه أيضا قسم كبير من عرب الكعوب تحذوهم الآمال في الانتقام من الأمير عمر الحفصي الذي قتل عددا كبيرا منهم وكان يرأسهم عمر بن حمزة ، وقد نقل هذا الشيخ أخبار تحركات الأمير عمر الحفصي إلى السلطان أبي الحسن ، فأخبره أن الأمير عمر خرج من تونس ومعه أولاد مهلهل من العرب متجها إلى ناحية قابس وأشار على السلطان بأن هذه أحسن فرصة للقضاء على الأمير عمر (٣١٣) . فأرسل السلطان أبو الحسن في أثره حملة بقيادة حمو بن يحيى العسكري يرافقه فيها عمر بن حمزة شيخ الكعوب (٣١٤) . وتمكنت هذه الحملة من أن تدرك السلطان أبا حفص ومن معه بأرض الحامة من جهات قابس بموضع يسمى المباركة بقرب جبل السباع فصباحوهم فدافعوا عن أنفسهم الشيء ثم انفضوا فتقبض على الأمير عمر على مولاه ظافر وسيقا إلى الأمير حمو فاعتقلهما إلى الليل فذبحهما وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي الحسن (٣١٥) ، كان ذلك في السابع عشر من جمادى الأولى سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) (٣١٦) .

بمقتل الأمير عمر أصبح الطريق مفتوحا أمام السلطان أبي الحسن للاستيلاء على تونس ، فأرسل إليها حملة بقيادة صهره يحيى بن سليمان ، وصاحب هذه الحملة أحمد بن مكى أمير جربة ، وتمكنت هذه الحملة من احتلال تونس والاستيلاء عليها ، والتمهيد لمقدم السلطان أبي الحسن ، الذي تقدم هو الآخر نحو تونس ووصل إلى ظاهرها يوم الأربعاء الثامن لجمادى الآخرة سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، حيث تلقاه هناك وفد تونس الذي ضم شيوخ الشورى وأرباب الفتيا وأعلنوا طاعتهم لأبي الحسن (٣١٧) .

وفي يوم السبت بدأت مواكب السلطان أبي الحسن في الدخول إلى تونس وسط مظاهر عظيمة من الفخامة والمهابة ، حيث صف السلطان جنوده سباطين من معسكره بسيجوم إلى باب البلد يناهز ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين إلى مراكزهم في جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطة وراكبه من علي يمينه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة وليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الأمير أبو عبد الله محمد أخو مولانا

السلطان ألى يحىى ... وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ مائة وجاء والمواكب تجتمع عليه صفا صفا إلى أن وصل إلى البلد وقد ماجت الأرض بالجوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه » (٣١٨) .

دخل السلطان أبو الحسن إلى قصر الخلافة الحفصية وأخذ فى تفقده وتفقد الرياض المتصلة به المسماة برياض الطابية ، وفى الأيام التالية قام بجولة زار فيها القيروان وسوسة والمهدية ورباط المنستير (٣١٩) . ثم عاد إلى تونس حيث بدأ فى توزيع قواته على ثغور إفريقية « وأقطع بنى مرين البلاد والضواحي وأمضى أقطاعات الموحدىن للعرب واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح » (٣٢٠) . وشرع فى بناء مدينة فوق سيجوم أطلق عليها اسم المنصورة لتكون مقرا لجيوشه لأن تونس ضاقت بقواته (٣٢١) .

وبهذه الجهود استطاع أبو الحسن أن يكون أول سلطان مرينى يحقق وحدة بلاد المغرب تحت قيادة واحدة كما كانت أيام المرابطين والموحدين ، واتصلت ممالكه كما يقول ابن خلدون « ما بين مسرارة والسوس الأقصى من هذه العدة وإلى رندة من عدة الأندلس » (٣٢٢) . وبدأت هذه الانتصارات تحدث آثارها بين سائر القوى فى العالم الإسلامى كما يقول السلاوى « وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته » (٣٢٣) .

اضطراب النفوذ المرينى فى إفريقية :

الظاهرة الكبرى التى واجهها السلطان أبو الحسن فى إفريقية هى الأوضاع الاقتصادية الخطيرة للقبائل العربية ، فقد كان الخلفاء الحفصيون يتألفون هؤلاء الأعراب بإعطائهم الإقطاعات والأمصار الكثيرة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ترك الحفصيون لهم حرية التصرف فى بوادىهم ، فضرَبوا الإتاوة على الأهالى دون أية معارضة من الحفصيين ، وكانوا يطلقون على هذه الإتاوة اسم الخفارة (٣٢٤) .

وقد أفرغت هذه التصرفات من جانب الأعراب السلطان أبا الحسن بعد أن انهالت عليه شكاوى المواطنين ، فاسترجع هذه الإقطاعات من العرب (٣٢٥) . وعرضهم عنها بأعطيات (مرتبات) فرضها لهم فى الديوان مثلهم فى ذلك مثل الجند ولم يكتف بذلك بل عمد إلى تخفيض جبايتهم ، حيث شعر أنها كثيرة عليهم ، ومنعهم من تحصيل أية أتاوة ، ونبه على الرعية بعدم إعطائهم شيئا منها (٣٢٦) .

وقد أدى تعارض مصالح القبائل العربية مع مصالح الدولة المرينية إلى ظهور العامل القبل على مسرح الأحداث المرينية فى إفريقية . وبدأت هذه القبائل حركة مقاومة ضخمة

للترتيبات التي اتخذها أبو الحسن ضدهم ، فأخذت قواهم تتجمع لتضرب القوى المرينية في مواضع كثيرة من إفريقية . وأغاروا على معسكرات بنى مرين ومسالحهم في ثغور إفريقية (٣٢٧) . بل أنهم أغاروا في « بعض الأيام في ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذي كان للسلطان (أبي الحسن) في مراعيها » (٣٢٨) .

وتطورت مقاومة القبائل العربية إلى محاولة لإحياء الخلافة الحفصية لكي يعملوا من خلالها على مقاومة المرينيين في إفريقية فحاولوا الاتصال بعبد الواحد اللحياني وهو من أولاد الملوك الحفصيين لتنصيبه خليفة على إفريقية ، لكن محاولاتهم فشلت إذ سارع عبد الواحد إلى إبلاغ السلطان أبي الحسن بهذه الاتصالات (٣٢٩) . وقد أدت هذه الحادثة إلى ردود فعل عنيفة لدى أبي الحسن ، ولدى القبائل العربية ، إذ بادر أبو الحسن إلى إعداد جيوشه لحرب القبائل العربية (٣٣٠) ، بينما اتجهت هذه القبائل إلى توحيد صفوفها رغم ما كان بين بعضها من محن وخلافات مثل ما كان بين أولاد أبي الليل وأولاد مهلهل (٣٣١) . واتفق الجميع على تشكيل حكومة جديدة لمقاومة المرينيين ، واختاروا لها حفيدا من بنى عبد المؤمن ، هو أحمد ابن عثمان بن أبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين (٣٣٢) . وقد شجعهم على ذلك ظهور بوادر التملل من الحكم المريني في بعض أنحاء إفريقية يقول السلاوي « وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سمعوا ملكة بنى مرين وبرموا بولايتهم لخالفتهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولأن الصبغة الحفصية كانت قد رسخت في نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها » (٣٣٣) .

استطاعت جيوش السلطان أبي الحسن أن تحرز انتصارات أولية ضد قوات القبائل العربية عند الموضع المعروف بالثنية بالقرب من القيروان ، وتتبعها حتى القيروان ، ولكن قوات العرب ارتدت مستمته في حرب أبي الحسن في الثاني من المحرم سنة (٤٧٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٣٤) ، « فاختل مصاف السلطان (أبي الحسن) ونهبت محلاته بكل ما فيها وكان جيشها يزيد على ثلاثين ألف فارس ونجا السلطان بنفسه في شذمة فتحصن بالقيروان » (٣٣٥) .

وقد اجتمعت عدة عوامل ساهمت مباشرة في هذه الهزيمة ، التي كانت انتكاسة خطيرة تعد أكثر فداحة بالنسبة لبنى مرين من موقعة طريف (٣٣٦) . فقد قامت العناصر المشحونة بالعداء ضد بنى مرين - والتي كانت تمثل جزءاً كبيراً من جيش أبي الحسن - بدور كبير للاحاق الهزيمة بأبي الحسن ، وكان على رأس هذه العناصر بنو عبد الواد ، ومغرلوة ، وبنى توجين وغيرهم ، فقد انسحبت هذه العناصر من أرض المعركة فور بدئها فأضعفت جبهة بنى مرين المحاربة ، علاوة على أن هذه العناصر هي التي حددت للقبائل العربية الوقت المناسب لبدء القتال (٣٣٧) .

والأكثر من هذا أن القبائل العربية استطاعت استمالة ابن تافراجين إلى جانبها ، فاحتالت على أبي الحسن ليخرجه إليهم ليأخذ بيعة القبائل العربية لأبي الحسن ، وما أن خرج من القيروان ، حتى انضم إلى العرب الذين بادروا بتعيينه حاجبا لسلطانهم أحمد بن أبي دبوس ، ودفعوه لحرب بني مرين الذين احتلوا بقصبة تونس (٣٣٨) .

وحاول أبو الحسن في أثناء محاصرته داخل القيروان أن يعيد جسور التفاهم مع القبائل العربية ، فعقد عدة اجتماعات مع رؤسائهم - وقد كان في إمكاته القبض عليهم والإطاحة بهم لولا تمسكه الشديد بمبادئه - وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن ميل أولاد مهلهل من هذه القبائل لأبي الحسن وحماتهم له حتى خرج من القيروان ، وركب البحر إلى سوسة حيث استقر أخيرا في تونس (٣٣٩) . وقد أفزع وصول أبي الحسن إلى تونس ابن تافراجين - الذي كان يتولى قيادة المقاومة ضد بني مرين في تونس - فركب البحر هاربا إلى الإسكندرية حيث أقام هناك ، وتفرق أصحابه حين علموا بفراره (٣٤٠) . وانتهى الأمر بترجوع أولاد أبي الليل : إلى طاعة أبي الحسن وقاموا بالقبض على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وأسلموه لأبي الحسن لإظهارا لطاعتهم ، فأودعه أبو الحسن السجن ، وصاهر بني حمزة - من أبناء أبي الليل - فزوج ابنة أبي الفضل من ابنة كبيرهم عمر ، ولجأ أبو الحسن إلى هذا الأسلوب دعما لموقفه السياسي بين القبائل العربية وتخفيفا لضغطهم العسكري عليه (٣٤١) .

وظل السلطان أبو الحسن طيلة سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) وحتى شوال من سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) وهو يحاول استعادة نفوذه في إفريقية ولكنه عثا حاول ذلك (٣٤٢) . والنظرة الكلية للأحداث تحمل الأمير أبا عنان كثيرا من مسؤولية تدهور وضع المرينيين السياسى في إفريقية ، فما أن وصلت فلول الجيش المرينى المنهزم عند القيروان إلى تلمسان حتى شاع خبر وفاة السلطان أبي الحسن ، وحينئذ عمد الأمير أبو عنان إلى استصدار وثيقة - وقع عليها عدد كبير من العائدين من موقعة القيروان - تشهد بوفاة أبي الحسن وبمقتضى هذه الوثيقة أصبح لأبي عنان الحق في اعتلاء العرش المرينى ، وبويع سلطانا على بني مرين أول سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٤٣) .

كان في إمكان أبي عنان - بعد أن علم أن والده مازال باقيا على قيد الحياة - أن يجرّد حملة لمعاونته ، لأن حملة كهذه قد تغير مجرى الأحداث كلية في صالح بني مرين . ولكن أبا عنان لجأ إلى أسلوب آخر ، وبعض المصادر تبرر هذا الأسلوب بأن أبا عنان خشي عقوبة والده له (٣٤٤) . وبعضها يقول : أن الأمر قد لبس عليه (٣٤٥) . ولكن هذه المبررات لا تكفى أبدا لإبراء ساحته من تحمل المسؤولية التاريخية لتدهور الوضع المرينى في إفريقية . فحين علم أن والده على قيد الحياة ، بعث لجميع عماله أن يصدوا أباه عند توجهه

إليهم (٣٤٦) . وبادر إلى إرسال الأمراء الحفصيين العاملين في المغرب الأوسط إلى ولاياتهم بإفريقية ليخوضوا الحرب ضد أي الحسن لاسترجاع ملك آباءهم في إفريقية ، فبعث أبو عنان صاحب بجاية وصاحب قسنطينة - (كلاهما من أمراء البيت الحفصي) - كلا لبلده ليعظم الأمر على أبيه ، وليكونوا حائلين بينه وبين بلاده وربط معهم في ذلك رهوطا ، (٣٤٧) .

واستغلت القبائل العربية هذا الجو الملائم ، فانضمت إلى الأمير أبي العباس الفضل الحفصي تعاونه على استرجاع ملك آباءه (٣٤٨) . ويقول الزركشي في ذلك : « انتفض العرب على السلطان أبي الحسن واستقدموا السلطان أبا العباس الفضل من بونة لطلب حقه واسترجاع ملك آباءه ... واستدعوا أبا القاسم بن عبو صاحب الجريد من مكان عمله - توزر - فدخل في طاعة السلطان الفضل وحمل أهل الجريد عليها وأتبعه في ذلك بنو مكى » (٣٤٩) . كما دخل في طاعة الفضل الحفصي قفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة (٣٥٠) .

شعر أبو الحسن إزاء هذه التطورات الخطيرة في إفريقية ، أنه لافائدة من بقاءه فيها ، حيث أصبح الخطر يحدق به من جميع الجهات ، وأصبح يرى ضياع الانتصارات التي أحرزها بعد جهود مضنية ، فبقايا بني عبد الواد في إفريقية يجتمعون بظاهر تونس ويهاجمون عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر اسن بن زيان لإحياء دولة بني عبد الواد ، وتمكن عثمان هذا من الاستيلاء على تلمسان آخر جمادى الآخرة سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٥١) . والمعارك تحدث في المغرب الأقصى بين ولده أبي عنان وحفيده منصور بن أبي مالك في ربيع الآخر سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، واستعان أبو عنان على منصور بن أبي مالك ، بادريس بن عثمان ابن أبي العلاء (٣٥٢) . رأى أبو الحسن في ذلك إحياء لأطماع بني أبي العلاء في السلطان . أمام كل مؤشرات الخطر هذه التي كانت تنذر بضياع الأمر من بني مرين ، قرر أبو الحسن الرحيل إلى المغرب الأقصى لمواجهة كل هذه الأطماع .

عقد أبو الحسن لابنه أبي الفضل على تونس (٣٥٣) . وركب أساطيله في البحر ، وتقلدها بعض الروايات بستائة سفينة (٣٥٤) . وقد هاج البحر بهله السفن ، وغرق من كان مع السلطان من الفقهاء والعلماء والكتاب والأشراف والخاصة ، وقذفت الأمواج بأبي الحسن إلى شاطئ الجزائر ، وكان أهلها مازالوا على طاعته (٣٥٥) . وهناك تمكن أبو الحسن من استجماع بعض قواته وأنصاره من عرب سويد ، واتجه بهم نحو تلمسان بهدف الحصول على أي انتصار يدعم موقفه في المغرب الأوسط ، ولكنه منى بهزيمة فادحة ألحقها به أبو ثابت - أخو عثمان بن سلطان بن عبد الواد الجديد (٣٥٦) - عندما التقى به عند شذبونة (٣٥٧) . وأفلت أبو الحسن من المعركة إلى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف حيث قطع المفاوز إلى سلجماسة . ولكنه لم يستقر بها ، لأن ولده أبا العنان تقدم بميوشه نحو

سجلحامة ، فأثر أبو الحسن الذهاب إلى مراکش (٧٥٨) .

وفي مراکش انتعشت آماله قليلا عندما سارع إليه أهلها بالطاعة « ونزع إلى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان الجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزنة من مال الجباية فاخصه واستكتبه وجعل إليه علامته واستركب واستلحق وجبى الأموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة » (٣٦٩) .

كان أبو عنان قد عاد من سجلحامة إلى فاس لتجهيز جيوشه لجولة جديدة مع والده أبي الحسن ، الذي كان يستعد هو الآخر للقاء أبي عنان « وانتهى كل واحد من الفريقين إلى وادى أم الربيع وترى كل واحد بصاحبه عبور الوادى فعبّر أبو الحسن وكان اللقاء بتامد غوست في آخر صفر من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فاقتتل مصاف السلطان وانهمر عسكره » (٣٦٠) .

فر أبو الحسن إلى جبل هنتانة - من جبال درن - حيث نزل في حماية عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاني ، وتبعه أبو عنان محاصرا للجبل ، ورتب عليه المسالخ والجنود (٣٦١) . ولما طالت مدة الحصار طلب أبو الحسن من ولده أبي عنان « الإبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمر أبي عنان واتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده » (٣٦٢) وهذه الرواية تعنى أن أبا الحسن لم يتنازل لولده عن العرش المريني وإنما اكتفى بتعيينه وليا للعهد وبقي هو سلطانا حتى وفاته .

لم يمض وقت طويل حتى مرض أبو الحسن « وافتصد لإخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة » (٣٦٣) . ويروى السلوى أنه رأى نقشا على رخامة قبر أبي الحسن بشالة تذكر أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) (٣٦٤) . وقد يكون التاريخ الذى نقش على رخامة قبره هو التاريخ الحقيقى لوفاته والتاريخ الذى ذكره ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من المؤرخين هو تاريخ مواراته لقبره الجديد بشالة ، وما يؤيد ذلك أن المدة بين التاريخ الأول والثاني تزيد على الشهر بأربعة أيام ، كما اتفق عدد من المؤرخين على التاريخ المنقوش على رخامة قبره كابن الأحرر وصاحب الحلل الموشية (٣٦٥) .

وتشير بعض المراجع الحديثة إلى أن أبا الحسن مات منتحرا في جبل هنتانة (٣٦٦) ، وهذه الرواية تتعارض مع التطورات الأخيرة التى حدثت بين أبي الحسن وولده أبي عنان ، وهذه التطورات تقلل كثيرا من قيمة هذا رأى ، كما أن مصادر التاريخ لم يرد بها ما يؤيد هذه الرواية .

**استعادة بنى مرين لنفوذهم في المغرب الأوسط
وأفريقية في عهد السلطان أبى عنان المريني
(٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) - (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)**

ولد هذا السلطان بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) ، في الثاني عشر من ربيع الأول سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) من أم ولد رومية ، اسمها شمس الضحى (٣٦٧) ، وأبو عنان هذه كنيته ، أما لقبه فكان المتوكل على الله (٣٦٨) . وقد أفاض المؤرخون كثيرا في الحديث عن صفاته ، ودواعي تأثيرها في شخصيته ، أما صفاته الجسمية فقد خلعت عليه شخصية قوية لها قدر كبير من التأثير فيمن يتعامل معها . إذ كان طويلا بشرف الناس بطوله ، نحيف البدن على الأنف ، عظيم اللحية ، أبيض اللون تعلوه صفرة قوية ، أعين أدعج ، حسن الوجه ، جهورى الصوت ، في كلامه عجلة وتوقف (٣٦٩) . وقد كانت بعض هذه الصفات مثارا لإعجاب بعض المؤرخين ممن عاصروه وشاهدوه ، فيقول ابن الأحرر عنه : « ولم تر عينى في حياتى أعظم لحية منه ولا أحسن منها ولا أملح وجهها » (٣٧٠) :

وجمع أبو عنان إلى جانب صفاته الجسدية خصالا معنوية جعلت منه ، شخصية قوية متألفة محبوبة بين قومه وعشيرته فكان فارسا شهما شجاعا بطلا مجربا يقوم في الحرب مقام جنده عارفا بركض الخيل حسن الثقافة ، عارفا بالمنطق ، وأصول الدين ، فقيها يناظر العلماء ، له حظ وافر من علمى العربية والحساب ، كما كان حافظا للقرآن عارفا بتناسخه ومنسوخه - حافظا للحديث ملما برجاله متمتعا إلى جانب هذا كله بكثير من الملكات الأدبية فكان شاعرا ، فصيح القلم بليغا ، حسن التوقيع (٣٧١) .

كانت قضايا التوسع لاسترداد النفوذ المريني في المغرب الأوسط وأفريقية ، هى أكبر ما يميز عهد أبى عنان المريني ، وكانت المشكلات الداخلية التى صادفته ، لا تمثل في نظره أكثر من أمور عادية ، لا تؤثر في السياسة العامة للدولة ، ولذلك لم ينتظر أبو عنان كثيرا بل استأنف النشاط العسكرى المرينى ، فور دفنه لوالده ، واستقرار مقاليد أمور الدولة في يديه . ولعل الدافع إلى السرعة في بدء عمليات الاسترداد ، كان عدم إتاحة الفرصة للقوى التى قفزت واستعادت سلطاتها - في المغرب الأوسط وأفريقية - كى يستفحل شأنها .

استعادة نفوذ بنى مرين في المغرب الأوسط :

كانت العلاقة بين أبى عنان وبنى عبد الواد - في مرحلة الصراع بينه وبين والده أبى

الحسن - علاقة تأييد كاملة حيث كان بنو عبد الواد يمثلون في نظر أى عنان حائلا ضخما بينه وبين أى الحسن ، لذا فقد سعى أبو عنان إلى تثبيت أقدام بنى عبد الواد في المغرب الأوسط أول الأمر ، ليقوموا بهذه المهمة ، ومما يؤكد هذا الاتجاه لدى أى عنان مبادرته إلى إرسال من كان في بلاده من فرسان بنى عبد الواد ، لمؤازرة أى ثابت الزياتي ضد الناصر بن أى الحسن في منطقة وادي ورك (٣٧٢) . ويرى ابن خلدون أن بنى عبد الواد : « أوفدوا مشيختهم على الأمير أى عنان صاحب المغرب وسلطان بنى مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشتروا له عن أنفسهم دفاع السلطان (أبو الحسن) إليه » (٣٧٣) .

وبنو عبد الواد في ذلك الوقت كانوا يشعرون بنوع من التبعية لأى عنان ، ولكنهم مالبتوا أن سعوا إلى تطوير هذه العلاقة من طور الولاء والتبعية ، إلى طور الاستقلال السياسي ، فرفضوا مطلب أى عنان عندما تشفع في على بن راشد زعيم مغراوة (٣٧٤) . ورأوا أن ذلك نوع من التدخل المريني في شئونهم الداخلية ، وقد غضب أبو عنان ، لهذا المسلك من بنى عبد الواد ، فاتخذ من هذه الحادثة ذريعة للاستيلاء على المغرب الأوسط وتحطيم أطماعهم في إعادة دولتهم إلى الوجود مرة ثانية .

وفي أوائل سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) بدأت الاستعدادات العسكرية تجري في فاس الجديد على قدم وساق ، فوزع أبو عنان العطاء على جنوده وأزاح عائلهم ، وعسكر بهم في ساحة البلد الجديد ، حيث جرت مراسم استعراض الجيوش التي ستشارك في حملة استعادة المغرب الأوسط من بنى عبد الواد ، ولم تكن هذه الاستعدادات التي تجري في فاس بخافية عن أى سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياتي وأخيه أى ثابت اللذين أخذوا في الاستعداد لملاقاة أى عنان ، فجمع قومه ومن شايعهم من زنانة والعرب ، والتقى الجمعان ببسيط أنكاد في ربيع الثاني سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) (٣٧٥) . وعلى الرغم من أن بنى عبد الواد حاولوا مفاجأة أى عنان بالهجوم على معسكره « وقت القائلة وعند ضرب الأبنية وسقاء الركاب » (٣٧٦) فإن أبا عنان استطاع أن يسحق هذه المحاولة ، ويلحق ببنى عبد الواد هزيمة فادحة ، وسقط سلطانهم أبو سعيد عثمان الزياتي أسيرا بينما تمكن أبو ثابت من الفرار ، وفي نفس الشهر دخل أبو عنان تلمسان وسط مظاهر القوة والغلبة ، وأحضر سلطان بنى عبد الواد الأسير « فقرعه ووجحه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرايته وقتله .. فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله » (٣٧٧) وبمقتله انتهت دولة بنى عبد الواد الثانية التي لم تدم غير سنوات قليلة .

أما أبو ثابت ، فقد تابعته حملة مرينية بقيادة الوزير فارس بن ميمون ، وألحقت هذه الحملة بأى ثابت ومن معه من زنانة هزيمة فادحة بناحية شلف ، وفر أبو ثابت على أثرها إلى

شرق المغرب الأوسط (٣٧٨) . ولسوء حظه اعترضته قبائل زواوة ، وألقت القبض عليه وعلى أبي زيان ابن أخيه أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود ، وقامت زواوة بتسليمهم إلى أمير بجاية ، أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا الحفصي ، الذي بادر هو الآخر بالتقدم بهم إلى لمدينة حيث سلمهم بدوره إلى السلطان أبي عنان (٣٧٩) . فأصدر أبو عنان أوامره بقتل أبي ثابت ووزيره يحيى بن داود بينما سجن أبا زيان بن أبي سعيد (٣٨٠) ، وبذلك استقرت الأوضاع للمرينيين في المغرب الأوسط ثانية ، وبث السلطان أبو عنان عماله في نواحيه بعد أن ثقف أطرافه وأحكم قبضته على أقاليمه (٣٨١) .

استعادة النفوذ المريني في إفريقية :

بدأ أبو عنان يمارس في إفريقية نفس السياسة التي مارسها من قبل والده أبو الحسن - مع أمراء البيت الحفصي - تلك السياسة التي قامت على أساس اعتبار هؤلاء الأمراء مجرد عمال يحق للسلطان المريني أن ينقلهم إلى أية ولاية من ولايات الدولة . وقد جرت هذه السياسة على المرينيين كثيرا من المتاعب والأحوال . فحين التقى السلطان أبو عنان بالأمير أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا الحفصي عند لمدينة ، وشكا إليه هذا الأمير من سوء ما يلقاه من رعيته من الامتناع عن دفع الجباية ، والسعى في الفساد ، وكثرة الخلافات الحادة بين جنده وبطانته ، طلب أبو عنان إليه أن يتنازل عن بجاية ، على أن يعوض عنها بعمالة من عمالات المغرب الأقصى وهي مكناسة الزيتون (٣٨٢) . ووافق الأمير محمد على هذا الأمر كما يقول الزركشي : « على إياس وكره » (٣٨٣) . وقد كره أهل بجاية أنفسهم هذا التصرف من بني مرين فلم يمض وقت طويل حتى ثاروا على عمر بن علي الوطاسي عامل بني مرين على المدينة ، وقتلوه بحبسه من قصبة المدينة في ذي الحجة سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٣ م) ولكن أهل بجاية مالبثوا أن راجعوا طاعة أبي عنان ، فأرسل إليهم أبو عنان حاجبه محمد بن أبي عمرو في خمسة آلاف جندي ، وتمكن هذا الأخير من إقرار الأوضاع في بجاية لصالح بني مرين (٣٨٤) .

وفي شعبان سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) عقد أبو عنان رسما لمحمد بن أبي عمرو على بجاية ، وأمره بالتوجه إلى قسنطينة ، حيث لاح هناك خطر جديد تمثل في تنصيب أهل قسنطينة لتاشفين بن السلطان أبي الحسن للأمر ، وكان هدفهم من ذلك صرف أبي عنان عن التطلع لإفريقية ، يقول ابن خلدون : « ونصب الموحدون (بنو حفص) تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله إياه فتصوبه للأمر لتفريق كلمة بني مرين وجمعوا له الآلة والفساطيط وقام بأمره ميمون بن علي » (٣٨٥) .

وعاون أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ، الأمير تاشفين فأمدّه حين كان على دعوته من أحياء قومه من العرب وميمون بن علي وشيعته من الزواودة ، ولكن هذا التجمع لم يصمد

أمام محمد بن أبي عمرو وإلى بجاية ، الذي شنت شملهم واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى أذعن أهلها للطاعة ومكنوه من تاشفين بن أبي الحسن (٣٨٦) .

وفي نفس الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الأحداث في إفريقية كان أبو عنان يواجه بعض المتاعب الداخلية متمثلة في ثورة أخيه أبي الفضل بن أبي الحسن في بلاد السوس ، وثورة عيسى بن الحسين بجبل الفتح (٣٨٧) . وقد أدت هذه الأحداث بطبيعة الحال إلى تأخر أبي عنان عن التقدم لاسترداد إفريقية ، واكتفى في هذه المرحلة بامتداد نفوذه إلى بجاية وقسنطينة ، وبعض المناطق الأخرى التي أعلنت بيعتها له كالزاب (٣٨٨) وطرابلس (٣٨٩) . وولاء بعض القبائل العربية كالزواودة (٣٩٠) .

فما أن كانت سنة (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) حتى أعلن السلطان أبو عنان التعبئة العامة في أنحاء المغرب الأقصى استعدادا لعملياته العسكرية المقبلة في إفريقية ، ويذكر ابن خلدون والزركشي أن الذي أثار أبا عنان إلى اتخاذ هذه الخطوات ، أن أبا العباس الحفصي أمير قسنطينة في ذلك الوقت هاجم موسى بن إبراهيم عند ميله وقتل أولاده ، وموسى بن إبراهيم هذا كان عاملا للسلطان على جبال ضواحي قسنطينة (٣٩١) . ويبدو أن أبا عنان رأى في ذلك الحادث اعتداء صارخا على السيادة المرينية والوجود المريني في إفريقية لا بد أن يقابل بالحزم ، ويروى الزركشي وابن القنفذ ، أن من بين الأسباب التي أثارت أبا عنان المريني أيضا ، رفض ابنة الخليفة الحفصي أبي يحيى أبي بكر خطبتها للسلطان أبي عنان وقالت : إن فيه قلعا يمنع عشرته (٣٩٢) .

ظلت حركة التعبئة العامة قائمة في أنحاء البلاد حتى إذا جاء شهر ربيع الأول سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م) تحركت طلائع الجيوش المرينية بقيادة فارس بن ميمون - أحد وزراء أبي عنان (٣٩٣) - بينا سار أبو عنان خلفه بالقوات الرئيسية ، وقد أحدث تقدم القوات المرينية على هذا النحو المنظم ذعرا كبيرا بين أهالي قسنطينة ، فتخلوا عن سلطانهم الحفصي أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وانفضوا من حوله ، فلم يملك ذلك السلطان الحفصي إلا أن يطلب الأمان من أبي عنان ، الذي نادر إلى منحه الأمان على نفسه ، ولكنه في نفس الوقت أرسله في الأسطول إلى سبتة حيث تم اعتقاله هناك (٣٩٤) .

وقد أحدث استيلاء أبي عنان على قسنطينة على هذا النحو ردود فعل عظيمة في إفريقية حيث بادر أمراء الأطراف ، كتوزر ونفطة وقابس وغيرها إلى إرسال بيعتهم إلى أبي عنان (٣٩٥) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أسرع مجموعات القبائل الكبرى في إفريقية إلى إعلان ولائها لأبي عنان كأولاد مهلهل أمراء بني كعب من سليم ، وأقيال بني أبي الليل ، وقد دعت هذه القبائل إلى الإسراع في الاستيلاء على تونس (٣٩٦) . فما كان من أبي عنان إلا

أن الحق هذه القبائل بمحملة البرية التي وجهها للاستيلاء على تونس بقيادة يحيى بن عبد الرحمن ابن تاشفين . وفي نفس الوقت اتجهت حملة بحرية بقيادة محمد بن يوسف المعروف بالأبكم لمعاونة القوات البرية ، ونجح المرينيون في الاستيلاء على المدينة (٣٩٧) . فيقول ابن أبي دينار : « وخطب له (أبو عنان) بإفريقية ما عدا المهديّة وسوسة وتوزر وبقي الأمر على هذا شهرين » (٣٩٨) .

وما أن وصل أبو عنان إلى تونس حتى شرع في تنظيم الأوضاع بها ، وأصدر أوامره بمنع عرب رياح من تحصيل الأتاوة التي كانوا يضربونها على المواطنين ويسمونهم الخفارة ، وطالب هؤلاء العرب بتقديم رهائنهم إليه دليلاً على طاعتهم له (٣٩٩) . وكانت هذه هي القشة التي قسمت ظهر البعير كما يقولون ، حيث أعلنت هذه القبائل عصيانها ، والتفت حول أميرها يعقوب بن علي ، وانطلقوا نحو الزاب ، والسلطان أبو عنان وراءهم بجيوشه يحاول القضاء على حركتهم ، ولكنهم لاذوا بالصحراء ، فما كان من أبي عنان إلا أن خرب حصونهم ، وقصور أميرهم يعقوب بن علي ومنازله بالتل والصحراء (٤٠٠) . وأحدثت هذه المطاردة آثاراً نفسية سيئة في نفس الجند المريني المصاحب لأبي عنان ، وضاقوا ذرعاً بالحرب ، وخافوا أن يصيبهم بإفريقية ما أصابهم قبل ذلك مع أبي الحسن ، ونادوا بالرجوع إلى المغرب (٤٠١) . « وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب » (٤٠٢) . وبلغ السلطان أبو عنان من خلال هذه الأحداث أن الجند تأمروا في قتله وتنصيب إدريس بن أبي عثمان بن أبي العلاء . فلما رأى أبو عنان قلة مامعه من الجنود انسحب راجعاً إلى المغرب (٤٠٣) .

وصل أبو عنان إلى فاس في أول ذي الحجة سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م) فقبض على وزيره فارس بن ميمون وأعدمه هو وعدد من مشيخة بني مرين بينما ألقى بعدد آخر منهم في السجن (٤٠٤) . وحاول أبو عنان تأمين مكاسبه في إفريقية فأرسل حملة بقيادة وزيره سليمان ابن داود لأن أبا عنان كان يخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي . ونجحت هذه الحملة في الاحتفاظ بولاء بعض القبائل العربية لبني مرين ، كأولاد محمد من الزواودة وأولاد سباع بن يحيى ، ولكنها مالبت أن عادت إلى تلمسان تاركة الوضع في إفريقية على ما كان عليه (٤٠٥) .

وهناك حقيقة هامة ينبغي الإشارة إليها وهي أن أهالي إفريقية كانوا يرفضون الحكم المريني ، أو حتى مجرد الولاء أو التبعية له ، لأنهم كانوا في ظل حكم الحفصيين يتمتعون بكثير من الحرية ، حيث لم يحكم الحفصيون قبضتهم كثيراً على رعاياهم . أما بنو مرين فكانوا يحاولون أن يطبقوا في إفريقية نفس السياسة التي كانوا يتبعونها في دولتهم بالمغرب الأقصى ،

تلك السياسة التي لم تجدد قبولا لدى الكثيرين ، ويبدو أن تحقيق الوحدة بين الأقاليم المغربية بهذه الصورة كان أمرا عسيرا ، لاختلاف طبيعة النظم في هذه الأقاليم ، باختلاف القوى السياسية التي حكمتها بعد انهيار الدولة الموحدية وأحدثت هذه القوى تغييرات جذرية في نظمها ، وبالتالي في طبائع شعوبها وأنماط حياتها ، فباتت هذه الشعوب ترفض الاستجابة أو التعاون مع أية نظم جديدة غير تلك التي درجوا عليها ، وكانت هذه الأمور واضحة بصورة أكبر لدى القبائل العربية في إفريقيا تلك القبائل التي منحها الحفصيون حرية كبيرة في مناطقهم بل ومنحهم الحق في فرض الاتوات دون أن يعترضوا على ذلك ، وكان تصادم النظم المرينية مع مصالح هذه القبائل ، ومصالح مواطني إفريقية ، مدعاة إلى مأساة مروعة ، تمثلت في فشل المرينيين في تحقيق الوحدة المغربية ، كما كانت أيام المرابطين والموحدين .

لم يمض كثير على عودة أبي عنان إلى فاس من إفريقية ، فقد مرض إثر أدائه لصلاة عيد الأضحى سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) ، ولزم فراشه (٤٠٦) ومضت الأحداث تتتابع مريبة في قصر السلطان ، فالسلطان أصبح في غيبوبة تامة ، ولا يدرى عمن حوله شيئا ، وكان وزيره الحسن بن عمر الفودودي لا يميل إلى ولي العهد الأمير أبي زيان ، لذا دعا أهل المجلس من أشياخ بني مرين إلى استبعاد الأمير أبي زيان وتولية أخيه السعيد بن أبي عنان - الذي كان طفلا في الخامسة (٤٠٧) - وقد صادفت هذه الدعوة هوى في نفوسهم فقد كانت نفرتهم من ولي العهد مستحكمة لما أبلوا من سوء خلته وشر ملكته فاتفقوا على تحويل الأمر عليه (٤٠٨) . كما كان الحسن بن عمر يخشى ضياع مكانته في الدولة . لذا بادر الجميع بالقبض على الأمير أبي زيان ووزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون حيث قتلوا جميعا ، وتمت بيعة السلطان الصغير السعيد بن أبي عنان ، واستقل الحسن بن عمر بالأمر يوم الأربعاء الرابع والعشرين لدى الحجة سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) (٤٠٩) . كل هذا وأبو عنان مازال يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ومضى يوم الأربعاء والخميس ، والناس يرتقبون دفن السلطان ، حتى أخذتهم البرية في الأمر ، فدخل الحسن بن عمر - كما تقول معظم المصادر - إلى مخدع السلطان أبي عنان ، وأتم الحلقة الأخيرة في تأمره ، فاغتال أبا عنان ، بأن خنقه ، بكم أنفاسه . كان ذلك في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) (٤١٠) .

وكان لنبا وفاة أوى عنان أثره البالغ فى سائر أنحاء المغرب ، ولا شك أن بنى عبد الواد ، وأهالى إفريقية قد تلقوا هذه الأنباء بارتياح كبير ، أملا منهم فى تحقيق مطامعهم (٤١١) . وأصبحت هذه الأحداث كلها تشكل نهاية عصر سلاطين بنى مرين الأقوياء ، وبداية مرحلة جديدة ، السمة الغالبة فيها على الدولة هى الضعف ، وتغلغل نفوذ الوزراء ، مما سيؤدى فى النهاية إلى سقوط الدولة .

هوامش الفصل الثاني

- (١) ابن الأحمر : النفحة النثرية واللمحة المرئية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، ابن الأحمر ، روضة النسر ، مخطوط ، ورقة ٨ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٣٤٤ (يذكر ابن القاضي في نفس الصفحة أنه ولد في ربيع الأول سنة ٦٣٨ هـ) .
- (٢) ابن الأحمر : النفحة النثرية واللمحة المرئية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٣) ابن الأحمر : روضة النسر ، مخطوط ، ورقة ٨ .
- (٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٧٥ . (أفنا ، أغنا ، هكلنا في الأصل) .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٣٤٤ .
- (٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٦ ، وانظر أيضاً ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٣ ، (يذكر ابن خلدون أن أبا يعقوب ترك لابن الأحمر جميع الثغور الأندلسية على الجزيرة وطريف ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١) .
- (٧) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٦ ، (بتقوا ، تعالا ، وردتا هكلنا في الأصل) .
- (٩) المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .
- (١٠) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٣ .
- (١١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٣٧ ، ص ٣٧٥ .
- (١٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١ ، ابن القاضي ، جنوة الاقتباس ، ص ٣٤٤ .
- (١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .
- (١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٥) (سبق الحديث عن هذه الثورة في ص ٣٠) .
- (١٦) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .
- (١٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ ، Julien, OP. Cit, P, 174

- (١٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١ .
- (١٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ، ص ٣٣ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٢٤٥ .
- (٢٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ .
- (٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١ .
- (٢٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ .
- (٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ .
- (٢٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٤ .
- (٢٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .
- (٢٨) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٣ .
- (٢٩) المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ . (ظل الأمير أبو عامر هذا يرتكب الأخطاء التى تثير حفيظة والده السلطان يوسف عليه ، فعندما أسند إليه والده مهمة تسكين بلاد الريف بعد الاستيلاء على حصن تازوطا ، وكان أولاد الأمير أبى يحيى بن عبد الحق قد فروا إلى تلمسان لغضب السلطان يوسف عليهم ، ولكنه عفا عنهم بعد ذلك عندما استعطفوه واسترضوه وأمرهم بالعودة إلى مواطنهم ، وهنا اعترض الأمير أبو عامر طريقهم ، وقتلهم جميعا ، وظن أنه بذلك يرضى أباه ولكن السلطان غضب عليه وتبرأ منه ، وظل هذا الأمير طريدا شريدا حتى مات فى جبال غمارة سنة (٦٩٨ هـ) ابن خلدون ، العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .)
- (٣٠) يحيى بن خلدون : بنية الرواد ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .
- (٣١) المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٥ . (سبق لبنى وطاس هؤلاء أن حاولوا الفتك بالأمير أبى يحيى بن عبد الحق حين لجأ إليهم فى حصن تازوطا مستنجرا بهم لى أثناء حركة السعيد الموحدى للقضاء على بنى مرين ، ولذلك تحول عنهم أبو يحيى ونزل على بنى يزناسن ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .)
- (٣٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .
- (٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨١ .
- (٣٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .
- (٣٥) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .
- (٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٨ .
- (٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٨) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
- (٣٩) المصدر السابق : نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٨ (الذى لم يذكر تفاصيل كالتى ذكرها السلاوى عن وفد الأندلس) .

- (٤٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٢ .
- (٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٤٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٤٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة . (وسبا ، رموسهم ، هكنا فى الأصل) .
- (٤٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن الخطيب : الأحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٥ ، (القصر الكبير هى قصر كنامة التى ذكرها ابن الخطيب ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
- (٤٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ .
- (٤٧) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ، ص ٣٣ .
- (٤٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .
- (٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ .
- (٥٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، الزركلى ، الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٥١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٤ .
- (٥٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
- (٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون ، العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٠ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٥٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ .
- (٥٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٥٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٠ .
- (٥٧) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ج ٧ ، ص ٢١٦ .
- (والحصون هى حصن شكيش ، وطلبة ونقله ، وبليس ، وقشتل ، والمسجير ، ابن أبي زرع . الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨١) .
- (٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ .
- (٥٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٩ .
- (٦٠) ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٤٢ .
- (٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٠٩ .
- (٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ .
- (٦٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

- (٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .
- (٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤١ .
- (٦٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
- (٦٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٤ .
- (٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .
- (٦٩) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢١١ .
- (٧٠) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٣ .
- (٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٧ .
- (٧٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٢ .
- (٧٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .
- (٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٠ .
- (٧٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ .
- (٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٥٢ .
- (٧٨) ابن الخطيب : كناسة الدكان ، ت : د . محمد كمال شبانة ، دار الكاتب العربى ، ص ٢٢ .
- (٧٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٣٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٣ .
- (٨٠) المصدر السابق : ص ٢٢٩ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٤٠ .
- (٨١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ٨ .
- (٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ ، Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223 .
- (٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٨٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٩ .
- (٨٥) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .
- (٨٦) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .
- (٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
- (٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
- (٨٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .
- (٩٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ .
- (٩١) ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .
- (٩٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٩٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ ، ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ت : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتاب الحديثة - ١٩٦٦ م ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٢١ ، التنسي : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٧ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، ٢٤ ، ابن الوردي ، تمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٥٠ .

(٩٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ٨ ، المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت د ، محمد مصطفى زجادة ، القاهرة ١٩٧١ ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، (ويذكر ابن حجر العسقلاني أن مقتله كان في ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ) ثم عاد في نفس الصفحة إلى ذكر التاريخ الصحيح نقلا عن الإحاطة وهو السابع من ذى القعدة سنة ٧٠٦ هـ) ، ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٩٧) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

(٩٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٩٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٨ .

(١٠٠) السلاوي : الاستقصا ج ٢ ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، التنسي : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٧ .

(١٠١) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٢٣ ،

١٢٤ .

(١٠٣) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٥٠ ، ابن الخطيب : اللوحة

الهدية ، ص ٥١ ، ٥٢ . (وجبا . هكلا في الأصل) .

(١٠٤) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٥) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال

السكان ، ص ٢٢ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٣ .

(١٠٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

(١٠٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ابن القاضي :

حلوة الاقتباس ، ص ٢٧٥ .

(١١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ .

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(١١٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ (هذا ، هكلا في

الأصل) .

- (١١٣) التتقى: نظم الدرر، مخطوط، ص ٤٧، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ١٢٤، السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٤.
- (١١٤) السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٤، ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٣.
- (١١٥) السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٤.
- (١١٦) المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٤، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٥٥٠، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ١٢٤، (أبو سالم هو عم للسلطان أبي ثابت ولم يقتل في الصراع الذي دار بينهما أبو ثابت وأبنا الذي قتل هو أبو سالم، ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص ٢٢).
- (١١٧) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٠.
- (١١٨) السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٥.
- (١١٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٠.
- (١٢٠) ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٥، محمد بن عبد السلام بن صبود: تاريخ المغرب، ج ١، ص ١٨١.
- (١٢١) المصدر السابق، نفس الصفحة.
- (١٢٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٥.
- (١٢٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٠، ٣٩١، ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٥، ٢٣٦، (ذكر ابن أبي زرع أن وصول أبي ثابت إلى مراکش كان في أول شعبان سنة ٧٠٧ هـ).
- (١٢٤) المصدرين السابقين، نفس الصفحات.
- (١٢٥) السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٥.
- (١٢٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩١، ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٦.
- (١٢٧) المصدر السابق، نفس الصفحة، السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٥.
- (١٢٨) المصدر السابق، نفس الصفحة، (عرب جشم وهم قبائل الخلط وسفيان وبنو جابر والعاصم، المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩١).
- (١٢٩) ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٦.
- (١٣٠) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩١، ٣٩٢.
- (١٣١) ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٦، (تغلب ابن أبي العلاء بعد احتلاله سبتة هو والرئيس أبو سعيد فرج ابن الأحمر واستولى عثمان بعد ذلك على بلاد غمارة وحسن علودان وأصيلا والعريش وقصر كتامة، المصدر السابق ٢٣٦، ٢٣٧).
- (١٣٢) السلاوى: الاستقصا: ج ٢، ص ٤٦.
- (١٣٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن خلدون: العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٦.
- (١٣٤) المصدر السابق، ص ٢٣٤.

- (١٣٥) المصدر السابق، ص ٢٣٧، السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٦ .
- (١٣٦) السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٦، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٢ .
- (١٣٧) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٧، (وهى تطوران الحالية) .
- (١٣٨) المصدر السابق، نفس الصفحة، السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٦ .
- (١٣٩) المصدرين السابقين، نفس الصفحات، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٢ .
- (١٤٠) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٧، السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٧، القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٩٧ .
- (١٤١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٢ .
- (١٤٢) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٥٧، ج ٢، ص ٣٣٨، ابن الأحرر : النفحة النسرينية واللحة المرينية، مخطوط، ص ٢٧ .
- (١٤٣) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٧، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، ص ١٤٩، المقرئى : السلوك، ج ٢، القسم الأول، ص ٩٥، ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص ٥٥٠، ابن القاضى : جلوة الاقتباس، ص ٢٧٥، ٢٧٦، (يذكر القلقشندى أن وفاة أبى ثابت كانت فى الثامن من صفر سنة (٧٠٧ هـ) مخالفا بذلك ما أجمعت عليه معظم المصادر، القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٩٧) .
- (١٤٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٢، المقرئى : السلوك، ت : محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيبان، ط ١٩٤٠، ج ٢، القسم الأول، ص ٩٥، (وليس أبى الربيع ابن للسلطان يوسف بن يعقوب كما ذكر القلقشندى، القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٩٧) .
- (١٤٥) ابن الأحرر : النفحة النسرينية واللحة المرينية، مخطوط، ورقة ٢٨، ابن الأحرر : روضة النسرين، مخطوط، ورقة ٩، ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣، ص ٣٣٦ (ولم يذكر ابن الخطيب بالتحديد يوم مبايعته) .
- (١٤٦) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٨ .
- (١٤٧) المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٣ .
- (١٤٨) المصدرين السابقين، نفس الصفحات، ابن القاضى : جلوة الاقتباس، ص ٣١٩ .
- (١٤٩) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٨، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٣، السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٧ .
- (١٥٠) ابن خلدون : العبر، ط بولاق، ج ٧، ص ٢٣٨ .
- (١٥١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ط الرباط ١٩٧٣، ص ٣٩٣، (آخرون هكذا فى الأصل) .
- (١٥٢) السلاوى : الاستقصا : ج ٢، ص ٤٧، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان، ص ٢٢ .

- (١٥٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ .
- (١٥٤) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ ، Julien, OP. Cit, P. 176-177 .
- (١٥٥) ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٣١٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .
- (١٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ ، ص ٢٤٠ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٤ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٦ .
- (١٥٧) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ ، ابن الخطيب ، اللوحة البدوية ، ص ٦٢ .
- (١٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٠ .
- (١٥٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
- (١٦٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٤٩ .
- (١٦١) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، (وعن تعيين الشيخ أبي الحسن الصغير النظر ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٣١٩) .
- (١٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ٤٩ ، ٥٠ .
- (١٦٣) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (١٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤١ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٠ .
- (١٦٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٤ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٩٥ ، (ويذكر صاحب الحلل الموشية أن الوفاة كانت في أول رجب سنة (٧١٠ هـ) ، ويوافقه في ذلك ابن الخطيب ، أما ابن الأحمر فيرى أن الوفاة كانت في الثاني من رجب ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللوح المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٨ .) .
- (١٦٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ .
- (١٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .
- (١٦٨) ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللوح المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، ٣٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، (يذكر صاحب الحلل أنه ولد في حياة جده سنة (٦٧٤ هـ) ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ .) .
- (١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٠ .
- (١٧٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

- (١٧١) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .
- (١٧٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .
- (١٧٣) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٠ .
- (١٧٤) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النفحة السرينية واللحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٥ .
- (١٧٥) المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ .
- (١٧٦) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٧ .
- (١٧٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، ٢٥ .
- (١٧٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٧ .
- (١٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، (وحلد ابن خلدون هذه الوظائف المغزوية بأنها المغارم والمكوس وكانت هذه الضرائب كما يقول ابن مرزوق تخضع في تقديرها إلى رأى العمال ، وقد تولى أبو عمران التولى شرح أضرار هذه الضرائب إلى السلطان ، أبى سعيد حتى رفعها ، انظر ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦) .
- (١٨٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٦ .
- (١٨١) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
- (١٨٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٨٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .
- (١٨٤) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٠ .
- (١٨٥) المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
- (١٨٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٩ .
- (١٨٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (واسم الثائر عنده هو عدى بن هو المسكوري) .
- (١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
- (١٨٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٩ .
- (١٩٠) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .
- (١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ (كان لأبى سعيد ولد ثالث اسمه منصور يبدو أنه لم يتدخل في الأحداث ، ابن الأحمر : النفحة السرينية واللحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠)
- (١٩٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ .
- (١٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

- (١٩٤) ابن خلدون: العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ .
- (١٩٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥١ .
- (١٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ ، ٢٤٤ .
- (١٩٧) ابن الأحرر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣١ .
- (١٩٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٤ .
- (١٩٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (لم يشر ابن أبى زرع إلى أحداث ثورة الأمير عمر من قريب أو بعيد ، وإنما أشار إشارة عابرة عن « عقد أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبى على عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وما والا ذلك إلى الصحراء » ، وذكر أن ذلك كان من سنة (٧١٤ هـ) مخالفا لما ذكره ابن خلدون عن تاريخ الصلح ويبدو أن معاصرة ابن أبى زرع لعهد السلطان أبى سعيد منعه من الخوض فى أحداث الخلاف بينه وبين ولده عمر وأدت هذه المعاصرة إلى حجب كثير من أحداث هذه الفترة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٣٩) .
- (٢٠٠) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٦٧ ، وابن القاضى ذكر أن الأمير عمر أقام بسجلماسة « قائما بنفسه غير مطيع لأبيه » ، انظر ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ١٨٤ .
- (٢٠١) ابن الأحرر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣١ ، (ظل الأمير عمر سلطانا بفاس الجديد ستة أشهر فقط ، المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ١٨٤) .
- (٢٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٤ ، وانظر ما كتبه فى ذلك ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .
- (٢٠٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٤ .
- (٢٠٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
- (٢٠٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
- (٢٠٦) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (٢٠٧) المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦ ، (تكونت العلاقات الطيبة بين السلطان أبى سعيد وأبى زكريا يحيى بن أبى طالب خلال مجالس العلم التى كان يحاضر فيها الشيخ أبو الحسن الصغير بمسجد القرويين بفاس ، انظر ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٦) .
- (٢٠٨) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- (٢٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٧ .
- (٢١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٤٠٠ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٥ .
- (٢١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٧ .

- (٢١٣) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٥ .
- (٢١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨ .
- (٢١٥) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٥ ، ٦٦ .
- (٢١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحات .
- (٢١٧) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم ٥٤٩ معارف عامة) ج ٣٠ ، القسم الثانى ، ص ٢٤٢ ، المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، القسم الثالث ، ص ٩٥٣ .
- (٢١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٢٣ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٣ .
- (٢١٩) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .
- (٢٢٠) انظر فيما سبق ما يتعلق بمشيعه الغزاة فى الأندلس .
- (٢٢١) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ج ٣٠ ، القسم الثانى ، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ ، المقرئى : السلوك ج ٢ ، القسم الثالث ، ص ٩٥٣ - ٩٥٧ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٣ ، (وابن خلدون يجعل ذلك فى سنة (٧٦٨ هـ) ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٩) .
- (٢٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
- (٢٢٣) نفس المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن مرزوق : المسند الصحيح للحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ٢٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٦٨ .
- (٢٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥١ .
- (٢٢٥) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٦٨ .
- (٢٢٦) نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٢ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٧ .
- (٢٢٧) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (٢٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٢ ، (ويطلق المقرئى والقلقشندي ، مع ابن خلدون فى تاريخ وفاة أبى سعيد فقالا : إنها كانت فى ذى الحجة سنة (٧٣١ هـ) انظر ، المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، القسم الثانى ، ص ٣٤١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨) .
- (٢٢٩) ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر النفحة السرينية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، (لم يذكر ابن مرزوق سبب الوقفة .) .
- (٢٣٠) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٧ .
- (٢٣١) ابن الأحمر النفحة السرينية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ .
- (٢٣٢) ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ .
- (٢٣٣) المصدرين السابقين ، نفس الورقات .

- (٢٣٤) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ، ص ٥٧ .
- (٢٣٥) ابن الأحمر النسخة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ .
- (٢٣٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨١ .
- (٢٣٧) المصدر السابق ، نفس الورقة .
- (٢٣٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٩ ، ٢١٠ .
- (٢٣٩) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .
- (٢٤٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣١ .
- (٢٤١) المصدر السابق ، ورقة ٣٢ ، ٣٣ .
- (٢٤٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٣ ، (ويسئل هكلنا فى الأصل) .
- (٢٤٣) المصدر السابق ، ورقة ٦٤ .
- (٢٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٢ .
- (٢٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٧ ، (ويروى ابن مرزوق أن الية العامة تمت فى الجامع الأعظم من فاس الجديد بعد دفن السلطان أبى سعيد هناك ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠) .
- (٢٤٦) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النسخة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ ، المقرئى : السلوك ، القسم الثانى ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .
- (٢٤٧) الزركشى : تاريخ الفولتين ، ص ٦٨ .
- (٢٤٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٠ .
- (٢٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٣ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٤٠ .
- (٢٥٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٣ .
- (٢٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويختلف الزركشى مع ابن خلدون فى تاريخ هذه الحملة فيجعلها فى سنة (٧٣٨ هـ) .
- (٢٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٣ .
- (٢٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٨ .
- (٢٥٤) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (٢٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٤ ، انظر ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ٢٣ ، التسي : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٩ .
- (٢٥٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٤ .
- (٢٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويروى ابن الخطيب أن الأمير عمر قتل بالفصاد ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٥٣٠) .

- (٢٥٨) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٩ .
- (٢٥٩) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ .
- (٢٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٠ ، (روى ابن خلدون أن يحيى بن سليمان العسكري انتهى بحملاته في شرق المغرب الأوسط إلى المرية ، وصححها السلاوى إلى المديّة) .
- (٢٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٧٢ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ ، ابن الأحمر ، روضة السنين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، ٢٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧١ ، Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223 .
- (٢٦٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، (ويصف ابن الأحمر أباتاشفين العيد الوادى بأنه كان فاسقا منغمسا في اللذات ، ابن الأحمر : روضة السنين ، مخطوط ، ورقة ٢٣ .) .
- (٢٦٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٣ ، عبد الرحمن الجليلي : تاريخ الجزائر العام ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- (٢٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ .
- (٢٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويتحدث ابن مرزوق عما بذله أبو الحسن المريني من أموال ومتاع لاسترضاء أهل تلمسان بعد فتحه للمغرب الأوسط فيقول : « شهدت خروج أهل تلمسان إليه بعد عفوه عنهم وخروجهم تحت حكمه فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بمجهزاتها ومهنداتها والكسب المناسبة والجهازات ، بين مدجج مذهيب ومغضض ... وأعطى الضعفاء أهل تلمسان اثني عشر ألف دينار من الذهب واثني عشر ألف كساء من الطعام مطاير لا تحصى كثرة هذا شهادته وشهدت بعنه عنا ما وصل لكبار أهلها من الفقهاء والصلحاء والكتاب وذوى الوجاهة من الناس » . ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ٨٩ .) .
- (٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .
- (٢٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ٥٣٦ ، (يقول ابن مرزوق عن هذا الجبل ، « هو باب عدوة الأندلس ومقلها ومفتاحها على القوم وقفلها » ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٩ .) .
- (٢٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : للمحة البدرية ، ص ٨٠ ، ٨١ ، مار يانور يياس بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، مجلة تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٥ ، (يرى البعض أن الموقف بعد استيلاء المسلمين على جبل الفتح انجلي عن عقد معاهدة صلح بين ملكي المغرب وقشتالة ، خاصة بعد أن فشلت عدة محاولات قشتالية لاسترداد الجبل ولكن ابن الخطيب وابن خلدون يذكران أن الاتفاق كان بين السلطان محمد بن الأحمر وملك قشتالة فقط ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ، ص ١٣١ .) .

(٢٦٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٥٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٤٥١ .
(٢٧٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
(٢٧١) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ ، (انظر تفاصيل هذه المؤامرة فى اللوحة البدرية ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٨٣ .)
(٢٧٢) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٣٢ .
(٢٧٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٢٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ ، (أفرغت هذه الحملة أسبانيا النصرانية وتوجست منها شرا كالذى لاقته قبل ذلك فى معارك جبل الفتح ولذلك صممت على مواجهة المرينيين فى قواها المتحلة ، فخرج أسطول قوى يجمع قوى أسبانيا وهى قشتالة وأراجون والبرتغال إلى مياه جبل طارق ، بقيادة الدون جوفرى توريو لمنع الإمدادات عن الجيش المرينى ، ونجح النصارى فى مفاجأة الجيش المرينى قبل الارتداد إلى أراضى المسلمين ، انظر : عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٣٢ .)

(٢٧٥) المصدر السابق، ص ٢٦١ (وتذكر بعض المصادر أن عدد السفن بلغ مائة وأربعين سفينة ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ص ٩٢ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧ .)

(٢٧٦) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٢٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ، ابن الخطيب اللوحة البدرية ، ص ٩٢ .

(٢٧٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ .
(٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، انظر ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، وانظر : ماريانو أريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .

(٢٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ، (فى الوقت الذى كانت فيه قشتالة والبرتغال تتابع الحرب ظل ملك أراغون على هدنته التى كانت بينه وبين غرناطة فلم يشترك فى أعمال القتال بالبر فى طريق غير أنه أرسل بعض القوارب إلى قشتالة بروراً بالتزامه معها ، انظر ماريانو أريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .)

(٢٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ .
(٢٨٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢٨٥) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، (ذكر السلاوى يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة سنة (٧٤١ هـ) تاريخاً

- لموقعة طريف ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٦ .) .
- (٢٨٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
- (٢٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٦٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٦ ، عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ط ثانية ١٩٦١ ، مؤسسة الخالجي ، ص ٨٥ ، (بشر المؤلف إلى أنه كان من بين الأسلاب التي ظفر بها النصارى علما من أعلام الجيش المرينى ، علقا على جدران قاعة الثياب المقدسة بكنائس طليطلة ، المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦) .
- (٢٨٨) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٨ .
- (٢٨٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .
- (٢٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ ، عنان : الآثار : الأندلسية الباقية ، ص ٢٨٢ ، شارك أسطول أراغون فى حصار الجزيرة الخضراء الذى ضربه القشتاليون . حولها ، انظر ، ماريانو أرياس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٦) .
- (٢٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٣ ، (ذكر ابن مرزوق أن جملة الأموال التى أخرجها أبو الحسن لأهل الجزيرة ، بلغت خمسة وثلاثين ألف دينار ، من الذهب العين ، وأمدحهم بخمسة آلاف من الكسب للعامة والفرسان ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٩) .
- (٢٩٢) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٦ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ط ثالثة ، ص ١١٧ .
- (٢٩٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٨ .
- (٢٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ .
- (٢٩٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٦٨ .
- (٢٩٦) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٠ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ط : تونس ١٩٧٤ ، ص ٩٣ .
- (٢٩٧) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٠ ، وقارن السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٥ .
- (٢٩٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٦٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ .
- (٢٩٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ .
- (٣٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٠١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ٩٥ .
- (٣٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ .
- (٣٠٣) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ ، وقارن ابن أى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ .
- (٣٠٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١١٧ .

- (٣٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ .
- (٣٠٦) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ .
- (٣٠٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٦٥ ، الزاوي : ولاية طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، ط أولى ١٩٧٠ ، دار الفتح للطباعة - بيروت ، ص ١٢٥ .
- (٣٠٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ .
- (٣٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .
- (٣١٠) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧١ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، (خالف ابن خلدون ما ذكره ابن القنفذ والزركشي فذكر أن أبا عبد الله محمد بن أبي زكريا نقل إلى عمل كومية بينا نقل أبو زيد وأخوته إلى ندرومة ، انظر ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .)
- (٣١١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ .
- (٣١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣١٣) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ ، أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب ص ١٦٥ ، محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ، ص ٩٧ .
- (٣١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، وقارن ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ .
- (٣١٥) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .
- (٣١٦) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .
- (٣١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ ، السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٦ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ ، (يروي الزركشي أن دخول تونس كان في الثامن لجمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ بينما ذلك هو تاريخ توقفه خارج المدينة أما دخوله المدينة فكان يوم السبت حسب رواية ابن خلدون ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .
- (٣١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
- (٣١٩) المصدر السابق : ص ٢٧٠ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .
- (٣٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٠ ، (ويضيف السلاوي تفسيراً في شأن هذه الإقطاعات بأنها التي كانت للعرب من قبل الحفصيين ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧٧ .)
- (٣٢١) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، (سيجوم مكان السيخة المعروفة الآن باسم السيجوم قرب الملاسين من ضواحي تونس ، انظر هامش المصدر السابق ، ص ١٤٧ .)
- (٣٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٠ ، Toynbee, A., Op. Cit., P.336 .

- (٣٢٣) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٧ .
- (٣٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .
- (٣٢٥) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .
- (٣٢٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٧ .
- (٣٢٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٧ .
- (٣٢٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .
- (٣٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ .
- (٣٣٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (٣٣١) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٨ .
- (٣٣٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، المكتب التجارى للطباعة ، والنشر - بيروت - ، ص ١٦١ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ١٠١ .
- (٣٣٣) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٠ ، (تمسكت بعض العناصر من العلماء فى تونس ببيعة أبى الحسن ، رغم ما حدث له فى القيروان ومن هؤلاء القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد السلام المستورى ، الذى رفض الدعاء فى خطبة الجمعة للخليفة أبى العباس بن أبى دبوس الذى نصبه الثوار بدلا من أبى الحسن فى تونس ، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٦١ ، ١٦٢) .
- (٣٣٤) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ ، انظر ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ .
- (٣٣٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ .
- (٣٣٦) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ .
- (٣٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٦ ، (وينفرد ابن القنفذ بالقول بأن عددا من أنصار أبى الحسن من بنى مرين قد خانوه وفروا من المعركة كغيرهم من بنى عبد الواد ، انظر ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧٠) .
- (٣٣٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٧٩ .
- (٣٣٩) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٩ ، ٢١٠ (لم يقم بنو مهلهل بهذا العمل مع أبى الحسن إلا بعد أن حصلوا على مبلغ كبير من المال منه ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧) .

- (٣٤٠) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ . ابن خلدون : العبر . ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٦ .
- (٣٤١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ .
- (٣٤٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .
- (٣٤٣) المصدر السابق ، ص ٨٥ .
- (٣٤٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ .
- (٣٤٥) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧١ .
- (٣٤٦) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ .
- (٣٤٧) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، مع خلاف في اللفظ .
- (٣٤٨) محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ، ص ١٠٤ .
- (٣٤٩) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٨ ، ٨٩ .
- (٣٥٠) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٣ .
- (٣٥١) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٩٤ .
- (٣٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨١ .
- (٣٥٣) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٨ .
- (٣٥٤) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٤ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٨ .
- (٣٥٥) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٩ .
- (٣٥٦) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٤ ، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ١٠٦ . (أرسل أبو عنان جيشا علون بني عبد الواد ضد والده أبي الحسن ، ابن خلدون العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠) .
- (٣٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ .
- (٣٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ ، السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ .
- (٣٥٩) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٥ .
- (٣٦٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٦١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ .
- (٣٦٢) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ ، (مع خلاف في اللفظ) .
- (٣٦٣) السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٥ ، (واتفق مع السلاوي في هذا التاريخ ابن خلدون ، والزركشي ، والقلقشندي ، انظر . ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨)

- (٣٦٤) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٥ .
- (٣٦٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤) ، مجهول : الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، ١٥٠) .
- (٣٦٦) محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ١٠٦ .
- (٣٦٧) ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ .
- (٣٦٨) المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن الأحمر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٨ .
- (٣٦٩) المصدرين السابقين ، نفس الورقات ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ١٠١ .
- (٣٧٠) ابن الأحمر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٨ .
- (٣٧١) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ ، ١٢ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ١٠١ ، (ومما قاله أبو عنان من الشعر :
- وإذا تصدر للرياسة خامل
جرت الأمور على الطريق الأعوج
- ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢١٥ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٥) .
- (٣٧٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٣ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني حياته وآثاره ، المكتبة الوطنية - الجزائر ، ط ١٩٧٤ ، ص ٢٦ .
- (٣٧٣) للمصدر السابق ، ص ٢٨١ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٥٩ .
- (٣٧٤) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٣٠ ، ٣١ .
- (٣٧٥) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٨٩ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٦٠ .
- (٣٧٦) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .
- (٣٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ .
- (٣٧٨) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ .
- (٣٧٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
- (٣٨٠) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات ، (يذكر السلاوى والزركشى أن أبا عنان حمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما فى محفل من الناس بين سحاطين ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٠ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤) .
- (٣٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ ، التنبسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٥٠ .
- (٣٨٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩٠ .
- (٣٨٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ .
- (٣٨٤) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩١ .

- (٣٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٢ .
- (٣٨٦) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .
- (٣٨٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٦ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩١ - ٩٤ .
- (٣٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩١ .
- (٣٨٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٥ .
- (٣٩٠) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩١ .
- (٣٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٦ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٢ .
- (٣٩٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٢ ، طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، رسالة ماجستير كلية دار العلوم ١٩٧٥ ، ص ٢٩٩ .
- (٣٩٣) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٢ .
- (٣٩٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، وانظر ابن أبى دینار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ .
- (٣٩٥) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩٩ ، (وكانت تورز في يد يحيى بن يسلول ، ونقطه في يد علي بن أبي طالب) ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٧ .
- (٣٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٩٧) السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، (يروى ابن الخطيب أن استيلاء المرينيين على تونس كان في رمضان سنة (٧٥٨ هـ) ، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٣١) .
- (٣٩٨) ابن أبى دینار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ ، (ومن المعروف أن السلطان أبا عنان أسند إلى أحمد بن مكى ولاية طرابلس ، وظل ابن مكى حاكما عليها حتى سنة (٧٦٦ هـ) ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، الزاوى : ولاية طرابلس ، ص ١٢٧) .
- (٣٩٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٧ .
- (٤٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
- (٤٠١) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٨ ، ابن أبى دینار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ .
- (٤٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٨ .
- (٤٠٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٤٠٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٨ .
- (٤٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، السلاوى : الاستقصا : ج ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

- (٤٠٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ط ١٣١٦ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
- (٤٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ .
- (٤٠٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٤٠٩) ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ ، السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ١٠١ .
- (٤١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ ، السلاوي : الاستقصا : ج ٢ ، ص ١٠١ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٣١٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٣٨ ، ابن الأحمر النسخة النسرينية واللوحه المرينية ، مخطوط ، ورقة ١١ ، Julien, OP. Cit., P. 183 .
- () وخالف التاريخ الذي ذكرته هذه المصادر ، صاحب الحلل الموشية وابن الخطيب ، فيذكر الأول أنها كانت في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة (٧٥٩ هـ) ، بينما يذكر الثاني أنها كانت في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ .
- (٤١١) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياتي ، ص ٣٤ .

الفصل الثالث

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بني مرين

(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م)

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بني مرين (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م)

تفكك دولة بني مرين :

شهدت الدولة المرينية في أعقاب مقتل السلطان أبي عنان تحولا كبيرا في نظامها السياسي ، وكانت أهم عناصر هذا التحول ، هي انتقال السلطة الفعلية في الدولة من يد السلاطين إلى الوزراء . وكانت هذه الظاهرة تشكل خلافا في الجهاز الحاكم للدولة ، حيث كانت مقاليد السلطة كلها قبل ذلك في قبضة السلطان المريني وحده ، وكان الوزراء مجرد أدوات لتنفيذ أوامره ، وأصبح هذا التحول دلالة قوية واضحة على انتهاء عصر القوة في الدولة المرينية وعلى أنها بدأت تخطو أولى خطواتها نحو الانهيار والسقوط .

وصاحب هذه التطورات الخطيرة في جهاز الحكم في الدولة المرينية ، عودة الدولة وتقلصها داخل حدودها السابقة في المغرب الأقصى ، حيث حاصر الحفصيون قسنطينة واستردوا بجاية (١) ، وتمكن أبوحمو موسى الزياني في ربيع الأول سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م) ، من استعادة تلمسان بمعاونة بني عامر بن زغبة ، وهم من عرب بني هلال (٢) . وبطبيعة الحال كانت هذه الأحداث نهاية لسياسة المرينيين التوسعية ، وضياح كثير من التضحيات المادية والعسكرية التي بذلها المرينيون في بلاد إفريقية والمغرب الأوسط ، وكانت هذه الخسائر المادية الفادحة التي خسرها المرينيون طيلة سنوات تنفيذهم لهذه السياسة من أهم أسباب ضعف دولتهم واندفاعها نحو الانحلال والتفكك . ومن خلال الضعف الذي منيت به الدولة ، مارس الوزراء سلطاتهم الواسعة ، وتحكموا في مقادير الدولة ، حتى أصبحت الفترة الأخيرة من حياة الدولة المرينية تقتزن سياسيا بهؤلاء الوزراء المستبدين بها أكثر من اقترانها بسلاطين الدولة الذين كانوا إما صغارا محجوبين بهؤلاء الوزراء ، أو كبارا ولكنهم في أغلب الأحيان ضعاف مجردون من السلطة والنفوذ .

المرينيون تحت وزارة الحسن بن عمر الفودودي :

هو الوزير الحسن بن عمر الفودودي (٣) . وقد حجب هذا الوزير السلطان أبا بكر السعيد بن أبي عنان في داره ، واستقل هو بأمر الدولة (٤) . وقد شعر هذا الوزير بعد استيلائه على السلطة في الدولة المرينية أن مصدر الخطر عليه يكمن في أبناء السلطان أبي عنان

الذين أوكل إليهم السلطان في حياته حكم أقاليم الدولة (٥) . فهؤلاء من السهل أن يطالبوا بأحقيتهم في العرش خاصة وأنهم أكبر سنا من السلطان الصغير أبي بكر السعيد (٦) ، لذلك اتخذ الحسن بن عمر الفودودي فورا إجراءات تم بمقتضاها القبض على عبد الرحمن بن أبي عنان - الذي كان في جبل الكاي - واعتقله في قصبة فاس ، واستدعى المعتصم الذي كان حاكما على سجلماسة ، والمعتمد الذي كان واليا على إقليم مراكش ، وقد رفض هذا الأخير الحضور ، واعتصم بجبل هنتاة في حماية وزيره عامر بن محمد ، وظل هناك حتى قام عامر بتسليمه إلى السلطان أبي سالم بعد ذلك (٧) .

وحاول الحسن بن عمر الفودودي إبعاد خطر منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، حيث ملأت الإشاعات أسماع الناس ، ومن بينهم الحسن ابن عمر ، بأن مُلك المغرب صائر إلى منصور هذا ، وأصبحت هذه الإشاعات حديث السُّرير والندمان في كل مكان (٨) . وابن خلدون يذكر أن هذه الإشاعات أفرغت منصور ابن سليمان نفسه ، فجاء إلى الوزير الحسن وشكا إليه ذلك فالتهمه أن يخلج بفكره هذا الوسواس اثتارا خلا من وجه السياسة فانزجر واقتصر (٩) . وحاول الحسن بن عمر التخلص منه ومن خطره فأرسله ضمن الحملة التي قادها مسعود بن رحو بن ماسي لاسترداد تلمسان والقضاء على بني عبد الواد بالمغرب الأوسط - ولكن يؤتى الحذر من مأمته - فقد نجح مسعود بن رحو في دخول تلمسان بعد أن تركها له أبو حمو موسى الزباني ، ولكن أبا حمو اتجه بقواته التي كان أكثرها من العرب من قبائل زغبة والمعلل نحو المغرب الأقصى ، فأفرغ ذلك مسعود بن رحو في تلمسان ، فوجه إليهم حملة بقيادة ابن عمه عامر بن عبو ابن ماسي ، وفشلت هذه الحملة فشلا ذريعا ، وهرب أصحابها ودخلوا وجدة عراة (١٠) . ولما بلغت هذه الأنباء بني مرين بتلمسان « وكان في قلوبهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يترهبون بالدولة فلما بلغ الخبر وحاص الناس لها حيصة الحمر خلص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيان بن السلطان أبي يعقوب فبايعوه » (١١) . ولم يكن مسعود بن رحو بن ماسي بأقل من بني مرين بتلمسان رغبة في مبايعة سلطان جديد غير سلطان فاس ، ويبدو أنه كان يريد من وراء ذلك القضاء على الحسن بن عمر الفودودي وأن يتسلى من ناحية أخرى إلى السلطة والحكم ، لذلك اختار لهذا الأمر ، منصور بن سليمان .

أحضر مسعود بن رحو بن ماسي منصور بن سليمان « فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الأبكم من بني الأحمر وقائد جند النصارى (القهر دور) وتسابل إليه الناس وتسامع الملأ من بني مرين بالخبر فهاووا إليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبي زيان لوجهه فركب

البحر وخلص إلى الأندلس واحتمل بنى مرين على كلمته وارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب ، (١٢) .

وصل منصور بن سليمان بجحافله ومؤيديه إلى وادى سبو ، فترامت أخباره إلى الحسن ابن عمر الفودودي الذى بادر بالخروج لقتاله ، ومعه سلطانه الصغير السعيد بن أى عنان ، فلما جاء الليل تسلل كثير من قواته وانضموا إلى منصور بن سليمان ، ولم يجد الحسن ابن عمر بداً عن الانسحاب إلى البلد الجديد ليتحصن بها من منصور بن سليمان ، ولكن ساء حظ السلطانيين ، إذ ظهر فى ذلك الوقت الأمير أبو سالم المرينى ببجبال غملرة يدعو إلى نفسه ، ويبدو أن الناس كانوا على حالة كبيرة من اليأس من السلطان المحجور عليه ووزيره الحسن بن عمر ، ومن السلطان الذى فرض عليهم بالقوة (منصور ابن سليمان) (١٣) . لذلك توجهت الأنظار إلى الأمير أى سالم المرينى ليخلصهم من هذه الأوضاع المتردية ، ويقول السلاوى فى ذلك : « فأنصرفت إليه (أبو سالم) وجوه أهل المغرب وبطل أمر السلطان أى بكر السعيد ومنصور بن سليمان معا وذابا كما يذوب الملح » (١٤) .

وزارة ابن مرزوق الخطيب :

قفر الأمير أبو سالم إلى قمة الأحداث فى المغرب فجأة ، وكان هذا الأمير قد نفاه السلطان أبو عنان مع أخيه محمد إلى بلاط غرناطة سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) لابعادها عن التطلع إلى العرش المرينى ، وقد حركت التطورات الجديدة - التى طرأت على الدولة المرينية فى أعقاب وفاة أخية السلطان أى عنان - أطماعه (١٥) . ويذكر ابن خلدون أن بعضا من أهل المغرب استدعاه لتولى الأمر ، بل إن بعضهم وصل إليه والتقى به بمكانه من غرناطة لأجل هذا الغرض (١٦) . فطلب أبو سالم من سلطات غرناطة أن تأذن له بالرحيل إلى المغرب فرفضت طلبه ، الأمر الذى جعله يهرب كما يقول ابن الخطيب « من الحضرة (غرناطة) ليلا من بعض بحارى المياه راكبا للخطر .. ولحق بملك قشتالة ، وهو يومئذ باشيلية » (١٧) .

ساعد ملك قشتالة أبا سالم ، فكلف لإحدى سفن الأسطول القشتالى بنقله إلى ساحل المغرب ، ولم يتمكن أبو سالم من النزول بمراكش لأن عامر الهنتاقى كان يعانى من حصار سليمان بن داود (١٨) . تراجع أبو سالم عن مراكش ، ونزل بجبل الصليحة من بلاد غمارة على طريق سبتة ، وقد مكنه نزوله فى هذا الموضع من الاستيلاء بسهولة على طنجة وسبتة وأصيلا وجبل الفتاح ، لأنه وجد تأييدا قويا من قبائل المنطقة (١٩) . كما التقى بعدد من الشخصيات القوية التى عاونته معاونة صادقة ، ومن هذه الشخصيات السلطان

أبو العباس بن أئى حفص - صاحب قسنطينة الذى كان معتقلا فى سبته - فقد وقف هذا السلطان مع أئى سالم بمن معه من عبيد وفرسان (٢٠) . كذلك انضم إليه الحسن بن يوسف الورتاجنى ، وأبو الحسن بن على بن السعود ، والشريف أبو القاسم التلمسانى ، وهؤلاء كانوا فى طريقهم إلى النفى بالأندلس ، إذ ارتاب فى شأنهم منصور بن سليمان وظن أنهم يداخلون الوزير الحسن بن عمر الفودودى ، وقد استفاد أبو سالم من هذه الشخصيات ، فاستوزر الحسن بن يوسف ، واستكتب لعلامته الحسن بن على بن مسعود (٢١) . وقد أضفت هذه الترتيبات على حركة أئى سالم كثيرا من مظاهر الجدية ، مما جعله ينجح فى مهمته ، فهزم الجيش الذى أرسله له منصور بن سليمان بقيادة أخويه عيسى وطلحة (٢٢) . وقد أسفرت هذه الانتصارات الأولية عن انفضاض الناس من حول منصور ابن سليمان وانضمامهم إلى أئى سالم ، ومن ناحية أخرى جرت مراسلات سرية بين الحسن ابن عمر الفودودى وأئى سالم ، تم بمقتضاها خلع السلطان السعيد بن أئى عنان وتسليمه وتسليم أمره إلى الأمير أئى سالم (٢٣) .

وفى يوم الجمعة منتصف شعبان سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م) دخل أبو سالم إلى البلد الجديدة مقر الحكم المرىنى - واستولى على العرش المرىنى (٢٤) . وفى مقابل ذلك عقد للحسن بن عمر الفودودى على مراكش « تحففا منه وريبة بمكانته من الدولة » (٢٥) .

ومضت سنوات حكم أئى سالم ، وسط جو من الخوف والقلق والترقب لمنافسيه فى كل مكان ، ففى مطلع عهده سلك مسلكا منفرا أغضب عليه البيت المرىنى كله حيث عمد إلى الأبناء المرشحين من بنى أئى الحسن المرىنى ، فجمعهم فى سفينة واحدة متظاهرا بإرسالهم إلى الأندلس ، بينما كانت أوامره التى أرسلها إلى قائد السفينة مشددة بإغراقهم جميعا وقد تم ذلك بالفعل وكان السلطان أبو بكر السعيد بن أئى عنان ضمن هؤلاء الأبناء (٢٦) .

وتركزت جميع اهتمامات أئى سالم فى المحافظة على عرشه ، والاحتياط لذلك بهشئ الوسائل ، فقد وجد أبو سالم فى الثورة التى ترتب عليها خلع السلطان الغنى بالله محمد ابن يوسف بن الأحمر ، فرصة لتأمين ملكه من أية محاولة تدبر فى غرناطة ضد عرشه ، خاصة وأن كثيرا من أبناء البيت المرىنى المطالبين بالعرش يقيمون بها . فطلب أبو سالم إلى سلطان غرناطة الجديد تسهيل عبور السلطان المخلوع الغنى بالله ووزيره لسان الدين ابن الخطيب للإقامة فى النولة المرىنية (٢٧) . وقد أفصح المقرئ عن أهداف أئى سالم التى كانت تكمن وراء هذه الضيافة ، فقال أن أبا سالم أرسل فى « استدعاء هذا السلطان المخلوع عن وادى آش ، يعده زبونا على أهل الأندلس ويكف به عادة القراة المرشحين هنالك متى طمحووا إلى ملك المغرب » (٢٨) .

ولم يستطع أبو سالم رغم حرصه الشديد على عرشه ، أن يعيد للدولة المرينية هيبتها وقوتها ، ففي سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، كتب إلى منصور بن خلوف اليابقي ، عامل بني مرين على قسنطينة ، يطلب إليه تسليم المدينة إلى المولى أبي العباس الحفصي ، وذلك لقاء خدماته ومعاونته التي قدمها له حين نزوله ببلاد غمارة ، وبهذا فقد المرينيون نهائيا وجودهم في إفريقيا (٢٩) . كما فشل أبو سالم في حملته التي وجهها إلى تلمسان : سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، في الاحتفاظ بالمغرب الأوسط ضمن أملاك الدولة المرينية ، وانتهى به الأمر إلى مهادة أبي حمو موسى الزياني سلطان بني عبد الواد ، وبذلك خرج المغرب الأوسط هو الآخر عن سلطة بني مرين (٣٠) .

ورغم أن البلاط المريني في عهد أبي سالم قد احتوى على عدد من مشاهير رجالات الحكم والإدارة كأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب وأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون - الذي تولى الكتابة لأبي سالم - وأبي القاسم النجارى - صاحب كتاب السياسة - (٣١) فإن الترتيبات الكثيرة التي اتخذها أبو سالم دائما لتأمين عرشه جعلته يرى « أن قد خلا له الجو ، فتواكل وآثر الحجة ، وأشرك الأيدي في ملكه فاستيحت أموال الرعايا ، وضائق الجبايات ، وكثرت الظلمات ، وأخذ الناس حرمان العطاء وانفتحت أبواب الارجاف » (٣٢) .

وإذا كان هذا هو أمر رعايا الدولة ، فقد كانت الأحوال أكثر سوءا في نقوس خاصة السلطان وحاشيته ، وأهل الحل والعقد في الدولة ، بسبب استبداد الوزير أبي عبد الله ابن مرزوق الخطيب ، إذ غلب ذلك الوزير على هوى السلطان أبي سالم ، وأصبح يده زمام الأمور في الدولة ، وأصبح هؤلاء جميعا يتحينون الفرصة للفتك بأبي سالم (٣٣) . وهذه الحقائق تعنى أن معظم سلاطين بني مرين في هذه المرحلة من تاريخ الدولة ، قد قتلوا إيجابتهم في الحكم ، وقدرتهم على العطاء للدولة والمواطنين ، وأصبحت الدولة نهباً للطمع والمغامرين .

فقد قرر أبو سالم نقل مقر الحكم من البلد الجديد ، إلى قصبة فاس القديمة ، حيث بنى في هذه القصبة إيوانا جديدا فخما لجلوسه (٣٤) . وكان قد قلد إلى عمر بن عبد الله أحد كبار الدولة ووزرائها (٣٥) - الأمانة على القلعة - دار ملكه في البلد الجديد (٣٦) . فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند غرسية بن أنطول واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وخلصوا إلى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبي الحسن بمكانه من البلد الجديد فخلعوا عليه وألبسوه شارة

الملك ، (٣٧) . وكانت هذه الثورة حسب رواية ابن الخطيب في الإحاطة ، ليلة العشرين من ذى القعدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٣٨) .

أحس أبو سالم بالثورة التى دبرها عمر بن عبد الله فحاول استعادة زمام المبادرة فى يديه من الثوار ، ولكنه فشل ، وانفض الناس من حوله إلى البلد الجديد ، ولاذ هو بالفرار ، وأرسل عمر بن عبد الله فى أثره من يبحث عنه ، حتى عثروا عليه نائما فى بعض المجاشر بوادى ورغة ، فقبض عليه . ولما علم عمر بن عبد الله بأنباء القبض عليه أرسل شعيب ابن ميمون بن وردار ، وفتح الله بن عامر ، وأمرهما بقتله ، فأمرأ أحد الجند من النصارى أن يتولى ذبحه ، وتم ذلك عند الموضع المعروف بخندق القصب أمام كدية العرائس ، بظاهر مدينة فاس ، وحملت رأسه فى مخلاة إلى عمر بن عبد الله (٣٩) . ويروى المقرئ أن مقتله كان فى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٤٠) .

وتشكل هذه الصورة المؤلمة التى أصبحت تكرر ها شيئا عاديا - أصدق تعبير عن مدى ما أصاب سلاطين المرينيين من ضعف وهوان ولا أدل على ذلك ، من اختيار سلطان ضعيف العقل ، قد ثبت للجميع اختلال عقله يقول ابن خلدون : « ونصب (عمر بن عبد الله) الموسوس تاشفين بموه به على الناس » (٤١) .

استبداد الوزير عمر بن عبد الله بدولة بنى مرين :

بويح السلطان تاشفين بن أبى الحسن فى ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٤٢) . ويبدو أن عمر بن عبد الله أجبر شيوخ بنى مرين على مبايعة هذا السلطان لأنهم بدأوا يتململون بعد ذلك أن يحكمهم سلطان لا عقل له (٤٣) . أما عمر بن عبد الله فقد مضى فى استبداده بأمر بنى مرين ، واستعصا أى مصدر للخطر عليه فقتل حليفه غريسة بن أنطول ، بعد أن تسربت إلى عمر بن عبد الله الأخبار بأن ابن أنطول ينوى الفتك به ، وإحلال الوزير سليمان بن داود مكانه من الوزارة (٤٤) ، وقد ساعد شيوخ بنى مرين عمر بن عبد الله فى التخلص من غريمه ابن أنطول ، وقد يكون ذلك رغبة منهم فى إضعاف مركز عمر بن عبد الله الذى كان كما يقول ابن خلدون والسلاوى « خلوا من العصبية » ولكن عمر بن عبد الله كان فى الوقت الذى دبر فيه للقضاء على ابن أنطول ، قد ضم إليه حليفا جديدا - لا يقل كفاءة عن ابن أنطول وهو إبراهيم البطروجى قائد المركب السلطاني - وقد نجح هذا الأخير فى إثارة ابن أنطول - فى أثناء انعقاد المجلس السلطاني بتسليم سليمان بن دواد ، فرفض ابن أنطول ، « فأمر عمر بالقبض عليه فكشّر فى وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتوائب بنو مرين وقتلوه لحينه » (٤٦) .

أحدث قتل ابن أنطول ثورة عارمة بين العامة ، الذين وجدوا في الحادث فرصة للانتقام من جند النصارى ، الذين أصبحوا في نظرهم متآمرين على سلامة الدولة ، قتلوا جند النصارى حيث وجدوهم ، وزحفوا إلى حيث يقطنون في حى الملاح إلى جوار فاس ، فنهبوا كثيرا من أموالهم وامتعهم واستطاع المريونيون السيطرة على الأمور بصعوبة بالغة (٤٧) . وحاول عمر بن عبد الله من جانبه إعادة الأمور في الدولة إلى حالتها الطبيعية ، ولكن شيوخ بنى مرين أصروا على موقفهم من ضرورة استدعاء أحد ذوى الكفاءة من أبناء البيت المرينى ليتولى الحكم بدلا من ذلك السلطان المعنوي ، وظن شيوخ بنى مرين أن السبب في استبداد عمر بن عبد الله هو جنون السلطان المتربع على العرش المرينى ، لذلك أصروا على موقفهم ، بل أرسلوا فعلا إلى تلمسان يطلبون من الأمير عبد الحليم - ابن أخى السلطان أى الحسن (الأمير أى على) - الحضور لمبايعته سلطانا على بنى مرين رغم أنف عمر بن عبد الله ، الذى مضى يدعم موقفه في مواجهة شيوخ بنى مرين ، فحاول الاتصال بعامر بن محمد المنتاق ، للتحالف معه والاتفاق على اقتسام ملك المغرب فيما بينهما ، وأرسل إليه عمر ، الأمير أبا الفضل بن السلطان أى سالم ، ليتقدم به عامر بن محمد نحو فاس ، في حالة إذا ما حاصر شيوخ بنى مرين عمر بن عبد الله في البلد الجديد ، وكانوا قد تجمعوا فعلا وعسكروا بقواتهم بباب الفتوح من مدينة فاس ، بعد أن منعهم عمر بن عبد الله من الدخول إليه وتحصن بالبلد الجديد (٤٨) .

وفى تلمسان التقى الأمير عبد الحليم بن أى على بمحمد بن السبيع بن موسى بن إبراهيم - وهو من رجال عمر بن عبد الله الخارجين عليه - الذى دعا هو الآخر الأمير عبد الحليم ، للاستيلاء على العرش المرينى ، وصادفت هذه الدعوة هوى فى نفس أى حو - سلطان بنى عبد الواد - فجهز الأمير عبد الحليم بما يحتاجه من السلاح والعدد واستوزر له محمد ابن السبيع (٤٩) .

رحل الأمير عبد الحليم من تلمسان ، وعند تازى التقى بوفد مشيخة بنى مرين ، الذين كانوا في طريقهم إليه لدعوته إليهم ، ورجعوا معه وتلقته جماعة بنى مرين بسبوا ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع محرم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام (٥٠) . ولكن عمر بن عبد الله خرج إليهم فلم يصمدوا أمامه وتفرق المريونيون إلى مواطنهم ، بينما فر الأمير عبد الحليم إلى تازى (٥١) .

اقتنع عمر بن عبد الله بعد هذه الأحداث بضرورة اختيار سلطان جديد غير تاشفين الموسوس بن أى الحسن ، لأن خطر الأمير عبد الحليم مازال جاسما بتازى ، كما أن ظهور أمير

آخر من أمراء بني مرين ، ومطالبته بالعرش ، أمر محتمل وسيجعل بالطبع شيوخ بني مرين يلتفتون حوله من جديد ، وهو أمر لا يمكن التكهن بنتائجه ، لذا فكر عمر بن عبد الله في اختيار سلطان جديد ، ووقعت أنظاره على الأمير أبي زيان محمد بن يعقوب ابن أبي الحسن المريني . وكان هذا الأمير قد فر من رُنْدَة في مطلع عهد عمه السلطان أبي سالم ، خوفا من بطشه به ، واستقر به المقام في بلاط أشبيلية (٥٢) .

ورغم وجود عدد كبير من أبناء البيت المريني من ذوى الكفاءة لتولى منصب السلطان فقد اختار عمر بن عبد الله الأمير أبا زيان محمد ، وأغلب الظن أن عمر بن عبد الله كان يعرف شخصيته هذا الأمير معرفة جيدة ، وهى شخصية تتناسب مع أطماع عمر بن عبد الله في الاستبداد والسلطة ، فقد وصف السلاوى أبا زيان ، بأنه كان فاضلا ساكنا منقادا مشتتلا بخاصة نفسه قليل الكلام (٥٣) . ومن ناحية أخرى فإن اختياره لشخصية بعيدة عما يجرى في بلاد المغرب من أحداثه وتقلباته السياسية ، تسهل له عملية الاستبداد بالأمور ، وعلى هذا أرسل عمر بن عبد الله تباعا إلى الأمير أبي زيان محمد عددا من الشخصيات لاستدعائه . فأرسل عتيقا الخصى ، ثم تلاه بعثان بن الياسمين ، ثم تلاهما بالرئيس الأبهكم (محمد الفنى بالله المخلوع) وفى مقابل قيام الرئيس الأبهكم بهذه المهمة ، تلؤل له عمر بن عبد الله عن رُنْدَة - التى كانت ضمن أملاك المرينيين في بلاد الأندلس - ووقع على وثيقة التنازل عنها شيوخ بني مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء (٥٤) . ونجح الرئيس الأبهكم في مهمته لدى بلاط قشتالة ، ووصل الأمير أبو زيان إلى المغرب وبالتحديد الذى ذكره ابن خلدون والسلاوى وصل إلى كدية العرائس خارج فارس في منتصف صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) ، وتلقاه الوزير (عمر بن عبد الله) يومئذ وبأبعه وأخرج فسطاطه فاضطر به بمسكركه ، وتلوم السلطان ثلاثا ثم دخل في الرابع إلى قصر واقتعد أريكة (٥٥) ، وكان عمر بن عبد الله قد بادر بخلع أبي عمر تاشفين الموسوس في يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) (٥٦) . بعد أن مكث ثلاثة أشهر ويومين سلطانا صوريا على بني مرين (٥٧) .

بدأ عمر بن عبد الله في إحكام قبضته على الدولة ، طلبا للنفوذ والمال والثروة ، فاستقدم صهره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وعامر بن محمد الهنتاى - كبير جبل درن والبلاد المراكشية - فأسند إلى الأول الوزارة ، وتحالف مع الثانى على اقتسام موارد المغرب من لحم وأدم ، رغبة في الثراء والثروة ، وجعل إمارة مراكش لأبى الفضل بن أبى سالم مرضلة لعامر بن محمد الهنتاى (٥٨) ، ويبدو أن عمر بن عبد الله حرص على هذا التحالف ، لتأمين نفسه ، لأنه لم تكن له عصبية يحتمى بها أمام أية ظروف طارئة . كل هذا كان يتم والسلطان أبو زيان محمد يقيم في قصره كما يقول القلقشندى والوزير عمر بن عبد الله :

« مستبد عليه لا يكل أمرا ولا نهيا وحجره من كل وجه » (٥٩) .

اتجه عمر بن عبد الله بعد ذلك إلى القضاء على خطر الأمير عبد الحليم بن أبي على الذى تحرك نحو سجلماسة هو وأخوه عبد المؤمن ، ليتخذ منها قاعدة للانطلاق نحو فاس من جديد ، وقد اختار سجلماسة لأنها كانت مقرا لحكم والده الأمير أبي على أيلم ثورته على أبيه السلطان أبي سعيد ، وهى فى نظره كانت تحوى كثيرا من الأتباع والأنصار (٦٠) . وكان ذلك بطبيعة الحال يورق عمر بن عبد الله ، خاصة وأن يحيى بن رحو - من مشيخة بنى مرين - ما زال يدعو عبد الحليم للتحرك نحو فاس والاستيلاء على العرش (٦١) .

جهز عمر بن عبد الله جيشا خرج به من فاس لحرب الأمير عبد الحليم فى سجلماسة ، والتقى به عند تاغزوطة - التى تقع على حافة تلؤل المغرب المؤدية إلى صحراء سجلماسة - وتدخل رجالات العرب فى الصلح بين الفريقين ، ونجحوا فى عقده على أساس أن يترك عمر بن عبد الله للأمير عبد الحليم حكم سجلماسة (٦٢) . ويحتمل أن يكون ذلك فى مقابل كف الأمير عبد الحليم عن التطلع لملك فاس .

وهكذا أدت سياسة عمر بن عبد الله الرامية إلى المحافظة على بقائه فى السلطة مستبدا بالأمور إلى تقسيم الدولة إلى ثلاثة أقسام منفصلة تماما ، ويصور السلوى أحوال مراكش تحت نفوذ محمد بن عامر الهنتاقي بقوله : « فاستقل عامر بن محمد بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامنة وما إليها من الأعمال واستبد بها ونصب أبا الفضل بن السلطان أبى سالم صورة واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف إليه النازعون من بنى مرين على الدولة وجوه مضرمهم ولجؤا إليه فأجارهم على السلطان واجتمع إليه منهم ملأ واتسع الخرق على الراقع واضطربت الأحوال بالمغرب (٦٣) .

وفى تلك الأثناء نشب صراع فى سجلماسة بين الأمير عبد الحليم - تناصره قبائل الأحلاف - وأخيه عبد المؤمن - يناصره أولاد حسين وكلاهما من عرب المعقل - وانتهى الأمر بانتصار أولاد حسين ، وفر عبد الحليم إلى مالى ، واتخذ طريقه منها إلى الحج ، وأصبح عبد المؤمن أميرا على سجلماسة (٦٤) . وقد دعت هذه التطورات عرب الأحلاف إلى دعوة عمر بن عبد الله للاستيلاء على سجلماسة ، فأرسل جيشا بقيادة مسعود بن ماسى فاستولى على سجلماسة ، بينما هرب عبد المؤمن إلى مراكش ، فاعتقله هناك عامر بن محمد الهنتاقي (٦٥) .

دلت الأحداث على أنه أصبح لدى كل وزير من وزراء الدولة المرينية أمر من أمراء البيت المرينى ، يعده للثورة به على عمر بن عبد الله ، والتسلى إلى الحكم والسلطة . فعامر ابن محمد كان لديه أبو الفضل بن أبى سالم وعبد المؤمن بن أبى على . ومسعود بن ماسى

استدعى عبد الرحمن بن علي بن يفلوسن ، لأخذ البيعة له وتنصيبه سلطانا على بنى مرين . ولكن ظلت اليد العليا في تلك المنافسة لعمر بن عبد الله ، حيث انتهى الصراع بينه وبين مسعود بن ماسي وسلطانه عبد الرحمن بن علي بفشلهما ورحيلهما معا للجهاد في بلاد الأندلس (٦٦) . وظل عامر بن محمد المنتاقى على حاله من القوة في الجهات الغربية من مراكش (٦٧) .

ووسط هذا الصراع كان السلطان أبو زيان محمد يعاني من استبداد الوزير عمر ابن عبد الله به ، حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه إلى أن حدث نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به فمضى القول وأرسل به إلى الوزير بعض الحرم كانت عيناه (٦٨) .

فأسرع الوزير على الفور واقتحم خلوة السلطان أبي زيان فوجده يعاقر الخمر مع ندمائه ، فطردهم عنه ، وتناوله (عمر بن عبد الله) غطاء حتى فاض وألقوه في بحر في روض الغزلان (٦٩) ويقول ابن الخطيب : « وباشر (عمر بن عبد الله) اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه وطرحه بحاله في بعض سواقي قصره متبعا ببعض أواني الخمر ، يوهم بذلك قاتله ، تردبه سكرًا ، وهويه طفوحًا » (٧٠) .

كان ذلك في محرم أول سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، حسب رواية ابن خلدون والقلقشندي (٧١) . وفي يوم الأحد الثاني والعشرين لذي حجة سنة (٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) ، حسب رواية ابن الأحرر في النفحة وروضة النسرين ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٧٢) . ووفقا لرواية ابن خلدون تكون مدة بقاء أبي زيان في الحكم ست سنوات (٧٣) . وتبدو الرواية الثانية لابن الأحرر وابن القاضي أقرب إلى الصحة من الأولى التي ذكرها ابن خلدون والقلقشندي ، لأن صاحب الحلل الموشية أيد الرواية الثانية صراحة فذكر أن مدة حكم أبي زيان كانت خمسة أعوام (٧٤) . ويؤيدها أيضا ما ذكره السلاوي من أن السلطان أبا فارس عبد العزيز الذي خلف أبا زيان محمد تولى سلطنة بنى مرين يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة (٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) (٧٥) . ويؤكد صحة الرواية الثانية أيضا أن أبا زيان ولد سنة (٧٣٩ هـ) ، وتوفى وعنده ثمان وعشرون سنة (٧٦) . وعلى هذا يكون تاريخ وفاته الصحيح هو سنة (٧٦٧ هـ) وليس (٧٦٨ هـ) .

مقتل عمر بن عبد الله واسترداد هيبة الدولة المرينية :

لم يكن أمام الوزير عمر بن عبد الله وقت طويل ليختار سلطانا من نفس الطراز الذي

كان عليه السلطان أبو زيان محمد ، إذ استدعى عمر بن عبد الله عبد العزيز بن السلطان
أبى الحسن - وكان عمر بن عبد الله قد حدد إقامته في بعض الدور من قصبة فاس تحت رقابة
وحراسة مشددة - وأجلسه على سرير الملك (٧٧) . « وفُتحت الأبواب لبني مرين وسائر
الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته فتم أمره وثبت ملكه وذلك
في يوم الأحد الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة (٧٨) .

وبدا عمر بن عبد الله يحكم استبداده بالسلطان عبد العزيز الذى يبدو من صفاته
- التى تمتع من خلالها بشخصية قوية - أنه كان يرفض مثل هذا المسلك من الوزير عمر
ابن عبد الله ، فعبد العزيز كما يصفه المؤرخون رجل طويل القامة ، نحيف الجسم ، رطب
الوجه ، عف متمسك بالدين ، محب للخير ، لم يشرب الخمر قط (٧٩) ، وسلطان يحمل
مثل هذه القيم والصفات احتمال ثورته على استبداد الوزير به كبير ، وقد أشار القلقشندي
إلى ذلك فقال : « استبد (عمر بن عبد الله) عليه (السلطان عبد العزيز) كما كان مستبدا
على من قبله فحجره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس أن يسألوه في شيء
من أمورهم ، فثقل ذلك عليه (السلطان عبد العزيز) غاية الثقل » (٨٠) .

وفي أثناء هذا كله كانت تلور في القصر المريني همسات تقول بأن الوزير عمر
ابن عبد الله ، يريد الزواج من ابنة السلطان أبى عنان ، وأنهم قالوا له إذا أردت ذلك فعليك
أن تنصيب أخاها الأمير سلطانا على بني مرين (٨١) . وهنا علم السلطان عبد العزيز أنه
مقتول لا محالة كسابقه ، وأحس السلطان عبد العزيز بتآمر الوزير عليه ، عندما أمره الوزير
بالانتقال من قصره إلى القصبة . عند ذلك قرر السلطان عبد العزيز الفتك بعمر
ابن عبد الله ، وذون أن يشعر أعد للوزير جماعة من الخصيان كمنّت له بزوايا القصر ،
واستدعى عمر بن عبد الله ووبخه ، وانقض عليه الخصيان وفتكوا به ، وتبع السلطان
عبد العزيز أتباع الوزير بالاعتقال والقتل حتى قضى عليهم (٨٢) . وقامت سياسة السلطان
عبد العزيز بعد ذلك على أساس الإشراف الكامل بنفسه على جميع شعور الدولة . « وقبض
أيدي الخاصة والبطانة عن التصرف في شيء من سلطانه إلا بإذنه وعن أمره » (٨٣) .
ولذلك عندما أحس السلطان عبد العزيز بعد ذلك بتطلع الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود
- الذى خلف عمر بن عبد الله في الوزارة - إلى الاستبداد بالسلطة في الدولة اعتقله وقتله
هو وأعوانه من أقارب السلطان والجند (٨٤) .

جعل السلطان عبد العزيز أهم أهدافه - بعد أن استقرت الأوضاع لصالحه تماما
في فاس - أن يستعيد وحدة دولته التى مزقتها الصراعات وقذفت بها المطامع والأهواء ، فقرر
على الفور القضاء على الوزير عامر بن محمد الهنتاقي ، وسلطانه أبى الفضل بن أبى سالم

- الذى يهدد به فاس دائما - (٨٥) وفى نفس الوقت كان عامر بن محمد قد توجس خيفة من أن يقتله أبو الفضل مثلما قتل السلطان عبد العزيز وزيره عمر بن عبد الله فتأرض عامر ابن محمد، وصعد إلى الجبل ليعتصم فيه بين قومه من أبى الفضل، وتأكدت مخاوف عامر ابن محمد، فما لبث أبو الفضل أن اغتال عبد المؤمن بن أبى على وقضى بذلك على منافس خطير كان يهدده به عامر بن محمد (٨٦).

أدت هذه الحوادث بمراكش إلى أن يتقدم عامر بن محمد إلى السلطان عبد العزيز ببيعته له، ومعها دعوة للقضاء على أبى الفضل والاستيلاء على مراكش. ولقيت هذه الدعوة ارتياحا من السلطان عبد العزيز وخرج من فاس سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨، ١٣٦٩ م) وكان لخروج السلطان عبد العزيز أثر كبير فى أتباع أبى الفضل، إذ انفض كثير منهم من حوله، الأمر الذى أدى إلى هزيمته عند تادلا، ففر للاحتباء بقبائل صناكة الذين ما لبثوا أن أسلموه - تحت إغراء مبالغ كبيرة من المال قدمها لهم أشياخ السلطان عبد العزيز من قبائل بنى جابر - وأمر السلطان عبد العزيز بقتل أبى الفضل فى رمضان سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م). ويبدو أن الحوادث المتتالية على الدولة المرينية قد خلقت فى نفس السلطان عبد العزيز كثيرا من الشكوك، لذلك أراد أن يختبر مدى طاعة عامر بن محمد الهتاتى له، فأرسل فى استدعائه، قرفض عامر بن محمد دعوته (٨٧).

تأكدت للسلطان عبد العزيز مخاوفه. لذلك ترك على بن محمد بن أجانا واليا على مراكش، وأمره بمتابعة عامر وتضييق الخناق عليه، ولكن هذا الوالى منى بهزيمة فادحة أمام عامر بن محمد، وقد دعت هذه الهزيمة السلطان عبد العزيز إلى التحرك بنفسه لقتال عامر بن محمد، وتمكن بعد مضى عام كامل من الحصار الشديد لقلاع عامر بن محمد بجبال درن من اقتحام هذه القلاع، والقبض على عامر بعد أن حاول الفرار من ظهر الجبل إلى صحراء السوس (٨٨) وانطلقت الأيدي على معاقل عامر ودياره فانتهب من الأموال والسلاح والذخيرة والزرورع والأقوات مالا عين رأت ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة إحدى وسبعين لحول من يوم حصاره (٨٩). وبعد عودة السلطان عبد العزيز إلى فاس وقضائه منسك عيد الفطر، أحضر عامر بن محمد، ومعه سلطانه تاشفين - من بنى عبد الحق وكان قد أعده فى مواجهة سلطان فاس عبد العزيز - وبعد محاكمة سريعة جرت أمام السلطان، جلد عامر وضرب بالعصى حتى مات، أما الثانى فطعن بالرماح وانتهى أمره (٩٠).

وكما حرص السلطان عبد العزيز المرينى على استعادة وحدة الأراضي المرينية باستيلائه على إقليم مراكش، اهتم كثيرا بإنعاش الوضع الدولى للمرينيين، كقوة مؤثرة فى الشمال الأفريقى وبلاد الأندلس، ففى الأندلس استطاع أن يكسب صداقة مملكة أراغون من خلال

معاهدتي صلح وصدقة ، تولى عقدهما سلطان غرناطة الغنى بالله - بتفويض من السلطان عبد العزيز - بين فاس وغرناطة وأراجون ، وعقدت المعاهدة الأولى في رجب سنة (٧٦٨ هـ / مارس ١٣٦٧ م) (٩١) . وبمقتضاه يتعهد كل من الفريقين بأن « يتمتع رعاياه عن الإضرار بالفريق الآخر في البر والبحر في السر أو الجهر ، وأن يكون لرعايا كل فريق حق التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر ، والمرور في البر والبحر دون اعتراض أو مغلوم غير عادية ، وأن تطلق أراجون حرية الهجرة للمدجنين وأن يتمتع كل فريق عن معاونة أعداء الفريق الآخر » (٩٢) . أما المعاهدة الأخرى فكانت في سنة (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) وكانت أيضا بين (بيدرو الرابع) ملك أراجون وسلطان المغرب عبد العزيز المريني ، وسلطان غرناطة الغنى بالله (٩٣) .

وقد مكنت هاتان المعاهدتان مع أراجون من خلق مجالات كبيرة للتعاون العسكري بين المرينيين وبنى الأحمر ضد قشتالة التي كانت في ذلك الوقت تعاني من الخلافات والاضطرابات الداخلية بين أبناء الأسرة الحاكمة (٩٤) . لذا اتفق السلطان عبد العزيز المريني مع سلطان بنى الأحمر الغنى بالله على أن يقوم سلطان غرناطة بتجهيز حملة برية لاستعادة الجزيرة الخضراء ، على أن يتولى المرينيون عمليات الحصار البحري للجزيرة الخضراء ، وإمداد الحملة البرية بالمعطاء والأموال اللازمة . وأظهرت هذا الحملة نجاحا كبيرا حيث استعاد كل من الجانبين بعناصر القوة لديه إفادة تامة جعلت النصر حليفا للمسلمين في النهاية وتحقق لهم الاستيلاء على الجزيرة الخضراء التي كانت في يد النصارى منذ عهد السلطان أبي الحسن (٩٥) . وخرج النصارى من الجزيرة في الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) (٩٦) .

وفي الشمال الأفريقي تطلع السلطان عبد العزيز إلى استعادة أمجاد بنى مرين في المنطقة كما فعل من كان قبله من سلاطين بنى مرين في عصر القوة ، وانهز عبد العزيز المريني فرصة اعتلاء أبي حمو بن يوسف الزياني على بعض رؤساء قبائل عرب سويد بقبضه عليهم (٩٧) . ويروى ابن خلدون سببا آخر من أسباب هذه الحرب ، فعرب المعقل ، الذين كانوا يعيشون في المغرب الأقصى ، كان بعضهم يتسلل إلى المغرب الأوسط وينضم إلى أبي حمو ، فطلب السلطان عبد العزيز إلى أبي حمو وقف هذه العمليات ، لأن في ذلك إخلال بميزان القوى في المغرب الأوسط ، فرفض أبو حمو مطلب السلطان عبد العزيز (٩٨) . لذا أعلن السلطان المريني التعبئة العامة في أنحاء الدولة ، وبعد عيد الأضحى سنة (٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) خرج بجيشه متجها نحو تلمسان (٩٩) . ولم يحتل أبو حمو الزياني لقاءه ، لتفرق العرب من بنى معقل من حوله إلى السلطان عبد العزيز فانسحب أبو حمو من تلمسان وفر هاربا إلى القفار واحتلها السلطان عبد العزيز يوم عاشوراء سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) . وجهز

فرقة من جيشه أسند قيادتها إلى وزيره أنى بكر بن غازى بن الكاس لمتابعة الزحف وراء أنى حمو ، واستطاعت هذه الفرقة الاستيلاء على أموال أنى حمو ، وأموال أنصاره من العرب ، ونجحت أيضا فى تمهيد المغرب الأوسط ، مما أتاح للسلطان عبد العزيز تعيين الولاة والعمال على بلاده ونواحيه (١٠٠) .

ولكن العمر لم يمتد بالسلطان عبد العزيز ليحقق للمرينيين انتصارات أكثر من ذلك إذ عاوده مرض النحول ، الذى كان أصابه فى صغره ، واشتدت عليه الأوجاع والآلام ، وكنمها من الناس ، خوفا من تشتت جيشه من حوله ، وأمر السلطان عبد العزيز جيشه بالتجمع خارج تلمسان للرحيل إلى المغرب (١٠١) . ولكن القدر لم يمهله حتى يعود إلى فاس ، فمات فى ليلة الخميس الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، بعد أن أمضى فى الحكم ست سنين وأربعة أشهر (١٠٢) . وخالف فى تاريخ وفاته كل من الزركشى وصاحب الحلل الموشية الذى يروى أنه توفى فى ربيع الأول سنة (٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م) وأن مدة حكمه خمسة أعوام فقط (١٠٣) . أما الزركشى فيروى أنه توفى فى ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثانى سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) (١٠٤) . ولكن الرواية الأولى هى الأقرب إلى الصحة لإجماع معظم المؤرخين عليها بما فهم ابن خلدون (١٠٥) .

الوزير أبو بكر بن غازى وتدخل بنى الأحمر فى شئون بنى مرين

عادت الدولة المرينية إلى ما كانت عليه من قبل عهد سلطانها المتوفى عبد العزيز المرينى ، فلم يكد وزيره أبو بكر بن غازى يستمع إلى أنباء وفاة السلطان ، حتى حمل محمد السعيد بن عبد العزيز على كتفه - الذى كان طفلا صغيرا فى سن الخامسة (١٠٦) . أو الرابعة (١٠٧) . وبعض الروايات تذكر أنه لم يكن قد استكمل بعد الستين (١٠٨) - وخرج به على بنى مرين فازدحموا عليه (محمد السعيد) باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة (١٠٩) حتى إذا عاد السعيد إلى فاس جلس للبيعة العامة بقصره حيث توافت عليه وفود الأمصار يبيعها كالعادة ، واستبد الوزير أبو بكر بن غازى بالسلطان الصغير وحجبه بقصره وحججه عن التصرف فى شئ من سلطانه ولم يكن فى سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب إبراها ونقضا (١١٠) .

والحقيقة أن وزراء الدولة المرينية فى ذلك الوقت وجدوا فى مبدأ التوريث فرصة كبيرة لدعم استبدادهم بالدولة ، وتقوية أوتاد نفوذهم فيها ، ويتحمل أهل الحل والعقد من شيوخ بنى مرين كثيرا من مسئولية تدهور الأوضاع فى الدولة المرينية ، وترديها إلى هذا الحد ، إذ هم لم يواجهوا بقوة وحزم المستبدين من الوزراء ، عندما كانت تسول لهم أطماعهم دفع صبي صغير ليكون سلطانا ، بعد أن كانت الدولة تحت قبضة سلطان قوى . وفى ضوء هذه الحقيقة أقبلت الدولة المرينية بعد وفاة السلطان عبد العزيز على انتكاسة خطيرة ، رغم أن هذا السلطان يذكرنا بسلاطين بنى مرين فى عصر القوة ، ولكن هبات ، فالسلطان قوى ، والدولة ضعيفة قد نخرتها عوامل الضعف والتفكك ، فكان الانتعاش الذى استرجعته الدولة فى عهده كصحو الموت التى تأتى على الميت فيظن أنه سيعيش كثيرا بينما هو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة .

واتخذ تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى تلك الفترة من ضعف الدولة المرينية شكلا جديدا ، حيث أصبح بنو الأحمر يسكنون بكل خيوط المعترك السياسى فى المنطقة ويوجهون سياستها وفق إرادتهم ، وكان العامل المؤثر والحاسم فى هذا التحول هو ضعف المرينيين ، ويبدو أن إقامة محمد الغنى بالله (سلطان بنى الأحمر المخلوع) - فى البلاط المرينى مدة خلعه قد أطلعت على كثير من نواحي الضعف والقصور فى الإدارة المرينية ، وتحسس من خلال المعلومات التى عرفها عن النظام المرينى فى ذلك الوقت ، كل الأعصاب الحساسة التى يمكنه الضغط عليها فى الوقت المناسب ، فينتقل بالمرينيين إلى الوجهة التى يردها . ولم يكن الغنى بالله (ابن الأحمر) خلال عهد السلطان عبد العزيز يجرؤ على التدخل فى شئون الدولة

المرينية ، فابن الخطيب الذى وفد إلى بنى مرين لاجئا سياسيا سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) (١١١) منحه السلطان عبد العزيز حق اللجوء السياسى ، ورفض تسليمه إلى غرناطة ، رغم إلحاح سلطانها الغنى بالله على ضرورة تسليمه (١١٢) .

ويمكن القول بأن وجود ابن الخطيب لاجئا سياسيا فى بلاط بنى مرين مهد للتدخل السافر من جانب بنى الأحمر فى شئون بنى مرين - بعد وفاة السلطان عبد العزيز - خاصة وأن الغنى بالله سلطان بنى الأحمر أدرك خطورة وجود مثل هذه الشخصية السياسية الفذة فى البلاط المرينى ، وبصفة خاصة عندما ترامت إلى أسماعه أن ابن الخطيب « يغرى السلطان عبد العزيز بتملك أرض الأندلس وقطع دعوة بنى الأحمر منها » (١١٣) . ويقول المقرئ : « فرغب (ابن الخطيب) السلطان (عبد العزيز) فى ملك الأندلس ، وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب » (١١٤) ومن ثم جعل الغنى بالله أكثر همه القبض على ابن الخطيب بأى ثمن ، وبشتى الوسائل . فطلب من الوزير أبى بكر بن غازى تسليم ابن الخطيب ، فرفض أبو بكر طلب الغنى بالله (ابن الأحمر) ، « واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله وقد رهب سطوته » (١١٥) . وكالت الطامة الكبرى على بنى مرين ، فالغنى بالله يعلم أن المرينيين تحت استبداد الوزير أبى بكر بن غازى ضعاف لا حول لهم ولا قوة ، لذا بد فى تحويل الموقف فى المغرب الأقصى إلى الوجة التى يريد .

عمل الغنى بالله (ابن الأحمر) أولا على تأييد استقلال بنى عبد الواد - أعداء بنى مرين بتلمسان - وكانوا قد استردوا نفوذهم فى المغرب الأوسط وعخوا منه كل أثر لبنى مرين بعد وفاة السلطان عبد العزيز (١١٦) . ثم بادر الغنى بالله إلى إلغاء منصب شيخ الغزاة من مملكة غرناطة الذى كان يشغله دائما أحد أمراء البيت المرينى من بنى عبد الحق ، وتولى هو وأولاده قيادة الجنود الغزاة أو المتطوعين المغاربة فى غرناطة (١١٧) . وشرع بعد ذلك فى التدخل السافر فى شئون بنى مرين ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ليطالب بالعرش المرينى ، ورصد الغنى بالله له كل الإمكانيات والمساعدات اللازمة ، والأكثر من ذلك أنه ، نهض بجنوده لمنازلة جبل الفتح - الذى كان فى ذلك الوقت تابعا لبنى مرين - وحشد جيوشه على السواحل الأندلسية الجنوبية مظهرا أنه ينوى العبور إلى المغرب ، ولكنه لم يكن فى حقيقة الأمر يهدف إلى ذلك ، وإنما كان يريد أن يكون هناك قريبا من الأحداث ، ليشرف بنفسه على توجيهها كلما اقتضت الضرورة ذلك (١١٨) .

انتقل عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من الأندلس ، ونزل بمرسى عساسة من ناحية بطوية (١١٩) . وأحس الوزير أبو بكر بن غازى أنه أمام خطر مزدوج ، لذا بادر إلى تعيين ابن عمه محمد بن عثمان على سبتة لسد ثغورها وحمايتها من خطر استيلاء الغنى بالله عليها (١٢٠) . ونهض أبو بكر بن غازى لملاقاة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن فى بطوية ،

فقاتله أياما ، ولكنه عاد ثانية إلى تازا ومنها إلى فاس لفشله في مقومة الأمير عبد الرحمن (١٢١) . وفي تلك الأثناء تمكن الغنى بالله من مراسلة محمد بن عثمان - وإلى سبته - وعاتبه في شأن ابن عمه ومسلكه السيء مع رسل ابن الأحمر في شأن ابن الخطيب ، واستطاع الغنى بالله أن يقنع محمد بن عثمان بضرورة أن يتولى أمر بني مرين سلطان قوى ، وأنه من العبث أن يترك المرينيون أنفسهم تحت فوضى ولاية صبي لا تصح ولايته شرعا ، واتفق الاثنان على مبايعة الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم ، واتخاذ الإجراءات التي تكفل مناصرته حتى يصل إلى العرش المريني (١٢٢) . ويروى ذلك المقرئ فيقول : « وداخله (ابن الأحمر) في البيعة لابن السلطان أبي سالم من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ولا يتركهم فوضى وملا تحت ولاية الصنبي الذي لم يبلغ ، ولا تصح ولايته شرعا » (١٢٣) .

وقد وضع الغنى بالله شروطا يلتزم بها محمد بن عثمان في حالة نجاح الخطة التي اتفقا عليها ، وهي :

- ١ - تسليم جبل طارق لابن الأحمر .
- ٢ - تسليم جميع أبناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته .
- ٣ - تسليم لسان الدين بن الخطيب (١٢٤) .

وفي مقابل هذه الشروط الثلاثة ، وعد الغنى بالله محمد بن عثمان منصب الوزارة للسلطان المريني الجديد (١٢٥) . وعلى الفور بدأ محمد بن عثمان تنفيذ الاتفاق ، فاتجه إلى طنجة حيث معتقل الأمراء المرينيين ، وأخرج منه الأمير أبا العباس أحمد بن سالم ، وبايعه وحمل الناس على طاعته ، كما أرسل إلى الأندلس كل الأمراء المرينيين المعتقلين ، وأصبحوا في كفالة ابن الأحمر . وكانت مبايعة أبي العباس أحمد في طنجة في ربيع الآخر سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٢٦) . وبعد هذه البيعة بعث محمد بن عثمان ، إلى الغنى بالله بتنازل أبي العباس عن جبل الفتح لبني الأحمر ، فانتقل الغنى بالله من مالقة إلى الجبل واستولى عليه ، وهذه التطورات تعنى بطبيعة الحال إنهاء الوجود المريني في بلاد الأندلس بصفة نهائية (١٢٧) . كما أن تسليم الأمراء المناهضين للغنى بالله يعنى بالضرورة سيطرته الكاملة على بني مرين دون معارضة .

بدأت المعونات المالية والعسكرية تتدفق على المغرب ، فوصل إلى محمد بن عثمان - وإلى سبته - مدد من رجال الأندلس من الناشبة بلغ عددهم ستائة في رواية المقرئ (١٢٨) . وسبعمائة في رواية ابن خلدون (١٢٩) . كما وصله عدد آخر من الجنود

الغزاة (١٣٠). وأصبح المغرب تحت رحمة الأميرين المرشحين لاعتلاء العرش المرينيين
أبي العباس أحمد وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن (١٣١). ويبدو أن نزاعا نشب بين هذين
الأميرين ، حول أحقية كل منهما في العرش ، مما اضطر الغنى بالله إلى التدخل لفرض
النزاع (١٣٢). فبعث « رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابنة عمه السلطان
أحمد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على ملك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختصر
عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا » (١٣٣).

وتضافرت جهود الأميرين - بعد هذا الاتفاق - على الانتهاء من أمر الوزير أبي بكر
بن غازي ، وسلطانة الصغير . وبعد معارك جانبية خاضها الأمير أبو العباس عند زرهون ،
وكدية العرائس - بظاهر فاس في ذي القعدة سنة (٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) - والأمير
عبد الرحمن عند الزيتون خارج فاس ، تمكن الأميران من حصر الوزير أبي بكر وسلطان
داخل البلد الجديد ، وضربا حول المدينة سياجا من البناء لإحكام الحصار حولها ، وأثروا
بالمدينة ألوانا مختلفة من القتال والإرهاب (١٣٤).

حتى إذا كان أول سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) داخل محمد بن عثمان ابن حمص
الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد ومبايعة السلطان أبي العباس أحمد ، ووافق الوزير
تحت شدة الحصار وقلة ما معه من الأموال (١٣٥). وفي نفس الوقت الذي اقترب فيه
انفراج الأزمة اشترط الأمير عبد الرحمن استبدال سجل ماسة بمراكش وأعمالها ، فوافق الأمير
أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على مفضض وكره (١٣٦). وخرج الوزير أبو بكر
إلى السلطان أبي العباس ، وبايعه بعد أن خلع السلطان محمد السعيد بن عبد العزيز
في السادس من محرم سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٣٧).

وفي اليوم التالي ، السابع من محرم سنة (٧٦٦ هـ / ١٣٧٤ م) ، دخل أبو العباس
أحمد إلى البلد الجديد ، ورحل الأمير عبد الرحمن إلى مراكش واستولى عليها (١٣٨). وبعث
أبو العباس أحمد بن أبي سالم البيعة العامة بالمدينة البيضاء في صباح الأحد السادس من محرم
سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٣٩).

إلى هذا الحد وصلت مؤشرات الصراع بين أبناء البيت المريني ، وأصبح ذلك الصراع
المنبني على حب الزعامة ، والوصول إلى العرش ، من العوامل الرئيسية في ضعف الدولة
المرينية ، وتدهور أحوالها . واستطاع بنو الأحمر تعميق هذا الصراع إلى درجة كبيرة بهدف
الوصول إلى التحكم والسيطرة على مقدرات هذه الدولة ، فهم تارة يقفون من الصراع
الداخلي موقف المتفرج ، وتارة أخرى يتدخلون بكل قوتهم ، حتى يكون المنتصر في حلقة
هذا الصراع ، حليفا لهم يسهل لهم بعد ذلك قيادته وتوجيهه . ولا أدل على ذلك من أن

أصبح السلطان « الغنى بالله » محمد الخامس هو الحاكم الحقيقي للمغرب يولى ويعزل من يراه من أمراء بنى مرين وكان طبيعيا أن تكون نتيجة هذا التدخل هي القبض على غريمه لسان الدين بن الخطيب وقتله وحرقة بعد امتحانه وتعذيبه ومصادرة أمواله وضياعه بالمغرب سنة ٧٧٦ هـ (١٤٠). ويصف ابن خلدون مدى ما وصل إليه نفوذ الغنى بالله (ابن الأحمر) في الدولة المرينية وصفا دقيقا فيقول : « واستحكمت المودة بينه (محمد بن عثمان) وبين ابن الأحمر وتأكدت المداخللة وجعلوا إليه المرجع في نقضهم وإبرامهم لمكان الأبناء المرشحين من إبلاته » (١٤١). ويضيف السلاوى على كلام ابن خلدون ما يؤكد هذا الوضع السياسى الجديد للدولة فيقول : « فصار له (ابن الأحمر) بذلك تحكم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس وذلك بما كان لابن الأحمر من أعانة السلطان أبى العباس على ملك المغرب حتى تم له وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للأمر فكان أبو العباس وحاشيته يصانعون له لأجل ذلك » (١٤٢).

وأصبحت شخصية محمد بن عثمان هي صورة الاستبداد الجديدة بالسلطان أبى العباس أحمد ، فهو صاحب الفضل عليه هو الآخر ، وهو الذى جاء به ، وناضل معه من أجل الوصول إلى العرش ، وعلى هذا لم يكن غريبا أن يستبد بأبى العباس أحمد (١٤٣). وصارت الدولة المرينية في ظل هذه الأوضاع الجديدة قسمان يحكم أحدهما سلطان شرعى في فاس وهو أبو العباس أحمد بن أبى سالم ، والآخر يحكمه سلطان لا سند له من الشرعية ، وهو عبد الرحمن بن أبى يفلوسن وتشير بعض المصادر إلى أن كل قسم من الأقسام أصبح دولة قائمة بذاتها ومنفصلة تماما عن الأخرى في جميع شئونها السياسية والمالية والإدارية ، فيقول السلاوى : « واقتسمت مملكة المغرب يومئذ بنصفين وكان الحد بين الدولتين ثغر أزموور فكانت في إيالة صاحب فاس وما وراءها إلى مراكش في إيالة صاحب مراكش » (١٤٤). ومن الطبيعى ألا تستقر الأوضاع بين القسمين ، فاعتراها فترات من السلم وأخرى من الحرب إلا أن أحدا من الطرفين لم يجرؤ على تغير هذا الوضع السياسى لصالحه بصفة نهائية ، لأنه مما يجدر ملاحظته أن بنى الأحمر كانوا يضمنون من ناحيتهم بقاء الوضع على حالته لكل من الطرفين ، لأنهم أصحاب فكرة تقسيم الدولة ، ومن جانب آخر فإن بنى الأحمر كانوا يريدون بقاء هذا الوضع السياسى لبنى مرين على هذه الحالة ، دون تغيير تحقيقا لمطامعهم في السيطرة على المرينيين .

وفي أواخر سنة (٧٨١ هـ / ١٣٨٠ م) بدأ التوتر في التصاعد بين القسمين (١٤٥). إذ حرص عبد الرحمن بن أبى يفلوسن على ضم بعض الأجزاء التابعة لسلطان فاس ، كعمالة صنهاجة ودكالة إليه ، الأمر الذى دعا إلى الحرب بين الطرفين ، وقد انتهت هذه الحرب ، باستيلاء السلطان أبى العباس أحمد على مراكش ، وقتله عبد الرحمن

بن ألى يفلوسن ، فى آخر جمادى الآخرة سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) (١٤٦) .

وكانت هذه الخطوة من ألى العباس أحمد خطيرة. للغاية ، فقد وضعت فى مأزق أطاح بعرشه ، فأبو حمو الزياتى فى تلمسان كان حليفا لعبد الرحمن بن ألى يفلوسن ، وحين رأى أبو حمو حليفه عبد الرحمن محاصرا فى مراکش ، قام تساعده بعض القبائل العربية من أولاد حسين عرب المعقل ، بمهاجمة الحدود المرينية عند مكناسة ، وتازا ، للضغط على ألى العباس لفك الحصار عن مراکش ، لكن أبا العباس مضى فى سياسته ، واستولى على مراکش (١٤٧) . ويبدو أن أبا العباس ، بهذه التصرفات كان يريد الإفلات من قبضة السيطرة التى يفرضها بنو الأحمر على الدولة المرينية ، فقام بعد ذلك بتوجيه ضربة تأديبية لسلطان تلمسان ألى حمو الزياتى ، فجهز جيشا احتل به تلمسان (١٤٨) . على الرغم من تحذيرات الغنى بالله بن الأحمر للسلطان ألى العباس ومطالبته له بمسألة ألى حمو ، ولكن أبا العباس لم يتأخر فى تنفيذ مخططة ولم يستجب لرغبة الغنى بالله بن الأحمر ، فهاجم أبا حمو الزياتى واستولى على عاصمة ملكه (١٤٩) .

أحسن الغنى بالله بن الأحمر بخطورة الموقف ، وأنه أضحى يفقد حلفاءه الواحد تلو الآخر ، ورأى أن هذه الأعمال من ألى العباس ، تمرد صبارخ على الوضع السياسى الذى رسمه بنو الأحمر لبلاد المغرب ، لذا قرر إعادة الدولة المرينية إلى ما كانت عليه من صراع داخلى ، ليفوت على السلطان ألى العباس كل منجزاته العسكرية التى حققها ، للإفلات من نفوذ بنى الأحمر ، وتحقيق السيادة المرينية ، دون تبعية لبنى الأحمر . وكانت آخر التقارير التى وردت للغنى بالله ابن الأحمر من المغرب الأقصى تفيد بأن دار الملك فى فاس خالية من المدافعين عنها (١٥٠) . « فانتهاز الفرصة ابن الأحمر وجهز موسى بن السلطان ألى العنان من الأسباط ، المقيمين عنده واستوزر له مسعود بن رحو بن ماسى من طبقات الوزراء من بنى مرين » (١٥١) .

نزل موسى بن ألى عنان إلى سبتة ، فاستولى عليها فى أول صفر سنة (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) ، وسلمها للغنى بالله بن الأحمر . وانجه موسى بعد ذلك إلى فاس ، فلم يجد صعوبة كبيرة فى الاستيلاء عليها هى الأخرى ، فدخلها فى العاشر من ربيع الأول (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) وقبض على محمد بن الحسن نائب الوزير محمد ابن عثمان على دار الملك (البلد الجديد) (١٥٢) .

وصلت أنباء الانقلاب إلى ألى العباس أحمد فى تلمسان ، فعاد مسرعا إلى المغرب الأقصى ، وتوقف فى تازا أربعة أيام ، ثم تقدم بعد ذلك إلى الموضع المعروف بالركن (١٥٣) . وهو يبعد عن فاس بمسيرة نصف يوم (١٥٤) . وتذكر معظم المصادر أن

أبى العباس خلع في موضع الركن هذا (١٥٥) . فقد تعرض عند هذا الموضع لثورة أخرى من جانب جنده ورؤساء جيشه ، حين أحسوا بضعف موقفه ، لأن ابن خلدون يقول : « ويوم أصبح (أبو العباس أحمد) من الركن أرجفوا به ثم انتفضوا عليه طوائف قاصدين فاس ورجع هو إلى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار في خيامه وخزائمه (١٥٦) . وكان أبو العباس بعودته إلى تازا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، ففى تازا قبض عليه وسبق إلى السلطان موسى بن أبى عنان ، الذى قيده ، وأرسله مصفداً إلى الغنى بالله (ابن الأحمر) في الأندلس (١٥٧) . أما محمد بن عثمان - وزير أبى العباس أحمد - فقد هام على وجهه يريد من يجره من السلطان موسى بن أبى عنان وظل كذلك حتى قبض عليه ، وسبق إلى فاس حيث صودرت أمواله ، وقتل ذبحاً بحبس (١٥٨) .

وخلا الجو للسلطان موسى بن أبى عنان ، وبايعه الناس يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) (١٥٩) . ولم يختلف عهده عن عهد سابقه ، فقد استبد به وزيره مسعود بن مانساي ، وكان ذلك الاستبداد أمراً يضايق السلطان موسى ابن أبى عنان كثيراً ، لذلك فكر موسى في اغتيال مسعود ، وتحدث في ذلك مع بعض خاصته وجاشيته ، وكان من بينهم العباس بن عمر بن عثمان الوسنانى ، الذى أسرع بإخبار مسعود ابن رحو ، لأن مسعود كان زوجاً لأم العباس (١٦٠) . فضاق مسعود ذرعاً بالسلطان موسى ابن أبى عنان ، وقرر الخروج بنفسه لقتال الأمير الحسن بن الناصر بن أبى على - وكان الحسن قد نزل على أهل الصفيحة من جبل غمارة فأكرموه وقاموا بدعوته لطلب العرش المرينى من السلطان موسى بن أبى عنان (١٦١) . ويبدو أن مسعوداً قرر الخروج لهذه الحرب ليتقى غدر السلطان به ، وفي نفس الوقت لم يترك أمر السلطان هكلاً ، فقد دبر قطة مع أخيه يعيش بن رحو الذى استخلفه مسعود على دار الملك في أثناء غيابه في حرب الحسن ابن الناصر - وقد نجح يعيش في أداء مهمته بسرعة ، فلم يكد مسعود بن رحو يصل إلى القصر الكبير حتى جاءت الأخبار ، بوفاة موسى بن أبى عنان (١٦٢) . ويذكر ابن خلدون أن موسى بن أبى عنان « طرقة المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه » (١٦٣) . وقد أكدت مصادر أخرى وفاة موسى بن أبى عنان مسموماً إلا أنها لم تذكر ذلك بالتفصيل الذى أورده ابن خلدون ، ومن هذه المصادر ، روضة السرين ، لابن الأحمر ، وجلوة الاقتباس لابن القاضى (١٦٤) ، يقول ابن الأحمر : « ومات (موسى بن أبى عنان) بالسسم يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان عام ثمانية وثمانين وسبع مائة » (١٦٥) ، والذى يجعل رواية ابن الأحمر ذات بال ، أنه ممن عاصر هذا السلطان ، وروايته لا بد وأن تؤخذ بعين الاعتبار (١٦٦) .

لم ينتظر يعيش بن رحو حتى يعود أخوه مسعود من حملته ، وإنما بايع في نفس اليوم - الذى توفى فيه السلطان موسى بن أبى عنان - أبان زيان محمد بن أبى العباس ، ولقبه بالمنتصر بالله ، وكانت سنة يوم بويج خمس سنين (١٦٧) . وكان مسعود بن رحو بن ماسى قد أرسل ابنه يحيى إلى الغنى بالله يسأله إعادة السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم إلى ملكه ، بدلا من السلطان موسى بن أبى عنان ، فأخرج ابن الأحمر أبان العباس إلى جبل الفتح ، ليدعه يعبر إلى العلوة المغربية ، ولكن مسعود بن ماسى ، عاد وراجع نفسه ، وطلب من ابن الأحمر سلطانا آخر غير أبى العباس ، ووقع اختياره في هذه المرة على أبى زيان محمد ابن أبى الفضل بن أبى الحسن لأنه رأى أن شخصيته على حد تعبير ابن خلدون والسلوى : « أليق بالاستبداد والحجر » (١٦٨) .

أعاد ابن الأحمر أبان العباس إلى مكانه الذى حددت فيه إقامته بالحمراء في غرناطة ، وأرسل إلى المغرب أبان زيان محمد بن أبى الفضل ، ولم يبايع مسعود بن رحو السلطان الجديد إلا بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق ، بأن يترك لوزيره مسعود الاستبداد بشئون الدولة (١٦٩) .

ولم يمض وقت طويل حتى تغيرت الأوضاع بالمغرب رأسا على عقب ، وذلك حين شعر ابن الأحمر أن مسعود بن رحو لم يعد هو الرجل الذى يمثل بنى الأحمر في البلاط المرينى ، وجاء هذا التحول حين طلب مسعود بن رحو من الغنى بالله إعادة سبته إلى بنى مرين ، وتذكر المصادر أن مسعودا لم يكن جادا في هذا المطلب ، وإنما طلبه على سبيل الملاطفة مع ابن الأحمر ، ولكن ابن الأحمر لم يحتمل هذه الملاطفة ، واستشاط غضبا على مسعود بن رحو ، وقرر ابن الأحمر إبعاد مسعود بن رحو من موقعه في الدولة المرينية ، لأنه أصبح يمثل خطرا كبيرا على مصالح بنى الأحمر في العلوة المغربية (١٧٠) .

جهز مسعود بن رحو بن ماسى حملة قادها لاسترداد سبته من ابن الأحمر ، وفي نفس الوقت أرسل يطلب محمد بن إسماعيل بن الأحمر - ابن عم الغنى بالله - الذى كان لاجئا سياسيا في قشتالة ، ليؤلب به على الغنى بالله (١٧١) . ولم يفلح مسعود بن ماسى في الاستيلاء على سبته لأن الغنى بالله كان قد أطلق أبان العباس أحمد من معتقله بالحمراء ، ومكنه من الاستيلاء على سبته وإقامة دعوته بها (١٧٢) . وفشلت كل المحاولات التى بذلها مسعود بن رحو لوقف تقدم السلطان أبى العباس نحو فاس ، التى تفهقر إليها مسعود وتحصن بها ، فحاصره أبو العباس بها ثلاثة أشهر ، قبل بعدها مسعود بن رحو تسليم العاصمة على شرط أن يبقى وزيراً لأبى العباس أحمد ، وأن يعاد السلطان أبو زيان محمد مرة ثانية إلى الأندلس ، ووافق أبو العباس على ما اشترطه مسعود بن رحو وبادر مسعود فخلع سلطانه أبو زيان محمد ، وخرج إلى أبى العباس فبايعه ، وتقدم أمامه حتى دخل دار ملكه

في يوم الخميس خامس رمضان سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ، وبويع البيعة العامة في يوم السبت السابع من رمضان سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) (١٧٤) .

وما لبث أبو العباس أن قبض على مسعود بن ماسي ، وانتقم منه انتقاما مريرا لما ارتكبه من جرائم في حق بني مرين ، في أثناء حصار فاس ، يقوّن السلاوى : « ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله في دور بني مرين النازعين عنه إليه (أي العباس أحمد) فإنه كان متى هرب منهم أحد عمد إلى بيوته فيها فأمر السلطان أبو العباس بعقابه في أطلالها فكان يؤتى به إلى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا إلى أن يرح به العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعتة فهلك عند قطع الثانية » (١٧٤) .

واستطاع أبو العباس أحمد خلال مدة حكمه الثانية ، أن يتخلص من استبداد الوزراء به ، وأن يجمع في يده سلطات الحكم في دولته ، وأصبحت للوزراء في عهده مهلم يلتزمون بها دون استبداد بأمر من أمور الدولة ، ولكن مع هذا ، لم يستطع أبو العباس الإفلات من الدوران في ملك بني الأحمر ، فقد تنازل في مطلع فترة حكمه الثانية عن سبّة للغنى بالله ، الذي ضمها لأملاك بني الأحمر في الأندلس (١٧٥) .

ولكن أبا العباس بعد ذلك كان يحاول الاستقلال بسلطانه على دولته دون أى توجيه من ابن الأحمر فقد تعرضت دولة بني عبد الواد في سنة (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م) ، إلى خلاف حاد بين أبي حمو الزياتي وولى عهده أبي تاشفين ، وقد أدى هذا الخلاف إلى حرب أهلية وصراع مؤلم بينهما (١٧٦) . ولجأ أبو تاشفين آخر الأمر إلى السلطان أبي العباس أحمد مستنجدا به ، ورأى أبو العباس أن هذه فرصة عظيمة للتدخل في المغرب الأوسط ، خاصة وأن بني عبد الواد خلفاء لبني الأحمر ، ودولتهم مصدر خطر ، وتهديد لبني مرين في المغرب الأقصى ، لذلك بادر أبو حمو - عندما علم بما يدور من استعدادات مرينية للهجوم عليه - بالاتصال بالغنى بالله (ابن الأحمر) ودعاه إلى التدخل لوقف الحملة المرينية ، « فجلا ابن الأحمر في ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس في أن يميز إليه أبا تاشفين فتعلل عليه في ذلك بأنه استجار بابنه أبي فارس واستنم به » (١٧٧) . وتمكن محمد بن يوسف بن علال وزير أبي العباس من إقناع ابن الأحمر بضرورة هذه الحملة ، حتى نجح في ذلك ، يقول ابن خلدون : « ولم يزل الوزير ابن علال يقتل لسلطانه ولابن الأحمر في الذروة والغارب حتى تم أمره » (١٧٨) . وقد حققت هذه الحملة لأبي العباس مكسبا ماديا ومعنويا ضخما ، فقد تخلص من غريمه أبي حمو الزياتي - الذي قتلته الحملة آخر سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) - وبسطت النفوذ المريني على المغرب الأوسط ، حيث أقام أبو تاشفين بعد استيلائه على تلمسان ، الدعوة للسلطان أبي العباس

أحمد ، وخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ، كما وردت إلى الخزنة المرينية ، مبالغ كبيرة دفعها بنو عبد الواد ضريبة سنوية لقاء ما قدموه لسلطانهم أى تاشفين من خدمات (١٧٩) .

وقد تنفس أبو العباس أحمد الصعداء بوفاة الغنى بالله (ابن الأحمر) سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م) (١٨٠) . فقد كانت وفاته سببا فى تحقيق شىء من المرونة والانفراج فى النهج السياسى لسلطين بنى مرين ، إذ أصبح للسلطان المرينى شىء من الحرية فى اتخاذ قراراته ، دون تأثر بحكام غرناطة ، أو التقيد بوجهة نظرهم ، بل أن رواية للسلاوى تذكر أن سلطان فاس أبا العباس أحمد دبر مؤامرة ناجحة أودت بحياة أى الحجاج يوسف (الثانى) خليفة الغنى بالله فقد أهذى أبو العباس إلى أى الحجاج يوسف بعض الكسى الرفيعة ، وكانت إحدى هذه الكسى مسمومة فلما لبسها أبو الحجاج ، تسلل السم إلى جسم أى الحجاج عن طريق عرقه فمات على الفور (١٨١) ، وهذه الرواية تعنى أن المرينيين عكسوا الوضع وبدأوا يتدخلون من جانبيهم فى شئون بنى الأحمر ، ويؤيد ذلك أن أربعة من أبناء السلطان أى العباس أحمد تولوا سلطنة الدولة المرينية تباعا ، دون تدخل من جانب بنى الأحمر ، باستثناء آخرهم وهو عبد الله بن أى العباس أحمد (المعروف بسيدى عبوا) ، فقد عاونه ابن الأحمر على الثورة على أخيه السلطان أى سعيد عثمان بن أحمد ، والاستيلاء على العرش المرينى (١٨٢) .

لم تمض سنوات قليلة حتى توفى السلطان أبو العباس أحمد إثر مرضه وهو مقيم بتازا ، يشارف من هناك أخبار حملة أرسلها بقيادة ولده أى فارس ، ووزيره صالح بن أى حمو ، لاستعادة النفوذ المرينى بالمغرب الأوسط ، الذى تعرض لبعض المخاطر ، بعد وفاة أى تاشفين سلطان بنى عبد الواد سنة (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م) (١٨٣) . وكانت وفاة السلطان أى العباس فى محرم سنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م) (١٨٤) . عن تسع وثلاثين سنة ، وبعد أن حكم الدولة المرينية للمرة الثانية مدة ست سنين وأربعة أشهر (١٨٥) . وتذكر بعض الروايات أنها سبع سنين (١٨٦) . وقام رجال الدولة باستدعاء ولده الأمير أى فارس عبد العزيز من المغرب الأوسط وبايعوه بتازا ، وحمل عثمان والده أى العباس إلى فاس حيث دفن هناك بالقلعة (١٨٧) .

واستطاع أبو العباس خلال فترة حكمه الثانية أن يحرر الدولة المرينية من سطوة نفوذ الوزراء واستبدادهم ، ولكن الضعف الشديد الذى كانت تعاني منه الدولة ، لم يعط لخلفائه من أبنائه السلاطين الفرصة للاحتفاظ بسيطرتهم الكاملة على الدولة ، فظهرت طبقة أخرى غير الوزراء ، سيطرت على مقادير الدولة ، وهى طبقة الحجاب . إلا أنه يلاحظ أن هذه الطبقة الجديدة لم تمارس دورها فى الحياة السياسية للدولة المرينية بصورة فعالة إلا بعد سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) فى عهد السلطان أى سعيد عثمان بن أى العباس أحمد (١٨٨) .

أما الفترة التي أعقبت وفاة السلطان أبي العباس أحمد وحتى سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) فقد تقلد سلطانا على بنى مرين اثنان من أبنائه وهم أبو فارس عبد العزيز ، وكان سلطانا طيبا رقيق القلب كثير الشفقة ، لا يحب سفك الدماء ، وكانت له اهتماماته التي تشغله ، كركوب الخيل ، والحضور في مجالس تفسير القرآن والحديث ، وقرض الشعر وسماعه (١٨٩) . وقد كان ابن الأحمر صاحب روضة النسرين ، من أصدقائه الذين لم يفارقوه ، وقد مدحه ببعض الأشعار (١٩٠) . وتولى الوزارة لهذا السلطان صالح بن حموا ، ويحيى بن علال بن محمد بن مصمود الهكسوري (١٩١) . وقد توفي هذا السلطان في يوم السبت الثامن من صفر سنة (٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م) ودفن مع أبيه في القلعة الرقيقة التي تطل على مدينة فاس (١٩٢) .

وجاء بعد أبي فارس عبد العزيز ، أخوه السلطان أبو عامر عبد الله بن أبي العباس أحمد ، والأخبار عن هذا السلطان وردت في المصادر مقتضبة جدا ، لا تتعدى ذكر بعض صفاته الجسدية (١٩٣) . ووزيرا هذا السلطان هما نفسيهما وزيرا أخيه السلطان السابق عبد العزيز بن أبي العباس أحمد ، « وكان التصرف والنقض والإبرام في هذه المدة كلها للوزراء » (١٩٤) ، ولم يمتد العمر بهذا السلطان حيث توفي بعد سنة وخمسة أشهر من توليه ، في يوم الثلاثاء الثلاثين لجمادى الآخرة سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ، وهو في العشرين من عمره (١٩٥) .

نهاية دولة بنى مرين :

كانت الدولة المرينية في المغرب الأقصى في أواخر القرن الثامن الهجري . وأوائل القرن التاسع - أواخر القرن الرابع عشر الميلادي تعاني اقتصاديا مما تعاني منه سائر بلاد المغرب . فقد شهدت هذه البلاد عددا من الكوارث والأوبئة التي أطاحت بكثير من عناصر قوتها الاقتصادية ، وأدت إلى ضعف عام شمل دول بلاد المغرب ومن بينها الدولة المرينية ، وكانت أخطر هذه الكوارث ، وباء الطاعون الذي تفشى في الشرق والغرب في منتصف القرن الثامن الهجري ، وشمل بلاد المغرب بكاملها (١٩٦) . وقد تحدث السلاوي عن هذا الوباء العظيم بما نقله عن المؤرخ ابن خلدون فيقول : « نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها ، وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلها وقل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر . فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وغلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل » (١٩٧) . كما عانت الدولة المرينية من هذا الوباء الخطير

في سنة (٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م) ، فأهلك عددا كبيرا من كبار العلماء والأعيان ، وكان أهل فاس يطلقون عليه (وباء عزونة) (١٩٨) .

ولم تكن الأوبئة هي كل ما أثر على الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب بصفة عامة والدولة المرينية بصفة خاصة فكانت هناك المجاعات ، التي يسببها النقص الشديد في المواد الغذائية ، نتيجة لفقر مصادرها ، وخاصة ما يعتمد من هذه المصادر على الطبيعة كالتقص في مياه الأمطار ، ومن هذه المجاعات الشديدة التي أضعفت الدولة المرينية وشمل أثرها سائر دول المغرب الأخرى المجاعة العظيمة التي حدثت في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري ، وبالتحديد في سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٩٩) . وأبو العباس بن الخطيب القسنطيني - المعروف بابن القنفذ - كان شاهدا عيانا لهذه المجاعة ، وكان مقيما بالمغرب الأقصى ، ويريد الرحيل إلى بلده قسنطينة يقول : « وفي هذه السنة (٧٧٦ هـ) كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب ... وكان أمر الطريق في الخوف والجوع بحيث أن كل من تقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف خلفنا تحسرا علينا » (٢٠٠) .

ومما لاشك فيه أن آثار التدهور الاقتصادي الذي ساد بلاد المغرب ، انعكست على الحياة السياسية في الدولة المرينية ، إذ واكبت فترة التدهور الاقتصادي هذه مرحلة اضمحلال الدولة المرينية وسقوطها ، وبدأت آثار التدهور الاقتصادي تظهر واضحة المعالم ، وتترك بصماتها على طابع الحياة السياسية في الدولة المرينية ، منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، وهي الفترة التي صاحبت نهاية المرينين في بلاد المغرب .

وبدأت هذه الفترة بتولي السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد ، وهو ثالث الأخوة الأشقاء الذين تولوا الحكم بعد وفاة السلطان أبي العباس أحمد (٢٠١) . وقد بويع أبو سعيد يوم الثلاثاء الثلاثين من جمادى الآخرة سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ، وكان صغيرا لا يتعدى السادسة عشرة من عمره ، وهي سن لم يستطع فيها أن يهتم بأمور الدولة ، وإنما اعتكف على لهوه وملذاته (٢٠٢) . « وكان النقص والإبرام وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجاب » (٢٠٣) . ولكن الحجاب صار لهم نفوذ أقوى من نفوذ الوزراء . وأول حجاب هذا السلطان هو الفقيه أبو العباس أحمد أبي علي القبائلي ، الذي كان متصدرا على كبار رجال الدولة ، وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغا عظيما ، حتى إنه أصبح بيده جميع الخطط والوظائف السلطانية ، كما كانت بيد هذا الحجاب مفاتيح أبواب القصر السلطاني ، هو الذي يشرف بنفسه على فتحها وغلقها . وتلك مهمة من أخطر المهام في الدولة ، فهي صمام الأمن والأمان للسلطان الجالس على العرش (٢٠٤) . وكان جمع هذه

المهام الخطيرة كلها في يد الحاجب ، سبيلا إلى العديد من المؤامرات التي دارت في قصور سلاطين بني مرين ، وانشغل السلاطين ، بهذه المؤامرات عن تدبير شئون الرعية والبلاد ، وقد قتل أبو العباس القبائلي نتيجة مؤامرة من هذه المؤامرات (٢٠٥) . ومن الذين تولوا منصب الحجابة في عهد السلطان أبي سعيد عثمان ، فارح بن مهدى ، وأبو محمد عبد الله الطريقي (٢٠٦) .

وقد بلغ ضعف السلطان أبي سعيد عثمان حدا ، أصبح عاجزا معه عن الدفاع عن حدود دولته ، أمام الحفصيين فقد منح أبو سعيد عثمان بعض العناصر الثائرة على السلطان أبي فارس الحفصي من أعراب إفريقية من سليم ، حق اللجوء السياسي إلى الدولة المرينية ، بل ضمهم إلى جيش مريني لحرب أبي فارس الحفصي ، وجعل قيادتهم إلى أبي عبد الله محمد ابن أبي زكريا الحفصي صاحب بونة - وكان ثائرا على أبي فارس الحفصي - وقد رأى أبو فارس أن هذه الخطوة من أبي سعيد عثمان عمل عدائي يجب الرد عليه (٢٠٧) . فبادر إلى لقاء أبي عبد الله ومن معه من بني مرين وأعراب سليم فهزمهم ، وقتل أبا عبد الله . وأرسل رأسه فعلقت سرا على باب المحروق بفاس نكاية في السلطان أبي سعيد عثمان (٢٠٨) . وتقدم أبو فارس الحفصي بعد ذلك واستولى على تلمسان ، ثم توجه بعد ذلك لتأديب أبي سعيد عثمان ، ولم يكن في استطاعة أبي سعيد أن يواجه أبا فارس ، فقرر إرساله يستعطفه (٢٠٩) . ويقول له : « إن البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ما تأمرونا به نمتثل ، فقبل السلطان أبو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة كافاه عليها بأكثر منها وقتل راجعا إلى حضرة تونس غائما منصورا ولحقته بيعة فاس » (٢١٠) ، وهذه البيعة الأخيرة تعني أن المرينيين أصبحوا من الناحية السياسية تابعين لبني حفص في تونس ، وذلك ينفي عن مبدى ما أصاب المرينيين من ضعف . ويختلف المؤرخون في تاريخ هذا التحرك الحفصي ، فالسلاوي يذكر أنه كان في سنة (٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) (٢١١) . بينما الزركشي يورخ للتحرك الحفصي نحو فاس سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) (٢١٢) . ويبدو أن الترخي الذي ذكره السلاوي هو الأقرب إلى الصحة لأن معظم المصادر تذكر أن وفاة أبي سعيد عثمان كانت في سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) (٢١٣) . وكما فقد المرينيون حريتهم السياسية ، وأصبحوا تابعين لبني حفص في تونس ، بدأوا يفقدون أجزاء من أراضيهم ، ففي سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، واستولى خوان الأول ملك البرتغال على سبتة ، وضمها إلى أملاكه في بلاد الأندلس (٢١٤) .

توفي السلطان أبو سعيد عثمان سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) ، وخلفه أخوه عبد الله المعروف (بسيدى عبو) ويروى السلاوي أن الذي تولى بعد أبي سعيد هو ابنه عبد الحق (٢١٥) . ولكنه في نفس الوقت يروى نقلا عن المؤرخ الأسباني منويل ، ما يفيد

أن الذى تولي الحكم هو عبد الله بن أبى عباس أخو السلطان المتوفى (أبو سعيد) (٢١٦) .

والأحداث كما نقلها السلاوى عن منويل تقول بأن أهل جبل طارق كانوا قد سعموا من حكم بنى الأحمر لهم ، ورأوا أن السلطان أبى سعيد فى فاس أقدر على حمايتهم من مسيحي أسبانيا « فبعثوا إليه (أبى سعيد) يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته إن هو أمدهم بما يدفعون به فى بحر ابن الأحمر (يوسف الثالث) فأعجب أبى سعيد ذلك وللحين بعث إليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيد عبو ومعه طائفة من الجيش إمدادا لهم وكان قصد أبى سعيد بيعت أخيه عبد الله للحصول على إحدى الفائدتين إما فتح جبل طارق إن كان الظهور له أو الاستراحة منه إن كان عليه لأنه كان يشوش عليه » (٢١٧) . ولم يستطع أبو سعيد أن يحقق هذا الهدف أو ذاك لأن قائد حامية جبل طارق الغرناطى تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد الله ، وأسره وأرسله إلى غرناطة ، وهناك أحسن ابن الأحمر استقباله ، ومن غرناطة ، حاول أبو سعيد قتل أخيه عبد الله ففدس إليه جاسوسا لسمه ، ولكن الجاسوس فشل فى مهمته . واتفق السلطان يوسف الثالث ابن الأحمر مع الأمير عبد الله ، على أن يقوم بالاستيلاء على العرش المرينى ، فى مقابل أن يمد ابن الأحمر بالجنود والأموال اللازمة لإتمام هذا العمل انتقاما من أبى سعيد (٢١٨) .

وما أن نزل عبد الله بساحل المغرب الأقصى ، حتى انضمت إليه أعداد وافرة من القبائل التى كانت تستثقل حكم أبى سعيد عثمان ، ونهض أبو سعيد لمقاومة أخيه عبد الله ، فهزم أمامه وعاد فى فلول جيشه إلى فاس ، فوجد أهل المدينة فى انتظاره فقبضوا عليه وسجنوه ، وأعلنوا طاعتهم لأخيه عبد الله ، وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها واستولى عليه ، وأمر ببقاء أخيه فى السجن ، فظل به إلى أن مات (٢١٩) .

هذا ما نقله السلاوى عن مانويل من أخبار السلطان عبد الله بن أبى العباس ، ويبدو أن هذه الأخبار صحيحة ، رغم تردد السلاوى فى الجزم بصحتها تماما حيث قال : « ويعد أن يكون هذا الخبر الذى ساقه منويل لا أصل له » (٢٢٠) . ومما يؤيد وجهة النظر بصحة وجود هذا السلطان فى هذه الفترة ما رواه ابن الأحمر - وهو أحد المعاصرين للأحداث - حين يتحدث عن أبناء السلطان أبى العباس أحمد المذكور فقال : « أولاده (أبو العباس) المذكور المولى السلطان عبد العزيز والمولى السلطان عبد الله والمولى السلطان عثمان والمولى السلطان المنتصر بالله وعبد الرحمن وأبو العيش وأبو على ومحمد » (٢٢١) . ووفقا لرواية السلاوى يكون ثلاثة فقط من بين أبناء السلطان أبى العباس أحمد هم الذين تولوا سلطنة النولة المرينية ، وواضح من رواية ابن الأحمر أن عددهم كان أربعة ، وأن الذى جاء بعد أبى سعيد عثمان هو السلطان المنتصر بالله (عبد الله) وليس عبد الحق (٢٢٢)

وتنقض رواية مانويل فتذكر أن الأمور لم تلبث أن تبدلت في فاس فثارت العامة على السلطان عبد الله « واعتورته رماحهم حتى فاظ ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من إخوته وبعد قتال شديد ولم ينتصف أحد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبي سعيد » (٢٢٣) .

وهذا السلطان هو آخر سلاطين بني مرين ، وأطولهم مدة ، « وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا وتداعى إلى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب بشأن قولة أبيه من قبله » (٢٢٤) . وفي عهد هذا السلطان طرأ على منصب الوزير شيء من التعديل ، فأصبحت مهام الوزير هي نفس مهام الحجاب ، وأصبح يطلق على الحجاب اسم الوزير وعلى الوزير اسم الحجاب (٢٢٥) . وقد تولى منصب الوزارة بهذا المعنى ، مجموعة من أبناء البيت الوطاسي ، ومنهم يحيى بن زيان الوطاس ، وكان لهذا الوزير الفضل الكبير في القضاء على تمرد الشاوية الذين استشرى داؤهم في الدولة ، وقد قتل هذا الوزير سنة (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، غلرا بيد بعض الأعراب (٢٢٦) ، وتولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاس ، ويحيى بن يحيى بن زيان الوطاس ، وكان تولى هذا الأخير للوزارة بداية لشهر مستطير على الدولة المرينية « وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزراء وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى ابن علال المصمودي وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي كان المصمودي من الدين ونحري المعدلة بمكان » (٢٢٧) .

فرع السلطان عبد الحق من هذه التصرفات التي يقوم بها يحيى بن يحيى الوطاس ، خاصة وأن بني وطاس هؤلاء فرع من بني مرين طامع في الحكم ، غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق (٢٢٨) . وبما ضاعف من مخاوف السلطان عبد الحق أن بني وطاس كانوا يؤيدون يحيى بن يحيى الوطاس في خطواته ، وشعر السلطان عبد الحق أن بني وطاس كادوا يغلبونه على أمره ، لذا بادر بالقبض عليهم ونكبتهم (٢٢٩) . فقبض على كل من تدور حوله شبهة من بني وطاس ، ومنهم « الوزير يحيى وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى عمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي بن يوسف وأبي الدبح عليهم جميعا » (٢٣٠) .

وظل منصب الوزارة شاغرا لا يتولاه أحد لخوف السلطان من نقوذ الوزراء واستبدادهم وفي نفس الوقت وصلت إلى السلطان عبد الحق معلومات « أن العامة وكثيرا من الخاصة قد نعموا عليه بإيقاعه بالوطاسيين وأن أذنيهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب أصيلا » (٢٣١) .

واضطرم حقد السلطان على رعيته ، فسولت له نفسه تعيين اثنين من اليهود هما هارون وشاويل في منصب الوزارة تأديبا لرعيته وتشفيا منهم (٢٣٢) . وأثار هذا التصرف كافة طوائف الشعب ، لأنه تصرف يمس عواطفه الدينية ، وفقد السلطان عبد الحق تأييد شعبه خاصة وعامه ، ومما أزعج حقد الشعب على السلطان أن الوزيرين اليهوديين شرعا في « أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال ، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا في الأشراف والفقهاء فمن دونهم وكان اليهودي هارون قد ولى على شرطته رجلا يقال له الحسين لا يألو جهدا في العنف واستلاب الأموال واستمر الحال على ذلك والناس في شدة » (٢٣٣) . وفي عهد هذين الوزيرين ، وصلت الدولة المرينية إلى درجة كبيرة من الضعف والاضلال ، فلم يستطع السلطان عبد الحق الذي فقد تأييد شعبه ، الدفاع عن طنجة التي هاجمها ألوف من جند الأسبان واستولوا عليها سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٣٤) .

واقتربت نهاية السلطان ومعه نهاية الدولة ، ففى أحد الأيام قبض الوزير اليهودي على امرأة شريفة من البلدة - من أحياء فاس - « فألقى عليها بالضرب ولما ألهبها السياط جعلت تتوسل برسول الله ﷺ فحصى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ﷺ وأمر بالإبلاغ في عقابها » (٢٣٥) . وانتشر الخبر في المدينة ، فأسرع كبار الرجال بها إلى الاجتماع عند خطيب مسجد القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الورياكل ، - وكانت له صلابة شديدة في الحق - (٢٣٦) . وقال المجتمعون له « ألا ترى ما نحن فيه من الدل والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعبث بهم ، حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت » (٢٣٧) .

اتفق الفقيه أبو فارس الورياكل مع المجتمعين على الفتك باليهود وخلع السلطان عبد الحق ، والبيعة للشريف أبى عبد الله الحفيد - وهو محمد بن على بن عمران الإدريسي من أهل البيت - (٢٣٨) . فوافقوا على ذلك واستدعوا الشريف وبايعوه في السابع عشر من رمضان سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٣٩) . وتولى أهل القلقليين - من أحياء فاس - أمر إتمام البيعة للسلطان الجديد ، أما الفقيه الورياكل فقد قاد الثورة بنفسه ضد السلطان عبد الحق ، فخرج بالثائرين إلى فاس الجديد ، هاجموا حارة اليهود وقتلوا من بها من اليهود وأخذوا أموالهم (٢٤٠) .

علم السلطان عبد الحق بأنباء الثورة - وكان في ذلك الوقت خارج فاس يؤدب بعض قبائل الهبط - (٢٤١) . فعاد مسرعا إلى فاس . « واضطرب عليه أمر الجند ففسدت نياتهم وتنكرت وجوههم وصاروا في كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنية ولما قرب من فاس استشار هرون اليهودي فيما نزل به فقال اليهودي له

لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وإنما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لأنها بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا وحينئذ يظهر لنا ما يكون فما استم اليهودى كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بنى مرين يقال له تبان وعبد الحق ينظر وقال أو ما زلنا فى تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل بإشارتهم ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا لليدين والقم ثم قالوا للسلطان عبد الحق تقدم أمامنا إلى فاس فليس لك اليوم اختيار فى نفسك » (٢٤٢) .

وساروا به إلى فاس حتى إذا وصلوا إلى عين القوادس - خارج فاس الجديد - خرج أهل فاس ومعهم سلطانهم الجديد أبى عبد الله الحفيد ، فأركب السلطان عبد الحق على بغل وانتزع منه خاتم الملك ، وأدخله البلد الجديد فى يوم مشهود حضرته جموع غفيرة من أهل البلاد (٢٤٣) . « وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه ثم حنّب إلى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة » (٢٤٤) ، ويذكر الكتاتنى فى سلوة الأنفاس أن مقتله كان فى الثامن والعشرين من رمضان سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٤٥) . وبهذه النهاية المؤلمة آنطوت آخر صفحة من صفحات الدولة المرينية المشرقة ، بعد أن عاشت فى بلاد المغرب بعطائها السياسى والحضارى الغزير زهاء مائتى عام .

هوامش الفصل الثالث

-
- (١) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ .
- (٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٩ ، أبو حمزة موسى بن يوسف : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، ط تونس ١٢٧٦ ، ص ١٣ ، ١٤ ، يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٢٩ .
- Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223
- (٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٢١ .
- (٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٩ ، محمد بن عبد السلام بن عهود : تاريخ المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
- (٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ .
- (٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
- (٨) المصدر السابق ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
- (٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٢ .
- (١٠) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .
- (١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٤ مع خلاف في اللفظ .
- (١٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ .
- (١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، وانظر الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .
- (١٤) السلاوي : الاستقصا ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ، (ويذكر صاحب الحلل الموشية أن مدة السلطان أبي بكر السعيد كانت سبعة أشهر وعشرين يوما ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخيلا المراكشية ، ص ١٥٠) .
- (١٥) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
- (١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٤ .
- (١٧) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، وعن اتصاله بهيلاط قشتالة وهروبه انظر ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .

(١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(١٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ابن القنفذ : الفارسية
في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .
(٢٠) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ،
ص ١٠٠ .

(٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .
(٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ .
(٢٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط ، ص ٣٠٧ ، ابن خلدون العبر ، ط بولاق ،
ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٢٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ١٦٨ .
(٢٥) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ، (وقد كان الحسن بن عمر يشعر بذلك ، فما
كاد يستقر في مراكش حتى سلورته الشكوك ، فخرج على أبى سالم وهرب إلى تادلا ، واعتصم هناك في حمى
قبائل بنى جابر ، فأرسل إليه أبو سالم جيشا بقيادة وزيره الحسن بن يوسف الذى تمكن من القبض
على الحسن بن عمر وساقه إلى أبى سالم ، فأمر بسحبه على وجهه ، وتنف لحيته وضربه بالعصى ، وأخيرا نفذ
فيه حكم الإعدام طعنا بالرماح ، وعلقت جثته على السور عند باب المحروق ، ابن خلدون : العبر ،
ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ألفى بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة : د .
السيد محمود عبد العزيز سالم ، الألف كتاب ، رقم ٨٩ ، ص ٧٦ ، ٧٧) .
(٢٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ،
ج ١ ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٨٥ .
(٢٨) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٩ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٠٧ .
(٢٩) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ،
ص ١٠٠ .

(٣٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، السلاوى : الاستقصا ،
ج ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩٩ ، (يرجع فشل حملة أبى سالم
على تلمسان إلى اتباع أبى حمو لنظام دفاعى جديد ضد بنى مرين ، فحين يهاجم المرينيون فى تلمسان ، فإنه
يطلب لهم المدينة ، ويوجه بقواته إلى المغرب الأقصى ليهاجم أملاك المرينيين مباشرة ويخربها الأمر الذى يدفع
المرينيين إلى العودة مرغمين من حيث أتوا ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١١ ، يحيى
ابن خلدون : بنية الرواد ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٩ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، ج ٥ ، ص ١٧٣ ،
(١٧٤) .

(٣١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
(٣٢) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
(٣٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ط القاهرة ١٣٥١ هـ ، ص ٣٠٨ ابن خلدون : العبر ،
ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ،

- (ويذكر السلاوي أن أبا سالم نقل مقر حكمه بعد أن خوفه بعض منجميه من البقاء في البلد الجديد ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٢) .
- (٣٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (كان والده عبد الله بن علي وزيرا للسلطان أبي عثمان ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٣) .
- (٣٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٩ .
- (٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٣ .
- (٣٨) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، التكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ٨٣ .
- (٣٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ١ ، ص ٤٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٩ .
- (٤٠) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٣ ، (ويروى أن مقتله كان في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ) ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠) .
- (٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٣ .
- (٤٢) ابن الأحمر : النفة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ١٣ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
- (٤٣) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٦٣ .
- (٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٤ ، (كان عمر بن عبد الله قد قبض على مسعود بن رحو بن ماسي وسليمان بن داود وزيري أبي سالم ، واعتقل مسعود بداره هو ، بينما ترك سليمان معتقلا بدار حليفه غريسة بن أنطول ، وكان سليمان بن ونصار - أحد أنصار أبي سالم - صديقا لابن أنطول وذات يوم وهر يعاقره الخمر اتفقا على الفتك بعمر بن عبد الله وإحلال سليمان دلود مكانه في الوزارة ، السلاوي : ج ٢ ، ص ١٢٤) .
- (٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٤ ، (وأن كان ابن خلدون ذكر لفظ العصابة بدلا من العصبية) .
- (٤٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٤٧) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .
- (٤٨) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
- (٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٦ .
- (٥٠) المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
- (٥١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
- (٥٢) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١١ .
- (٥٣) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٦١ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

- (٥٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٧ ، ص ٤ ، ٤١ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٠٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٦١ .
- (٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، (ذكر المقرئ أن وصوله كان في الثاني والعشرين من صفر ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨) .
- (٥٦) ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٣ ، ابن القاضي ، جلوة الاقتباس ، ص ١٠٧ ، (مخالف هذه الرواية ابن الخطيب حيث ذكر أن تاشفين الموسوس استمر سلطانا حتى الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٦٣ هـ) ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٢ ، ص ٤٠ .
- (٥٧) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، (ذكر صاحب الحلل الموشية أن مدته كانت ثلاثة أشهر فقط ، بينما يرى ابن خلدون أنه ظل في الحكم عاما كاملا ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٧) .
- (٥٨) المصدر السابق ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
- (٥٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .
- (٦٠) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٨ .
- (٦١) المصدر السابق ، ٣١٩ .
- (٦٢) ابن خلدون : للعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٩ .
- (٦٣) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
- (٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ، ويذكر ابن حجر بلاد التكرور بدلا من مالى التي ذكرها ابن خلدون ويبدو أن مدلول الاسمين كان واحدا في ذلك الوقت .
- (٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٠ .
- (٦٦) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢١٠ ، (تولى عبد الرحمن مشيخة الغزاة في بلاد الأندلس بأمر من الغنى بالله بن الأحمر ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
- (٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
- (٦٨) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .
- (٦٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، وقارن المقرئ : نفح الطيب : ج ٦ ، ص ١٢ .
- (٧٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤١ ، (وروى القلقشندي أخبار هذه الحادثة بإيجاز شديد فقال : « فدخل على السلطان من غير إذن على ما كان اعتاده منه ، وألقاه في بحر وأظهر للناس أنه سقط عن ظهر فرسه وهو غل في تلك البئر ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .
- (٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .
- (٧٢) ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٤٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، (رواية ابن القاضي نقلها السلاوي في الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٩) .

- (٧٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٣ .
- (٧٤) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠ .
- (٧٥) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن القاضي - جنوة الاقتباس ، ص ٢٦٨ .
- (٧٦) ابن الأحمر : النفحة النصرية ، واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٧ .
- (٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، (يكتفى أبا فارس أمه مولدة أندلسية اسمها مريم ، ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٤٨) .
- (٧٨) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
- (٧٩) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ١٤ ، وانظر وصف ابن الخطيب والسلاوي وابن القاضي لعبد العزيز ، ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤١ ، السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن القاضي : حلوة الاقتباس ، ص ٢٦٨ .
- (٨٠) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .
- (٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٣ ، (لم تشر المصادر أو المراجع إلى شخصية هذا الأمير أو اسمه) .
- (٨٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٦١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .
- (٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٤ .
- (٨٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .
- (٨٥) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤١ .
- (٨٦) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
- (٨٧) المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
- (٨٨) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .
- (٨٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .
- (٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٦ .
- (٩١) ماريانو أريباس بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
- (٩٢) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٨ .
- (٩٣) ماريانو أريباس بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ .
- (٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
- (٩٥) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزهاني ، ص ١٢٦ .
- (٩٦) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

- (٩٧) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .
- (٩٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٨ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمز موسى الزياتي ، ص ١٢٧ .
- (٩٩) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
- (١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
- (١٠١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
- (١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المربنية مخطوط ، ورقة ٤٨ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس : ص ٢٦٨ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠١ .
- (١٠٣) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥١ .
- (١٠٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٨ .
- (١٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٦ ، (وانفرد المقرئ في نفع الطيب بالقول بأن السلطان عبد العزيز مات مطمونا ، ولكنه لم يجرم بذلك لأنه قال بعد ذكر هذا الخبر « وقيل غير ذلك » المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١٢ .)
- (١٠٦) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥١ .
- (١٠٧) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٤٩ .
- (١٠٨) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٣٠ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٤٩ ، (يكنى هذا السلطان بأبي زيان و يلقب بالسعيد بالله ، المصدر السابق ، نفس الورقة .)
- (١٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٦ .
- (١١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١١١) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ .
- (١١٢) المصدر السابق ، ص ٢١١ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ، أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٢ .
- (١١٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
- (١١٤) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٨ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
- (١١٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ مع خلاف في اللفظ .
- (١١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، د. العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٣ .
- (١١٧) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، د. العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٣ ، عنان : نهاية الأندلس ،

ص ١٤٢ ، د. أحمد مختار العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد السابع والثامن ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ٤٨ .

(١١٨) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ ، د. أحمد مختار العبادي : حياة الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول مايو ، ١٩٦٢ ، ص ٦٤ .

(١١٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٧٨ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، (وبطوية : حصن من حصون ورباطات مدينة سفاقس ، البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٩ ، ٢٠) .

(١٢٠) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ .

(١٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٨ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

(١٢٢) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر ، ص ٧١ .

(١٢٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٢٤) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٦ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٢٥) د. العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٤ .

(١٢٦) ابن الأحمر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥١ ، (وأم هذا السلطان عربية قحطالية وهي زهرة بنت أبي العباس خضر بن محمد القباقي ، المصدر السابق ، ورقة ٥٠) .

(١٢٧) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ، ص ٩٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٢٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٣٩ .

(١٣٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٣١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ .

(١٣٢) د. العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .

(١٣٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ .

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(١٣٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤٠ .

(١٣٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وانظر

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠١ .

(١٣٧) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ،

ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ١٣١ ، (كانت دولة السلطان محمد السعيد سنة وثمانية أشهر وأربعة أيام ، ابن الأحمر : النفحة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٠) .

- (١٣٨) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٢٩ ، (يروى : الزركشى أنه دخلها في سنة ٧٧٥ هـ خلافا لما أجمعت عليه معظم المصادر ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٨) .
- (١٣٩) ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥١ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .
- (١٤٠) د. العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .
- (١٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤١ .
- (١٤٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
- (١٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤١ .
- (١٤٤) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (١٤٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤٤ .
- (١٤٦) المصدر السابق ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- (١٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٧ ، ص ١٣٥ .
- (١٤٨) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
- (١٤٩) عهد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ١٤٣ .
- (١٥٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
- (١٥١) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .
- (١٥٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠١ .
- (١٥٣) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
- (١٥٤) ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٥١ .
- (١٥٥) المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٥٣ ، ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .
- (١٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٠ .
- (١٥٧) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٩٩ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
- (١٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- (١٥٩) ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ ، (ومن الصفات التي ذكرها ابن الأحمر لهذا السلطان أنه كان « آدم اللون شديد الأدمة إلى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية » وانظر أيضا ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٥) .
- (١٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٢ .
- (١٦١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
- (١٦٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٢ .
- (١٦٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

- (١٦٤) ابن الأحمر : روضة السرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ص ٢٣٠ ، (وقد نقل السلاوى كلام ابن القاضي انظر السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .
- (١٦٥) ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .
- (١٦٦) (ألف ابن الأحمر كتابه النفحة السرينية واللمحة المرينية وأهداه إلى إبراهيم بن عبد الله أحد وزراء السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم انظر ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .
- (١٦٧) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ص ١٣١ ، ابن الأحمر : روضة السرين : مخطوط ، ورقة ١٦ .
- (١٦٨) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .
- (١٦٩) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، (عزل محمد بن أبي العباس يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ٧٨٨ هـ وهو نفس اليوم الذى يبيع فيه أبو زيان محمد بن أبي الفضل ، ابن القاضي : جنوة الاقتباس ، ص ١٣١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٢) .
- (١٧٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
- (١٧١) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٤ .
- (١٧٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- (١٧٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ، وانظر القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٥ ، ص ٢٠٢ ، ابن الأحمر : النفحة السرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٦ ، (وقد أنهى ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف بن الأحمر مؤلفه النفحة السرينية عند عهد هذا السلطان يقول ابن الأحمر : « رفعت هذا الكتاب باسمه (أبي العباس) طرزته والله يديم ملكه فى سمو وصعود) .
- (١٧٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .
- (١٧٥) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٥٥ .
- (١٧٦) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٦١ ، عبد الحميد حاجيت : أبو حمو موسى الزياتى ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .
- (١٧٧) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .
- (١٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (خرجت هذه الحملة بقيادة الأمير أبي فارس ابن أبي العباس ، والوزير ابن علال ، والتقت بأبي حمو عند موضع الغيران ، وقد قتل أبو حمو طعنا بالرمح فى هذا الموضع بعد أن كبا به جواده ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
- (١٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .
- (١٨٠) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٩ .
- (١٨١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٥٠ ، (وقد نقل السلاوى هذه الرواية عن أحد المؤرخين الأسبان وهو منوبل باولوا الشتيل ، عن كتاب أوخ فيه لأخبار المغرب الأقصى ، ونقل عنان هذه الرواية عن السلاوى وعن Condé فى مؤلفه) : Condé

- (١٨٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
- (١٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٦٣ .
- (١٨٤) المصدر السابق : نفس الصفحة ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- (١٨٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤١ .
- (١٨٦) ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٦ .
- (١٨٧) ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٦ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، (أطلق الكتانى والسلاوى على القلعة اسم « القلة » ، وقد يكون حرف العين قد سقط من الكلمة لى الطباعة ، وقد وصفها الكتانى فقال : « وقد اشتملت (القلة) على قباب لبنى مرين لكونها دفن بها جماعة من ملوكهم » ، المصادر السابقة ، نفس الصفحات) .
- (١٨٨) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (١٨٩) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٧ .
- (١٩٠) المصدر السابق ، نفس الورقة .
- (١٩١) المصدر السابق ، نفس الورقة ، زانظر السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .
- (١٩٢) ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، وانظر السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٦٩ .
- (١٩٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٧ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٣٤ .
- (١٩٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .
- (١٩٥) ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ص ١٦٧ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٣٤ .
- (١٩٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (١٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٩٨) المصدر السابق ، ص ١٥١ .
- (١٩٩) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .
- (٢٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٠١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (٢٠٢) ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ، ورقة ١٧ .
- (٢٠٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (٢٠٤) المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٦١ .
- (٢٠٥) المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .
- (٢٠٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرین ، مخطوط ورقة ١٧ ، ١٨ .

- (٢٠٧) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .
- (٢٠٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٠٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .
- (٢١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، (ودأب السلطان عبد الحق بعد ذلك على مهادة السلطان الحفصى ، انظر الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٠) .
- (٢١١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .
- (٢١٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .
- (٢١٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، زاملور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ت : زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥١ ، ج ١ ، ص ١٢٣ .
- (٢١٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .
- (٢١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، (ويذكر ماريانو اريباس بالار أن وفاة أبى سعيد عثمان كانت فى سنة ١٤٢١ م وهى تقابل سنة ٨٢٥ - ٨٢٦ هـ ، انظر ماريانو اريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقيات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٨) .
- (٢١٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .
- (٢١٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢١٨) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٥٣ .
- (٢١٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٥٤ .
- (٢٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٢١) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .
- (٢٢٢) المصدر السابق ، ورقة ١٥ .
- (٢٢٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، (فاف هكلنا فى الأصل) .
- (٢٢٤) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
- (٢٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (والشاوية تفرعوا من ولد حسان بن أبى سعيد الصبيحى ، وهم بطن من بطون قبائل سويد وسويد هى إحدى قبائل بنى مالك بن زغبة الهلاليين ، وحسان هنا كان المتولى لرعاية إبل السلطان يعقوب بن عبد الحق ورواحله وسائر ماشيته ، وارتفعت مكانة حسان عند السلطان يعقوب ، وأصبح بنوه وعقبه يتوارثون هذه المهمة التى أطلق عليها « خطة الشلوية » وعلى القائمين عليها من بنى حسان الشاوية ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦) .
- (٢٢٧) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .
- (٢٢٨) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٦٥ .
- (٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٣٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٣١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٣٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

- (٢٣٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٣٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٣٥) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
- (٢٣٦) ابن القاضى : درة الحجال فى أسماء الرجال ، ت : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث بالقاهرة ، ط أولى ١٩٧٠ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (٢٣٧) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .
- (٢٣٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، ابن القاضى : درة الحجال ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (٢٣٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ .
- (٢٤٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، (وقد أشار البكرى إلى أن فاس كانت من أكثر بلاد المغرب على الإطلاق احتواء لليهود وأنهم كانوا يخرجون منها إلى سائر بلاد المغرب ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١١٥) .
- (٢٤١) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥١ .
- (٢٤٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥١ .
- (٢٤٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ١٣١ . (ويقول ابن القاضى هو « السلطان عبد الحق » الذى ثارت عليه عامة فاس بمشورة الفقيه الخطيب أبى فارس عبد العزيز الوريهاغلى ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٧٤) .
- (٢٤٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، (ويروى الزركشى أن الشريف أباه عبد الله الحفيد يبيع « على رضا من الناس واستقل بالخلافة وعادت الخلافة فى فاس إدريسية » وهنا لانتفاء الحفيد إلى الأدارسة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦) .
- (٢٤٥) الكتانى سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، زامبلور : معجم الأنساب ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية لبنى مرين

العلاقات الخارجية لبنى مرين

أصبح للدولة المرينية - منذ قيامها في بلاد المغرب الأقصى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) - شخصيتها الدولية المستقلة ، ومن خلال هذه الشخصية تعاملت مع سائر الدول الأخرى سواء تلك التي تربطها بها حدود مباشرة ، أو تلك التي تبعد عنها ، وقد كان لهذه العلاقات أثرها الكبير في دعم الدولة المرينية سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا ، وكانت قوة التأثير والتأثر في هذه النواحي تتوقف على مدى طبيعة هذه العلاقات من حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث ميلها إلى الصداقة أو العداء ويتضح من هذه العلاقات أنها كانت علاقات واسعة شملت معظم العالم الإسلامي شرقه وغربه ، إذ حرص المرينيون على إظهار شخصيتهم الدولية ، ففي المشرق كانت للمرينيين علاقات وطيدة مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ، وفي المغرب كانت لهم علاقة أكثر بالحفصيين وبنى عبد الواد ، وبلاد السودان الغربى ، وبلاد الأندلس وما فيها من قوى إسلامية تتمثل في بنى الأحمر ، وقوى مسيحية بمعادية تتمثل في القشتاليين والأراغونيين .

أولا : علاقة المرينيين بمصر والمشرق العربى :

تطلع سلاطين بنى مرين إلى مصر والمشرق العربى ، باعتبار أن المغرب امتداد طبيعي لهذه البقاع من العالم الإسلامى ، وكانت مصر ، محطاً لأنظار السلاطين من بنى مرين ، لأنها الواجهة التي تغل منها بلاد المغرب على جهات المشرق العربى ، من أجل ذلك سعى هؤلاء السلاطين المرينيون إلى توطيد علاقاتهم بمصر وما يليها من أجزاء المشرق العربى في الشام والعراق والجزيرة العربية . وكان نماء العلاقات وازدهارها بين المرينيين والمشرق العربى ومصر ، مرتبطا أشد الارتباط بقوافل الحج المرينية ، التي كانت هى الأخرى مرتبطة بحالة الأمن واستقرار الأوضاع السياسية في بلاد المغرب . وكان هذا السبب الأخير ، مبرراً لتأخر قيام هذه العلاقات بصفة رسمية حتى سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ففي هذه السنة كان السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المرينى قد استولى على المغرب الأوسط ، مهد بنى عبد الواد الذين كانوا يعوقون تقدم القوافل المرينية نحو مصر والمشرق العربى (١) .

وقد خرجت أول قافلة تحمل الحجاج المرينيين إلى مكة والأراضى الحجازية سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ، وقد بالغ السلطان أبو يعقوب يوسف في الاحتفال بهذه القافلة ، إظهارا لمكانة الدولة المرينية في بلاد المغرب ، فأمر « باستنساخ مصحف رائق الصنعة كتبه

ونقحه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع في جرمه وعمل غشاءه من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة وسط المعلق تفوق الحصيات مقداراً وشكلاً وحسناً واستكثر من الأصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف^(٢) . وأخرج السلطان أبو يعقوب يوسف مع القافلة فرقة تزيد على الخمسمائة من فرسان زنانة لحمايتها من الأخطار ، وعين محمد بن رغبوش - وهو من أعلام أهل المغرب - قاضياً يدير أمر القافلة^(٣) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل « يخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العرب والمطاييا الفارسة »^(٤) . وحمل هذه الرسالة أحد مماليك مصر العاملين في البلاط المريني وهو أيّدغدى الشهرزورى ، وكان بدرجة وزير^(٥) . ويذكر ابن الوردي أن الرسالة والهدية وصلت إلى مصر سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م)^(٦) . وتعتبر هذه الرسالة أول صفحة في تاريخ العلاقات المرينية المصرية .

وفي ربيع الأول سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) خرجت قافلة مرينية ثانية متجهة إلى الأراضي الحجازية ، وتولى أبو زيد الغفارى دلالة القافلة^(٧) . وقد كان لهاتين القافلتين أثرهما السياسى الكبير فى بلاد الحجاز خاصة لدى الشرفاء القائمين على الحكم بها ، الذين أحسوا بقوة المرينيين وسطوتهم فى بلاد المغرب ، فاتخذوا منهم ملاذاً لهم عندما اختلفوا سياسياً مع سلطان مصر المملوكى . ففى شهر ربيع الثانى سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) عاد مع قافلة الحج الأولى - التى حملت مضحف السلطان أبى يعقوب يوسف - الشريف لييدة بن أبى ندى ، لأن سلطان الترك كما يقول ابن خلدون قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد وفاة أبيهم أبى ندى صاحب مكة سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) ، وقد بالغ السلطان أبو يعقوب يوسف فى تكريمه ، وأرسل معه من تلمسان ما يشبه بعثة الشرف لتتجول به فى مدن الدولة وأقاليمها للاطلاع على شتى معالمها وقصورها ، وأصدر السلطان أوامره إلى عمال الأقاليم بتكريمه والاحتفاء به ، وظل مقيماً بالبلاط المريني حتى عاد إلى المشرق سنة (٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م)^(٨) .

وكان لهذه العلاقات الطيبة التى بادر بها المرينيون نحو المشرق أثرها السريع ففى نفس السنة التى غادر فيها الشريف لييدة بلاد المغرب ، أرسل الشرفاء من أهل مكة ببيعتهم إلى السلطان أبى يعقوب يوسف ، وذلك عندما ساءت العلاقات بينهم وبين صاحب مصر ، الذى قبض على إخوانهم ، وقد وصلت هذه البيعة مع أبى زيد الغفارى دليل قافلة الحجيج الثانية^(٩) ، ومع البيعة أرسلوا ثوباً من كسوة الكعبة للسلطان يوسف بن يعقوب « شغف به واتخذ منه ثوباً للباسه فى الجمع والأعياد يستبطنه بين ثيابه تبركاً به »^(١٠) .

ولم تؤثر هذه البيعة على جو العلاقات بين مصر والمرينيين ، فقد رد السلطان الناصر محمد قلاوون على هدية السلطان يوسف بن يعقوب المريني بهدية عظيمة حشد فيها ، من طرف بلاده (مصر) من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الأمير الليلى ، (١١) .

وقد وصلت هذه الهدية إلى المنصورة (بالمغرب الأوسط) في جمادى الآخرة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) ، وقد احتفل السلطان أيى يعقوب يوسف بوصول الوفد احتفالا عظيما ، وأرسله إلى بلاد المغرب الأقصى لتفقد معالم الدولة وآثارها (١٢) . وفى أثناء ذلك توفى السلطان أيى يعقوب يوسف ، فقام خليفته السلطان أبو ثابت بمتابعة إكرام الوفد ، المصرى ، وقدم لأعضائه عند عودتهم هدايا كثيرة ، دعما للعلاقات بين القولة المرينية ومصر ، وتحرك الوفد عائدا إلى مصر فى ذى الحجة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) ، وفى الطريق وعند بلاد بنى حسن سطا الأعراب على القافلة المصرية وسلبوا ونهبوا ملعها (١٣) . وقد كان هذا الحادث سببا فى توتر العلاقات وقتورها بين المرينيين ومصر ، فلم يعاودوا (المصريون) بعدها إلى المغرب سفرا ولافتوا إليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزدون فى ذلك كله على الخطاب ، (١٤) . وقد أشارت أصابع الاتهام إلى بنى عبد الواد أعداء بنى مرين ، بتدبير هذا الحادث ، لتعكير صفو العلاقات بين مصر والمرينيين (١٥) .

وقد أرسل السلطان الناصر محمد قلاوون رسالة يعاتب السلطان المريني على ما أصاب القافلة المصرية فى بلاد المغرب ، ومع الرسالة هدية ، استصغرها السلطان المريني ، وكانت عبارة عن كويين من دهن البلسان ، وخمسة ممالك من الترك رماة بخمسة أقواس من قسى الغز المؤنقة الصنعة ، فاستدعى السلطان المريني القاضي محمد بن هدية ، وأملى عليه خطابا شديد اللهجة إلى سلطان مصر (١٦) . قال السلطان المريني للقاضي : اكتب الآن إلى الملك الناصر كما أقول لك ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب وقل له أما عتابك عن شأن الرسل وما أصابهم فى طريقهم فقد حضروا عندى ... وأريتهم مخلوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب فكان جوابهم إنا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخطف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره ناقل فى أعراب فلاتنا وأما الهدية فتزد عليك أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لانعرف إلا الزيت وحسبنا به دهنا وأما الممالك الرماة فقد افتتحنا بهم إشبيلية وصرفناهم إليك لتستفتح بهم بغداد والسلام ، (١٧) . ويظهر من الرسالة أن مرسلها هو السلطان أبو ثابت المريني ، فالوفد رحل فى عهده من بلاد المغرب إلى مصر ، وواضح أن الحوار الذى فى الرسالة كان بينهم وبين السلطان ابى ثابت . وابن خلدون يروى شائعات ظهرت فى ذلك الوقت ، رواها له شيخه ، ومضمونها أن الذى أمر بنهب القافلة المصرية هو

السلطان أبو ثابت نفسه ، يقول ابن خلدون « قال لي شيخنا (محمد بن إبراهيم الأبلبي) وكان الناس إذ ذاك لا يشكون أن انتهابهم كان باذن منه (أبو ثابت) وكان هذا الكتب دليلا على ما في نفسه » (١٨) وقد يكون ذلك الرأي صحيحا لأنه يبدو أن العبارة التي ردها الوفد المصري للسلطان أبي ثابت - أنا قادمون من عند ملك المغرب - كانت قاسية عليه . ويبدو أن هذه الرسالة تركت أثارا سيئة على جو العلاقات المرينية المصرية ، فقد أدت إلى قطيعة ، استمرت حتى عهد السلطان أبي الحسن المريني . ففى عهده استأنفت العلاقات مرة ثانية ، بل وصلت في عهده إلى عصرها الذهبي (١٩) .

— كان استيلاء السلطان أبي الحسن المريني على المغرب الأوسط انتصارا سياسيا كبيرا ، أعاد إلى الأذهان ما كان للمرينيين من مكانة عظيمة في أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة مصر والمشرق العربي ، وهذا هو السر في تصميم المرينيين طول فترة حكمهم في المغرب الأقصى ، على بسط نفوذهم على المغرب الأوسط ، فالاستيلاء عليه يضمن افتتاح الدولة المرينية على بقية أجزاء العالم الإسلامي . لذا سارع أبو الحسن فور استيلائه على المغرب الأوسط بإرسال سفارة إلى السلطان الناصر محمد قلاوون ، يخبره فيها بالفتح وزوال العقبات التي كانت تعترض طريق الحجيج المرينيين ، وكان سفره في ذلك فارس بن ميمون بن وردار ، وقد لقيت هذه السفارة ترحيبا من السلطان الناصر الذي رد بكتاب يقرر فيه المودة والصداقة بين الدولتين (٢٠) . وتضمن هذا الرد عزاء السلطان محمد قلاوون في والده السلطان أبي الحسن ، وكان أبو الحسن قد أرسل مع أحد الحجاج المرينيين من رجال بلاطه وهو عثمان بن جرار رسالة إلى السلطان الناصر محمد قلاوون ، يخبره فيها بعزم والدته على الحج ، وقد قام عثمان بن جرار بهذه المهمة سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) (٢١) .

قرر السلطان أبو الحسن المريني أن يقوم بنفسه ، بكتابة نسخة من المصحف الكريم بخط يده - وكان حاذقا بفن الخط - ليوقفها بالحرم المكي الشريف (٢٢) . ولما أتم نسخها بيده ٥٠ جمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتمهيدها وصنع لها وعاء مؤلفا من الالبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينا لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، (٢٣) .

وخرجت قافلة الحج المرينية التي تحمل هذا المصحف من تلمسان سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) ، وأوفد معها السلطان أبو الحسن كبار رجال دولته ، وخواص مجلسه مثل عريف بن يحيى أمير زغبة - من عرب بن هلال - وعطية بن مهلهل كبير

الخلوة ، وكاتبه أبا الفضل بن محمد بن أى مدين ، وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته عبو ابن قاسم المزوار (٢٤) .

وأرسل أبو الحسن مع هذا الوقد هدية ضخمة ، كانت حديث المجالس فى المغرب والمشرق ، وقد وقف ابن خلدون بنفسه على برنامج هذه الهدية بخط أى الفضل بن محمد بن أى مدين فقد كان فيها « خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والقضة ولجمها خالصا ومغشى وموها وخمسمائة جبل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزر معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساباجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب إلى اللط ومن خرثى المغرب وما عونه وما يستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت » (٢٥) .

وكان ضمن القافلة الحرة مريم ، وهى حظية من حظايا والد السلطان أى الحسن ، وكان أبو الحسن يجعلها بمنزلة والدته ، وقد نص ابن مرزوق على أنها كانت أما لأخت أى الحسن (٢٦) وقد وصل الركب إلى مصر فى الثانى عشر من رمضان سنة (٣٧٨ هـ / ١٣٣٨ م) (٢٧) . ونزل من الاصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بقال النقل سوى الجمال لحمل هدايا السلطان أى الحسن المرافقة لركب الحج المرىنى . وقد أمر الناصر محمد قلاوون المهندار باستقبال الركب المرىنى ، فأنزله المهندار بالقرافة بالقرب من مسجد الفتح ، وكان يوم طلوع الهدية المرىنية يوما مشهودا ، حيث فرق السلطان الناصر الهدية على الأمراء بأسرهم كل على قدر مرتبته حتى نفذت كلها ، عدا الجوهرة واللؤلؤ ، اختص به الناصر نفسه ، وقد قدرت قيمة الهدية المرىنية بما يزيد على مائة ألف ألف دينار (٢٨) .

وقد احتفى الناصر بالركب احتفاء أكد علاقات الود بين مصر والمرىنيين ، فنقلت الحرة مريم ومن معها بعد ذلك إلى الميدان ، وأجريت عليهم الرواتب « من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكره ماعمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم فى كل يوم عدة وثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربيع قنطار سكرا وثمانى فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم » (٢٩) . ولما حان وقت سفر الحرة إلى الأراضى الحجازية أمر الناصر النشو بتجهيزها اللائق بها فقام بتجهيز كل ماتحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والدقيق والسكر وغيرها ، كما أمر السلطان الناصر جمال الدين متولى الجيزة أن يرسل بها فى ركب لها بمفردها قدام الحمل ، ويمثل كل ما تأمره به ، وكتب لأمرى مكة والمدينة بخدمتها ورعايتها (٣٠) .

ولما عاد ركب الحجاج المرينيين من الأراضي الحجازية ، جهز معهم الناصر هدية للسلطان أبي الحسن المريني اشتملت على ثياب صنعت في الإسكندرية بديعة النسيج مرقومة بالذهب ، وفساطيط غريبة الشكل والصنعة ، وخيمة مصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب مبطنة من الداخل بالحزير العراقي ، وصوان مربع الشكل مصنوع من الحرير ، وعشرة جياد بسروج ولجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة ومرصعة باللؤلؤ (٣١) .

ثم كتب السلطان أبو الحسن نسخة أخرى من المصحف ، بنفس الطريقة التي كتب بها نسخة الحرم المكي ، ووقفها على الحرم المدني في المدينة المنورة ، وبعث بها مع عدد من رجال دولته سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) (٣٢) . وظلت العلاقات الودية قائمة بين أبي الحسن والملك الناصر حتى توفي هذا الأخير سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) (٣٣) . وقد شهد الناصر ملكا طويلا ، عاصر فيه خمسة من ملوك بني موهن ابتداء من أبي يعقوب يوسف إلى أبي الحسن ، ونظرا للفتن الداخلية التي نشأت بين أبناء الناصر بعد وفاته ، فقد ضعف بسببها أمن طريق الحج ، لذا توقف بعث الحجيج المغربي إلى البقاع المقدسة بضع سنوات (٣٤) . وما أن استقرت مقاليد الأمور في يد الصالح أبي الفداء إسماعيل سنة (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) ، وأمن طريق الحج ، حتى أرسل السلطان أبو الحسن كاتبه وصاحب ديوان الخراج في دولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين يحمل رسالة ، لتقديم العزاء في الملك الناصر ، وكان بصحبته الحرة مريم أخت السلطان أبي الحسن لأداء فريضة الحج ، وقد وصل أبو الفضل والحرة مريم إلى مصر في منتصف شعبان سنة (٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) . واستطاع هذا الوزير أن يقوم بمهمته في مصر على خير وجه ، وأن يظهر في أدائها أبهة سلطانه أبي الحسن ، بما أنفق على المستضعفين من الحجاج في طريقه ، وماقدمه من تحف إلى رجال الدولة المملوكية ، وما أظهره من تعفف عما في أيديهم (٣٥) .

وقد رد الصالح أبو الفداء إسماعيل على رسالة السلطان أبي الحسن برسالة أخرى حملها الوزير أبو الفضل بعد عودته من أداء فريضة الحج إلى بلاد المغرب ، وهي مؤرخة بتاريخ السادس من رمضان سنة (٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) وقد دمج هذه الرسالة الأديب المصري المعروف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٣٦) .

ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن المريني بعد استيلائه على إفريقية. شرع في كتابة نسخة ثالثة من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس ، ثم يعود فيقرر أن السلطان لم يكمل هذه النسخة ، وأنه توفي قبل الفراغ منها (٣٧) ولكن ابن الوردي في تمة المختصر يؤكد ، أن المصحف الثالث قد أرسل فعلا إلى بيت المقدس . قبل سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، وأن أبا الحسن اشترى أملاكا بعشرة آلاف دينار ووقفها على

خزنة وقراء هذا المصحف ، وقد وقف ابن الوردي بنفسه على نسخة توقيع بمساحة الحكومة المصرية لهذه الأوقاف من كافة الضرائب التي تفرض على أمثالها ، وهذا التوقيع من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري (٣٨) . وقد أكد وجود هذا المصحف بيت المقدس خلال القرن الحادى عشر الهجرى الشيخ أبو العباس المقرئ ، فقد رآه بنفسه ومدح ربعته بأنها فى غاية الدقة والصنعة (٣٩) .

وقد شهدت العلاقات المربنية المصرية فى أواخر عهد السلطان أبى الحسن فتورا ملحوظا ، فحين فر الوزير الحفصى ابن تافراجين ، الذين كان يمثل المقاومة ضد الوجود المربنى فى إفريقيا - إلى مصر ، أرسل السلطان أبو الحسن إلى السلطان المملوكى فى مصر حسن بن الناصر قلاوون يرجوه القبض على ابن تافراجين وتسليمه إليه ، وقد قوبلت هذه الرسالة بالرفض من جانب السلطات المصرية ، لأن ابن تافراجين كان فى حماية بعض الأمراء المماليك الأقوياء فى ذلك الوقت (٤٠) .

ولم يقتصر دور قوافل الحج على دعم العلاقات الدينية والسياسية بين المربنيين من ناحية ومصر والمشرق العربى من ناحية أخرى ، وإنما اتسع دورها لأكثر من ذلك ، فالذى لاشك فيه أنه من خلال هذه القوافل تدعمت أيضا العلاقات الاقتصادية بين المربنيين وهذه البلاد ، فقد حملت قوافل الحج فى عودتها منتجات هذه البلاد إلى الأسواق المربنية ، كما كانت وسيلة مضمونة لتصدير السلع المغربية إلى مصر وبلاد المشرق فى مواعيد محددة من كل علم يضاف إلى ذلك ما أحدثته هذه القوافل من تنشيط للصناعات المغربية المختلفة التى حملتها هذه القوافل كهدايا من البلاط المربنى لهذه البلاد . كما أن خيول المغرب المنتقا ، كان لها حظ كبير فى التجارة المربنية فقد كان حرص سلاطين مصر على اقتناء هذه الخيول ، يدفعهم إلى الإرسال فى طلبها من المربنيين ، كما حدث فى أيام السلطان برقوق الذى بعث برسائله وهدايا إلى سلطان فاس أبى العباس بن أبى سالم لشراء كثير من خيول المغرب المنتقا (٤١) .

أما العلاقات الثقافية ، فقد كان لها نفس الحظ من النشاط ، حيث كان بعض علماء الدولة المربنية ، يشعرون أنهم عليهم أن يغفلوا أنفسهم بعلم المشرق ، فى سبيل ذلك رحلوا إلى بلاد المشرق العربى ومصر فقابلوا هناك العلماء فى الشام والعراق والجزيرة العربية ، ومن هؤلاء عبد الله المربنى الذى رحل إلى الإسكندرية ، وأقام بها ، وانضم إلى أقرانه من العلماء من أمثال ابن رواج والسبط وأبى العباس القرطبى وابن عبد السلام وأبى محمد بن برطلة ، وأصبح عبد الله المربنى مثلهم مصدرا من مصادر الحديث (٤٢) . ومن الذين قرعوا على هذا الشيخ المربنى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر الزواوى ، الذى كان قاضيا لدمشق والمتوفى بها فى جمادى الأولى سنة (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) (٤٣) . ومن

العلماء المرينيين الذين زاروا مصر وتعلقت أنفسهم بها المقرئ (الجد) كبير علماء المغرب الذى وصف القاهرة أيام زيارته لها بأبلغ الأوصاف فقال : « فانتقلت إلى القاهرة أول ذى القعدة فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العلم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الدر من البشر ، وأيوان الإسلام ، وكبرى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى أوجه ، وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضيء البدر الكواكب من علمائه » (٤٤) . وقد سئل المقرئ عن القاهرة فى زمانه ؟ فقال : « من لم يرها لم يعرف عز الإسلام » (٤٥) . وقد أجاب أبو القاسم البرجى سفير أى عنان المرينى إلى مصر سنة (٧٥٥ هـ / ١٣٤٥ م) عن نفس السؤال بمحضر من السلطان أى عنان المرينى بقوله : « أقول فى العبارة عنها على سبيل الاختصار : أن الذى يتخيله الإنسان فإن ما يراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس إلا القاهرة فأنها أوسع من كل ما يتخيل فيها » (٤٦) .

ومن العلماء المرينيين الذين نهلوا من فيض علماء مصر أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ، فقد بلغ عدد العلماء الذين تتلمذ وقرأ عليهم هذا العالم المرينى فى مصر أكثر من أربعين عالما ذكرهم المقرئ فى نفع الطيب ، عاش أغلبهم فى القاهرة ، وبعضهم كان فى الاسكندرية كأحمد المرادى بن العشاب ، وأبى القاسم بن على بن البراء والناصر بن المنير ، وبمدينة بلبس أسد الدين يوسف بن داود الأيوبى ، وهو من أبناء الملوك . ولم يترك ابن مرزوق أحدا فى مصر إلا وتعلم منه أو قرأ عليه ، حتى أنه قابل الشيخة المسندة ، فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى التى يذكر المقرئ نقلا عن الاحاطة أنها كانت : ست الفقهاء (٤٧) .

كما رحل إلى العاصمة المرينية فاس بعض علماء المشرق من أمثال محمد الهادى بن أبى القاسم بن نفيس الشريف ، وهو جد الشرفاء العراقيين بفاس ، وكان عالما أدبيا ذا منزلة كبيرة عند الخاصة والعامة من ملوك زمانه ، وقد خرج السلطان أبو سعيد عثمان المرينى للقاء هذا العالم العراقى الجليل بنفسه ، ورحب به وأكرمه وأجزل صلته (٤٨) . كما توافد على ولده السلطان أبى الحسن المرينى كثير من القصاد « من بلاد الحجاز واليمن والعراق .. فأوسع لهم العطاء الجزيل ، وأولاهم من فضله بالجميل » (٤٩) . ومن بين هؤلاء الوافدين ، أولاد أبى عميرة الحسينيين أهل مكة ، وأولاد جهاز المدنيين الحسينيين ، وعدد كبير من شرفاء الحلة وشرفاء العراق ، وفقهاء مكة من أمثال أبى عبد الله بن عبد المعافى وأولاده ، ومن فقهاء المدينة أيضا وفد إلى فاس فقيه المدينة أبو الحسن بن فرحون ، ومعه خلق كثير لا يحصون من كثرتهم (٥٠) . وأصبحت الدولة المرينية محطاً لأنظار المشرق الإسلامى حيث تنابعت عليها الوفود تنهل من خير أبى الحسن وفضله فوفد عليه « من الشام ومصر والعراق وبلاد العجم طوائف فلا ينصرف عنه منصرف إلا وقد نال منه فوق ما أمله » (٥١) .

ويبدو أن الفترة المتبقية من تاريخ الدولة المرينية لم تشهد من العلاقات بين المرينيين ومصر والمشرق العربى ، مثلما شهدته الدولة المرينية فى الفترة السابقة ، ولا أدل على ذلك من أن المصادر قد لزمّت الصمت عن الحديث فى شأن هذه العلاقات ، ولم يقطع هذا الصمت سوى رسالة حفظها القلقشندى متبادلة بين السلطان عثمان بن أبى العباسى المرينى ، والسلطان فرج بن أبى سعيد برقوق فى شعبان سنة (٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م) (٥٢) . وفيها يتحدث السلطان المرينى عن أهداف الرسالة فيقول : « وكتابنا هذا يقرر لكم من وادانا ماشاع وذاع ويؤكد من اخلاصنا إليكم ما تحدث به السمار » (٥٣) . وفى نهاية الرسالة تعرض السلطان المرينى ما كان قد عزم عليه من تقديم المساعدات العسكرية لمصر ضد أعدائها التتار وفى هذا الشأن يقول : « عزمنا على أن نمدكم من عسكرينا المظفرة بما يضييق عنه الفضا ، ونجهز لجهتكم من أساطيلنا المنصورة ما يحمد فى امداد المناصرة ويرضى » (٥٤) .

وتعنى هذه الرسالة أن بنى مرين وقفوا من سلطنة المماليك فى مصر موقف المترقب عندما دهم خطر التتار المشرق العربى أيام تيمور لك سنة (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) (٥٥) . ويبدو أن السلطان المرينى عثمان بن أبى العباس كان يتابع موقف الجبهة المصرية أمام التتار أولا بأول ويدل على ذلك تلك الرسالة التى بعث بها السلطان فرج بن برقوق إلى فاس يشرح فيها للسلطان المرينى الأسباب التى دعت إلى الانسحاب من دمشق والعودة إلى مصر ، مبررا ذلك بوجود مؤامرة للاستيلاء على الحكم فى مصر فى أثناء غيابه فى دمشق لاقامة سلطان جديد (٥٦) .

ثانيا : علاقة المرينيين بالدولة الحفصية (٥٦) :

كانت علاقة المرينيين ببنى حفص علاقة تتحكم فيها ظروف تطور الدولة المرينية ومن ثم مرت هذه العلاقات بمراحل لكل منها أهداف سعى المرينيون إلى تحقيقها ، سواء فى بلاد المغرب الأقصى ، أو فى إفريقيا نفسها ، وقد مرت هذه المراحل : على النحو التالى .

١ - مرحلة تبعية المرينيين الاسمية لبنى حفص :

وفى هذه المرحلة أعلن المرينيون تبعيةهم لبنى حفص ، وكان الغرض من إعلان هذه التبعية والالتزام بها ، اضافة لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم إلى تصفية الموحدين (٥٨) ، وعن هذه الحقيقة الهامة تحدث ابن خلدون فقال : « وكانت لهم (الحفصيون) أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبا زكريا ويعثون له بيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش » (٥٩) .

وقد ذهب المرينيون في تبعيتهم الاسمية هذه أبعد الحدود حتى لا يقاومهم الحفصيون ويقدمون لهم العون والمساعدة ضد الموحديين ، ومن ناحية أخرى لارضاء العامة في بلاد المغرب الأقصى وجذبهم إلى صفوفهم ، وفي سبيل ذلك كان المرينيون « يتحفونهم (الحفصيون) بالمال والهدايا في سبيل المدد على صاحب مراكش » (٦٠) . وقد تمت في هذا المجال سفارات متبادلة بين المرينيين وبنى حفص ، كان لها أثرها في تقريب وجهات النظر بين الطرفين وإظهار المودة والتقارب بينهما في الأهداف . ومن هذه السفارات المتبادلة ، السفارة التي أرسلها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) ، وقد قام بها عامر ابن إدريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكناني إلى البلاط الحفصي ، وقد رد المستنصر الحفصي على هذه السفارة سنة (٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) فأوفد على الأمير يعقوب بن عبد الحق كبير الموحديين يحيى بن صالح الهنتاني في وفد من مشيخة الموحديين ومعهم هدية عظيمة للأمير المريني (٦١) .

وظل المرينيون خاضعين لهذه التبعية حتى بعد فتحهم لمراكش واسقاطهم للدولة الموحدية ، فالزركشي يروي أنه في سنة « ثمان وستين وستائة قرئت بيعة صاحب المغرب الأقصى الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر » (٦٢) . وهذه الخطوة تمثل بعد نظر من أبي يوسف إذ أن الناس مازالوا قريبي العهد بمبادئ الموحدية ، والمرينيون مازالوا في حاجة إلى إبعاد الحفصيين عن الدخول في صراع معهم ، لأنهم ورثة هذه المبادئ الموحدية والمدافعين عنها .

وقد حرص المرينيون على إظهار أن تبعيتهم لبنى حفص لم تكن تتعدى مجرد التبعية الاسمية ، وقد بدأ ذلك منذ عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب ، فعندما حاصر تلمسان خرج عليه راشد بن محمد ، فتابعته جنود السلطان حتى دخل إلى الأراضي الحفصية في إفريقيا ، وهنا وقف الحفصيون في وجه القوة المرينية ، التي تتابع راشد ، وفي هذه الآونة كان هناك ثائر آخر على الحفصيين لاز بالفرار إلى بلاط المرينيين سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) وهو عثمان ابن سباع بن دريد ، اتخذ من تعكر صفو الأحوال بين المرينيين والحفصيين سبيلا إلى دعوة بني مرين إلى احتلال بجاية التي كانت ضمن أملاك الحفصيين ، واستجاب السلطان يوسف إلى هذه الدعوة ، وكانت استجابته هذه بمثابة إعلان . بنهاية تبعية المرينيين الاسمية لبنى حفص . وأصدر السلطان يوسف بن يعقوب أوامره إلى أخيه الأمير أبي يحيى بالتوجه للاستيلاء على بجاية . ونجح الأمير أبو يحيى في مهمته ، ودخل بجاية وسيطر عليها ، وخرب روض السلطان الحفصي بها المسمى بالبديع وكان من آنق الرياض واحفلها . وتوقف أبو يحيى عند هذا الحد وعاد أدراجه من حيث أتى (٦٣) .

وقد انعكس أثر هذه الأحداث على سلوك الحفصيين بعد ذلك إذ حرصوا على تحسين علاقاتهم بالمرينيين ففي سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) أوفد سلطان تونس الحفصي الملقب بأبي عصيدة بن يحيى الوائلي على السلطان المريني يوسف بن يعقوب « محمد بن أكايزر عاقدا أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقربا سوابق السلف » (٦٤) وتعددت سفارات الحفصيين بعد ذلك وقد أجملها ابن خلدون بقوله : « وناغاه (السلطان يوسف بن يعقوب) الأمير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك ، وبر السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن أكايزر سنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يزريكن في وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عثيمين ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان في تكريمهم ماشاء ووصلهم إلى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونمقت فملأ قلوبهم جلالة وعظمة ثم بعثهم إلى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز إلى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكريمهم وإتحافهم » (٦٥) .

وقد أدى التحسن في العلاقات على هذا النحو إلى توطيدها مما دعى السلطان يوسف ابن يعقوب إلى الاستعانة بالأسطول الحفصي لإحكام الحصار حول تلمسان ، وقد لقي أفراد الأسطول الحفصي مبرة كبيرة من عامل وهران المريني بناء على الأوامر التي صدرت إليه من السلطان المريني في هذا الشأن (٦٦) .

٢ - مرحلة السيطرة المرينية على الحفصيين :

وهذه المرحلة بدأت بمقدمات ظهرت أولا طبيعية عندما طلب السلطان أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي معاونة السلطان أبي سعيد عثمان المريني ، لدفع خطر بني عبد الواد الذي اقتحموا تونس ونصبوا على ملك الحفصيين محمد بن عمران أحد عملائهم (٦٧) . ولكن الحفصيين نجحوا في استعادة عاصمتهم تونس قبل وصول المدد المريني ، وقد وجد السلطان أبو سعيد المريني في هذا التقارب بين الدولتين فرصة لتقوية العلاقات بينهما ، فأرسل في خطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى لولده الأمير أبي الحسن (٦٨) . ورغم أن أحدا من المؤرخين لم يفصح عن نوايا المرينيين الحقيقية في ذلك الوقت من وراء هذه المصاهرة ، إلا أنها كانت على كل حال إضعافا لموقف بني زيان في المغرب الأوسط ، بل أنها أودت بعرشهم في النهاية لأن الضربات التي وجهها أبو الحسن المريني إلى المغرب الأوسط كان من أسبابها الانتقام لأصهاره الحفصيين ، وتأمين بلادهم من خطر بني عبد الواد (٦٩) - وقد شعر أبو الحسن بأهمية ارتباطه بمصاهرة الحفصيين في إفريقية ، ولذلك كان أصراره على مصاهرتهم مرة ثانية ، بعد

أن فقد زوجته الحفصية الأولى فاطمة بنت أبي يحيى الحفصى في موقعة طريف (٧٠) . ورغم تردد الحفصيين في قبول مصاهرة أبي الحسن مرة ثانية ، إلا أنهم اضطروا إلى قبولها ويبدوا أن ذلك كان رغماً عنهم ، وساقها السلطان الحفصى إلى أبي الحسن كما يقول القلقشندي سوق الأمة (٧١) .

وقد ربطت علاقة المصاهرة بين الدولتين المرينية والحفصية برابط قوى ومتين ودليل ذلك أن السلطان أبي يحيى الحفصى جعل السلطان أبي الحسن المريني في منزلة الوصى على العرش الحفصى عند وفاته ، فحين كتب السلطان الحفصى وثيقة ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد ، جعل صهره أبي الحسن الضامن لالتزام سائر الأمراء الحفصيين بتنفيذ الوثيقة (٧٢) ، وكان خلاف الأمراء الحفصيين بعد وفاة أبي يحيى الحفصى ومقتل الأمير أبي العباس أحمد - ولي العهد الشرعى بيد أخيه الأمير أبي حفص عمر في رمضان سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٧٣) - سبيلا إلى تدخل أبي الحسن في إفريقية ومبررا لتنفيذ كل مشروعات التوسع المرينية التى كانت علاقة المصاهرة هذه تحول دون إتمامها .

وإذا كانت عمليات التوسع المرينية في إفريقية من الأسباب التى أودت بحكم أبي الحسن المريني ، فأنها حولت العلاقات المرينية الحفصية من علاقات يسودها جو الود والإخاء إلى علاقات عدائية ، يقف فيها كل طرف من الطرفين للآخر موقف المتربص ، رغم ترحيب كثير من أمراء البيت الحفصى أول الأمر بحركة أبي الحسن نحو إفريقية . وقد تم الاحتلال المريني لمعظم بلاد إفريقية على فترتين الأولى كانت من سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) إلى سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) خلال عهد السلطان أبي الحسن ، والثانية من سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) إلى سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) خلال عهد السلطان أبي عنان . وقد استوفى البحث دراسة هاتين الفترتين في الفصل الثانى (٧٤) . وبوفاة أبي عنان وانتقال اللولة المرينية إلى عصر نفوذ الوزراء دخلت العلاقات المرينية الحفصية مرحلة جديدة من العلاقات تختلف عما كان في المرحلتين السابقتين .

٣ - مرحلة العلاقات الودية بين المرينيين والحفصيين :

أثرت الأحداث التى شغلت المرينيين بعد وفاة السلطان أبي عنان - سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - على جو العلاقات بين المرينيين والحفصيين ، إذ أخذت تسير في اتجاه جديد يقوم على الود المتبادل بين الدولتين ، وساعد على ذلك ما كان قائما من خلاقات حادة بين أبناء البيت المرينى وصراع للوصول إلى العرش ففى سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) أطلق منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الحق المرينى سراح أبي العباس الحفصى صاحب قسنطينة - وكانت قسنطينة هى آخر ماتبقى للمرينيين في إفريقية (٧٥) .

وقد صادف خروج أئى العباس الحفصى من سجنه بسبته ، نزول الأمر أئى سالم بن أئى الحسن فى جبل الصفيحة على طريق سبته لطلب العرش المرىنى ، بعد وقلة أئىه أئى عنان (٧٦) . وقد التقى الأمران ، وطلب أبو سالم من أئى العباس الإقامة معه ، لمعاونته فى مهمته ، وفى مقابل ماقدمه أبو العباس الحفصى للأمر أئى سالم من مساعدات حتى اعتلى عرش الدولة المرىنية ، وجه أبو سالم - باعتباره سلطان بنى مرين الجديد - الأمر أئى العباس الحفصى إلى قسنطينة ومعه كتاب لمنصور ابن الحاج خلوف عامل قسنطينة المرىنى ، وتضمن هذا الكتاب أمرا له بأن يتنازل عن المدينة ويسلمها لأئى العباس الحفصى (٧٧) . وبهذا استعداد الحفصيون آخر ماكان فى أيدي المرىنيين من أملاكهم فى افريقية ، وبدأوا مع المرىنيين صفحة جديدة من العلاقات الودية .

وبدلوا أن العلاقات الودية استمرت بين المرىنيين والحفصيين طيلة فترة حكم السلطان الحفصى أئى العباس أحمد الذى توفى فى شعبان سنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م) ، إذ لا يوجد فى المصادر ما يشير إلى تعكر صفو هذه العلاقات (٧٨) . حتى إذا كانت سنة (٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م) وصل إلى البلاط المرىنى نائر حفصى وهو أبو عبد الله محمد ، يطلب معاونته السلطان المرىنى أئى فارس عبد العزيز ضد السلطان الحفصى أئى قلس عبد العزيز وقد استجاب السلطان المرىنى إلى نداء ذلك النائر ، وأرسل معه حملة من جند بنى مرين (٧٩) . ولكن هذه القوات المرىنية مالبت أن عادت إلى المغرب الأقصى ، بأمر من الأمر الحفصى أئى عبد الله محمد ، وذلك بعد أن وصل هذا الأمر إلى مسافة قريبة من مدينة بجاية ، وانضم إليه عندها عرب افريقية ، ورأى كثرتهم فأغراه ذلك بالاستفتاء عن القوة المرىنية (٨٠) . وقد أوقعت هذه التطورات العلاقات المرىنية الحفصية فى جو من التوتر ، فبعد أن نجح السلطان أبو فارس عبد العزيز فى القضاء على النائر عليه أئى عبد الله محمد ، قطع رأسه وبعث بها سرا مع رجل من رجال الطريق يقال له الحمصى إلى مدينة فاس فعلقه ليلا بباب المحروق بها ، فأصبح أهل فاس يتوارونه (٨١) .

ويشير ابن القنفذ إلى تحسين العلاقات ثانية بين الطرفين قئى سنة (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) وصل إلى البلاط الحفصى بعض الرسل يحملون هدية من السلطان المرىنى أئى سعيد عثمان المرىنى (٨٢) . ورغم ذلك فإن السلطان الحفصى أئى فارس عبد العزيز قام بحركته التى استولى فيها على تلمسان والمغرب الأوسط سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) (٨٣) . حرص على التوجه بقواته نحو فاس لاختضاعها هى الأخرى لمناطق نفوذه ، وما أن اقترب من فاس ، ولم يبق بينه وبينها إلا مسيرة يومين حتى وجه إليه صاحب فاس (أبو سعيد عثمان) إن البلاد بلادكم والسلطنة سلطتكم وجميع ماتأمروننا به بمثابة . فقبل السلطان أبو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة (٨٤) . ويروى

الزركشي أيضا أن السلطان أبا فارس الحفصي لحقته بعد أن عاد إلى تونس بيعة صاحب فاس (٨٥). ويعزى هذا الولاء المريني للسلطان الحفصي إلى ما كان يعانيه المرينيون من ضعف شديد في هذه الفترة من تاريخ دولتهم .

وظلت علاقة الولاء تحكم جو العلاقات بين الدولتين حتى نهاية حكم المرينيين في بلاد المغرب ، فبروى الزركشي أنه في سنة (٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م) أرسل السلطان عبد الحق المريني - آخر سلاطين بني مرين - هدية عظيمة إلى السلطان الحفصي ، وكان الرسول المريني الذي يحمل هذه الهدية بصحبة الفقيه أحمد البنزرتي ، وقد أنزل الحفصيون هذا الرسول في دار عظيمة ، وأجريت له الأرزاق إلى أن أدخل بهديته على السلطان الحفصي (٨٦) .

مما لا شك فيه أن العلاقات الاقتصادية بين بني مرين والحفصيين كانت تتأثر إلى حد كبير بالأوضاع السياسية بين المرينيين وبني عبد الواد ، فهذه العلاقات كانت تنشط في تلك الفترات التي كان يسود فيها السلم بين بني عبد الواد والمرينيين ، أو في الفترات التي كان المرينيون يحتلون فيها المغرب الأوسط ، ففي هذه الفترات يصبح الطريق مأمونا أمام القوافل التجارية ، وكانت قوافل الحج المتجهة إلى مصر والمشرق العربي تقوم بدور رئيسي في هذا النشاط الاقتصادي بين إفريقية الحفصية والمغرب الأقصى في العهد المريني ولذلك حرص المرينيون دائما على تثبيت أقدامهم في المغرب الأوسط .

ولم تتأثر العلاقات الثقافية بين المرينيين والحفصيين كثيرا بالأوضاع السياسية ، وقد زادت إلى حد كبير في عهد السلطان أبي الحسن المريني ، ولا أدل على ذلك من أن أبا الحسن عندما رحل من إفريقية أثر فشله هناك ، اصطحب معه في سفنه التي ألق بها من إفريقية نحو من أربعمئة عالم منهم السطى وابن الصباغ (٨٧) ، وكان تنقل العلماء بين إفريقية والمغرب الأقصى يتم في سهولة ويسر دون أن يعترض حركتهم في سبيل العلم معترض ، فابن مرزوق الخطيب بعد أن ضاقت به الأحوال في الدولة المرينية رحل إلى تونس في رمضان سنة (٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م) فلقى في هذه المدينة الميرة والكرامة ويذكر المقرئ أن ابن مرزوق قال : « ووليت خطابة جامع ملكها وتدرّس أم المدارس فيها وهي المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها إلى أن توفي سنة إحدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه » (٨٨) .

ثالثا : علاقة المرينيين ببني عبد الواد (٨٩) :

كانت العلاقة بين المرينيين وبني عبد الواد في المغرب الأوسط عدائية ، لم تشهد طيلة قيام المرينيين في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدا من السلام بين الدولتين ، وفي أغلب الأحوال كان ذلك السلام مفروضا على بني عبد الواد ، فإذا ما واتهم الفرصة لنقضه سارعوا

إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء . وقد مرت هذه العلاقات بينهما في المراحل التالية :

أولا : مرحلة الصراع قبل قيام الدولة المرينية :

عداء بنى مرين وبنى عبد الواد عداء قديم له جذوره الضاربة في أعماق التاريخ ، فبنى عبد الواد بطن من بطون بنى يادين الخمسة ، وبنى يادين هؤلاء كانوا في صراع دائم مع بنى مرين ، وكانت الغلبة دائما لبنى يادين لكثرة عددهم ، حتى اضطر المرينيون إلى الإقامة بصفة دائمة في مجالات القفر في المغرب الأوسط متنقلين بها (٩٠) . وبعد زوال دولة المرابطين ، وانتقال زمام الأمور إلى الموحدين ، أصبح بنو عبد الواد من أخلص أتباع الموحدين في المغرب الأوسط ، ولم يرض المرينيون أول الأمر بأن يكونوا أتباعاً للموحدين كبنى عبد الواد ، بل أظهروا عدم الرضا بهم ، وكان ذلك عندما خرج الخضب - شيخ بنى مرين - لاعتراض قافلة الموحدين التي كانت تحمل أموال لمتونة التي غنمها عبد المؤمن بن علي بعد استيلائه على وهران ، وكان عبد المؤمن قد وجه هذه القافلة إلى تينال لتكون في مأمن حيث كانت داره هناك . ولما علم عبد المؤمن بن علي بخروج الخضب للاستيلاء على الأموال ، استنفر أنصاره من زنانة وعلى رأسهم بنى عبد الواد لحرب بنى مرين ، وكان لقاء بنى عبد الواد ومن معهم ببنى مرين عند فحص حبسون ، وهناك ألحقوا بالمرينيين هزيمة فادحة وقتلوا الخضب وبعثوا برأسه إلى عبد المؤمن بن علي ، وكان ذلك في سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) (٩١) . ولاشك أن المرينيين كانوا يشعرون بالمرارة مما يلقونه من بنى عبد الواد أثناء عموماتهم ، وتصاعدت موجة العداء بين الطرفين إلى درجة أن المرينيين رحلوا من المغرب الأوسط في سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) ، في أعقاب حرب دارت بين بنى مرين وبنى عبد الواد بسبب امرأة كما يقول صاحب الذخيرة السنية ، واستقر المرينيون بعد رحيلهم هناك عند مدخل المغرب الأقصى ، وبالتحديد عند الجبل المطل على وادي ملوية ، والذي يفصل بلاد المغرب عن بلاد الصحراء وظلوا هناك حتى دخلوا المغرب سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) (٩٢) .

هذه الأحداث كان لها أثرها في تأصيل العداء بين المرينيين وبنى عبد الواد ، وقد استغل الموحدون هذا العداء في أثناء الصراع الذي دار بينهم وبين بنى مرين ، والذي استمر منذ دخول بنى مرين إلى المغرب الأقصى في سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) وحتى سقوط دولة الموحدين سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) .

وكانت أول صور التحالف بين الموحدين وبنى عبد الواد ، عندما تحالف يغمراسن بن زيان مع السعيد الموحدي وبنى عسكر ، ولكن الأمير أبا يحيى المريني نجح في

فض هذا التحالف سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (٩٣) . وعاد بنو عبد الواد تحالفهم مع الموحدين ضد بنى مرين عندما استنجد المرتضى الموحدى يغمراسن بن زيان ، لتدعيم موقف الثوار الذين ثاروا ضد بنى مرين في فاس ، فخفف يغمراسن إلى مواجهة رباط تازي ، لشغل الأمير أبي يحيى عما يدور في فاس .

ولكن الأمير أبا يحيى تدارك الموقف ولاحق يغمراسن حتى ألحق به هزيمة فادحة عند أيسلي (٩٤) . وتحالف يغمراسن بن زيان أيضا مع آخر سلاطين الموحدين أبي دهبوس ، وحملت رسالته إلى أبي دهبوس كل ماتكنه نفسه من عدا صارخ لبني مرين فقال له : « إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حريمهم » (٩٥) . وقام يغمراسن بتنفيذ وعده لأبي دهبوس ، فشن غارات كثيفة على أطراف المغرب الأقصى وخاصة إقليم ملوية ، ليخفف من قسوة الحصار الذي ضربته الأمير يعقوب بن عبد الحق حول أبي دهبوس في مراكش (٩٦) . وقد دفع هذا يعقوب بن عبد الحق إلى توجيه ضربة انتقامية إلى يغمراسن بن زيان ، فهزمه يعقوب بن عبد الحق وقتل ابنه أبا حفص عمر عندما التقى المرينيون ببني عبد الواد عند وادي تلاغ (٩٧) . وعلا نجم بنى مرين بانتصارهم على أعدائهم الموحدين وخصومهم بنى عبد الواد (٩٨) .

ثانيا : حملات المرينيين التآديبية لبني عبد الواد :

وفي مطلع هذه المرحلة سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) ، مد المرينيون أيديهم إلى بنى عبد الواد ، يطلبون الصلح معهم ، ليتفرغوا للعمل ضد النصارى في الميدان الأندلسي ، ولكن يغمراسن رفض الصلح وأصر على موقفه العدائي من بنى مرين (٩٩) . وأمام هذا الوضع اضطر أبو يوسف إلى تلقين خصمه العنيد يغمراسن بن زيان درسا قاسيا ، فقاد حملة هزمه بها عند أيسلي ، وحاصر عاصمته تلمسان والحق بنواحيها أضرارا بالغة (١٠٠) . ورغم هذه الأحداث فقد أصر السلطان أبو يوسف يعقوب على التصالح مع بنى عبد الواد في المغرب الأوسط قبل عبوره الأول إلى الأندلس ، فأرسل السلطان أبو يوسف حفيده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بنى مرين « لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والمواصلة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم (يغمراسن) موصله وموصل قومه وبادر إلى الإجابة والألفة وأوقد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام » (١٠١) .

لم يدم هذا الصلح طويلا ، فما لبثت أن استيقظت كوامن العداء في نفس يغمراسن بن زيان ضد بنى مرين ، حين دعاه ابن الأحمر سلطان غرناطة ، إلى التحالف معه ضد أبي يوسف ، وجرى الاتفاق بينهما على أن يقوم يغمراسن بشن الغارات على الحدود الشرقية

للدولة المرينية ، لصرف أى يوسف عن العبور لثالث مرة إلى الأندلس (١٠٢) . وكان نقض هذا الصلح سببا في قيام أى يوسف بحملة تأديبية لبنى عبد الواد هزم فيها يغمراسن بن زيان عند موضع يعرف بالملعب بالقرب من تلمسان سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) (١٠٣) .

والذى يلفت النظر في هذه المرحلة أن المرينيين كانوا لا يوجهون حملاتهم إلى المغرب الأوسط ، إلا عندما يستفزهم بنو عبد الواد ، بالاعتداء على الحدود المرينية ، أو بالتحالف مع أعداء المرينيين في بلاد الأندلس ، أو عند ايوائهم للخارجين عليهم ، ففى سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) جرد السلطان أبو يعقوب يوسف حملة لتأديب بنى عبد الواد لايوائهم محمد بن عطوا الثائر في مراكش على السلطان أى يوسف - ورفضهم تسليمه إلى السلطات المرينية وقد حاصرت هذه الحملة تلمسان ستة عشر يوما وألحقت بنواحيا اضرارا بالغة (١٠٤) .

ووصلت الحملات التأديبية لبنى عبد الواد إلى ذروتها في سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) ، عندما حاصر السلطان أبو يعقوب يوسف تلمسان ، طيلة سبع سنوات كاملة ذاق فيها بنو عبد الواد مرارة الحصار (١٠٥) ، وتدخل القدر في إنقاذهم بمقتل السلطان أى يعقوب يوسف . وانسحاب المرينيين من المغرب الأوسط على أثر اتفاق تم بين بنى عبد الواد وسلطان بنى مرين الجديد أى ثابت (١٠٦) .

وكانت آخر الحملات التأديبية التى لقنها المرينيون لبنى عبد الواد ، تلك التى قام بها السلطان أبو سعيد المرينى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (١٠٧) .

وكان سببا نقض بنى عبد الواد لاتفاقهم الذى أبرموه مع السلطان أى الربيع ، والذى بمقتضاه ، يقوم بنو عبد الواد بتسليم الثائرين عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاس ، إلى بنى مرين ، وقام سلطان بنى عبد الواد أبو حمو بتسهيل قرارهما إلى الأندلس (١٠٨) .

ثالثا : مرحلة التبعية للمرينيين :

فشل السلطان أبو الحسن المرينى - الذى خلف والده السلطان أبا سعيد المرينى سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) - في الاتفاق مع بنى عبد الواد على صيغة للتعايش السلمى وحسن الجوار بين القوى الثلاث في بلاد المغرب ، المرينيون والحفصيون وبنو عبد الواد ، وجاءت هذه الجهود لأى الحسن بعد قيام بنى عبد الواد باحتلال أجزاء من ممتلكات الحفصيين أصهار أى الحسن ، وعاد بنو عبد الواد إلى أسلوبهم القديم في التعامل مع بنى مرين فأساء أبو تاشفين سلطان بنى عبد الواد الرد على رسل أى الحسن الذين وفدوا عليه لعرض

هذه الصيغة ، ولاحقهم جماعة من سفهاء العبيد في البلاط العبد الوادى بنفس الردود السيئة . وقد فجرت هذه الأحداث تطلعات أى الحسن ورغباته في التوسع في المغرب الأوسط لأن توسعه سيؤمن ظهوره في أثناء قيامه بالجهاد في الميدان الأندلسي لذا رأى أن يتخلص نهائيا من بنى عبد الواد (١٠٩) .

وفي سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) ، قام السلطان أبو الحسن بغزو شامل للمغرب الأوسط ، وتمكن من اقتحام تلمسان ، وقتل أى تاشفين سلطان بنى عبد الواد (١١٠) . وتلاشت دولتهم ، وأصبح المغرب الأوسط إقليما من أقاليم الدولة المرينية ، تجرى عليه نفس القواعد الإدارية المعمول بها في سائر أرجاء الدولة المرينية ، وحرص السلطان أبو الحسن في غمرة هذه الأحداث على تقوية علاقته بينى عبد الواد ، وأهالى المغرب الأوسط لإشعارهم بمكانتهم من الإدارة الجديدة ، وتمثل ذلك في معاملته لأهل تلمسان ، فشملهم بعطفه ، وأبقاهم في مناصبهم وامتيازاتهم ، وكفل أبناء أى تاشفين الصغار ، وأنزلهم في قصوره ، واستعمل منهم في جيشه من توسم فيه الكفاءة والشجاعة منهم (١١١) ، ويتحدث ابن مرزوق عما بذله أبو الحسن من أموال ومتاع لاسترضاء أهل تلمسان بعد الفتح فيقول : « وشهدت خروج أهل تلمسان إليه (أى الحسن) بعد عفوه عنهم وخروجهم تحت حكمه فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بجهازاتها ومهنداتها والكسى المناسبة والجهازات مابين مدجج ومذهب ومفضض ومنيل بالذهب والفضة ومسطح وهو القليل والكسى منها هو بالتفاصيل المكتب وغير المكتب ومنها بالقباطى المختلفة ومنها بالخز الرفيع وبغالى المال والمهندات منها الذهبى ومنها الفضى على حسب المناسب والمناصب وأعطى الضعفاء أهل تلمسان اثنى عشر ألف دينار من الذهب واثنى عشر ألف كساء ومن الطعام مطامير لا تحصى كثرة هذا شهادته وشهدت بعضه عدا ما وصل لكبار أهلها من الفقهاء والصلحاء والكتاب وذوى الوجاهة من الناس » (١١٢) .

ورغم هذا ظل بنو عبد الواد يضمرون العداء لبنى مرين ، وخاصة هؤلاء الذين ضمهم أبو الحسن المرينى إلى جيشه العامل في إفريقيا ، واستطاع هذا النفر من بنى عبد الواد توجيه ضربتهم إلى أى الحسن في الوقت المناسب بالنسحابهم من أرض المعركة التي دارت بين أى الحسن والقبائل العربية بالقرب من القيروان سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (١١٣) . وفي نفس السنة تمكنت هذه الجماعات من بنى عبد الواد من إحياء دولة بنى عبد الواد من جديد ، باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (١١٤) . وقد استفاد بنو عبد الواد في تدعيم موقفهم في المغرب الأوسط باستغلال الصراع بين أى الحسن وولده أى عنان ، وقد سمح لهم أبو عنان بالاستفادة من هذا الصراع إلى أقصى حد ممكن من خلال اتفاق تم بينه وبينهم (١١٥) . ولكن أبا عنان بعد وفاة أى

الحسن واستقرار وضعه في المغرب الأقصى استعاد ، المغرب الأوسط مرة ثانية إلى النفوذ المريني سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) (١١٦) . وسارت الأمور على هذه الحالة من التبعية الكاملة لبنى مرين حتى وفاة السلطان أبي عنان المريني سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) وظل بنو عبد الواد خلال عصر نفوذ الوزراء - الذي أعقب وفاة أبي عنان وحتى سقوط الدولة المرينية - على عدائهم لبنى مرين ، وخلال هذه الحقبة من تاريخ الدولة المرينية اضطر المرينيون أمام عداء بنى عبد الواد إلى معاودة احتلال المغرب الأوسط مرتين الأولى خلال عهد السلطان عبد العزيز المريني سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) (١١٧) . والثانية في عهد السلطان أبي العباس أحمد سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) (١١٨) .

ومما يلفت النظر أن المرينيين خلال فترات الاحتلال السابقة ، اعتبروا المغرب الأوسط جزءا من الدولة المرينية ، ولا أدل على ذلك من أن تلمسان والمنصورة أصبحتا طيلة إحدى عشرة سنة مقرا للحكومة المرينية يمارس منها أبو الحسن تسيير دفة الأمور في المغرب الأوسط والأقصى (١١٩) . وقد كانت هذه السنوات ، سنوات خير وبركة على المغرب الأوسط ، الذي نال من المرينيين عناية كبيرة ، فأنشأوا المدارس والمساجد والقصور كقصر النصر بالمنصورة ، ومسجدها الأعظم بمعدنته الضخمة ، وقد شيدهما أبو الحسن المريني (١٢٠) . كما شيّد أبو الحسن أيضا مدرسة بقرية العباد خارج تلمسان ، وحلّا حلوه ابنه أبو عنان فابتنى مدرسة أخرى إلى جوار ضريح الوالي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي ، بناها السلطان أبو عنان المريني سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) (١٢١) . واهتم المرينيون كثيرا بمجالس العلم ونشر التعليم ، ومجالس أبي الحسن مشهورة بتلمسان والتي ضمت كثيرا من العلماء والأدباء (١٢٢) . وأغرت كثيرا من طلبة العلم بالرحيل إلى فاس بعد ذلك لتلقى العلم على أئمتها وعلمائها ، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد السلوي الذي أصبح رائدا علميا في بلاد المغرب الأوسط ، حيث أسس له أبو تاشفين بن أبي حمو الزياني مدرسة يدرس بها ماحصله من علوم في فاس (١٢٣) . كما اهتم المرينيون بإعادة تعمير مدينة المنصورة التي سبق أنشأوها قبل ذلك بالقرب من تلمسان في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف (١٢٤) .

رابعا : علاقة المرينيين بالسودان الغربي :

ارتبطت الدولة المرينية ببلاد السودان الغربي بأوثق الروابط وامتن العلاقات الودية ، وكانت إمبراطورية مالي الكبرى تمثل أكبر الوحدات السياسية القائمة في بلاد السودان الغربي أيام بنى مرين (١٢٥) . وتقع مالي بين بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا وجبال البربر شمالا (١٢٦) . وقد حدد ابن خلدون المسافة التي تفصل بين هذه الإمبراطورية ، وبين آخر حدود الدولة المرينية المتاخمة للصحراء بمائة مرحلة (١٢٧) .

وقد ارتبطت الدولة المرينية بدولة مالى الكبرى عن طريق الطرق والمسالك التى تربط بلاد المغرب الأقصى ببلاد السودان الغربى ، وهذه الطرق تخرج من بلاد السوس الأقصى إلى مصب نهر السنغال ، أو من جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوبا (١٢٨) ، وهناك طريق آخر ، وهو الطريق الصحراوى الذى سلكه الرحالة ابن بطوطة ، والذى يبدأ من سجلماسة ، ويمر بينغازى ، وتاسر هلاثم ايوالاثن وهى أول عمالات السودان (١٢٩) .

وببلاد السودان تتجه جغرافيا نحو المغرب لصعوبة اتصالها بأية منطقة أخرى مجاورة ، وقد عبر عن هذه الحقيقة أحد الجغرافيين القدامى فيما نقله الدكتور صلاح الدين المنجد ، قال : « وليس لها (بلاد السودان) اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب ، لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم ، (١٣٠) . ومن هذه العلاقة الطبيعية الوطيدة بين بلاد السودان الغربى ، وبلاد المغرب نبعت العلاقات القوية ، بين الدولة المرينية ودولة مالى فى بلاد السودان الغربى ، ووصلت هذه العلاقات إلى درجة كبيرة من الازدهار والثم لم تصل إليها من قبل فى العهود السابقة ، حيث أعطى انتشار الإسلام فى بلاد السودان الغربى - وبخاصة دولة مالى - مركزا ثابتا لزاء الدولة المرينية وتجارتها (١٣١) .

وجاءت أول إشارة للعلاقات السياسية بين بنى مرين ومالى خلال عهد السلطان أبى الحسن المرىنى ، حين أرسل إليه سلطان مالى منسا موسى سفارة ترأسها فراققيس - أحد رجال البلاط المالى - .ومعه أحد المترجمين من المثلثين من صنهاجة ، وكان هدف هذه السفارة التهمة بانتصار السلطان أبى الحسن ، واستيلائه على المغرب الأوسط (١٣٢) ، وفى الحقيقة أن منسا موسى كان أول من اخترق الستار الحديدي للحاجز اللوى الذى كثيرا ما أبعد أهل بلاد السودان الغربى عن العالم المتمدين (١٣٣) .

وقد بالغ السلطان أبو الحسن فى استقبال الوفد المالى والاحتفاء به ، ورد على هذه السفارة ، بسفارة كبيرة ظهرت فيها أبهة الملك المرىنى ، حيث حملت هذه السفارة ، هدايا كثيرة إلى سلطان مالى ، تضمنت طرفا عظيمة ، « من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره وأسناها وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبى مدين ومولاه عتير الخصى » (١٣٤) .

وقد وصلت هذه السفارة المرينية إلى مالى فى عهد منسا سليمان ابن منسا موسى ، الذى كان قد توفى منذ قليل (١٣٥) . وقد أحسن منسا سليمان إلى أعضاء الوفد المرىنى وبالح إلى إكرامهم وضيافتهم ، وحتى إذا عادوا إلى بلاد المغرب أرسل منسا سليمان معهم إلى المغرب وفدا من كبار رجال مالى (١٣٦) « يعظمون سلطانه (أبأ الحسن المرىنى) ويوجبون

حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتقاله في مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه ، (١٣٧) .

وقد أحدثت وفاة السلطان أوى الحسن دويأ هائلا في بلاط مالى ، حيث أعلن بها ما يشبه الحداد الرسمى لوفاته ، وجلس منسا سليمان بنفسه لتقبل العزاء ووزع الطعام على القادمين لتقديم العزاء للسلطان ، وابن بطوطة الذى زار مالى في ذلك الوقت يصف ذلك الموقف فيروى : « أنه (منسا سليمان) صنع طعاما يرسم عزاء مولانا أوى الحسن رضى الله عنه واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم فأتوا بالربعات ، وختم القرآن ودعوا لمولانا أوى الحسن رحمه الله ودعوا لمنسا سليمان ، (١٣٨) .

وابن بطوطة قام بزيارة مالى بناء على رغبة من السلطان أوى عنان المرينى ، ويرى البعض أن الهدف الحقيقى وراء رحلة ابن بطوطة إلى مالى ، هو القيام بدراسة عملية للطرق التجارية التى تربط الدولة المرينية بمالى ، والوقوف على الحجم الحقيقى لتجارة الذهب المتبادلة بين ولايات النيجر (مالى) وبين مصر ، وذلك للعمل على تحويل ما استطاع تحويله منها إلى البلاد المرينية (١٣٩) . ومن ثم كانت معلومات ابن بطوطة عن التجارة وأحوالها في هذه المناطق وفيرة وغزيرة . وقد وقف ابن بطوطة على كثير من عناصر رخاء المنطقة وازدهارها في مجالات الزراعة والتجارة (١٤٠) . وأوضح مدى التسهيلات التى يلقاها التجار المغاربة في مالى ، ومدى ما ينعمون به من أمن واطمئنان على أموالهم ، وهذه القاعدة الأمنية الهامة أثرت كثيرا في ازدياد النشاط التجارى بين البلاد المرينية ومالى ، ويتحدث ابن بطوطة عن ذلك بقوله : « فمن أفعالهم (أهل مالى) الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شئ منه ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقة » (١٤١) .

استمرت العلاقات الودية بين مالى وبنى مرين ، وكان تبادل الهدايا بين البلاطين شيئا يحظى باهتمام سلاطين الدولتين ، فكان منسا سليمان قبل وفاة السلطان أوى الحسن ، قد جهز هدية نفيسة لتوجيهها إلى أوى الحسن ، وصلت الهدية بالفعل إلى والاته ، ولكنها اختزنت هناك نظرا لوفاة مرسلها منسا سليمان (١٤٢) . وظلت على هذه الحال حتى تولى ملك مالى منسا زاطة ، فأمر بارسال الهدية على الفور إلى السلطان أوى سالم المرينى ، وضم إلى الهدية ، « حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى فاس في صفر سنة اثنين وستين » (١٤٣) . وكان يوم وصول الهدية يوما مشهودا حيث جلس السلطان ببرج الذهب لاستعراض الهدية ، وازدحم الناس لمشاهدتها ،

وأنشد الشعراء قصائدهم في المدح والتهنئة ، « وحضر الوفد بين يدي السلطان (أبو سالم) وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء المهدية ... واستقر ذلك الوفد في ايالة السلطان وتحت جرايته » (١٤٤) .

وصاحب هذه العلاقات السياسية الودية انتقال بعض المؤثرات والتنظيمات الإدارية المرينية إلى دولة مالى ، فكان بهذه الدولة ، الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين ، والجيش ، الذى وصل عدد الجند فيه إلى مائة ألف كان منهم نحو عشرة آلاف من الخيالة الفرسان ، وباقيهم من الرجال لا خيل لهم (١٤٥) .

أما العلاقات التجارية بين المرينيين ومالى فلا بد وأنها سبقت العلاقات الدبلوماسية بأمد بعيد ، والمعروف أنها بدأت على المستوى الرسمى بين الدولتين في عهد منسا موسى . وفى الحقيقة أن منسا موسى جعل لمالى إلى جانب مركزها السياسى فى شمال أفريقيا ، مركزا اقتصاديا مرموقا فى سائر أرجاء العالم ، فحين أخذ منسا موسى طريقه إلى أداء فريضة الحج عن طريق القاهرة ، أخذ معه كميات ضخمة من الذهب ، مما أثر على سعره بالهبوط فى أسواق القاهرة (١٤٦) . ورحلة الحج هذه التى قام بها منسا موسى هى التى حددت منطقة السودان الغربى على أوائل الخرائط التى رسمت لأفريقيا فى أوروبا ، وقد ظهرت مالى وإمبراطوريتها فى هذه الخرائط على أنها سيدة الزوج ، علاوة على ذلك فعلى أصبحت جزءا من العالم الإسلامى ترتبط به بأوثق الروابط وأمتن الصلات ، وبخاصة بلاد المغرب (١٤٧) . وقد دعت قوة الاقتصاد ، وضخامة حجم التجارة فى مالى هذه الروابط والعلاقات ، وبطبيعة الحال كانت التجارة من أهم العناصر التى تربط الدولة المرينية بدولة مالى ، حيث كانت القوافل القادمة من المغرب الأقصى تزور مالى بصفة منتظمة (١٤٨) . ويعتبر الملح أهم السلع التى حملتها هذه القوافل المرينية ، إذ يتعامل به أهل مالى تماما كقطع العملة ، يقول ابن بطوطة : « وبالملاح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويتبايعون به » (١٤٩) . ويبيع حمل الجمل من الملح فى أيوالاتن - أول عمالات مالى - بعشرة مثاقيل ، وفى العاصمة مالى نفسها يتراوح ثمنه بين عشرين مثقالا وأربعين مثقالا (١٥٠) . وأصبحت فاس فى عهد بنى مرين قاعدة تجارية هامة تحفل بشتى المنتجات التى تتجهز بها القوافل التجارية المتجهة صوب بلاد السودان (١٥١) . وإلى جانب فاس كانت هناك سجلماسة ودرعة ، فمنها إلى الجنوب يهبط طريق التجارة إلى مالى (١٥٢) . وأشهر عروض المغرب التى كانت تحملها هذه القوافل المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية ، وأوانى الزجاج والفخار والخزف ذى البريق المعدنى ، والملح ، وكانت هذه القوافل تعود محملة بالذهب والعاج وجلود الحيوانات (١٥٣) . وقد تحدث ابن بطوطة عن شيوع هذه العروض المغربية ، واحتفاء أهل مالى بها كثيرا ، لارتفاع أسعارها ، واحتفاظها

بقيمتها في سائر جهات مالى (١٥٤) . وأشهر مدن مالى التى كانت تستقبل القوافل المرينية « هى تنبكتو التى امتازت بموقع وسيط للمسافرين بطريق البر أو النهر ، واشتهرت في ذلك الحين بتجارة التمر والملح وعروض المغرب والخنطة وجوز الكولة وتبر الذهب ... وسرعان ما أصبحت (تنبكتو) أهم أسواق السودان الغربى ولاسيما بعد انتقال سوق الذهب إليهما كما اجتذبت التجار من درعة وسوس وسجلماسة وفاس في المغرب الأقصى » (١٥٥) .

ومارس التجار المغاربة لونا من التجارة ، وهى التجارة الصامتة ، حيث كانت الصفقات التجارية تتم بينهم وبين تجار السودان بطريقة غريبة ، فإذا جاء التجار المغاربة ، فإن أحدا من تجار السودان لا يظهر لهم ، وإنما يضع المغاربة مامعهم من الملح وغيره ، ويخفون عن الأنظار ، فيأتى التجار من السودانين فيضعون ثمن هذه الأشياء قطعاً من الذهب ويخفون ، فيظهر المغاربة ، وينظرون في كميات الذهب هذه ، فإن كانت كافية ، أخذوا الذهب وتركوا الملح وغيره وعادوا بقوافلهم ، فإذا لم يعجبهم الثمن تركوا الذهب والملح وعادوا الاختفاء ، ويظل الأمر هكذا حتى يدفع التجار السودانيون الثمن المناسب (٧١) .

علاوة على هذه الألوان من التجارة المحلية المتبادلة بين المرينيين في بلاد المغرب الأقصى ، وبين سكان مالى ، فقد كانت بلاد المغرب الأقصى صلة الوصل التى نفذت عن طريقها المحاصيل الأفريقية الرعوية أو الاستوائية إلى منطقة البحر المتوسط ، ومنها كانت تحمل إلى أوروبا ، كما كانت سلع البحر المتوسط هى الأخرى تحمل جنوباً إلى قلب بلاد السودان عن طريق المغرب الأقصى وطن المرينيين (١٥٧) .

أما العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب الأقصى - مهد الدولة المرينية - وبين بلاد السودان الغربى ، فهى علاقة قديمة تمتد جلورها إلى قرون عديدة قبل قيام المرينيين بأعباء الحكم في المغرب الأقصى ، وقد حمل التجار العبء الأكبر في إيصال المؤثرات الثقافية الأولى لهذه البقاع ، وسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار وساروا معهم أو وراءهم ينشرون الإسلام ، ومعه يثون العلم العربى والثقافة العربية الإسلامية ، حتى إن منسا موسى نفسه أصبح يجيد اللغة العربية ويلم بكثير من ألوان الثقافة العربية الإسلامية (١٥٨) . الأمر الذى جعله يفتح بلاده للاجئين من مسلمى الأندلس وعلمائهم الفارين تحت ضغط حركة الاضطهاد المسيحى حتى لقد قيل في هذا الصدد : « ان فقد أسبانيا الإسلامية كان كسبا لأفريقية الشمالية وأفريقية السوداء » (١٥٩) .

وكانت المدن في مالى مراكز ثقافية تزدخر بالفن والثقافة الإسلامية ، إلى جانب كونها مراكز تجارية ففى هذه المدن تجمع الفقهاء والخطباء والمفسرون للقرآن الكريم من المغاربة ، وكان منهم القضاة والمدرسون ، وقد نال هؤلاء مكانة عظيمة في بلاط سلطان مالى فلم تخبر

مجالسه السلطانية منهم ، وكانت آراؤهم محل تقدير هؤلاء السلاطين واحترامهم (١٦٠) .
وقد بلغ من قوة التأثير الثقافي المغربي المرينى أن أصبح المذهب السنى المالكى هو المذهب
السائد فى دولة مالى ، وذلك على غرار ما كان عليه أهل المغرب الأقصى فى عهد المرينيين ،
وبطبيعة الحال كان ذلك التوافق فى المذهب من عوامل قوة العلاقات بين المرينيين وأهل مالى ،
وكان يطلق على المالكية هناك فى مالى اسم (توري) (١٦١) .

وقد انعكس ذلك على تصرفات سلاطين مالى ، فنجد سلطانا كمنسا سليمان بينى
« المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام بها الجمع والجماعات والأذان ، وجلب إلى بلاده
الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه وتفقه فى الدين (١٦٢) . وكان لذلك كله الأثر
الكبير فى مناهج التعليم فى مالى ، حيث التزم أهلها من المسلمين رجالا ونساء وأطفالا ،
الحرص الشديد على تعلم الفقه ، وحفظ القرآن الكريم (١٦٣) . وقد رأى ابن بطوطة
- سفير السلطان أبى عنان المرينى - ذلك بنفسه خلال سفارته فى مالى ، فقد لفت نظره
« مواظبتهم (أهل مالى) للصلوات والتزامهم لها فى الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا
كان يوم الجمعة ولم يكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام ومن عادتهم أن
يبحث كل إنسان غلامه بسجاده فيسقطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد ...
ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله
ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا
ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضى يوم
العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا ترحمهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن » (١٦٤) .

وبجانب اهتمام أهل مالى بالقرآن الكريم والفقه والعبادات الإسلامية ، كان اهتمامهم
بلغة القرآن ، اللغة العربية ، التى اكتسبت مسحة من التقديس لدى مسلمى غربى أفريقيا ،
فكتبت بها جميع الوثائق الرسمية لإمبراطورية مالى ، كما كانت اللغة العربية لغة الحكومة
والمراسلات الدولية ، ولغة التجاره ، أى أنها كانت اللغة السائدة (١٦٥) . أما الكتابة فى
مالى ، فقد كانت تعتمد على الخط العربى ، وقد شاع ذلك فى الرسائل التى صدرت من
البلاط المالى ، كذلك التى أرسلها منسا موسى إلى السلطان الناصر قلاوون فى مصر (١٦٦) .
إلى جانب هذا كله ظهر التأثير المغربى الوافد من بلاد المغرب ، فى زى أهالى مالى ، وغدا هذا
الزى المغربى يربط مظهرهم العام ربطا وثيقا بالمغاربة المسلمين فى الشمال ويذكر القلقشندى
فى هذا الشأن أن « لباسهم عمام يحتك مثل المغرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج
عندهم فى نهاية الرقة واللفظ تسمى الكميصا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريع
بلا تفرج (١٦٧) .

خامسا : علاقة المرينيين ببني الأحمر في الأندلس (١٦٨) :

يمكن وصف العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر بأنها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب ، ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ، ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل ، أو العداء والنفرة في بعض الأحيان .

كان المرينيون يؤمنون بمحتمية قيامهم بدور إيجابي في الميدان الأندلسي ضد نصارى اسبانيا ، ولذلك لم تكذب تمضي سبعة أشهر على انتهاء المرينيين من استكمال تأسيس دولتهم الجديدة باستيلائهم على سجلماسة في صفر سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) (١٦٩) . حتى استجابوا للنداء الذي وجهه لهم السلطان محمد الفقيه ابن الأحمر لمعاونته في صد زحف النصاري نحو ممتلكات المسلمين الباقية في الأندلس (١٧٠) ، والحقيقة أن بني الأحمر لم يجدوا أمامهم من القوى الإسلامية غير بني مرين لتعاونهم ، ولذلك لم يحرصوا على إيجاد علاقات وثيقة بينهم وبين سائر العالم الإسلامي لانشغال سائر الأمراء المسلمين من ناحيتهم بتوطيد سلطتهم في دولهم ، ودفع خطر المغول ، الذي كان يهددهم ، ولذلك انحصرت أنظارهم تجاه سلاطين بني مرين ، لقرب دولتهم منهم ، ومن ناحية أخرى لشعورهم بمكانة المرينيين العسكرية بين سائر القوى الأخرى الموجودة في بلاد المغرب (١٧١) . وقد كشفت الأحداث للمرينيين عندما نزلوا إلى الميدان الأندلسي أن الخلافات الشخصية بين سلطان بني الأحمر وبني أشقيلولة - حكام مالقة ووادي آش وقمارش - ستؤدي إلى إضعاف فاعلية الجهاد المريني في الميدان الأندلسي ، واتضح ذلك خلال مجلس الحرب الذي ضم السلطان أبا يوسف يعقوب المريني والسلطان محمد الفقيه وأبا محمد بن أشقيلولة ، وقد أدت هذه الخلافات إلى حدوث وحشة كبيرة كما يقول ابن الخطيب بين السلطان أبي يوسف وابن الأحمر ، انسحب ابن الأحمر على أثرها عائدا إلى غرناطة (١٧٢) . وأدت بطبيعة الحال إلى أن يخوض أبو يوسف يعقوب المريني معاركه الأولى في الميدان الأندلسي معتمدا على قواته التي عبرت معه من بلاد المغرب ، وعلى بني أشقيلولة الذين أعلنوا بيعتهم له ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه (١٧٣) . وما من شك في أن هذه الأحداث خلقت جوا من الشكوك في نفس ابن الأحمر تجاه الوجود المريني في بلاد الأندلس مما أدى إلى تجمد العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر خلال العبور الأول للسلطان أبي يوسف يعقوب المريني ، إذ ترك ابن الأحمر السلطان أبا يوسف يعمل وحده ضد النصاري .

وخلال العبور الثاني سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ، حاول السلطان أبو يوسف يعقوب إعادة جسور التفاهم بينه وبين ابن الأحمر ، لمهاجمة قرطبة ، وقد أسفر هذا التقارب

عن قهر الجيوش النصرانية وتراجعها لتتحصن بمدينة قرطبة وطلبها للصلح مع المسلمين (١٧٤). وليثبت أبو يوسف حسن نواياه ترك لابن الأحمر إبرام معاهدة الصلح مع النصارى ، بل الأكثر من ذلك تنازل له عند عودته عن جميع ماحصلت عليه الجيوش المرينية من غنائم الحرب عند قرطبة (١٧٥). ولكن شكوك ابن الأحمر كانت أقوى من أن تزيلها مثل هذه الأشياء ، فما لبث أن توفى أبو محمد عبد الله بن أشقيلولة ، وتنازل ولده محمد لأبي يوسف عن مالقة والغريبة (١٧٦). وقد أدى ذلك إلى تفجير الموقف بين أبي يوسف وابن الأحمر مرة ثانية ، ووصل العداء بينهما إلى الذروة ، فسعى ابن الأحمر إلى التحالف مع أعداء أبي يوسف في الأندلس والمغرب ، فتحالف مع القشتاليين ، ويغمراسن بن زيان ، وأغرى عامل مالقة بالخروج على طاعة أبي يوسف (١٧٧). ولكن أبا يوسف نجح في إفشال مخططات ابن الأحمر ، واضطره إلى التراجع عن سياسته العدائية مع بني مرين ، بعد أن رأى القشتاليين ، ينفلون بأساطيلهم إلى الزقاق ، لتطويق المسلمين في الأندلس فعاون ابن الأحمر الأسطول المريني الذي كان يقوده الأمير يوسف بن يعقوب ، فأدى هذا التعاون إلى تحطيم الأسطول القشتالي ودخول المرينيين إلى الجزيرة الخضراء بالقوة (١٧٨).

وأسفر التقارب الذي حدث بين أبي يوسف وابن الأحمر خلال عبور أبي يوسف الثالث إلى الأندلس عن تلاحم القوى بين المرينيين وبني الأحمر ، خلال العبور الرابع لأبي يوسف يعقوب المريني . حيث نجح المرينيون وبني الأحمر في قذف النصارى الأسبان خلف نهر الوادي الكبير وراء الخط الذي يمتد من قرطبة إلى اشبيلية وشرش كما أجهلت معارك العبور الرابع عن صلح بين المسلمين والنصارى أقره كل من سلطان المغرب والأندلس وملك الأسبان (١٧٩). ومن خلال جو التفاهم الذي ساد بين المرينيين وبني الأحمر ، أسند السلطان ابن الأحمر قيادة الغزاة والمجاهدين المتطوعين من المغاربة في الميدان الأندلسي إلى موسى ابن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، فكان أول من تولى هذا المنصب من ذوى القرابة لبني مرين ، وقد لعب شيوخ الغزاة من بني مرين دورا هاما في تاريخ العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر (١٨٠). وكانت العاصمة غرناطة هي مقر القيادة العامة لهذه القوة المغربية وعن هذه القيادة تتفرع عدة قيادات فرعية في مالقة ووادي آش ورندة (١٨١).

بعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حاول سلطان بني مرين الجديد يوسف بن يعقوب ، دفع حركة الجهاد المريني في بلاد الأندلس إلى آفاق جديدة ، وذلك بإزالة مافي نفس سلطان غرناطة من شكوك حول الوجود المريني في بلاد الأندلس ، فاجتمع به عند مربالة ، واتفق الطرفان على أن يحتفظ المرينيون بمناطق محدودة من بلاد الأندلس وهي الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادي آش وأحوازاها أما ماعدا ذلك فيتنازل عنه المرينيون لبني الأحمر (١٨٢). ورأى أبو يعقوب يوسف ضرورة نقل بني

أشقيولة من الأندلس إلى المغرب ، للقضاء على مشكلة كبرى طلما أظلم الجو بسببها بين بني الأحمر وبني مرين ، فأمر أبا الحسن ابن أبي إسحق ابن أشقيولة بتسليم وادي آش إلى ابن الأحمر وعرضه عنها بعمالة القصر الكبير في المغرب الأقصى له ولبنيه من بعده (١٨٣) . ورغم هذه التنازلات الكبيرة من جانب أبي يعقوب يوسف المريني لابن الأحمر - والتي استهدف بها تقوية العلاقات مع بني الأحمر ، حتى لا يفكر القشتاليون في مهاجمة المسلمين في بلاد الأندلس في غفلة من سوء العلاقات بينهما - فقد استجاب ابن الأحمر لما رددته سانشو ملك قشتالة عن خطورة تحالف ابن الأحمر مع بني مرين . وقد أدى التحالف الجديد بين ابن الأحمر وسانشو ضد بني مرين إلى ضياع طريف ، وستة من الحصون التي كان يملكها ابن الأحمر ، إذ رفض سانشو أن يسلم طريف إلى ابن الأحمر بعد استيلائه عليها (١٨٤) .

وقد أدرك محمد الفقيه سلطان غرناطة ، خطأ سياسته تجاه بني مرين فعاد يطلب ودهم . فلم يتردد المرينيون في عقد الصلح معه ، واستمرت العلاقات ودية بين المرينيين وبني الأحمر حتى وفاة السلطان محمد الفقيه سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) (١٨٥) . ورغم أن العلاقات مضت ودية في مطلع عهد خليفته أبي عبد الله المخلوع ، إلا أنه عدل عن ذلك إلى التحالف مع هراندة ملك قشتالة (١٨٦) . بل مضى في عدائه لبني مرين إلى أبعد من ذلك ، حيث ألقى إلى سبتة بأحد أفراد الأسرة المرينية الطامعين في الملك ، وهو عثمان بن أبي العلاء المريني ، واستطاع هذا القائد بمعاونة أبي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة من الاستيلاء على سبتة (١٨٧) . وقد أحدث هذا العمل من جانب ابن الأحمر شرخا كبيرا في العلاقات المرينية . وطالت مدة بقاء عثمان بن أبي العلاء في سبتة بسبب وفاة السلطان أبي يعقوب يوسف فجأة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) ، وبعده السلطان أبي ثابت المريني فجأة هو الآخر قبل أن يخوض مع عثمان بن أبي العلاء المعركة الفاصلة سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) . وتمكن السلطان أبو الربيع سليمان المريني من إلحاق الهزيمة بعثمان بن أبي العلاء عند علودان (١٨٨) . وفي صفر سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) تمكن القائد تاشفين بن يعقوب الوطاسي من اقتحام سبتة وإعادتها إلى حظيرة الدولة المرينية .

وشهدت الفترة التي تلت هذه الأحداث فتورا في العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر واستمر هذا الفتور حتى اعتلاء السلطان أبي الحسن المريني للعرش سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) حيث اقتصر العون المريني للميدان الأندلسي على بعض الأموال والخيول في عهد السلطان أبي الربيع (١٩٠) . بينما تجمدت العلاقات تماما بين المرينيين وبني الأحمر في عهد أبي سعيد عثمان المريني ، الذي أصر على ضرورة تسليم قائد (مشيخة الغزاة) عثمان بن أبي العلاء ، الذي تسبب في كثير من المتاعب - للأسرة المرينية الحاكمة . وكان رفض بني الأحمر لتسليمه مبررا قويا لموقف أبي سعيد من بني الأحمر (١٩١) .

تغير الموقف المرينى تماما فى عهد السلطان أبى الحسن ، إذ صادفت دعوة بنى الأحمر لبنى مرين لمعاونتهم فى تخفيف ضغط النصارى عنهم - رغبة قوية فى نفس أبى الحسن للجهاد فى الميدان الأندلسى ، وقد أسفرت جهود أبى الحسن فى بلاد الأندلس عن انتصارات أولية ساحقة باستيلاء المسلمين على جبل الفتح فى ذى الحجة سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) (١٩٢) . ولكن أبى الحسن منى بهزيمة فادحة عند طريف سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) (١٩٣) وقد صرفت نتائج هذه المعركة القاسية أنظار المرينيين عن القيام بأى جهد عسكرى بعد ذلك فى الميدان الأندلسى ، وساعد على ذلك أن الأوضاع الداخلية للمرينيين لم تساعدهم على القيام بأى دور إيجابى فى ذلك الميدان .

واقترنت العلاقات فى عهد السلطان أبى عنان على العلاقات الدبلوماسية ، والتي انحصرت فى تبادل الرسائل والسفارات بين المرينيين وبنى الأحمر ، وقد كتب أكثر هذه الرسائل ، الكاتب والوزير الأندلسى المشهور لسان الدين بن الخطيب ، وقد كان يكتب هذه الرسائل على لسان سلطانه (١٩٤) . وألف كتابا سماه كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ضمنه أكثر هذه الرسائل ، والمتصفح لها يجد أنها كانت فى كثير من الأحيان تتصل بتقديم شكر سلطان بنى الأحمر على هدايا أو مساعدات أرسلها له السلطان أبو عنان المرينى ، أو رسائل رافقت هدايا سلطان بنى الأحمر إلى أبى عنان (١٩٥) . وبعض هذه الرسائل كان للتهنئة بفتح تلمسان وبجاية أو الانتصار على بعض الثائرين على أبى عنان (١٩٦) . وبعضها كان لشرح الأحوال الداخلية فى دولة قشتالة ونشوب الحرب الأهلية فيها بين أبناء البيت الحاكم ، أو لتحديد طبيعة العلاقة القائمة بين غرناطة وقشتالة (١٩٧) . ومن هذه الرسائل ما كان للشفاعة لدى أبى عنان للعفو عن بعض الشخصيات المغربية (١٩٨) . ورغم كثرة هذه الرسائل المتبادلة ، فليس بينها سوى رسالة واحدة تتضمن دعوة إلى السلطان أبى عنان المرينى لتحديد حجم الإمدادات البحرية التى يستطيع أن يقدمها للتعاون مع أسطول بنى الأحمر لحماية السواحل الأندلسية ، ويبدو من أسلوب هذه الرسالة أن أبى عنان لم يكن متحمسا لمثل هذا التعاون ولذلك يوجه السلطان يوسف الأول بن الأحمر حديثه إلى أبى عنان بقوله : « وقد كانت عادة والدكم - أزلفه الله إليه وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه - أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد ، وتعيين موضعه من سواحل البلاد . ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل فى سبيل الجهاد » (١٩٩) .

كما تبادل البلاطان السفارات ومن ذلك السفارة التى قام بها الوزير لسان الدين بن الخطيب سنة (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م) ، سفيرا عن سلطانه الغنى بالله (ابن الأحمر) إلى السلطان أبى عنان (٢٠٠) . وقد أشار المؤرخون إلى نجاح ابن الخطيب فى هذه السفارة لنجاحا منقطع النظير ، ففى الجلسة التى استقبل فيها أبو عنان سفير الغنى بالله ابن الخطيب . نشد

ذلك السفير الحاذق قصيدة مدح فيها أبا عنان بقوله :

خليفة . الله - ساعد القدر علاك ملاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس لو لأك ما أوطنوا . ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلمهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الأمر أنه وطن في غير عليك ماله وطر
وقد أهمتهم نفوسهم فوجهوني إليك وانتظروا

واهتز أبو عنان لهذه الأبيات ، وما كان منه إلا أن أعلن استجابته لجميع المطالب التي جاء من أجلها وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم » (٢٠١) وكان في مقدمة هذه المطالب العون الحربي لمقاومة أطماع القشتاليين (٢٠٢) . ومن السفراء الذين وفدوا إلى البلاط المريني في مهمة السفارة إلى أبي عنان الشيخ الخليلي وقد دارت بينه وبين أبي عنان محاورة أدبية لطيفة ذكرها صاحب نفع الطيب (٢٠٣) . ومن السفراء المغاربة الذين قاموا بالسفارة إلى بلاط بني الأحمر الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقرئ ، الذي أرسله أبو عنان في سفارة إلى غرناطة سنة (٢٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) (٢٠٤) .

وبعد وفاة السلطان أبي عنان ، قويت العلاقات بين المرينيين وبني الأحمر ، وخاصة في عهد السلطان أبي سالم المريني ، الذي أعطى السلطان محمد الغني بالله ابن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب ما يشبه حق اللجوء السياسي للدولة المرينية ، وذلك بعد أن تعرض سلطان غرناطة لانقلاب أطاح به في رمضان سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) (٢٠٥) . وكان الغني بالله قد هرب من غرناطة إثر الانقلاب إلى مدينة وادي آش ، ولما لم يستطع السيطرة على الأمور في المدينة ، استدعاه السلطان أبو سالم المريني ، فوصل إلى فاس في محرم سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، وفي يوم وصوله « ركب السلطان (أبو سالم) إلى تلقيه ونزل إليه عندما سلم عليه وبالحق في الحفاية به » (٢٠٦) . وفي نفس الوقت أرسل أبو سالم إلى السلطان إسماعيل بن الأحمر الثائر بغرناطة بشفاعته لاطلاق سراح لسان الدين بن الخطيب ، وإرساله إلى المغرب ، وقد لقي السلطان اللاجيء ووزيره ابن الخطيب في البلاط المريني كل رعاية وتكريم ، « ففرشت له (ابن الأحمر) القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث إليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من العلوجى وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه رسم سلطانه في الركب والرجل ولم يفقد من القاب ملكه إلا الاداة أدبا مع السلطان (٢٠٧) .

أما ابن الخطيب فقد عاش في رغد من العيش في ظل مامنحه السلطان أبو سالم المريني من الجراية والإقطاع ، وقد أمضى ابن الخطيب فترة هذا اللجوء السياسي في التنقل بين عمالات الدولة المرينية ، وقد نبه السلطان أبو سالم على عماله باتحاف ابن الخطيب كلما حل بهم ، فتبارى العمال فيما بينهم في الاحتفاء به (٢٠٨) . وظل ابن الخطيب وسلطانه الغنى بالله يتمتعون في ظل البلاط المريني بهذه الامتيازات حتى بعد مقتل السلطان أبي سالم المريني ، فالسلطان أبو زيان محمد بن يعقوب - الذي تولى أمر بني مرين في صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) - أصدر مرسوما يهيء لابن الخطيب حياة كريمة كالتى يحياها كبار رجال الدولة المرينية ، ومما جاء في هذا المرسوم تحديد راتب شهري لابن الخطيب بلغ خمسمائة دينار عشرية في كل شهر ، وألا يدفع شيئا من الضرائب أو المغارم على كل ما يجلب إلى محل إقامة ابن الخطيب من الأقوات وغيرها ، أو ما يستفيدة خدامه خارج المدينة وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك (٢٠٩) .

وفي الحقيقة أن اهتمام سلاطين بني مرين بالوزير الأندلسي ابن الخطيب ، كان نابعا من مسلك ذلك الوزير السياسى تجاه المرينيين ، فقد رسم هذا الوزير سياسة خارجية ثانية لبنى الأحمر قوامها الارتباط بعجلة فاس ، ومحاولة إرضاء سلاطين بني مرين في كل ما يطلبونه من ساسة غرناطة (٩١) ومن أمثلة جهود ابن الخطيب لإرضاء سلاطين فاس إغراء ابن الخطيب للسلطان محمد الخامس ابن الأحمر للقبض على عبد الرحمن بن أبي يغمراسن شيخ الغزاة في الأندلس ، بتهمة التآمر ضد سلطان فاس ، وقبض أيضا على مسعود بن ماساى ، وزير السلطان عبد العزيز المريني لنفس الغرض ، كما أن جميع المعاهدات التى كان يعقدها ابن الخطيب مع قشتالة وأراغون كان يعقدها باسم سلطاني فاس وغرناطة ، وذلك لأنه كان يهدف إلى توحيد السياسة الخارجية لكلا البلدين (٢١١) . وقد حرص ابن الخطيب على الاستمرار في هذه السياسة حتى بعد عودته إلى منصب الوزارة في دولة بني الأحمر ، بعد استرجاع السلطان محمد الغنى بالله لعرشه في غرناطة سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) (٢١٢) . وقد أدبت هذه السياسة إلى نيل خصومه السياسيين منه بالدس والسعى به عند سلطانه الغنى بالله ، الأمر الذى دفع ابن الخطيب إلى الفرار للمغرب واللجوء ثانية إلى بني مرين ، ولكنه في هذه المرة صمم على الإقامة الدائمة في المغرب الأقصى (٢١٣) .

هيا البلاط المريني لابن الخطيب الراحة التامة ، ويروى المقرئ ذلك بقوله : « فقدم (ابن الخطيب) عليه (السلطان عبد العزيز المريني) سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل من الأمن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى ابن أبي مرين

سفيرا إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، (٢١٤) .

وقد أغرى ابتعاد ابن الخطيب عن ميدان السياسة الأندلسية على هذا النحو خصومه السياسيين في بلاط غرناطة إلى اتهام ابن الخطيب بالزندقة ، وأرسلوا إلى السلطان عبد العزيز المريني ، يطلبون إليه إمضاء حكم الله في ابن الخطيب (٢١٥) . ولكن السلطان عبد العزيز رد عليهم بقوله : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى . ثم وفر الجراية والأقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الأندلس في جملته » (٢١٦) .

وبعد وفاة السلطان عبد العزيز المريني سار ابن الخطيب في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بأمر الدولة المرينية ، وسلطانها الصغير أبي زيان محمد السعيد ، فألف كتابا يناسب الوضع السياسي الجديد للدولة المرينية وهو المعروف باسم « أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجبر ذلك من شجون الكلام » (٢١٧) نزل ابن الخطيب بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، وغرس الحدائق ، وقد حفظ له الوزير أبو بكر بن غازي كافة الامتيازات التي منحها له السلطان عبد العزيز المريني (٢١٨) . وأصر هذا الوزير على حماية لسان الدين ابن الخطيب ، ورفض تسليمه للغنى بالله ابن الأحمر - الذي طالب بتسليم ابن الخطيب ثانية بعد وفاة السلطان عبد العزيز - وأساء أبو بكر بن غازي في الرد على رسل ابن الأحمر (٢١٩) . وكان لذلك أثره في مجريات الأحداث لفترة طويلة حيث دخلت العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر في طور جديد ، مؤداه استغلال الغنى بالله ابن الأحمر لضعف بنى مرين خلال عصر نفوذ الوزراء ، للتدخل في شئونهم الداخلية ، وكان ذلك عن طريق استغلال الأبناء المرشحين لتولى الحكم المريني ، والموجودين تحت إشرافه ورعايته في بلاط بنى الأحمر في الأندلس . وكان سلطان غرناطة يمارس هذه السياسة مع بنى مرين ، لاجبار سلاطينهم على السير في فلك سياسة بنى الأحمر ، وفي حالة تدمير سلاطين بنى مرين من ذلك التدخل ، فإن الغنى بالله بنى الأحمر كان يدفع إلى المغرب بشخصية أخرى من أبناء البيت المريني ، ويساندها بالمال والرجال والسلاح ، حتى تنجح هذه الشخصية في الاستيلاء على زمام الأمور في الدولة المرينية ، وبلغ من حرص سلاطين بنى الأحمر على هذه الشخصيات المرينية ، أنهم خلال المعاهدات التي كانوا يفتقونها مع الأراغونيين في اسبانيا ، كانوا يحرصون على أن تتضمن نصوص هذه المعاهدات حرية بنى الأحمر في التصرف في الأراضي المغربية التي تؤول إليهم وكذلك الأشخاص ، ونص إحدى هذه المعاهدات يقول : « وإن اتفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدو أو ناس من أهلها فيكون حكمهم في ذلك كحكم سائر بلادنا الأندلسية » (١٠١) . وتأتي أهمية هذا النص في

المعاهدات ، حتى لا يطالب الأراغونيين بنى الأحمر بأى من هذه الشخصيات المرينية الهامة في يوم من الأيام . وقد بدأت هذه المرحلة من العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر بعد وفاة السلطان عبد العزيز المريني في سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، وانتهت بوفاة السلطان محمد الغنى بالله ابن الأحمر سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) . وهذه المرحلة من العلاقات ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحياة السياسية للمرينيين ، ولذلك كان الفصل الثالث من هذا البحث شاملا لأحداث هذه المرحلة (١٢٠) .

وبعد انقضاء هذه المرحلة لم تشر المصادر الا إلى حادثتين ، عكرتا صفو العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ، خلال الفترة المتبقية من حياة الدولة المرينية ، والحادثتان تمثلان تدخلا من المرينيين في شئون بنى الأحمر ، فالأولى منهما تتحدث عن مؤامرة دبرها السلطان أبو العباس أحمد المريني لاغتيال أبى الحجاج يوسف الثانى سلطان غرناطة ، والثانية تحكى تأمر أهل جبل الفتوح مع السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد ، ودعم هذا السلطان لثورتهم ضد بنى الأحمر بقوات مرينية يقودها الأمير عبد الله بن أبى العباس أحمد . وقد منى هذا الأخير بهزيمة فادحة ، واقتيد أسيرا إلى غرناطة ، وهناك استطاع بنو الأحمر التأثير عليه بالتوجه إلى المغرب للاستيلاء على عرش بنى مرين ، وقدموا له مايلزم لذلك من الأموال والجنود ، وقد نجح في مهمته وسجن أخاه السلطان أبا سعيد حتى مات في سجنه (٢٢٢) .

ومن الضروري في نهاية الحديث عن هذا الشوط من العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ، الإشارة إلى أن المرينيين لم يحرزوا في الميدان الأندلسي انتصارا حاسما كالذى أحرزه من قبل المرابطون في الزلافة أو الموحدون في الأراك ، وكان ذلك لافتقار المرينيين لتلك الامكانيات التى كانت متوفرة للمرابطين والموحدين ، فقد عمل المرابطون والموحدون في الميدان الأندلسي من خلال وحدة البلاد المغربية كلها تحت سيطرتهم ، وقد أعطى ذلك لهاتين القوتين امكانيات بشرية واقتصادية هائلة ، جعلت لها تلك الوقفة الممتازة في بلاد الأندلس . أما المرينيون فقد عملوا في الميدان الأندلسي في معظم الأحوال من خلال حدود دولتهم المحتلة في المغرب الأقصى ، وطبيعى أن تكون امكانيات المغرب الأقصى وحده أقل بكثير من امكانيات بلاد المغرب بأكملها ، وقد حاول المرينيون التوسع لتحقيق الوحدة المغربية حتى يتمكنوا من العمل في الميدان الأندلسي بنفس الدرجة من القوة والمجهود الذى قام به سابقوهم من المرابطين والموحدين ، ولكن هذه الجهود نفسها استغرقت كثيرا من طاقة المرينيين ، ولم تدم انتصاراتهم في ميدان تحقيق الوحدة المغربية طويلا بحيث يتم لهم الاستفادة منها في الميدان الأندلسي ، إذ سرعان ما تحطمت هذه الوحدة المغربية بعد قليل وعاد المرينيون إلى حدودهم القديمة داخل المغرب الأقصى .

ورغم هذا فجهد المرينيين لاينكر في الحفاظ على بقاء الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس لأقصى مدة ممكنة ، إذ كان مجرد وجود المرينيين في العدو المغربية أمرا يجعل نصارى أسبانيا يفكرون كثيرا قبل القيام بأى عمل عسكري ضد المسلمين في الأندلس ، ولو استمرت « الدولة المرينية على قوتها ، أو خلفتها مباشرة دولة قوية لتغيرت مجريات الأمور في الأندلس » (٢٢٣) .

أما العلاقات الاقتصادية بين المرينيين وبنى الأحمر ، فلم يكن لها ذلك الازدهار والنشاط الذى كان في أيام المرابطيين والموحدين ، فطبيعى أن يقل حجم التعامل بين بلاد الأندلس والمغرب الأقصى مهد المرينيين بسبب ضياع أجزاء كبيرة من الأندلس ، كانت مدنها تتعامل في مجال التجارة الخارجية مع بلاد المغرب الأقصى ، كإشبيلية التى كانت تصدر إلى المغرب الأقصى ، أنواعا ممتازة من التين والعنب والزيتون والقطن ، وقرطبة التى كانت تصدر معدن الزئبق ، وبلنسية التى اشتهرت بالمنسوجات التى كانت تصدرها إلى بلاد المغرب (٢٢٤) .

ومما لاشك فيه أن المرينيين أسهموا في حركة التجارة الخارجية بينهم وبين ما تبقى للمسلمين من جهات في بلاد الأندلس ، خاصة وأنهم كانوا يملكون أجزاء من هذه الجهات في الجزء الجنوبي القريب من سواحلهم في رندة وطريف والجزيرة الخضراء . وكانت سبتة وهى ميناء الاتصال الأصلى ببلاد الأندلس في العهد المرينى محطاً لقوافل العصور والحريير والكثان ، ولعل التجار المغاربة اتخذوا من هذه السلع سوقا رائجة لتصديرها إلى جهات الأندلس . (٢٢٥) كما كان المغرب الأقصى حلقة الوصل بين بلاد السودان الغربى والأندلس ، حيث حمل التجار المغاربة الذهب والصمغ إلى أسواق الأندلس ، لينتقل منها مع غيره من السلع إلى أوروبا ودول حوض البحر المتوسط (٢٢٦) .

كذلك ازدهرت العلاقات الثقافية بين المرينيين في المغرب ، وبنى الأحمر في الأندلس ، ومما تجدر ملاحظته هنا أن العلماء والأدباء في المغرب والأندلس لم تكن أمامهم تلك الحواجز السياسية التى تمنع تدفقهم من الأندلس إلى المغرب أو من المغرب إلى الأندلس في العهد المرينى ، فالأديب أو العالم ينتقل هنا وهناك دون عائق أو حائل يحول بينه وبين البيئة التى يشعر أن حياته وملكاته ستتمو بها أكثر وتزداد اخصاها ، والأمثلة كثيرة ومتعددة نذكر منها ، الاديب الشاعر العالم الأندلسى الذى عاش مدة طويلة في بلاط بنى مرين ، ابن الحاج الغرناطى ، الذى بلغ درجة عظيمة في جودة الخط والأدب ، ورواية الحديث ، وقد عمل ضمن كتاب الانشاء سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) ، في عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، وكذلك في عهد خليفته أبى عنان (٢٢٧) . وكاتب شاعر آخر هو أبى القاسم رضوان

النجارى ، وهو من مالقة ، تولى وظيفة الانشاء بباب السلطان أبى عنان ، ودمج كثيرا من القصائد فى غرض الوصف (٢٢٨) . ومنهم أيضا الكاتب الأديب محمد بن أبى القاسم محمد ابن أحمد بن جزى الكلبي ، وهو غرناطى الأصل ، كان كاتباً للسلطان أبى الحجاج يوسف ، وارتحل من غرناطة إلى فاس حيث عاش بها فى تلك البيعة الجديدة ، وكلفه السلطان أبو عنان المرينى بكتابة رحلة ابن بطوطة ، ورصد أحداثها بأسلوبه ، فجاءت كتابته لهذه الرحلة نموذجاً فنياً رائعاً لأدب الرحلات فى تلك الفترة (٢٢٩) .

ومن علماء الأندلس الذين حصلوا علومهم من فاس عاصمة بنى مرين ونقلوا ما حصلوه من علوم ومعارف إلى غرناطة ، أبو العباس أحمد بن قاسم بن البقال ، وأبو عبد الله بن البيوت المقرئ ، والزاهد أبو الحسن بن أبى المولى وغيرهم ، وهؤلاء جميعاً نهلوا العلم فى فاس على يد نخبة من علمائها (٢٣٠) .

وكانت الزيارات التى يقوم بها سفراء سلاطين غرناطة إلى البلاط المرينى ، تمثل فى حقيقة الأمر صلة تأثير وتأثر قوية متبادلة فى مجال العلاقات الثقافية والحياة الفكرية فى كل من الأندلس والمغرب الأقصى ، فهؤلاء السفراء كان معظمهم أدباء وعلماء ، وكان وجودهم فى البلاط المرينى ولو لوقت معين فرصة كبيرة للاحتكاك الثقافى بين العدوتين ، فابن الخطيب عندما جاء سفيراً عن سلطان غرناطة الغنى بالله بن الأحمر إلى السلطان أبى عنان المرينى ، تبادل الرسائل الثمينة والقصائد الشعرية مع زملائه وأصدقائه من الأدباء والشعراء المرينيين ، ومن ذلك ما دار بينه وبين الخطيب أبى عبد الله محمد بن مرزوق الذى بعث إلى ابن الخطيب رسالة من الشعر والنثر يقول فى مطلعها (٢٣١) :

ياقادما وافى بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلديها نل المنى وتفرز بكل سماح

فراجع ابن الخطيب برسالة فيها الشعر والنثر أيضاً مطلعها (٢٣٢) :

راحت تذكرنى ككوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنها دل النسيم على ابتلاج صباح

والتقى ابن الخطيب مع ابن خلدون أيضاً ، وكان اللقاء بين الرجلين العظيمين حادثاً هاماً فى حياة كل منهما ، فمن خلال العلاقة الطيبة التى قامت بينهما تبادل الطرفان طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع ما انتجته القرائح من نماذج النثر والترسل فى هذا العصر (٢٣٣) .

وكما يكون تأثير السفراء الأندلسيين في العلماء والأدباء ، يكون التأثير الثقافي المغربي واضحاً في هؤلاء السفراء ، حتى في أدق الأمور المتعلقة بعلوم اللغة والأدب ، فأبو إسحاق الشاطبي في كتبه « الإشارات والإفادات » يقول : « أفادني صاحبنا الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك لإثر إياه إلى وطنه من رحلة العُتُوَّة في علم البيان فوائده أذكر منها الآن ثلاثاً : الفقه في اللغة وهو النظر في مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب ... والثانية تحرى الألفاظ البعيدة عن طرقي الغرابة والابتذال ... والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه ... وأخبرني أن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتابهم على طريقة العرب ، ويذمون ماعداها من طريقة المولدين » (٢٣٤) . وهذا النص يعني أن كبار الكتاب الأندلسيين عندما كانوا يغدون لزيارة الدولة المرينية ، كانوا يعقدون صلات ثقافية مع علماء المغرب وأدبائه ، وينقلون منهم إلى الأندلس ما أطلع عليه علماء المرينيين من علوم العرب المختلفة لتأصيلها في بلاد الأندلس .

وقد أفسح حق اللجوء السياسي الذي منحه سلاطين المرينيين وسلاطين بني الأحمر لعلماء الدولتين مجالا كبيرا لازدهار العلاقات الثقافية بين الدولتين ، فابن الخطيب الذي أقام لاجئا سياسيا في الدولة المرينية أفاد الحركة الأدبية والعلمية في ذلك الوقت ، فأثرى رصيد الدولة المرينية في عالم الأدب والفكر والتاريخ وسجل للمرينيين سبقا في هذه المضامير إذ أتاح له المرينيون جميع حقوق المواطنة في دولتهم ، وعلى هذا فكل انتاجه في أثناء فترة لجوئه لدى المرينيين ، هو انتاج مريني متأثر بالبيئة المرينية الجديدة التي عاش فيها . وقد انتج ابن الخطيب بين ربوع الدولة المرينية كمية كبيرة من الشعر والنثر ، وعددا ليس بالقليل من الكتب والمؤلفات التي اشتهر بها ابن الخطيب وهي (٢٣٥) .

- ١ - كتاب اللوحة البدرية في الدولة النصرية .
- ٢ - كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .
- ٣ - كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار .
- ٤ - كتاب الحلل المرقومة في اللمع المنطومة .
- ٥ - كتاب رقم الحلل في نظم الدول .
- ٦ - كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان .

ولقد عرف أبناء لسان الدين ابن الخطيب مكانة أبيهم عند المرينيين فعاشوا في ظل البلاط المريني .، ويذكر المقرئ منهم : علي بن لسان الدين ابن الخطيب الذي صاحب السلطان المستنصر بالله أحمد بن أبي سالم ومن شعره في هذا السلطان (٢٣٦) :

لا أوحش الله ربها أنت زائرة يابهيحة الملك والدنيا مع الدين
بأحمد الحمد أبقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد لقي الخطيب أبو عبد الله محمد بن مرزوق في دولة بني الأحمر مالقيه ابن الخطيب في دولة بني مرين ، فلجأ إلى سلطان غرناطة ، الذي اجتذبه إلى غرناطة ، وهناك قلده الخطبة بمسجده في السادس من صفر سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) وإلى جانب ذلك أسند إليه مهمة الإقراء والتدريس بالمدرسة في حضرته غرناطة ، ولم يحدد المقرئ اسم هذه المدرسة (٢٣٧) .

وكانت فاس وغيرها من مدن الدولة المرينية ملاذا خصبا لطلبة العلم الأندلسيين ومن أمثال هؤلاء الطلبة الذين رحلوا إلى فاس ، ابن عباد الرندي ، الذي ولد برنطة ، ثم رحل إلى فاس وتلمسان ، فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية ، وفي مدينة سلا صاحب الشيخ أحمد بن عاشر ، ثم رحل إلى فاس ، حيث تولى الخطابة بجامع القرويين خمس عشرة سنة حتى وفاته سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) (٢٣٨) . ومن مؤلفاته : الرسائل الكبرى ، والصغرى ، وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت من الرجز (٢٣٩) .

سادسا : علاقة المرينيين بنصارى أسبانيا :

كانت العلاقات بين المرينيين وبنصارى أسبانيا علاقات عدائية ، وهذه العلاقات العدائية نابعة من أن المرينيين وبنو الأحمر تزعموا حركة المقاومة ضد حركة الاسترداد المسيحي بعد سقوط دولة الموحدين . وكان في أسبانيا في ذلك الوقت قوتان تمثلان المعسكر النصراني ، وهما دولتا قشتالة - التي توحدت سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) (٢٤٠) . - ودولة أراغون التي قامت سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) (٢٤١) . وكانت دولة قشتالة أكثر إنجيابية من أراغون في عدائها للمسلمين في الأندلس من دولة أراغون (٢٤٢) ، ورغم ذلك العداء الطاحن الذي استنفذ كثيرا من طاقة المرينيين العسكرية ، فإن المرينيين استفادوا كثيرا ، خصوصا من الغنائم التي دعمت ثروة دولتهم (٢٤٣) . علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة في الشمال الأفريقي وفي سائر العالم الإسلامي .

وكثيرا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيين وبنصارى أسبانيا فترات من السلم ، حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين ، وفي كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفا ثالثا في هذه المعاهدات . ومن خلال نصوص بعض هذه المعاهدات نلمح وجود علاقات اقتصادية بين مسيحي أسبانيا وتجار المسلمين ، إذ كانت هذه المعاهدات تنص صراحة على أن يكون لرعايا كل فريق حق التجول والتجارة بأرض الفريق الآخر ، والمرور في البر أو البحر دون أي

اعتراض أو مغارم غير عادية على هؤلاء التجار (٢٤٤). ومن الطبيعي ألا يؤثر « النزاع الذي نشب بين العرب وأهالي أسبانيا المسيحيين على التبادل الثقافي بين أصحاب الديانتين العالميتين الكبيرتين أو في الصلة الحضارية القائمة بينهما » (٢٤٥). وقد دعمت هذه الصلات الثقافية - خاصة خلال فترات السلم الكثيرة التي كانت تحافظ على الانضباط في أثنائها - معاهدات واتفاقيات راسخة القواعد .

وقد حاول السلطان أبو يوسف يعقوب المريني استغلال الخلافات بين أراغون وقشتالة لتكوين محور ضد قشتالة يضم المرينيين وبنى الأحمر وأراغون ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل (٢٤٦). وكان خوف بنى الأحمر من تزايد النفوذ المريني في بلاد الأندلس مدعاة إلى تحالفهم مع مسيحي أسبانيا الأمر الذي أضعف موقف المرينيين في بلاد الأندلس ، فمحمد الثاني سلطان غرناطة تحالف مع « سانشو » ملك قشتالة « ويبيدرو الثالث » ملك أراغون ضد بنى مرين (٢٤٧). وحدث هذا أيضا في سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) حين تحالف نفس السلطان مع « سانشو الرابع » ملك قشتالة ، « وخايمي الثاني » ملك أراغون ، ضد أبى يعقوب يوسف المريني ونتج عن هذا التحالف ضياع مدينة طريف من المسلمين (٢٤٨).

وفي بعض الأحيان دفع موقف بنى الأحمر العدائى من بنى مرين إلى التقارب بين المرينيين والأراغونيين فعندما ثارت سبته على أبى يعقوب يوسف المريني بتحريره من بنى الأحمر ، وجه أبو يعقوب طلبا إلى « خايمي الثاني » ملك أراغون لتقديم بعض القوارب المسلحة ، لمعاونة القوات البرية المرينية في سبته من البحر . ولم يستجب « خايمي الثاني » لنداء أبى يعقوب ، لأنه كان قد عقد صلحا مع « فرناندو الرابع » وكان هذا الصلح شاملا لمحمد الثالث سلطان غرناطة (٢٤٩). وقد تمكن « خايمي الثاني » ملك أراغون بعد ذلك من مساعدة السلطان أبى الربيع سليمان المريني ، بتقديم عون بحرى مكن المرينيين من الاستيلاء على سبته سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) (٢٥٠).

وقد كثرت معاهدات الصلح بين المرينيين ونضارى أسبانيا منذ عهد السلطان أبى الحسن ، ففي سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) بعد استيلاء المرينيين على جبل طارق ، عقدت معاهدة صلح بين فاس وقشتالة وغرناطة ، مدتها أربع سنوات ، وقد فوض يوسف الأول للسلطان أبى الحسن أمر إبرام هذه المعاهدة ، وقد انضمت أراغون إلى هذه المعاهدة فيما بعد ذلك (٢٥١). وبعد موقعة طريف التي هزم فيها المرينيون وبنو الأحمر ، أصبح المرينيون وبنو الأحمر في موقف تفاوضى ضعيف ، فحين حاول أبو الحسن وسلطان غرناطة الدخول في المفاوضات مع قشتالة رفضت هذه الأخيرة مقترحات المسلمين ، ولم يعقد الصلح بين فاس وغرناطة وقشتالة وأراغون إلا بعد استيلاء قشتالة على الجزيرة الخضراء في سنة

(٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) ، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات (٢٥٢) . وتولى عقدها عن بنى مرين السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة ، الذى فوض قائده ابن كاشة بمقتضى وثيقة وجهها إلى هذا القائد (٢٥٣) . وفى سنة (٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ، أبرمت معاهدة مدتها أربعة عشر شهرا بين بنى مرين وأراغون ، وجاء أبو عنان المرينى بعد ذلك فأكد التزامه ببندى هذه المعاهدة (٢٥٤) . وجدد المعاهدة المعقودة بين المرينيين ، وبين « بيدور الرابع » ملك قشتالة لمدة خمس سنين أخرى وكان ذلك فى سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) (٢٥٥) . وكان خروج أى طرف على نصوص المعاهدة مدعاة إلى احتجاج الطرف المتضرر من نقض المعاهدة ، ففى سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ، احتج « بيدور الرابع » لدى أبى عنان المرينى لعدم وفاء محمد الخامس سلطان غرناطة بنصوص الاتفاقية المبرمة بينهم (٢٥٦) .

وفى سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) ، أبرمت معاهدة صلح بين غرناطة وأراغون ، وشملت هذه المعاهدة المرينيين أيضا ، إذ فوض السلطان المرينى أبو فارس عبد العزيز السلطان محمد الخامس - سلطان غرناطة لابرامها . كما أبرمت معاهدة أخرى مماثلة لها بين فاس وغرناطة وقشتالة (٢٥٧) .

وكانت آخر المعاهدات التى أبرمت بين المرينيين وبنى الأحمر وأراغون وقشتالة ، تلك التى عقدت سنة (٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) ، وقد جرى تجديدها والعمل بها سنة (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) وسنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) (٢٥٨) .

وكانت للجزر الواقعة فى غرب البحر المتوسط مكانتها أيضا فى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية مع المرينيين ، ومن أمثلة المعاهدات التى عقدت مع هذه الجزر ، المعاهدة التى عقدها السلطان أبو الحسن المرينى فى تلمسان بينه وبين « جاك الثانى » ملك جزيرة ميورقة ، والتى أبرمت فى أبريل سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) (٢٥٩) .

وأخيرا يجب الإشارة إلى أن بعض الشخصيات من أبناء البيت المرينى لجأت إلى بلاط قشتالة لأنها كانت تشعر أن بقاءها فى المغرب الأقصى أو فى غرناطة محفوف بالخطاطر ، ومن هذه الشخصيات الأمير أبو سالم المرينى ، الذى لجأ إلى بلاط قشتالة ، وقد عاونه ملك قشتالة ، حيث حملته إحدى القطع البحرية القشتالية وأنزلته بساحل المغرب ليطلب عرش بنى مرين (٢٦٠) . ومن هذه الشخصيات أيضا الأمير أبو زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى ، وقد استدعاه الوزير المستبد عمر بن عبد الله وأقامه على العرش المرينى سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) (٢٦١) .

هوامش الفصل الرابع

- (١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ ، (اشار صاحب الذخيرة السنية إلى أن السيدة أم اليمين بنت محلى وهى زوجة الأمير عبد الحق المرينى والد أمراء بنى مرين الأربعة الذين أسسوا دولة بنى مرين ، وآخرهم يعقوب بن عبد الحق - توفيت بمصر فى ربيع الآخر سنة (٦٥٣ هـ) فى أثناء حجتها الثانية ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠) .
- (٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ ، وقارن : المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٩ .
- (٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
- (٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (وكان صاحب مصر فى ذلك الوقت السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (٧٠٩ هـ - ٧٤١ هـ) .
- (٥) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٩ ، (وكان أئذئدى قد فر من مصر لاجئا سياسيا عند بنى مرين فى الأيام الظاهرية كما يقول المقرئى ، وقدم على أئى يعقوب يوسف بهدية فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
- (٦) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .
- (٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
- (٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- (٩) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- (١٠) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .
- (١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ ، ص ١٤٢ .
- (١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٢ .
- (١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
- (١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ ، (وكان هذا الكتب ، وردت هكذا فى الأصل) .

(١٩) محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبو الحسن المرينى ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ١٩٥٦ ، ص ١٠٩ .

(٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، (نص الرسائل المتبادلة بين أبى الحسن والناصر محمد ابن قلاوون فى صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ج ٨ ، ٨٧ - ٩٩ ، ج ٨ ، ص ٩٩ - ١٠٣) .

(٢١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٩ ، (وكانت وفاة والده أبى الحسن فى سنة (٧٣٦ هـ) ، المصدر السابق ورقة ٣٠) .

(٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، (نقل القلقشندى خلال الرسائل المتبادلة بين البلاط المرينى والبلاط المصرى أن هذا المصحف أرسل إلى المدينة المنورة وليس إلى الحرم المكى كما روى ابن خلدون ، انظر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٣٩٤ ، ج ٨ ، ص ١٠٢ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١١٤) .

(٢٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٥ .

(٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٥ ، (انظر قسم الملاحق ، عن تفاصيل هذه الهدية كما ذكر السلاوى .

(٢٦) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٠ ، (والحررة مريم ليست ابنة للسلطان أبى الحسن كما قال المقرئى ، أما والده أبى الحسن فهى العنبر كما روى ذلك ابن الأحمر ، انظر المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠) .

(٢٧) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٧ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، المقرئى : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، (ولا يخفى ما لى هذا التقدير لقيمة الهدية من مبالغة) .

(٢٩) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٨ .

(٣٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٥ ، أبو المحاسن : الدجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٩ ، ص ١٣٩ ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٣٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

(٣٤) محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١٣١ .

(٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق فى أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، ص ١٣١ ،

١٣٢ ، والرسالة موجودة بالنسخ .

(المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٨٦ - ٣٩٤) . وهناك رسالة أخرى نقلها المقرئ قال فيها : « وفي نصف شعبان قدمت الحرة ، أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن ، يتضمن السلام وأن يدعو لها الخطباء في يوم الجمعة في خطبتهم ومشايخ الصلاح ، وأهل الخير بالنصر على عدوهم وأن يكتب لأهل الحرمين بذلك » ، وواضح أن الرسالة حملتها أخت السلطان نفسها وهي غير الرسالة التي حملها أبو الفضل ، المقرئ : السلوك ، ج ٢ ، القسم الثالث ، ص ٦٧٠ .

(٣٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧٢ - ٧٤ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٨ .

(٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

(٣٨) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ، (نص التوفيق انظره بقسم الملاحق) .

(٣٩) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٤٠٠ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٠ ، وما بعدها .

(٤٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٤١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ، د. علي محمد عمر : دولة الظاهر برقوق وأسرتة في مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٧ ، ص ٦٨ ، (حمل رسالة السلطان برقوق يوسف بن علي بن غاثم الذي كان يبيع في سنة (٧٩٣ هـ) المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٢) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، القسم الأول ، ١٧٩ ، ص ١٨٠ .

(٤٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، القسم الأول ، ١٧٩ ، (ولد ابن سומר الزواوى سنة (٦٢٩ هـ) وقدم إلى الاسكندرية وهو شاب وتفقه بها حتى برع في مذهب مالك وأكثر من سماع الحديث ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .

(٤٥) المصدر السابق ، ج ٥ ، نفس الصفحة .

(٤٦) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤٧) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ابن فرحون : الديباج المذهب . ط القاهرة

١٣٥١ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٤٨) الكتانى : سلوة الانفاس ، ج ٣ ، ص ١٧ ، (يروى الكتانى أن قدوم ابن نفيس الشريف على فاس من العراق كان بإشارة رآها من النبى ﷺ في منامه ، ويروى الكتانى أيضا أن خروج السلطان أبي سعيد لاستقباله لابن نفيس كان بناء على رؤيا رأى فيها النبى ﷺ وهو يأمره بالخروج لتلقى هذا العالم الجليل ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .

(٥٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٦ ، ٢٧ .

- (٥١) المصدر السابق ، ورقة ٢٧ .
- (٥٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ١٠٣ ، ١٦ .
- (٥٣) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٠٥ .
- (٥٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٥٥) د. علي محمد عمر : دولة الظاهر برقوق وأسرته في مصر ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
- (٥٦) المرجع السابق ، نفس الصفحات ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٤٠٧ - ٤١١ ،
(انظر هذه الرسالة في قسم الملاحق) .
- (٥٧) (يتنسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص يحيى بن عمرو المنتاق من هنتاة أعظم قبائل
مصمودة ، ويعتبر هذا الشيخ من مؤسسي دولة الموحدين ، بما كان له من سابقة في الجهاد مع الموحدين ، وقد
نال أبنائه من بعده مكانة عظيمة في الدولة الموحدية ، وتقلبوا في مناصب الإمارة في المغرب والأندلس .
- ويعتبر أبو زكريا يحيى بن أبي حفص المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس في رجب سنة (٦٢٥ هـ)
بعد أن عزل أخاه أبا محمد عبد الله عبو ، واستقل بإمارة بإفريقية ، وفي سنة (٦٢٧ هـ) اقتصر على الدعاء
للمهدي والخلفاء الراشدين . حتى إذا كانت سنة (٦٣٤ هـ) استقل بإفريقية استقلالاً تاماً وعقد لنفسه عليها
بيعة عامة .
- ومن الأسباب التي دفعت أبا زكريا يحيى إلى الاستقلال بإفريقية عن الدولة الموحدية ، مارآه من ضعف
الموحدين ، وما ارتكبه المأمون الموحدي من قتل للموحدين في مراكش ، ومن طعن في عصمة المهدي وتغيير
لرسوم الدعوة الموحدية ، وقد حكم الحفصيون في إفريقية زهاء ثلاثة قرون ونصف ، الزركشي : تاريخ الدولتين ،
ص ٢١ - ٢٣ ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب
الكبير ، ص ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٠٥) .
- (٥٨) د. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٠٠ .
- (٥٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ .
- (٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ .
- (٦١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ،
١٢٩ ، ١٣٠ .
- (٦٢) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٣٩ .
- (٦٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
- (٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .
- (٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٥ .
- (٦٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .
- (٦٨) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٧٨ .
- (٦٩) المصدر السابق ، ص ٦٨ ، (انظر في ذلك الفصل الثاني .
- (٧٠) المصدر السابق ، ص ٧٨ .
- (٧١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٣٨٦ ، (ويذكر الزركشي أن صداق عزونة بنت

السلطان أوى يحيى كان خمسة عشر ألف دينار ذهباً ومئتين من الخدم ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٩) .
(٧٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٨ .
(٧٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣١ .

(٧٤) انظر الفصل الثانى .

(٧٥) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، ص ٢٣٧ .
(٧٦) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ .
(٧٨) المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، (يبيع لأوى العباس أحمد بتونس فى ربيع الثانى سنة (٨٧٢ هـ) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٦١) .

(٧٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٣ ، (يروى السلاوى أنه من الاتفاق الغريب أن سلطان فاس والمغرب فى ذلك الوقت كان اسمه عهد العزيز بن أحمد وسلطان تونس وإفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايتهما فى سنة واحدة ، انظر ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤١) .

(٨٠) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٨١) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٨٢) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٩٩ .

(٨٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .

(٨٤) المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٨٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٢٠ .

(٨٦) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٨٧) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٩ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٨٨) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٤٠٨ ، (عن أحوال ابن مرزوق قبل رحيله إلى تونس

انظر ابن فرحون : الديباج المذهب ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨٩) (تُنسب هذه الدولة إلى بنى عبد الواد وهم بطن من بطون زناتة ، وهؤلاء كانوا يقيمون حياة

التنقل والترحال يرتادون صحراء المغرب الأوسط ، وقد قاوم بنو عبد الواد الموحدين أول الأمر ، ولكنهم

أصبحوا بعد ذلك من أخلص حلفائهم ومعاونيهم فى المغرب الأوسط ، واستقروا نتيجة للإطاعات التى

منحها لهم الموحدون فى نواحي تلمسان ، وبمرور الوقت ، استفحل شأن بنى عبد الواد ، وساعد على ذلك

الضعف الذى منى به الموحدون ، حتى إذا جاءت سنة (٦٣٣ هـ) ، تولى يغمراسن بن زيان أمر بنى

عبد الواد ، وكان شخصية قوية شديدة المراس ، فأعلن استقلال بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط عن الدولة

الموحدية ، واقتصر فى تبعيته لهم على الدعاء للخليفة الموحدى فى الخطبة . وخاض يغمراسن بن زيان - الذى

استمر في حكم بني عبد الواد قرابة الستين عاما - حروبا ومعارك كثيرة ضد الموحدین والمرينيين والحفصيين حتى توفي سنة (٦٨١ هـ) ، التنسي : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن الوردي : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، الجليلي : تاريخ الجزائر العام ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزبالي ، ص ١١ - ١٤) .

(٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، (و بطون بني يادين الخمسة هي : بنو عبد الواد وتوجين ومصالب وبنو زردال وبنو راشد ، (المصدر السابق ، نفس الصفحة) ، ويذكر يحيى بن خلدون أن بني مرين يلتقون مع بني عبد الواد عند الجدة (شجيج) ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ٩٥) .

(٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ،

١٩ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ،

مخطوط ، ورقه ٢١ ..

(٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٧ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن الأحرر :

روضة النسرین ، مخطوط ، ورقه ٢١ .

(٩٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٩٩ ، ١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ابن أبي زرع : الأليس

المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ .

(١٠١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(١٠٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ،

الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

(١٠٤) ابن أبي زرع : الأليس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ،

ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ .

(١٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .

(١٠٦) انظر الفصل الثاني .

(١٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ،

ص ٥٠ ، ٥١ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(١٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ،

ص ٦٠ .

- (١١٠) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨ .
- (١١١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦١ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٢١ ، ٢٢ .
- (١١٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ٨٩ .
- (١١٣) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الخفصية ، ص ١٧٠ .
- (١١٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ .
- (١١٥) أنظر هذه الأحداث في الفصل الخاص بالتوسع المرنى .
- (١١٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
- (١١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٢ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
- (١١٨) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .
- (١١٩) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٤ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٦٣ .
- (١٢٠) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
- (١٢١) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
- (١٢٢) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ص ١٩٦ ، (من علماء المغرب الأوسط الذين حضروا مجالس أبي الحسن ، أبو عبد الله محمد بن علي بن النجار التلمساني ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي الآبلي ، وابني الإمام ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزباني ، ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣) .
- (١٢٣) محمد الفاضل ابن عاشور : أعلام الفكر الإسلامى في تاريخ المغرب العربى ، مكتبة النجاح ، تونس ، ص ٨٠ .
- (١٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ ، ابن الأحرار : روضة التصرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٤ .
- (١٢٥) (ذكر الدكتور عبد الرحمن زكى نقلا عن العمري أن مالى اشتملت على أربعة عشر إقليما : « وهى : غانة وزاجون وتورونكا وتكرور وسنغانة وباهوغو وزرقطباله ومرتد ودامور وزافقة وكبارة وبزغورى وكوكو . يضاف إليهما بعض الأقاليم الصحراوية » . وابن الوردي يروى أن ملك مالى كان « تحت يده أربعة عشر ملكا » . وبعد الملك ساندياتا - الذى تولى حكم مالى سنة ١٢٣٠ م ، واعتنق الإسلام - المؤسس الحقيقى لهذه الدولة القوية الغنية ، حيث استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هى إمبراطورية مالى (بفتح الميم وتشديد اللام) ، وقد اتسعت مالى وبلغت أوج عظمتها وقوتها وراثتها في عهد ملكها منسا موسى (١٣٠٧ م - ١٣٣٢ هـ) الذى نجح في ضم معظم بلدان السودان الغربى إليه ، د. عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، مطبعة يوسف ، ص ٢٩ ، ابن

الوردى : تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما على الصحراء الكبرى ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٧ ، ص ٥٩ - ٦١ ، رولاند أوليفر وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، ترجمة : دولت أحمد صادق ، ط : يونية ١٩٦٥ ، ص ٩٨ .

(١٢٦) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما على الصحراء الكبرى ، ص ٥٩ ، (انظر الخريطة رقم ١) وتشكل امبراطورية مالى الكبرى الآن الدول المعروفة باسم تشاد والنيجر ومالى والسنگال ، انظر ، الأطلس العربى ، طبع إدارة المساحة العسكرية القاهرة ، ١٩٧٢ ، ط خامسة ، ص ١٠ ، ١١) .

(١٢٧) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

(١٢٨) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما على الصحراء الكبرى ، ص ١٣ ، ١٤ ، نفس المؤلف : مسالك الإسلام إلى القارة الافريقية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، مايو ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، د. العلوى : التاريخ الإسلامى افاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١٩٧٦ ، ص ٣٨٧ .

(١٢٩) ابن بطوطة : تحفة النظائر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط ثانية ، ج ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩١ ، انظر : المقرئى : اللام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة التأليف ، القاهرة ، ١٨٩٥ ، ص ٢٢ .

(١٣٠) د. صلاح الدين المنجد : مملكة مالى عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٢١ ، محمد عيسى الحريرى : الدولة الرسمية بالمغرب قيامها وتطورها ، رسالة ماجستير ، بكلية دار العلوم ١٩٧٥ م ، ص ٢٦٨ .

(١٣١) رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ٩٨ .

(١٣٢) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

(١٣٣) د. زاهر رياض : الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ ، ص ١٢١ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، الالف كتاب رقم ٣٨٤ ، ص ١١٠ .

(١٣٤) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ ، وتحدث ابن مرزوق أيضا عن هدايا أبى الحسن إلى سلطان مالى فقال : « سمعت غير واحد من أصحابنا يقول أنها تزيد فى الدخائر » ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠٨ .

(١٣٥) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، (ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن الذى تولى حكم مالى بعد منسا موسى هو ابنه منسامغا أو مغان الذى ذكر ابن خلدون أن اسمه منسا سليمان ، وهو بطبيعة الحال غير منسا سليمان شقيق منسا موسى لأن هلا الأخير تولى عرش مالى سنة (١٣٥٢ م - ١٣٥٩ م) ، والمعروف أن منسا موسى توفى سنة (١٣٣٢ هـ) انظر ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٩٣ ، د. عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٣٨) .

(١٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

(١٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

- (١٣٨) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
- (١٣٩) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٩٦ ، Roland Oliver, the Down of , African History, London, P.40, 41 .
- (١٤٠) رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ .
- (١٤١) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .
- (١٤٢) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
- (١٤٣) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٠ .
- (١٤٤) المصدر السابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .
- (١٤٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، د. عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بآفريقيا الغربية ، ص ١١٩ .
- (١٤٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ ، رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ ، (قدر القلقشندي كميات الذهب بمائة حمل) .
- (١٤٧) رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ ، (من أوائل المصادر التي أشلوت إلى مالي وملكها) خريطة العالم التي رسمها المجلينو دولسرت الميورق وهي مؤرخة في سنة ١٣٣٩ م ، بعد سبع سنوات فقط من وفاة منسا موسى فقد وضع المجلينو في وسط الصحراء الغربية عرشا عليه تمثال كساه بالثياب الملكية وعلى رأسه تاج وذكر أنه ملك مالي ، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تهملة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، ص ٢٢١ .
- (١٤٨) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، ص ٦٢ .
- (١٤٩) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .
- (١٥٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٥١) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١٨١ .
- (١٥٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، د. عبد الرحمن زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بآفريقيا الغربية ، ص ١١٠ .
- (١٥٣) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٥٧٣ ، شارل أندريه جوليان : تاريخ أفريقيا ، ترجمة : طلعت عوض أباطة ، ص ٨٣ .
- (١٥٤) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٣ ، Fage. J. D., Africa Discovers her past, London, (1970), P.63 .
- (١٥٥) د. عبد الرحمن زكي : تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بآفريقيا الغربية ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .
- (١٥٦) د. صلاح الدين المنجد : مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، ص ٦٩ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ١٤٠ ، د. محمد عيسى الحريزي : الدولة الرسمية ، بالمغرب قيامها وتطورها ، ص ٢٧٠ .
- (١٥٧) د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار النهضة العربية ، الجزء الأول ، ط ثانية ، ١٩٦٣ ، ص ٢١١ .
- (١٥٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٥ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٣٢ .

(١٥٩) المرجع السابق ص ٧٢ .

(وكان هؤلاء الأندلسيين الفضل في إدخال فن البناء بالأجر في السودان الغربي) ويرجع الفضل في ذلك إلى أبي إسحاق الساحلي - من أهل غرناطة - فقد بنى مسجدا عظيما في جوا ، ومسجدا آخر في تيبكتو بذيغرة كمركز ثقافي وتجاري ، كما بنى قصرا عظيما للنس موسى ، د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، ص ٦٢) .

(١٦٠) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ٢ ، ص ١٩١ ،

١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ .

(١٦١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٩٣ ، د. إبراهيم علي طرخان : دولة مالي الإسلامية ،

ص ١٤٧ ، د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(١٦٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(١٦٣) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٢ ، ٢٠٠ ،

المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، (وقد كان أهل مالي قبل ذلك مجوسا أو عبدة للأصنام التي

كانوا يسمونها الدكاكير ، الهكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٧٢) .

(١٦٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ ، د. إبراهيم علي طرخان : دولة مالي

الإسلامية ، ص ١٥٣ .

(١٦٦) د. إبراهيم علي طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ١٥٣ ، د. حسن أحمد محمود : الإسلام

والثقافة العربية في إفريقيا ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، (يذكر الدكتور عبد الرحمن زكي نقلا عن القلقشندي أن

سلطان مالي لا يكتب شيئا في الغالب ، بل بكل كل أمر إلى صاحب وظيفته من هؤلاء فيفعله وكتابتهم

بالخط العربي على طريقة المغاربة) ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٨ ، د. عبد الرحمن

زكي : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ١١٩ .

(١٦٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٩ ، Roland Oliver, Op. Cit., P.41 .

(١٦٨) (تأسست دولة بني الأحمر في بلاد الأندلس نتيجة لجهود كبيرة قام بها أبو عبد الله محمد بن

يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري ، وكان طموحا لطلب

الملك والرياسة ، فكان كما وصله ابن الخطيب جندبا لغربا شهما عظيم العجلد ، وقد تمكن مما تحلى به من هذه

الصفات وغيرها من مؤهلات الرعامة أن يسود قومه ، وقد ساعدته حالة الاضطراب التي سادت بلاد

الأندلس - نتيجة للصراع بين الموحدين وأبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود - على تثبيت أقدامه في بياضة

ووادى آش وما جاورهما من البلاد والقواعد والحصون ، واتجه إلى الموانئ الجنوبية حتى يسهل عليه الاتصال

بالمدونة المغربية ، وليكون في مأمن من خطر الأسبان في الشمال . وفي سنة (٦٣٥ هـ) تمكن من الاستيلاء

على غرناطة ، واتخذها عاصمة لدولة بني الأحمر . وليضفي على دولته الناشئة الشرعية ، دعا للخليفة المستنصر

العباسي ببغداد ، كما كان يفعل منافسه ابن هود ، في ذلك الوقت ، ولكنه عدل عن ذلك بالدعاء لأبي زكريا

الخفصى سلطان الفريقية . وقد توصل بسبب هذه الخطوة إلى الحصول على أمداد وفيرة من المال والاعانات ،

التي كان لها أثر كبير في صموده ونماء دولته التي خاضت صراعا مريرا مع نصارى أسبانيا ، ونجحت في

الحفاظة على وجودها بالحرب معهم تارة ، ومهادنتهم تارة أخرى . ويرجع الفضل في معظم انتصارات أبي

عبد الله محمد (ابن الأحمر) إلى أصهاره (بني اشقيلولة) وأخيرا تولى مؤسس دولة بني الأحمر ، في جهادي

الثانية سنة (٦٧١ هـ) . واحساس منه بأهمية التعاون بين بنى الأحمر والقوة الجديدة التى ظهرت فى بلاد المغرب وهى قوة بنى مرين ، وجه قبيل وفاته بقليل النصيحة إلى ولى عهده محمد الثانى - الملقب بالفقيه - بضرورة دعوة بنى مرين والتعاون معهم لصد خطر النصارى الاسبان عن المسلمين فى الأندلس ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٣٠ - ٣٦ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٩٢ - ١٠١ ، ابن الخطيب كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٨ ، ١٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، محمد كمال شبانه : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٩ - ٢٥ ، محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ١٩٣٤ ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ .

(١٧٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(١٧١) د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٧ .

(١٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٥ ، ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٤٤ ، (انظر الفصل الخاص بتوطد الدولة عن سبب الخلاف بين بنى الأحمر وبين اشقيلولة) .

(١٧٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، انظر الفصل الأول .

(١٧٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .

(١٧٥) المصدر السابق ، ص ١٩٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٥ .

(١٧٧) انظر الفصل الأول .

(١٧٨) ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٤٥ .

(١٧٩) د. محمد كمال شبابة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ٢٩ ، (كان للأمير يوسف بن يعقوب دور كبير فى خلق التقارب بين والده يعقوب المرينى وابن الأحمر خلال العبور الثالث لأبى يوسف إلى الأندلس ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، وانظر الفصل الأول .

(١٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٨١) د. أحمد مختار المبادئ : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد السابع والثامن ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ٤٨ .

(١٨٢) ابن الخطيب : اللوحة البدرية ، ص ٤٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(١٨٣) المصدر السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٦٥ .

(١٨٤) انظر : الفصل الثانى .

- (١٨٥) ابن أئى زرع : الأئيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ .
- (١٨٦) ابن أئى زرع : الأئيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٢٨ .
- (١٨٧) ابن الخطيب : اللمة البدرية ، ص ٥٣ .
- (١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .
- (١٨٩) ابن الخطيب : اللمة البدرية ، ص ٥٨ ، ابن أئى زرع : الأئيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ .
- (١٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٠ .
- (١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٤٩ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٢٣ ، (اضطر الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بعد أن يش من معلونة السلطان أئى سعيد المريني ، أن يخوض الحرب ضد ملوك النصارى الذين تجمعوا وبلغ عددهم خمسة وعشرين ملكا ، وكانوا قد تجمعوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس . وقد أبلى عثمان بن أئى العلاء ومن معه من متطوعة بنى مرين بلاء حسنا ، فهزموا النصارى ، وتبعوهم يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام ، وبلغ عدد القتلى من النصارى خمسين ألف قتيل ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، المقرئ : السلوك القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ج ٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ابن الوردى : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦) .
- (١٩٢) ابن الخطيب : اللمة البدرية ، ص ٨١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
- (١٩٣) انظر أحداث هذه الموقعة الفصل الثانى .
- (١٩٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٥٠٦ ، ٥١٢ .
- (١٩٥) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٥٧ ، ٧٥ .
- (١٩٦) المصدر السابق ، ص ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ .
- (١٩٧) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ١٠٣ .
- (١٩٨) المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، ١٥٤ ، (من ذلك شفاة السلطان أئى الحجاج يوسف الأول فى الخطيب أئى عبد محمد بن مرزوق ، والشيخ محمد بن أئى بكر القرشى المقرئ ، قاضى الجماعة بفاس . المصدر السابق ، نفس الصفحات ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠) .
- (١٩٩) ابن الخطيب : كناسة الدكان ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، (انظر هذه الرسالة فى قسم الملاحق) .
- (٢٠٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٤ - ٩٨ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٩٨ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ١٩ .
- (٢٠١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، د. أحمد مختار العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .
- مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .
- (٢٠٢) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ٦٢ .
- (٢٠٣) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٦٨١ .

- (٢٠٤) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٥٣ ، ١٥٧ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
- (٢٠٥) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٤ ، ابن الخطيب : اللوحة البدئية ، ص ١٠٨ .
- (٢٠٦) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٨٥ .
- (٢٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٩ ، وانظر ماكتبه ابن الخطيب عن ذلك الاستقبال ، ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .
- (٢٠٨) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .
- (٢٠٩) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦ ، ٧١ ، (انظر هذا المرسوم في الملحق رقم ٦) .
- (٢١٠) د. أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الاسباني ، مجلة عالم الفكر ، تصدرها وزارة الاعلام في الكويت ، المجلد الثامن - العدد الأول ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .
- (٢١١) د. أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ .
- (٢١٢) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٠ - ١٠٤ .
- (٢١٣) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- (٢١٤) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .
- (٢١٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .
- (٢١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢١٧) د. أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .
- (٢١٨) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ١٠٣ ، د. أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الاسباني ، عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .
- (٢١٩) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
- (٢٢٠) شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ط أولى ١٣٥٥ ، هـ ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٧ ، (وذكر نفس نص هذا الجزء من المعاهدة ماريانو ريباس بالار في مقاله عن ، بنى مريم في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣) .
- (٢٢١) انظر الفصل الثالث .
- (٢٢٢) انظر هاتين الحاديتين في الفصل الثالث .
- (٢٢٣) د. عبد الرحمن علي الحججي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ط ١٩٧٦ ، ص ٥٢٠ .
- (٢٢٤) د. حسن علي حسن : الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب في القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، (وكانت المرة تصدر إلى المغرب الأقصى آلات الصفر والحديد من السكاكين والأقفاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ، المرجع السابق ، نفس الصفحات ، د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٦٩ ، ط أولى ، ص ١٧١) .
- (٢٢٥) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

- (٢٢٦) البكرى : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب في القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، ص ٣٢٢ .
- (٢٢٧) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، (وقد عمل الفقيه الأديب الأندلسي مالك بن المرحل كاتباً للأمير أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، قبل قيام الدولة المرينية ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٩ .)
- (٢٢٨) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .
- (٢٢٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .
- (٢٣٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
- (٢٣١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
- (٢٣٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
- (٢٣٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
- (٢٣٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ ، (قرأ ابن زمرك أيضاً في فاس بعض الفنون العقلية على الشريف أبي عبد الله العلوي التلمساني ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .)
- (٢٣٥) د. أحمد مختار : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البيئة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٦ - ٥٨ ، (هذا كتاب أعمال الأعلام الذي ألفه للسلطان الصغير أبي زيان محمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .)
- (٢٣٦) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ٣٠١ .
- (٢٣٧) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .
- (٢٣٨) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
- (٢٣٩) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .
- (٢٤٠) عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، ص ٥٩٧ .
- (٢٤١) المرجع السابق ، ص ٦٠١ .
- (٢٤٢) د. محمد كمال شبانه : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٤٤ .
- (٢٤٣) الفرديل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣١٦ .
- (٢٤٤) ماريانو أريباس بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
- (٢٤٥) د. علي حسنى الخربوطي : الإسلام في حوض البحر المتوسط ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
- (٢٤٦) بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ ، (دأب السلطان يعقوب المريني على استغلال أية فرصة تظهر فيها الخلافات بين نصارى أسبانيا لاضعاف موقفهم ، فوقف إلى جانب الفونسو العالم ضد ولده ساتشو الذي انتزع منه العرش ، انظر ، من الفصل الأول) .
- (٢٤٧) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
- (٢٤٨) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

- (٢٤٩) بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ .
- (٢٥٠) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
- (٢٥١) بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ ، ١٩٦ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٦٢ .
- (٢٥٢) بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .
- (٢٥٣) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٤٦ ، (انظر نص الوثيقة بقسم الملاحق) .
- (٢٥٤) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
- (٢٥٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٥٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٥٧) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٩٧ .
- (٢٥٨) بالار : بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .
- (٢٥٩) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ١٠٢ .
- (٢٦٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، الزركشي : تلويح الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .
- (٢٦١) ابن خلدون : العبرة ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١١ .

الفصل الخامس

النظم الإدارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين

النظم الإدارية والاقتصادية في دولة بنى مرين أولا : النظم الإدارية

أ - نظام الحكم

١ - السلطان المرينى :

ظهر الميريون على مسرح الأحداث في بلاد المغرب الأقصى قوة سياسية وعسكرية كبيرة نائمة على الموحدين . والميريون يختلفون عن الحفصيين إذ أن الحفصيين أعلنوا استقلالهم بإفريقية عن الموحدين سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) (١) ، وهم يختلفون أيضا عن بنى عبد الواد الذين أعلنوا استقلالهم بالمغرب الأوسط عن الموحدين سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) (٢) . فكان الميريون خلال الفترة التي ثاروا فيها على الموحدين ، من سنة (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) إلى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، - وهى فترة تأسيسهم لدولتهم في المغرب الأقصى بعيدى كل البعد عن أى ارتباط سياسى بالموحدين ، و لذلك حملوا على كاهلهم كل العبء العسكرى لإسقاط دولة الموحدين ، ومن نتائج ذلك أن نظام الحكم فى الدولة المرينية جاء مختلفا بعض الشيء عن نظام الحكم الذى كان سائدا فى الدولة الموحدية .

فالحفصيون فى إفريقية احتفظوا فى نظم حكمهم بكثير من تقاليد النظم السياسى الموحدى فى الحكم ، كاحتفاظهم بلقب (الموحدين) ذلك اللقب الذى أطلقوه على عمالهم ، كما احتفظوا أيضا بلقب (شيخ الموحدين) (٣) ويعبر ابن القنفذ عن ارتباط النظام السياسى الحفصى بالنظام السياسى الموحدى حين ذكر أن كليهما ينهل من معين واحد ، وهو التوحيد ، ويقوم دولته على أسس دينية محضة ، يقول ابن القنفذ : « وانقطعت الكلمة المؤمنية من البلاد الإفريقية لأن كلمة التوحيد على نوعين مؤمنية وحفصية »

أما الميريون فقد أطلقوا للناس الحرية الكاملة فى الانتماء إلى المذهب الذى يريدونه (٥) . وعلى هذا فلم يصبح السلطان المرينى مصدرا للسلطات الدينية ، وإنما أصبح هذا السلطان مصدرا للسلطات السياسية فقط ، خلافا لما كان عليه الموحدون إذ كان الخليفة الموحدى مصدرا للسلطات الدينية والسياسية معا . (٦) وقد أشار السلطان أبو الحسن

إلى هذه الحقيقة الأساسية في نظام الحكم المريني حين قال : « أوصى جدنا عبد الحق رضى الله عنه بوصية التزامها وهى أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة وهم صاحب القصبة وصاحب الشرطة والوالى وثلاثة المرجع فيها للرعية وهم أمام الصلاة والخطبة والقاضى والمحتسب . (٧) وهذا النص يطلع على حقيقة هامة أخرى ، وهى أن المرينيين اتخذوا نظام السلطنة شعارا للحكم بدلا من الخلافة ، وأن المرينيين منذ دخلوا المغرب الأقصى سنة (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) ، وأميرهم عبد الحق يفكر في تغيير نظام الحكم في المغرب الأقصى إلى نظام السلطنة بدلا من نظام الخلافة الذى كان عليه الموحدون .

وظل رؤساء بنى مرين في المغرب الأقصى منذ هذا التاريخ وحتى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، يتخلون لأنفسهم لقب أمير ، وعددهم أربعة أمراء كلهم أبناء لعبد الحق المريني . (٨) حتى إذا تمكن آخرهم الأمير يعقوب بن عبد الحق من إسقاط الخلافة الموحدية نهائيا سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، أقام نظام السلطنة بدلا من نظام الخلافة الموحدية . ولا شك أن نظام السلطنة كان يمثل في أذهان أمراء بنى مرين فلسفة متكاملة لنظام جديد قوامه إعطاء الحرية الدينية الكاملة للشعب دون تقييده بأفكار دينية معينة .

واتخذ رؤساء دولة بنى مرين لأنفسهم لقب (سلطان) ، وتسمى السلطان منهم (بأمير المسلمين) . (٩) وأصبح السلطان يمثل السلطة السياسية العليا في الدولة ، أما أمور الدين ، فكانت من شأن الفقهاء والعلماء في الدولة . وفى بعض الأحيان كان السلطان المريني يلقب (بأمير المؤمنين) دون استعمال لقب الخلافة معه . (١٠) وعلى هذا لم يتخذ أحد من سلاطين بنى مرين لنفسه لقب خليفة سوى السلطان أبو عنان المريني ، الذى لقبته بعض المراجع بأمير المؤمنين ، ورغم ذلك ، فلم تكن هذه التسمية شائعة لأبى عنان ، وإنما الذى شاع ، تسميته بالسلطان (١١) .

ومما يؤكد اختلاف استعمال لقب الخلافة والخليفة ، للدلالة على قمة السلطة في الدولة المرينية ، شيوع استعمال لقب السلطان والسلطنة في مختلف المصادر التى أرخت للدولة المرينية . ويروى ابن مرزوق أن والده السلطان أبى الحسن المريني تشفعت لديه ، للعفو عن شخص ما ، وصعب على السلطان أبى الحسن أن يحقق رغبتها ، فقالت له والدته : « يا على لعلك غرتك سلطنتك وشغلتك عن حقى » (١٢) . كذلك اتخذ السلطان المريني لنفسه لقبا من الألقاب إلى جانب التسمى باسم سلطان ، فأول سلاطين بنى مرين تلقب بالقائم بالله (١٣) .

وكانت البيعة للسلطان المريني تتم على مرحلتين الأولى : يبايع فيها أهل الحل والعقد ولى العهد وهذه هى البيعة الخاصة (١٤) . وأهل الحل والعقد هم شيوخ بنى مرين والوزراء

وكبار رجال الدولة (١٥) . وهؤلاء كانوا أشبه ما يكون بمجلس وصاية على العرش ، إذ هم المكلفون بحماية العرش المرينى حتى يتولى السلطان الجديد زمام الأمور . فإذا لم يكن هناك ولى للعهد ، فإنهم يختارون إحدى الشخصيات من أبناء البيت المرينى ويبايعونها بيعة خاصة ، ثم يقدمونها للشعب للبيعة العامة . وهذا ما حدث بعد وفاة السلطان أبى الربيع سليمان المرينى ، فإن أهل الحل والعقد اختاروا أباً سعيد عثمان بن عبد الحق ، وبايعوه سلطاناً على بنى مرين لوفاة أبى الربيع المفاجئة دون تعيينه ولى للعهد (١٦) .

والمرحلة الثانية هى البيعة العامة وهذه تتم بعد البيعة الخاصة ، حيث تبادل بها قبائل « زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء » (١٧) . وهذه البيعة الخاصة والعامة كما يقول عنها ابن خلدون : « هى العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر فى أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه فى شئ من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه » (١٨) .

والذى يلاحظ أن نظام السلطنة المرينية كان وراثياً ، إذ كان يشترط فى السلطان أن يكون منتصباً إلى البيت المرينى الحاكم ، وكثيراً ما كان السلطان الجديد ابناً (١٩) ، أو حفيداً (٢٠) ، أو أخاً للسلطان المتوفى (٢١) . وقد جر ذلك النظام على الدولة المرينية وهلات كثيرة . ففى عصر نفوذ الوزراء الذى استمر من سنة (٧٥٩هـ — ١٣٥٧ م) إلى سنة (٨٦٩هـ — ١٤٦٥ م) ، أصبح سلاطين بنى مرين ألعبوبة فى يد الوزراء ، حيث ضعف السلاطين ، وضعف تأثير أهل الحل والعقد على هؤلاء الوزراء ، وانفرد الوزراء بترشيح السلاطين ، ولم يكن أحد يجزئ على الاعتراض على ما أقره الوزراء المستبدون . فتولى أمر بنى مرين سلاطين صغار السن لم يتجاوز سنهم فى بعض الأحيان خمس سنوات (٢٢) . ومنهم من تولى وهو مختل العقل كالسلطان أبى تاشفين بن أبى الحسن (٢٣) ومنهم من تولى الأمر وترك السلطنة للوزراء ، وأطلق العنان لشهواته وملذاته كالسلطان أبى زيان محمد ابن يعقوب بن أبى الحسن المرينى (٢٤) وقد أدى هذا فى النهاية إلى ضعف الدولة وسقوطها .

وقد أحاط سلاطين بنى مرين - خاصة فى عصر القوة فيما بين قيام الدولة سنة (٦٦٨هـ — ١٢٦٩ م) وحتى سنة (٧٥٩هـ — ١٣٥٧ م) - أنفسهم بمظاهر الأبهة والعظمة ، فاتخذوا لأنفسهم شارات الملك ، والآله والطبول فى مواكبهم « وجعلوها موكباً خاصاً يتبع أثر السلطان يسمى الساقة وهم فيه بين مكثر ومقلل ... وقد بلغت فى أيام السلطان أبى الحسن فيما أدركناه (ابن خلدون) مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير ويأذنون للولاة والعمال والقواد فى اتخاذ راية

واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطويل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك ، (٢٥) كما اتخذ سلاطين بنى مرين الطراز وهو أثواب من الديباج أو الحرير ترسم فيه أسماء السلاطين أو علامات تختص بهم ، وتكتب هذه الحروف لحمة وسدى بخيوط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط (٢٦) . كما اتخذوا المقصورة للصلاة فيها في المساجد (٢٧) .

٢ - ولاية العهد :

كان منصب ولى العهد من المناصب الهامة فى الدولة المرينية ، وكان الهدف الأساسى من الاحتفاظ بهذا المنصب فى الدولة منذ أول قيامها ، هو الرغبة الأكيدة لدى سلاطين بنى مرين فى الاحتفاظ ببقاء الحكم والسلطة العليا فى الدولة وفقا على الأسرة المرينية ، والمحافظة على الدولة بما قد يدب فى أوصالها من منازعات وخلافات حول منصب السلطنة فى حالة خلاء منصب السلطان .

وأول من تولى هذا المنصب الأمير أبو مالك عبد الواحد بن السلطان يعقوب ابن عبد الحق - مؤسس الدولة المرينية - وقد اختاره والده بعد أن أصابه المرض وهو بمدينة سلا سنة (٦٦٩هـ - ١٢٧٠م) (٢٨) . وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه ، حول حرص سلاطين بنى مرين على أن تكون السلطنة فى أبناء البيت المرينى من بعدهم . وقد أرسى السلطان يعقوب بن عبد الحق تقاليد اختيار ولى العهد ، التى اقتضى أثرها سلاطين بنى مرين من بعده ، إذ أن السلطان المرينى كان يرشح وليا لعهد ، وغالبا ما يكون أحد أبنائه ثم يعرضه على شيوخ بنى مرين ، فإذا ما وافقوا عليه أخذ عليهم البيعة والعهد والميثاق بتنصيب ولى العهد هذا بعد وفاته والالتزام بطاعته (٢٩) .

وكان ولى العهد فى الدولة المرينية غالبا ما يقوم فى كثير من الأحيان بوظيفة نائب السلطان ، فى أثناء غياب السلطان عن مقر حكمه فى فاس أو غيرها ، كما فعل السلطان أبو الحسن المرينى عندما أسند إلى ولى عهده الأمير أبى عنان ، مقاليد السلطة فى تلمسان ، عندما توجه لفتح إفريقيا سنة (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م) (٣٠) .

وكثيرا ما قاد ولى العهد جيوش الدولة نيابة عن السلطان لقمع الفتن والثورات فى المغرب ، أو للحرب والقتال فى الميدان الأندلسى ، فقد أرسل السلطان يعقوب ابن عبدالحق ولى عهده الأمير يوسف للاستيلاء على سبتة من بنى العزفى سنة (٦٧٢هـ - ١٢٧٣م) (٣١) . وأرسل السلطان أبو الحسن الأمير أبى مالك ولى عهده - إلى دار الحرب فى الأندلس سنة (٧٤٠هـ - ١٣٣٩م) ، للاشتباك مع النصارى الأسبان وقد لقي حتفه فى هذه المعارك (٣٢) . وكثيرا ما لجأ سلاطين بنى مرين إلى ذلك الأسلوب لتدريب أبنائهم - أولياء العهود - على التمرس بأساليب الحكم والإدارة والحرب .

علاوة على ذلك حرص سلاطين بنى مرين على وضع أولياء العهد فى صورة رسمية ، فأحاطوهم بكثير من مظاهر العظمة والجلال ، حتى تكتسب شخصيتهم عند العامة والخاصة قدرها من التجلة والاحترام ، فكان السلاطين يضعون لولى العهد ألقاب الإمارة ، ويأمرونهم باتخاذ العلامة فى كتبهم لإنفاذ الأوامر ، ويعينون لهم الوزراء القائمين على شئونهم ويجعلون معهم المجلساء والخاصة والكتاب والشعراء (٣٣) .

وكانت ولاية العهد ماثرا لكثير من المشكلات التى هددت كيان الدولة المرينية ، وكانت معظم هذه المشكلات تظهر عندما يموت السلطان المرينى دون أن يكون قد اختار وليا للعهد ، وكانت هذه الحالة ماثرا لخلافات حادة تنشب بين أهل الحل والعقد فى الدولة حيث يتبنى كل فريق منهم اتجاها معينا فى اختيار السلطان الجديد ، ومن ذلك ما حدث فى أعقاب مقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن عبد الحق ، إذ انقسم أهل الحق والعقد إلى فريقين الأول ضم شيوخ بنى مرين والعرب وهذا الفريق رشح للسلطنة أبى ثابت عامر حفيد السلطان المقتول . بينما الفريق الثانى الذى ضم الوزراء والحاشية والجند التزم حريا بمبدأ التوريث ، فرشح الأمير أبى سالم ابن السلطان يوسف (٣٤) .

ومن مشكلات ولاية العهد ما كان ينشأ عن عدم قدرة السلطان على المفاضلة بين أبنائه لاختيار واحد منهم ليكون وليا للعهد ، فالسلطان أبى الحسن المرينى حين لم يستطع المفاضلة بين ولديه الأمير عبد الرحمن ، والأمير أبى مالك ، أسند ولاية العهد لكليهما حيث جعلهما من أول دولته ألقاب الإمارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستحقاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعلهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية (٣٥) . وقد أدى ذلك إلى قيام صراع بين الأميرين انتهى بمقتل الأمير عبد الرحمن (٣٦) .

وفى عصر نفوذ الوزراء لم يعد لولاية العهد قيمة كبيرة ، فكثير من سلاطين بنى مرين فى هذه الفترة لم يجرؤوا على تحديد ولى للعهد فى حياتهم ، لأن مقاليد الأمور والسلطة كانت فى يد الوزراء ، ولم يكن من صالح الوزراء تحديد ولى للعهد حتى يصبح فى إمكانهم اختيار السلطان الذى يريدونه .

٣ - الوزارة :

يذكر ابن خلدون أن الوزارة هى : « أم الخطط السلطانية والرتب المملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة » (٣٧) . أو هى مأخوذة من الموازنة وهى المعلونة أيضا ، أو من الوزر بمعنى الاشتراك مع السلطان فى تحمل أوزاره وأثقاله (٣٨) . ولم يلجأ سلاطين

بنى مرين إلى ما كان متبعاً في الدولة الموحدية من تعيين الوزراء من أحد أبنائهم ، أو أقاربهم ، وإنما اختاروا لهذا المنصب من كانوا من أصحاب السيف ، ولم يكونوا من أصحاب القلم (٣٩) . ووفق ما ذكره الماوردي من أن الوزارة نوعان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ (٤٠) . فإنه يمكن القول بأن الوزير في الدولة المرينية حتى سنة (٧٥٩ هـ — ١٣٥٧ م) كان وزير تنفيذ ، بمعنى أن الوزير كان مجرد واسطة بين السلطان والرعية ، والولاة ، يؤدي عن السلطان ما يأمر به وينفذ عنه كل أحكامه ، ويخبر بتجهيز الجيوش ، وتقليد الولاة ، ويعرض على السلطان ما يرد إليه من مهام الأمور وما يتجدد من الأحداث (٤١) . وهذا يرجع إلى قوة السلاطين وسيطرتهم على مقاليد الأمور . وقد تعددت لذلك المهام التي قام بها الوزير في هذه الفترة ، فهو أحياناً يجهز الجيوش ، وقد يقودها لقمع بعض الفتن والثورات ، وقد يتولى الكتابة ، أو تسند إليه الولاية على إقليم من أقاليم الدولة لأهميته ، أو خطورة الأحوال فيه ، أو يقوم بوظيفة الحجابة بباب السلطان ، ومن هؤلاء الوزراء ، أبو معروف محمد بن يحيى ، استخدمه السلطان أبو سعيد المريني « في الولاية والقيادة . فلما ظهرت عاديته وبأن منه الجور والظلم أخره عن خطته وعزله عن عمله وألزمه الوقوف ببابه للخدمة بين يديه ثم أجرى عليه لقب الوزارة وخططه بها مكاتباته ومخاطباته » (٤٢) . وأحياناً يسند إلى الوزير القيام بمهام الحجابة أو العطاء كأبي عبد الله بن قيجلات المراكشي (٤٣) .

وكانت هناك بعض الشخصيات تقوم بمهام الوزير دون أن تتقلد منصب الوزارة رسمياً مثل أبي عمران موسى بن إبراهيم البرنياني استعمله أبو الحسن المريني في أعمال الوزارة دون أن يقلده اسمها (٤٤) .

وقد أشار ابن خلدون إلى أن ذلك النوع من الوزراء كان يطلق عليهم (المرشحون للوزارة نيابة) يقول ابن خلدون : « وبعث (أبو الحسن) إليها (بلاد الأندلس) مدداً من العسكر مع موسى بن إبراهيم البرنياني من المرشحين للوزارة نيابة » (٤٥) .

بلغ عدد الوزراء الذين تقلدوا الوزارة ، في مطلع الدولة المرينية ، ستة وزراء هم يحيى بن حازم العلوي ، ويحيى بن أبي منديل العسكري ، وفتح الله بن عمر بن محمد السدراتي ، وعيسى بن ماسي الفودودي ، وعمر بن السعود بن خرباش الحشمي ، ومحمد بن عبد الله ابن عطو الجاناتي (٤٦) .

أما في عصر نفوذ الوزراء من سنة (٧٥٩ هـ — ١٣٥٧ م) وحتى سقوط الدولة ، فكان الوزراء وزراء تفويض ، لأن سلاطين بني مرين كانوا ضعافاً تركوا لوزرائهم تدبير الأمور برأيهم وتوجيهها وفق اجتهادهم (٤٧) . ويتحدث ابن خلدون عن هذا النوع

من الوزارة فيقول انها « وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه (أى على السلطان) » (٤٨) . ولذلك استبد هؤلاء الوزراء بالدولة وعلا نفوذهم على نفوذ السلاطين ، ومن هؤلاء الوزراء ، الحسن الفودودي ، وعمر بن عبد الله ، وأبو بكر ابن غازي ، ومحمد بن عثمان وقد جمع هذا الصنف من الوزراء جميع مقاليد السلطة في أيديهم ، ولم يبق لمعظم السلاطين في عصر نفوذ الوزراء سوى شكلية السلطنة ، ولذلك لم يكن هناك في الدولة في الغالب سوى وزير واحد أو اثنين في معظم الأحوال (٤٩) .

٤ - الكتابة :

كانت وظيفة الكتابة في الدولة المرينية من أهم وأخطر الوظائف المعاونة للسلطان المريني ، ولذلك أفرد لها سلاطين بنى مرين ديوانا مستقلا بها ، أطلقوا عليه اسم ديوان الإنشاء والعلامة (٥٠) . وكان ذلك الديوان يضم عددا كبيرا من الكتاب الذين يقومون بتدقيق الكتب والرسائل . وقد ترأس هذا الديوان في العصر المريني عدد كبير من أئمة الفصاحة والبيان المغاربة منهم عبد الرحمن بن خلدون ، وعبد المهيمن بن محمد الحضرمي ، الذي استدعاه السلطان أبو سعيد المريني من سبتة لتولي رئاسة هذا الديوان (٥١) . ويعتبر وصول عبد المهيمن الحضرمي إلى منصب الكتابة في الدولة المرينية بداية مرحلة جديدة في وظيفة الكتابة ، إذ كان الكتاب قبل ذلك يجيدون الخط ويعجزون عن التوصل بمستواه الرفيع ، ويرجع ابن خلدون ذلك إلى البداوة التي غلبت على الدولة المرينية في أولها (٥٢) . ويذكر ابن خلدون أيضا أن أبا القاسم بن أبي مدين كان يتولى الكتابة والعلامة للسلطان أبي سعيد عثمان المريني « وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع إلى عبد المهيمن في قراءة الكتب وإصلاحها وإنشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقصر عليه وجعل العلامة إليه سنة ثمان عشرة » (٥٣) . ومن الكتاب المغاربة الذين ترأسوا هذا الديوان أبو الحسن علي الخزاعي التلمساني (٥٤) .

وكان السلطان يعقوب بن عبد الحق ، ومن بعده السلطان يوسف بن أبي يعقوب المريني . قد تركا لكتاب ديوان الإنشاء العلامة ، ووضع العلامة السلطانية على الكتب والرسائل التي تصدر من الديوان ، فكان كل منهم (الكتاب) يضع العلامة بخطه على كتابه إذا أكمله لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كأसन المشط (٥٥) . وقد كان ذلك سبيلا إلى انحراف بعض الكتاب لتحقيق مآربهم الشخصية ، ومن هؤلاء الكتاب الذين استغلوا العلامة السلطانية ، أبو العباس أحمد بن علي الملياني ، فقد كان بين أحمد بن الملياني وبين المصامدة ثأر ، إذ أن المصامدة وشوا بعم أبي علي الملياني إلى السلطان يوسف ابن يعقوب ، وكان أبو علي الملياني يتولى جباية المصامدة ، فاتهمته المصامدة بأنه احتفظ

ببعض الأموال لنفسه ، مما أثار السلطان عليه فحاسبه وعاقبه بالقتل ، وبعد مضي وقت غضب السلطان على المصامدة وأمر ابنه على - عامل مراکش - بالقبض على كبار رجال المصامدة ، واستعجل أبو العباس أحمد بن على الملياني للثأر من شيوخ المصامدة ، فأرسل إلى الأمير على كتابا عليه العلامة السلطانية ، بتنفيذ حكم الإعدام في شيوخ المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ، ووضع على الكتاب العلامة التي تنفذ بها الأوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، فقتل الأمير على شيوخ المصامدة . وكانت هذه الحادثة درسا للسلطان أي يعقوب يوسف ، فلم يترك الحبل على الغارب لكتابه ، وإنما قصر العلامة السلطانية على من يختاره من ثقات كتبه ، فأسندها إلى عبد الله بن أبي مدين (٥٦) .

وجرت العادة بعد ذلك في ديوان الكتابة والإشياء ، أنه حين ينتهي الكاتب من كتابة الكتاب أو الرسالة ، يكتب التاريخ ، ثم يعرض ما كتب على السلطان ، فيكتب السلطان بخطه في آخرها ما صورته (وكتب في التاريخ المؤرخ به) (٥٧) . وقد ذكر القلقشندي نقلا عن السلايحي : « أن ذلك مما أحدثه أبو حفص (عمر المريني) عم السلطان أبي الحسن في سلطنته ، وتبعه السلطان أبو الحسن على بعد ذلك مع وثوقه بكاتب سره حينئذ الفقيه الفاضل أبو محمد عبد المهيم بن الحضرمي ، واعتماده عليه ومشاركته له في كل أمر (٥٨) ويظهر من النص السابق أن من بين وظائف الكتابة وظيفه كاتب السر ، وكان صاحب هذه الوظيفة يلازم السلطان كثيرا ، خاصة عند خروج السلطان للجلوس للمظالم ، حيث كان هذا الكاتب هو المختص بأخذ الشكاوى من الجماهير ، وقراءتها على السلطان عند جلوسه لسماع المظالم ، والنظر فيما يراه بشأنها ، وفي بعض الأحيان كان كاتب السر يبيت عند السلطان إذ كان هذا الشخص أقرب مستشاري السلطان ونحواصه (٥٨) . ويشبه منصب كاتب السر في دولة بني مزين ، منصب الأمين العام للدولة ، حيث كان يحتفظ بكافة التقارير التي يلزم عرضها على السلطان (٥٩) . ومن الذين تولوا هذه الوظيفة عبد الرحمن ابن خلدون (٦٠) .

وكان سلاطين بني مرين يسندون إلى كتابهم في بعض الأحيان بعض المهام الأخرى التي رفعت من شأن هذه الوظيفة وأصحابها ، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق ، احتصن كاتبه عبد الله بن أبي مدين شعيب « بوضع علامته على الرسائل والأوامر الصادرة عنه وجعل إليه حسابان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الأوامر بالقبض والبسط فبهم واستخلصه لمناجاة الخلوات والإفضاء بذات الصدور » (٦١) .

٥ - الحجابة :

كانت وظيفة الحاجب في الدولة وظيفة تنظيمية ، إذ يقوم الحاجب بهاب السلطان

ليكون واسطة بينه وبين الناس ، ويرى ابن خلدون أن صاحب هذه الوظيفة كان معروفا في البلاط المريني باسم (المزوار) (٦٢) . وهو يترأس مجموعة الحرس السلطاني بباب السلطان والتي تسمى (بالجنادة) ، والحاجب أو المزوار يقوم عن طريق هؤلاء الجنادة بتنفيذ أوامر السلطان ، وعقوباته وإنزال سطوته بالخالفين ، كما كان الحاجب أو (المزوار) هو المشرف العام على السجون ، وهو الذي يتولى تنظيم الناس وإلزامهم بالحدود في دار العامة لعرض مظالمهم على السلطان (٦٣) . ويرى ابن خلدون أن وظيفة المزوار أو (الحاجب) بهذا المعنى كانت وزارة صغرى (٦٤) .

وكان سلاطين بني مرين يعينون بعض حجابهم إما من عبيدهم المخلصين ، أو من أهل الذمة ، كخليفة بن حيون الزمامي وكان يهوديا ، أو من الخصيان من أهل الثقة (٦٥) .

وعلى الرغم من أن ابن خلدون يرى أنه لا أثر لاسم الحاجب عند بني مرين ، وإنما الذي كان في بلاطهم هو (المزوار) ، ويشرح وظيفته بأنه « المقدم على الجنادة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته » (٦٦) . فإن بعض المصادر الأخرى ذكرت أن الوظيفة كانت موجودة وبهذا الاسم ، فالسلاوي يرى أن السلطان يوسف ابن يعقوب المريني : « كان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد » (٦٧) وابن الأحمر في النفحة السرينية يتحدث عن حجاب هذا السلطان (يوسف بن يعقوب) فيقول : « حجابه عبد الله بن أبي مدين ، وخليفة بن حيون بن زمامة اليهودي » (٦٨) . وهذه الرواية الأخيرة تؤكد وجود هذا المنصب ، وأن صاحبه كان يحمل لقب الحاجب ، كما توضح الرواية أيضا أن أهل الذمة وصلوا إلى أرفع مناصب الدولة في العصر المريني .

والحجاجة في العصر المريني بهذا المعنى تختلف عن الحجابة في أيام الموحدين ، حيث كانت تعني في أيامهم رئاسة الوزراء (٦٩) . وظلت وظيفة الحاجب تسير في الإطار السابق المحدد لها حتى سنة (٨٠٠ هـ — ١٣٩٧ م) ، ففي هذه السنة تول أمر بني مرين السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ، وأصبح « النقض والإبرام وسائر التصرفات في دولته للوزراء و الحجاب » (٧٠) وبمرور الوقت أصبح الحاجب يقوم بمهام الوزير ، وأصبح يطلق على الوزير اسم الحاجب ، وعلى الحاجب اسم الوزير (٧١) . وهذا يعني أن الحجاب قفزوا إلى قمة السلطة في الدولة ، وشاركوا حتى سقوط الدولة في صنع كثير من أحداثها .

ب - إدارة الأقاليم

— التقسيم الإدارى للدولة :

لم تختلف النظم الإدارية فى الدولة المرينية كثيرا عن النظم التى كانت سائدة قبل ذلك فى العصر الموحدى ، فقد سن الموحدون نظاما لإدارة مصالح البلاد ، أطلقوا عليها اسم « التراتيب المخزنية » وقد ظلت هذه التراتيب سائدة فى المغرب طيلة قرون خمسة بعد زوال دولة الموحدين من المغرب (٧٢) .

وقد قسم المرينيون دولتهم من الناحية الإدارية إلى تسعة أقاليم ، وتدار هذه الأقاليم بواسطة عمال يعينهم السلاطين بأنفسهم ، ويخضعون مباشرة للسلطة المركزية الموجودة فى فاس ، والمتمثلة فى السلطان المرينى وجاءت أول إشارة لهذا التقسيم الإدارى فى عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق - مؤسس دولة بنى مرين - على النحو التالى (٧٣) .

١ - إقليم فاس : اعتبر المرينيون فاس إقليماً قائماً بذاته ، وذلك لضخامتها ، وكان أبو عبد الله الخلودى هو الوالى عليها فى عهد أبى يوسف يعقوب المرينى أول سلاطين بنى مرين .

٢ - إقليم مراكش وأعمالها وجميع بلاد السوس : وولىه أبو عبد الله محمد بن على .

٣ - إقليم أغمات وتينمل وجبالها : وكان عليه الفقيه أبو على المليانى .

٤ - إقليم سلا ونواحيها ومراسيها : تولاه أبو الحسن على بن عمران اليرباني المعروف بابن عيلة .

٥ - إقليم مكناسة ونواحيها : كان عليه على بن الأزرق .

٦ - إقليم رباط تازى ونواحيه : وعليه أبو سالم بن الأشقر التسولى .

٧ - إقليم سجلماسة : تولاه أبو زيد عبد الرحمن بن مردنيش .

٨ - إقليم درعة ونواحيها : تولاه يوسف بن على اليبانى .

٩ - الإقليم الذى ضم المدن التابعة للمرينيين من بلاد الأندلس : وكان عليه أبو الحسن ابن يوسف بن يزجاسن .

وهذا التقسيم يختلف قليلا عن التقسيم الذى كان فى عهد دولة الموحدين بالمغرب الأقصى ، إذ كان التقسيم فى أيام الموحدين ستة أقاليم فقط (٧٤) . أما المرينيون فزادوها ثلاثا ، لأنهم فصلوا بعض المناطق الهامة ، وجعلوها أقاليم إدارية مستقلة لأهميتها كإقليم سلا وإقليم درعة .

وكان لمدينة سبتة فى التقسيم الإدارى المرينى ، وضعها الإدارى الخاص فقد أسندت إدارة هذه المدينة إلى بنى العزفى مدة طويلة ، وذلك لخطورتها ، إذ كانت مركزا لتجمع القوات المرينية المتجهة صوب بلاد الأندلس وفى هذه المدينة تشكلت كثير من الأحداث السياسية ، التى دارت فى المغرب والأندلس ، فى العصر المرينى ، وفى عهد السلطان أبى عنان المرينى ، أسند بعض المهام الإشرافية على الولاية فى سبتة إلى الشريف أبى العباس - من آل البيت - فولاه نظارة المدينة ، وكان لهذا الناظر السلطة فى التقدم إلى السلطان بطلب عزل الوالى عند إخلاله بأمر من أمور الولاية (٧٥) وأطلق عليه فى منصبه اسم ناظر سبتة ، وقد ظل الشريف أبو العباس فى منصبه عشرين سنة ، وكان يتقاضى نظير هذه الوظيفة مرتباً شهرياً قدره ثلاثون ديناراً من الذهب فى أول كل شهر ، كما كان إيراد ميناء سبتة يقسم بينه وبين بيت المال يوم له ويومان لبيت المال (٧٦) .

والموظفون الرئيسيون فى كل إقليم من أقاليم الدولة المرينية هم : صاحب القصبه ، وصاحب الشرطة ، والوالى ، والقاضى ، والمحتسب (٧٧) .

— الدواوين :

إلى جانب هذه الأقاليم الإدارية فى الدولة المرينية ، كانت هناك الدواوين ، التى تمثل السلطة الإدارية العليا فى الدولة ، وكان فى مقدمة هذه الدواوين .

١ - ديوان الإنشاء والعلامة : وكان ذلك الديوان موجودا فى الدولة الموحدية تحت اسم ديوان الإنشاء (٧٨) . ووظيفة هذا الديوان كتابة الرسائل والمراسيم السلطانية إلى الولاة والعمال وغيرهم ، وصاحب العلامة فى هذا الديوان هو الذى يكتب بخطه أو يحسب النيابة عن السلطان علامته على المراسيم والرسائل السلطانية (٧٩) . ويلحق بهذا الديوان كتاب الإنشاء والصكوك والتوقيع على القصص المرفوعة للسلطان المرينى (٨٠) .

٢ - ديوان العسكر (٨١) : وفى بعض الأحيان أطلق عليه ديوان الجند ، ويرأس هذا الديوان إحدى الشخصيات العسكرية ، ووظيفته الاهتمام بأمر الجند ، ويطلق عليه كاتب ديوان الجند (٨٢) .

٣ - ديوان الخراج (٨٣) : ويهم هذا الديوان بشئون الجباية والعطاء ، لذلك أطلق على المشرف عليه ، كاتب الجباية والعساكر ، أو صاحب الأشغال (٨٤) ، ويتولى هذا الشخص أمر الجباية والخراج ، كما يتولى حصر الجند وتقدير رواتبهم ، وصرف أعطياتهم (٨٥) . وهو مسئول أمام السلطان أو الوزير ، وخطه معتبر في صحة الحسابات في الجباية والعطاء (٨٦) . واشتمل هذا الديوان على كتاب الخراج والديوان ، وأهل الحساب والمساحة (٨٧) . وشهود بيت المال الذين كانوا يشهدون على دخل بيت المال والخراج منه ، وترجع إليهم سائر الأعمال ، وترفع إليهم جرائد الحسابات (٨٨) . ويتبع هذا الديوان أيضا عمال الزكاة الذين يخرجون لجمعها من النواحي ، واقتضاء الضرائب من سكان البادية (٨٩) .

وإلى جانب الدواوين كانت هناك في الدولة المرينية بعض النظارات المحلية ، كنظارة الأحباس والأوقاف ، وهذه مرؤسة للقاضي ، وقد تجمع مع الحسبة (٩٠) . ومن الذين تولوا هذه النظارة الفقيه أبو عبد الله بن أبي الصير . نظارة المارستان ، وهذه للإشراف على النواحي الصحية ، ونظارة المباني ، وصاحبها يتولى الإشراف على مباني الدولة والنفقة عليها (٩١) .

— النظم القضائية :

اهتم المرينيون كثيرا بالنظم القضائية ، لما لها من أهمية كبرى في تحقيق العدالة واستقرار بقية النظم الإدارية الأخرى في الدولة ، إذ أن هذه النظم القضائية هي صمام الأمن والأمان للمواطنين ، وكافة عناصر الإدارة الأخرى ، وهذه النظم هي القضاء ، وما يتبعه من مؤسسات قضائية أخرى كالنظر في المظالم والشرطة ، والحسبة (٩٢) .

١ - القضاء :

منصب القضاء من الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية ، ولذلك فهو يأتي بعد منصب الخلافة في الأهمية ، يقول النباهي : « فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء » (٩٣) . ولذلك اعتبر ابن خلدون القضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، أي أن الأصل أن يتولى الخليفة القضاء بنفسه (٩٤) . يقول ابن خلدون : « وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها » (٩٥) . ويشير الخشنى إلى خطورة منصب القاضي بقوله : « القاضي أعظم الولاة خطرا بعد الإمام جعله الله زماما للدين وقواما للدنيا :

لما تقلده القاضى من تنفيذ القضايا ، وتخليد الأحكام فى الدماء والفروج والأموال والأعراض وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار ، (٩٦) . ولهذا احتفظ المرينيون لمنصب القضاء فى دولتهم بأهميته وجلاله كما كان عليه فى أيام الموحدين من قبلهم حيث حرص سلاطين بنى مرين على تعيين أكثر قضاة دولتهم بأنفسهم (٩٧) . .

وأول مناصب القضاء فى الدولة المرينية ، منصب قاضى الجماعة ، ووظيفة صاحب هذا اللقب فى السلم القضائى تعدل وظيفة قاضى الخلافة فى المشرق ، والذى كان يدعى بقاضى القضاة (٩٨) . وعلى هذا فقاضى الجماعة أعظم رتبة من بقية القضاة لأن ولى الأمر كان يستشيرهم فى كافة الشؤون القضائية (٩٩) . وقد كان منصب قاضى الجماعة معروفا فى الأندلس منذ أمد بعيد (١٠٠) . ويرى النباهى هذه التسمية بقوله : « والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة إذ كانت ولايتهم قبل اليوم غالبا من قبل القاضى بالحضرة السلطانية كائنا من كان فبقى الرسم كذلك » (١٠١) . وكان لقاضى الجماعة اختصاص مراقبة صاحب الشرطة والمحتسب (١٠٢) .

ثم يأتى بعد منصب قاضى الجماعة ، القضاة ، وهؤلاء إما أن يعينهم السلطان بنفسه (١٠٣) . أو يتولى بعض ولاية المدن الكبرى تعيينهم كمدينة سبتة ، إذ كان لوالى هذه المدينة الحق فى تنصيب قاض عليها ، وكان إعطاء هذه الصلاحيات للولاة لتعين القضاة يتوقف إلى حد كبير على مكانة هؤلاء الولاة (١٠٤) .

وعرف المرينيون نوعا من القضاء ، وهو قضاء العسكر ، وهو أشبه ما يكون فى أيامنا بالقضاء العسكرى ، وقاضى العسكر كان يعينه السلطان بنفسه للفصل فى القضايا الخاصة بالجيش والجنود . ومن القضاة الذين تولوا هذا المنصب القاضى أبو عبد الله محمد المغربى (١٠٥) . ومحمد بن محمد الندرمى (١٠٦) .

ولم يكن منصب القضاء فى الدولة المرينية قاصرا على المغاربة فحسب ، وإنما تولى هذا المنصب عدد من القضاة الأندلسيين منهم إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقى الإشبيلية ، الذى خرج عن بلده لإشبيلية بعد زحف النصارى إليها ، وتولى القضاء بسبتة بالنيابة ، ثم استقل بالمنصب حتى وفاته سنة (٥٧١٦ هـ — ١٣١٦ م) ، ومنهم أيضا على الغافقى (١٠٧) .

وكانت السمة الغالبة على أكثر قضاة الدولة المرينية شدة الصلاح والخوف من الله تعالى فيما يصدرونه من أحكام حتى أن أحدهم وهو الشيخ محمد بن محمد اللخمى المعروف بالقرطبى : « كان من شأنه إذا أتى المسجد للحكم فيه بين الناس ، يترقع ويتضرع إلى الله تعالى ويلج فى الدعاء ، ويسأله أن يحمله على الحق ويعينه عليه ويرشده للصواب ، وإذا فرغ

من الحكم يتركع ويستقبل الله تعالى يسأله العفو والمغفرة عما عسى أن يكون قد صدر منه مما تلحقه تبعه الآخرة » (١٠٨) . وكان ذلك الخوف من الله مدعاة إلى أن التزم بعض قضاة الدولة المرينية ببعض الأمور التي شددوا بها على أنفسهم ، وهي أمور خاصة بسلوكهم ، فكان القاضي أبو العباس الغبريني مثلاً منذ تولى منصب القضاء ، لا يحضر الولائم ، ولا يدخل الحمامات ، وابتعد عن مخالطة الناس حتى لا يتأثر بتلك المخالطات في أحكامه (١٠٩) . لذلك كان اتصاف بعض القضاة بصفات لا تتفق مع منصب القضاء ، كالخلة ، مدعاة لإقالتهم من مناصبهم . وهذا ما حدث مع القاضي محمد بن محمد بن سعيد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي الذي تولى قضاء مراكش ، ثم عزل عن هذا المنصب بسبب ما كان في خلقه من الخلة (١١٠) .

وكان للقاضي الحرية في استخدام الأساليب التي يراها مناسبة للتعرف على المخالفين لقواعد الشرع ، فيؤثر عن القاضي أبي الحسن الصغير أنه اتخذ شماماً يستنشق على الناس روائح الخمر كي يقيم عليهم حداً (١١١) .

وقد يسند إلى القاضي بعض الوظائف الأخرى قريبة الصلة بمنصب القضاء ، كالخطابة ، ومن القضاة الذين شغلوا المنصبين معاً القاضي محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي المعروف بابن الحاج (١١٢) . ومنهم أيضاً القاضي الفقيه أبو عبد الله بن أبي الصبر الذي تولى القضاء مع الخطابة (١١٣) .

وقد يسند إلى القاضي القيام بمهمة السفير ، والذي كان يدفع سلاطين بني مرين إلى اختيار بعض القضاة لهذه المهمة ، ما كان يتحلى به هؤلاء القضاة السفراء من صفات تؤهلهم للقيام بهذه المهام ، فالقاضي أبو إسحاق إبراهيم التسولي التازي ، استعمل في السفارة إلى جانب توليه منصب القضاء لأنه كان « فارساً شجاعاً جميل الصورة نبيه المشاورة فاره المركب وجيهاً عند الملوك » (١١٤) . ومن القضاة الذين استعملوا في السفارة أيضاً القاضي أبو الحسن الصغير ، وذلك في عهد السلطان أبي الربيع سليمان المريني (١١٥) .

وقد حرص سلاطين بني مرين على تلبية حاجات القضاة ، فأجروا للقاضي راتباً يومياً بواقع مثقال من الذهب في كل يوم ، كما منح كل قاضي قطعة أرض يزرع بها ما يحتاجه لنفسه وعليق دوابه (١١٦) . وقد حرص بعض القضاة على أن تكون رواتبهم من بيت المال ورفضوا أن يتقاضوا على القضاء شيئاً من أرباب الخصومات ومن هؤلاء القضاة الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر ، ويقول النباهي في هذا الشأن : « وكان (أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر) في زمانه واحد قطره عدالة وجلالة وصلاحاً وفضلاً وعقلاً وهو أيضاً ممن لم يأخذ على القضاء أجراً . ونحاً فيما يختص به من الجراية منحى سحنون بن سعيد في وقته

وطلب أن يكون رزق وزعته من بيت المال لا من قبل أرباب الخصومات (١١٧) .

ومن الأنظمة المتصلة بالقضاء ، نظام العدول - جمع عدل - والعدل في نظام القضاء الأندلسي - الذى اشتق منه نفس النظام في بلاد المغرب - هو موظف قضائى مهمته صياغة الوثائق التى يطلبها المتقاضون لدعم موقفهم في قضاياهم ، والقاضى هو الذى يقرر صحة نص الوثائق من عدمها ، ولا يباشر العدل مهمته إلا بعد أن يقوم القاضى « بتعديله » أى إثبات أنه عدل ، وبذلك يصبح أهلا للتوثيق (١١٨) .

وهناك عدة ملاحظات ينبغى الإشارة إليها بالنسبة لهؤلاء العدول ، فبعض أصحاب هذا المنصب كانوا موضع ثقة من سلاطين بنى مرين ، حتى إن هؤلاء السلاطين كانوا يرسلونهم في بعض المهام السلطانية التى تحتاج إلى الدقة ، كتلك المهمة التى قام بها أحمد ابن أبى القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب - والذى كان يسميه ابن الخطيب صدر عدول الحضرة الفاسية - وهذه المهمة كانت اختبار واستطلاع الأحوال السلطانية في مدينة سلا (١١٩) . كما كانت توكل إلى هؤلاء العدول في بعض الأحيان مهمة الإشراف على بعض الشؤون المالية الخاصة بالإنفاق الدينى كالصدقات التى تخرج من بيت مال الدولة ، فقد وكل إلى نفس الرجل مهمة الإشراف من قبل السلطان أبى سالم المرينى على الصدقات التى أخرجت لبعض الرُبط (١٢٠) .

والملاحظة الأخيرة على نظام العدول أن النظام القضائى كان يبيع لهؤلاء العدول الشهادة أمام القاضى ، وأن هذه الشهادة كانت تدر عليهم شيئا من الربح ، يقول ابن الخطيب عن ابن القباب : « ثم تعرفت (ابن الخطيب) أنه (ابن القباب) نسك ورفض العيش من الشهادة ككثير من الفضلاء » (١٢١) . على أن بعض هؤلاء العدول كان يرقى أحيانا ، فيتولى منصب القضاء كابن القباب الذى تولى منصب القضاء بجبل الفتح (١٢٢) .

٢ - النظر في المظالم :

وهو نوع من القضاء ابتكره الإسلام ، حيث تكون السلطة فيه أوسع إذ يتولاه الخليفة أو السلطان نفسه ، أو من ينوب عنه من كبار القضاة (١٢٣) . ويقول ابن خلدون عن هذه الوظيفة : « وهى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه (السلطان) يمشى ما عجز القضاء أو غيرهم عن إمضائه » (١٢٤) . فالهدف من هذه الوظيفة تحقيق ما يعجز القضاء عن تحقيقه من أوجه العدل ورد الحقوق إلى ذويها كمحاكمة أصحاب السطوة والنفوذ في الدولة أو الولاية أو كبار موظفى الدولة إذا اعتدوا على حقوق الناس (١٢٥) .

وقد حرص معظم سلاطين بنى مرين على الجلوس بأنفسهم للنظر فى المظالم ، وقد جرت العادة على أن يقدم المتظلمون ظلاماتهم إلى السلطان فى أثناء ركوبه فى موكبه للنظر فى المظالم ، وكان المتظلم يصيح من بعيد « لا إله إلا الله انصرنى نصرك الله » ، فتؤخذ ظلامته ، وتعطى إلى كاتب سر الدولة ، فإذا جلس السلطان فى القبة المعينة للنظر فى المظالم ، وجلس معه أكابر الأشياخ ، ووقف من دونهم من الأشياخ الصغار متكئين على سيوفهم فى مشهد رهيب ، وقرأ كاتم السر قصص أصحاب المظالم وغيرها ، نظر السلطان فى هذه المظالم بما يراه (١٢٦) .

وكان السلطان أبو الحسن يجلس يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع للنظر فى المظالم ، فتعرض عليه القضايا ، وترفع إليه الشكايات ، فيقضى فيها قضاءه ، علاوة على أنه فى كل يوم كانت تعرض عليه بعض قضايا المظالم ، فيقضى فيها (١٢٧) . وكان يعين للنظر فى المظالم من يثق بهم من كبار رجال دولته من الوزراء والفقهاء ، فمن الفقهاء أبو عبد الله الرندى ، وأبو عبد الله السطى ، ومن الوزراء عامر بن فتح الله السدراى ، وغارى ابن الكاس ويروى ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن كان يترك قضايا المظالم عنده لتكون فى مأمن من العبث بها (١٢٨) .

واستكمالاً للنظر فى المظالم على نحو دقيق يشمل كافة أطراف الدولة ، كان السلطان أبو الحسن يوجه للبلاد فى كل سنة ، من يتفقد أحوال الرعية ، ويحملون إليه شكاوى الناس من كافة الأقاليم ، وأصدر أوامره أن يجتمع فى كل بلد بعد صلاة الجمعة كافة رجال السلطة والإدارة والقضاء ، والوالى وقائد القصة ، والقاضى ، والخطيب ، والعدول ، لينظروا فى شكاوى مواطنيهم ، فإذا استعصى عليهم شيء كتبوا به إلى السلطان لينظر فيه (١٢٩) .

وتجسد اهتمام سلاطين بنى مرين فى إشاعة العدل ورفع الظلم عن الناس ، فى بنائهم دوراً للعدل ، أشبه بالمحاكم ، فى وقتنا الحاضر ، وأطلقوا عليها اسم (قبة العدل) ، وهذه كان يجلس فيها السلطان ، أو من ينوب عنه للقضاء فى المظالم وسماع شكاوى المواطنين (١٣٠) . وأطلق عليها أحياناً مجلس الفصل ، كمجلس الفصل الذى كان بفاس الجديد (١٣١) . وقد بنى سلاطين بنى مرين قباً للعدل فى غير العاصمة المرينية فاس ، فبنى السلطان أبو الحسن قبة للعدل فى منصورة تلمسان ، وقبة للعدل فى سبتة (١٣٢) .

٣ - الشرطة :

عرفت الدولة المرينية منذ قيامها نظام الشرطة ، ولا بد أنهم تأثروا فيه بنظام الشرطة الذى كان سائداً فى الدولة الموحدية ، والذى كان الهدف منه المحافظة على أرواح الناس

وحماية أموالهم وممتلكاتهم وصيانة حقوقهم (١٣٣) . ولاهتمام سلاطين بنى مرين بنظام الشرطة وحرصهم على انتشار الأمن بين ربوع بلادهم ، أسند والى حجابهم وظيفة صاحب الشرطة ، ولذلك اشتهر الحجاب فى الدولة المرينية باسم (المزوار) ، فهو إلى جانب مهامه فى تنظيم المقابلات السلطانية ، يشرف على تنفيذ أوامر السلطان ، وعقوباته ، وحفظ المعتقلين فى السجون (١٣٤) . ويبدو أنه كان يشرف على جهاز الأمن الداخلى للدولة ، ففى كل إقليم من أقاليم الدولة كان هناك إلى جانب والى ، وصاحب القسبة والقاضى والمحتسب ، صاحب الشرطة ، الذى كان يمنع انتشار الجرائم ، ويقيم الحدود ، ويأشر القطع والقصاص (١٣٥) . ومن الذين تولوا منصب صاحب الشرطة ، عامر بن محمد الهنتاقى ، ولاء السلطان أبو الحسن المرينى أحكام الشرطة بتونس ، فى أثناء الوجود المرينى بإفريقية (١٣٦) .

وكان صاحب الشرطة فى كل إقليم من أقاليم الدولة يأتمر بأمر والى الإقليم أو المدينة وينقل روجيه لوتورنو ، تأكيدات ليو الأفريقى (الحسن الوزان) من أنه كان فى فاس وحدها أربعة أصحاب شرطة ، كانوا يعسون بالليل (١٣٧) . ولم يكن صاحب الشرطة فى الدولة المرينية مسعولا أمام السلطان عن دواعى الأمن فى البلاد فقط ، وإنما كان عليه أن يقدم تقارير وافية عن كل من تقوم حوله الشبهات إلى السلطان ، فتظهر عليه مثلا أية علامات تخالف وضعه الطبيعى فى الدولة ، كأن تظهر عليه علامات الغنى المفاجئ وكان على صاحب الشرطة أن يقدم تقاريره هذه مشفوعة بالأدلة التى تثبت صحة تقاريره (١٣٨) .

وقد تحدث ابن مرزوق عن إحدى هذه الحالات التى قام فيها صاحب شرطة فاس ، بتقديم تقرير عن أحد المواطنين بفاس ويدعى ابن بشيل ، ظهرت عليه علامات الغنى المفاجئ ، فاشترى الحدائق ، واتخذ مراكب الخيل والبغال ، وذكر صاحب الشرطة فى تقريره أن الفقهاء ذكروا له أن ابن بشيل عنده أمانة لعبد من عبيد السلطان ، تقدر بنحو عشرة آلاف دينار من الذهب ، ويخشى صاحب الشرطة أن يكون ابن بشيل ينفق منها ، وعلى الفور قام السلطان بالتحقيق فى التقرير المقدم إليه من صاحب الشرطة ، واستطاع ابن بشيل أن يبرئ نفسه من الشبهة التى حامت حوله (١٣٩) .

٤ - الحسبة :

وهى من الوظائف المعاونة للقضاء والشرطة ، ويقال لصاحبها المحتسب وصاحب الحسبة ، ومتولى الحسبة ، وناظر الحسبة ، ووالى الحسبة (١٤٠) . ويعرف ابن خلدون الحسبة بأنها : « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (١٤١) . فهى قضاء مستعجل يصدر فيه المحتسب الحكم وينفذه فى وقت واحد (١٤٢) . وهدفها حماية

الجماهير من الغش والاستغلال ورعاية المصالح والآداب العامة (١٤٣). إذ وظيفة المحتسب البحث عن المنكرات ، والمحافظة على المصالح العامة في المدينة كمنع المضايقات في الطرقات ، ومنع الحمالين وأصحاب السفن من الإكثار في الحمل ، والحكم في أصحاب المباني المتداعية بهدمها أو إزالتها ، والحد من ضرب المعلمين للصبيان ، كما أنه يراقب الغش والاستغلال ، والنقص في الموازين والمكاييل (١٤٤). ولذلك كان من الشروط الواجب توافرها في المحتسب كما يقول الماوردي : « أن يكون حرا عدلا ذا رأى وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة » (١٤٥). ولكي يؤدي المحتسب واجبه على أحسن وجه ، كان له أن يتخذ الأعوان والغلمان ، يجمعون له الأخبار ، وهذا أدعى لبث الخوف والرعب في قلوب العامة والمخالفين (١٤٦).

وقد اهتم المرينيون بهذه الوظيفة اهتماما كبيرا ، فجعلوا صاحبها (المحتسب) أحد عناصر الإدارة الهامة في كل مدينة من مدن الدولة المرينية ، حيث كانت المدينة تدار بواسطة الوالى والقاضى وصاحب الشرطة والمحتسب (١٤٧). وهذا الأخير كانت مهمته النظر في شئون الأسواق والسقائين والحمامات ، ويشرف على ما يستعمل في الأسواق أيضا من المكاييل والموازين ، ويتأكد من جودة البضائع ، خوفا من مضرتها للصحة العامة ، ويحرص على نظافة الحمامات ومراعاة الآداب العامة بها (١٤٨). وقد بنى المحتسب « ذراعا » مضبوط قياسها ، لتكون أساسا لمقاييس جميع أهل القيسارية التى تباع فيها الأقمشة والمنسوجات (١٤٩). كما كان المحتسب يقوم بدور الحكم في الخصومات التى تنشأ بين أهل الصناعة الواحدة فيما بينهم ، وأحيانا في الخلافات التى تكون بين البائع والمشتري ، ولذلك كان المحتسب في العصر المرينى يحيط نفسه بمجموعة من الأعوان من ذوى الخبرات المختلفة بالصناعات كعرفاء الأسواق وأمناء الصناعات الذين يشبهون ما يسمى الآن برؤساء الغرف التجارية والصناعية (١٥٠). وتعنى كل هذه الوظائف للمحتسب في العصر المرينى أنه كان يشرف بدرجة كبيرة على كثير من وجوه الحياة الاقتصادية في الدولة (١٥١). ويشير روجيه لوتورنو إلى بعض العقوبات التى كان ينزلها المحتسب بأرباب الصناعات الرديئة ، أو أصحاب السلع المغشوشة أو التالفة ، فقد كان هناك في فاس لكل طائفة مصطبغة تعرض عليها المصنوعات الرديئة ، وعليها أسماء أصحابها من الصناع المهملين ، وفي كثير من الأحيان لم يكن أمام الصانع غير الشريف من سبيل غير ترك المدينة والرحيل عنها ، وإذا باع جزار لحما تالفا ، فإن المحتسب يأمر بتقطيع اللحم إلى قطع صغيرة يصنع منها عقد يوضع في رقبة الجزار ، الذى عرض هذا اللحم التالف ، ثم يطاف به في المدينة في حراسة أعوان المحتسب ، وهو يردد بصوت عال اعترافه بدينه (١٥٢).

ثانيا : النظم الاقتصادية

أ - النظام المالى لدولة بنى مرين :

عاشت دولة بنى مرين فترات كبيرة من حياتها فى بلاد المغرب فى ظل الرخاء والازدهار ، ومرجع ذلك إلى التنظيم الدقيق الذى سار عليه المرينيون فى سياستهم المالية واشرافهم عليها ، فضلا على ما كان لدى هذه الدولة من موارد اقتصادية هائلة ، دعمتها الأنشطة الرئيسية فى الدولة المتمثلة فى الإنتاج الزراعى والصناعى وسائر الأنشطة التجارية الأخرى .

وقد أقام المرينيون نظامهم المالى فى الجباية والإنفاق على أساس أن والى كل إقليم من أقاليم الدولة مسئول مسئولية كاملة عن الجباية والإنفاق فى ولايته أمام الوزير المختص بالإشراف على خطة الجباية أو المتولى لها (١٥٣) . ووفقا للتقسيم الإدارى للدولة المرينية ، كانت هناك تسع ولايات تخضع من ناحية الإشراف المالى لإشراف دقيق (١٥٤) . وفى بعض الأحيان أسند الإشراف على ديوان الخراج إلى شخص دون الوزير ، وفى أحيان أخرى أسندت إلى الوزراء ، وكلاهما كان يخضع مباشرة للسلطان المرينى سواء كان وزيرا ، أو أقل من الوزير ، وهذا الشخص هو الذى يتولى بنفسه التدقيق والتوقيع بصحة الحسابات سواء فى الخراج أو العطاء (١٥٥) . وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله : « وأما دولة بنى مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذى يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر فى صحة الحسابان فى الخراج والعطاء » (١٥٦) .

ويتحدث ابن خلدون ، وهو أحد رجال الإدارة فى الدولة المرينية عن أهمية ديوان الخراج فيقول : « اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج ، وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى إباناتها والرجوع فى ذلك إلى القوانين التى يرتبها قومه تلك الأعمال وقهارة الدولة وكلها مسطورة فى كتاب شاهد تفاصيل ذلك فى الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان » (١٥٧) . ويظهر من هذا النص أنه كانت هناك لائحة لديوان الخراج تتضمن القوانين المختلفة التى تضبط الدخل والمنصرف من الخزانة المرينية .

وكان المشرف على هذا الديوان يسمى في عهد السلطان أبى الحسن كاتب الجباية والعساكر ، أو صاحب الأشغال ، وهذه إشارة إلى أن وظيفة هذا الديوان لم تكن الجباية فقط ، وإنما كانت توزيع العطاء على الجند وموظفى الدولة ، وقد أطلق على هذا الديوان في عهد أبى عنان اسم ديوان الجند والحساب (١٥٨) .

واشتمل ديوان الخراج في الدولة المرينية على عدد كبير من هؤلاء المهرة الذين تحدث عنهم ابن خلدون والذين كانوا يباشرون صرف العطاء وجمع الجبايات وكانوا يسمون بالكتاب (١٥٩) . وفي بعض الأحيان كان السلطان المرينى يسند إلى شخصية من الشخصيات الهامة في الدولة ، مهمة توزيع العطاء والمرتبات ، في بعض الأماكن الحساسة من الدولة ، فأبو الحسن المرينى وجه الخطيب ابن مرزوق ليقوم بتوزيع العطاء ، والرواتب على أهل رندة وجبل الفتوح ، وقام بهذه المهمة لمدة سنة كاملة (١٦٠) . وجعل معظم سلاطين بنى مرين العمل في هذا الديوان وفقا على المسلمين (١٦١) . كما استحدث المرينيون وظيفة جديدة في ديوان الخراج ، لم تكن موجودة قبل ذلك عند المرابطين أو الموحيدين وهى وظيفة (شهداء البيت) ، يقول ابن مرزوق في شأن أصحاب هذه الوظيفة : « شهداء البيت (بيت المال) وهى أشرف خطط العدالة يشهدون على الحاصل في بيوت الأموال الداخل والخارج ويرجع إليهم سائر الأعمال وترفع لهم الجرائد » (١٦٢) . ومن الذين تقلدوا هذه الوظيفة أبو العباس أحمد بن حسن البلياني التلمساني (١٦٣) .

ومن الوزراء الذين تولوا ديوان الخراج ، أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراقي ، وكان ذلك في عهد السلطان أبى الحسن المرينى (١٦٤) . ومن هؤلاء الوزراء أيضا ، أبو حركات عسكر بن طلحة بن تاحضريت ، وهذا الوزير « اشتد على الولاة وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم لأنه قد شاركهم في الخطة بضبط الأموال » (١٦٥) .

ومن خلال النظام المالى المحكم الدقيق أمكن لبعض المؤرخين أن يحصلوا على بعض الإحصائيات الدقيقة عن الرواتب في بعض قطاعات العمل في الدولة المرينية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أنه خلال حصار الجزيرة الخضراء في عهد السلطان أبى الحسن ولمدة عامين بلغت رواتب الجند الأندلسى والمرينى التى تتحملها الخزنة المرينية خمسين ألف دينار من الذهب في كل شهر (١٦٦) .

ويروى القلقشندى معلومات وفيرة ومفصلة عن رواتب الأشياخ - كبار قادة الجيش المرينى - والجند في العصر المرينى على اختلاف مستوياتهم ، فالأشياخ الكبار ، كانوا يمنحون إلى جانب الإقطاعات الجارية ، عشرين ألف مثقال من الذهب في رأس كل سنة ، والأشياخ الصغار يأخذون نصف ما يأخذه الأشياخ الكبار (١٦٧) . أما الجند فهم على طبقات ، فمنهم

نين مثقالا من الذهب في كل شهر ، ومنهم من يتقاضى ستة مثاقيل في كل

في القضاة ، فله في كل يوم مثقال من الذهب ، وقطعة من الأرض يزرع بها
سه وعليق دوابه (١٦٩) . كما كان كاتب السر يتقاضى في كل يوم مثقالان
وله مَحِيرَان (قربتان) يتحصل له منهما متحصل جيد من المال ، وإلى جانب
ت له رسوم كثيرة على البلاد ومنافع وإرفاقات يحقق منها دخلا كبيرا (١٧٠) .
المرينيين أقطعوا كبار موظفي الدولة إلى جانب رواتبهم الإقطاعات الجارية ،
نس نظم الإقطاع التي كانت سائدة آنذاك ، في جهات كثيرة من العالم
لكن الذي يلاحظ هنا أن هذه الإقطاعات كانت مرتبطة بالوظيفة التي يؤديها
الإقطاع ، إذ أنه يتميز بهذا الإقطاع بسبب ما يقوم به من عمل في خدمة

أول إشارة لنظام الإقطاع بمعناه الواسع في عهد السلطان أبي الحسن المريني ،
رزوق أن هذا السلطان ألغى نظام الالتزام في تحصيل جبايات الدولة المرينية
أ رفعه (أبو الحسن المريني) وكان شائعا شنيعا اكتراه الولاة للبلاد فإنهم كانوا
البلاد وكان سبب ذلك تمالؤهم على الخيانة في ولايتهم على سبيل الأمانة فإذا
امتدت أيديهم وكثرت عاداتهم وظلمهم فإذا زجروا اعتلوا بالالتزام فأسقط
هذا اللقب ولم يبق له أثر في المغرب فصار يوليهم إياها أمانة ، (١٧١) .

النص يشير إلى عدة حقائق أولها : أن بعض سلاطين بني مرين قبل السلطان أبي
إلى ولاية الأقاليم أمور الجباية بطريق الالتزام .

١ : أن عيوب هذا النظام ظهرت بوضوح متمثلة في ظلم الولاة للشعب
في دفع مبالغ كبيرة من المال .

٢ : أن أبا الحسن قرر إلغاء هذا النظام ، واتباع نظام الأمانة ، حتى لا يتعسف
أية الأموال أو مطالبة الناس بأكثر مما عليهم تعللا بالالتزام .

السلطان أبو الحسن يطمئن دائما على سلامة النظام الجديد بما كان يقوم به الفقيه
لقبائلي - الذي كان يتولى منصب صاحب الأشغال - من معارضة ما يجبي
: بما كان يجبي منها التزاما : فيقول تقارب الخراجان أو زاد أحدهما
(١٧٢) .

ب - مصادر الدخل في دولة بنى مرين

تعددت مصادر الدخل للخزانة المرينية ، وتكاد هذه المصادر تنحصر في : الزكاة - الخراج - الجزية - الضرائب - الغنائم - المصادرات . ولم تكن هذه المصادر ثابتة ، في كافة عهود سلاطين بنى مرين ، حيث مال بعض السلاطين المرينيين إلى قصر هذه المصادر على ما أمر به الشرع ، والاستغناء عن المصادر الأخرى التي لم يقرها الشرع ، ومال آخرون إلى التخفيف بإلغاء بعض الضرائب فقط ، فالسلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني والسلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب ، وضعوا في عهدهما نظاما جديدا للجباية اقتصر فيها على الزكاة والأعشار الدينية فيما يخص رعايا الدولة من المسلمين ، والجزية فيما يخص الدمين (١٧٣) . ومن سلاطين بنى مرين الذين خففوا بعض الضرائب المفروضة على الشعب ، أبو الحسن المريني ، الذي رفع كثيرا من المكوس من بوادي الدولة وحواضرها (١٧٤) .

١ - الزكاة :

وهي من المصادر الهامة للدخل أيام المرينيين ، وذلك لأنها تستند في مشروعيتها ، وتحديد كمياتها إلى الشرع (١٧٥) . وظلت الزكاة بجميع أنواعها تخضع في جمعها لسلطة الدولة ، وفقا للمقادير التي أمر بها الشرع . حتى إذا جاء عهد السلطان أبي يعقوب يوسف المريني ، ترك للناس حرية التصرف في زكاة الفطر فقط ، بعد أن كانت الدولة تقوم بجمعها والإشراف على توزيعها وإنفاقها ، كباقي أنواع الزكاة الأخرى . أما باقي أنواع الزكاة فظللت تخضع في جمعها . وصرفها - في مصادرها الشرعية - إلى سلطة الدولة نفسها (١٧٦) . وحرص كثير من سلاطين بنى مرين على استعمال الفقهاء في جمعها مراعاة للدقة والتزاما لجانب العدل في ذلك ، إذ الفقهاء أقلد الناس على تقديرها وضبطها . ومن هؤلاء الفقهاء الذين استعملوا في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله القشتالي ، استعمله أبو الحسن المريني « في سماع الشكايات وفي الزكوات وألزمه حقتور مجالسه العلمية » (١٧٧) .

٢ - الخراج :

لم ينظر المرينيون إلى أرض المغرب نظرة الموحدية إلى اعتبارها أرض خراج ، وإنما اعتبروا أرض المغرب أرض عشر لأنها أرض أسلم أهلها عليها (١٧٨) . لذا لم أجد في المصادر التي تعرضت للعصر المريني ذكر لكلمة خراج ، ولكن ذكرت كلمة عشر (١٧٩) . وذكرت كلمة أعشار الروم (١٨٠) . والأولى تشير إلى المتحصل من الأموال على الأراضي ،

وفقا لما أقره الشرع ، أى العشر فى الأرض التى تسقى سىحا أو بالماء (أى بدون مفعونة) ، أما الأراضى التى تسقى بغرب أو دالية أو ساقية (أى بمفعونة) ففيها نصف العشر (١٨١) .

أما أعشار الروم فهى من موارد الدولة ، وهى الرسوم التى تؤخذ على أموال وتجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام (١٨٢) . وكان بعض سلاطين بنى مرين يأمرهم أحيانا باستخدام أموال هذه الأعشار فى إجراء بعض الإصلاحات فى المساجد ، وهذا يعنى أن المرينيين كانوا ينظرون إلى هذه الأعشار على أنها ضمن خراج الدولة ، طبقا لما ذكره أبو يوسف : « فما يؤخذ من المسلمين من العشور فسييله سبيل الصدقة ، وما يؤخذ من أهل الذمة جميعا وأهل الحرب فسييله سبيل الخراج » (١٨٣) .

٣ - الجزية :

شكلت الجزية مصدرا من مصادر الدخل للخزانة المرينية (١٨٤) . وهى ضريبة واجبة على جميع أهل الذمة (١٨٥) . وهم يدفعون هذه الضريبة فى مقابل ما يتمتعون به من الأمن والحماية فى ظل الحكومة الإسلامية وتؤخذ من الرجال الأحرار العقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع ووزراى (١٨٦) . ولا تؤخذ الجزية أيضا من المسكين الذى يتصدق عليه ، ولا من مقعد ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من المترهين وأهل الصوامع إن لم يكونوا ذوى يسار (١٨٧) . وأيضاً لا تؤخذ من الشيخ الكبير الذى لا يستطيع العمل ولا شئ له (١٨٨) . وفى بعض الأحيان استخدم المرينيون حصيلة أموال الجزية فى إصلاح المساجد وترميمها (١٨٩) . أو أنفق منها على المارستانات وعلاج المرضى ومساعدة الفقراء بمرتبات شهرية تعطى لهم الدولة (١٩٠) . وكانت هذه الجزية فردية بواقع دينارين وثمان دنانير للفرد الواحد (١٩١) .

٤ - الضرائب :

فرض عدد من سلاطين بنى مرين ألوانا مختلفة من الضرائب ، غير تلك التى أقرها الشرع ، وقد زادت هذه الضرائب فى بعض الأحيان عن الحد ، الأمر الذى دعا بعض سلاطين بنى مرين إلى تخفيفها أو إلغائها وجاءت أول إشارة إلى وجود ضرائب زائدة على ما أمر به الشرع فى الدولة المرينية ، فى مطلع عهد السلطان يوسف بن يعقوب ابن عبدالحق ، إذ رفع هذا السلطان ما كان مفروضا على الديار من ضرائب تعرف باسم الانزال ونوعا آخر من المكوس (١٩٢) . وتوالت بعد ذلك إشارات بعض المؤرخين إلى رفع أنواع أخرى من الضرائب عن كاهل الشعب المرينى ، كما حدث فى عهد السلطان أبى سعيد المرينى ، والسلطان أبى الحسن المرينى (١٩٣) . وقد أفاض ابن مرزوق فى الحديث عن أنواع الضرائب التى رفعها السلطان أبو الحسن عن شعبه منها (١٩٤) :

١ - الخرص : فرضت هذه الضريبة على الحدائق ، وكانت الحدائق تعجز في كثير من الأحيان عن الوفاء بهذه الضريبة الأمر الذى دعا كثير من أصحابها إلى قطع أشجارها هروبا من هذه الضريبة .

٢ - الجمون : وهى ضريبة كانت تفرض على أهالى سجلماسة والقبلة على النخل والزروع ، وكان المتحصل من هذه الضريبة أحمالا كثيرة من الذهب .

٣ - الانزال : ضريبة مفروضة على ديار الاغنياء بعدوة الأندلس .

٤ - الفطرة : ضريبة تؤخذ في رمضان .

ومن أنواع الضرائب التى حققت دخلا كبيرا للخزانة المرينية ، تلك الضريبة التى كان يدفعها التجار بصفة خاصة ، والتى أطلق عليها اسم (اللوازم الخزنية) (١٩٥) . كما كانت هناك الضرائب المعروفة باسم القبالات (١٩٦) . وهذا الاسم استخدم في المغرب والأندلس ليدل على الضرائب التى كان يؤديها أصحاب الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية (١٩٧) . والمكوس (١٩٨) . وكانت تفرض على السلع المارة في أماكن العبور (١٩٩) . وكانت هناك ضرائب أخرى تفرض على بائعى اللحوم المشوية في الشوارع ، وعلى الخضر المطروحة للبيع في الأسواق ، وعلى المكاييل في أسواق الحبوب ، كذلك كانت الخزنة المرينية تتقاضى ضريبة معينة على كل ثوب من القماش المستورد من أوروبا يباع في القيسارية (٢٠٠) . وأخيرا فقد كانت الموائى مصدرا هاما من مصادر الجباية ، أمدت المرينيين بكثير من الأموال فكان لإيراد ميناء سبتة من الضرائب في اليوم يتراوح بين خمسمائة دينار إلى سبعمائة وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفى دينار في اليوم (٢٠١) .

٥ - الغنيمة :

الغنيمة في اللغة هى ما يناله الرجل أو الجماعة بسعى ، وشرعا هى كل ما أصابه المسلمون من عساكر الكفار عن طريق الحرب (٢٠٢) . أو هى على وجه التحديد « الأموال : أى المنقولات التى أخذت من المشركين بالقتال » (٢٠٣) .

والغنيمة بهذا المعنى كانت مصدرا هاما من مصادر الدخل في الدولة المرينية ، لأن المرينيين اضطلموا بأعباء الجهاد في الميدان الأندلسي - بعد سقوط دولة الموحدين - ضد نصارى أسبانيا ، الذين كانوا يلحون لالتهام ما تبقى للمسلمين من ممتلكات في بلاد الأندلس ، وحصل المرينيون نتيجة للمعارك التى خاضوها في هذا الميدان على كثير من الغنائم ، التى دعمت دخل الدولة المرينية ، وعززت موقفها المالى ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فالسلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق - مؤسس الدولة المرينية - خلال

عبوره الأول إلى بلاد الأندلس سنة (٦٧٤هـ — ١٢٧٥ م) ألحق الهزيمة ببجوش النصارى بقيادة (دون نونيو دى لارا) - الذى تسميه بعض المصادر الميرية « ذنته » - (٢٠٤) . واستولى على غنائم كثيرة تحدث عنها المؤرخون (٢٠٥) . فصاحب الذخيرة السنية يروى أنها كانت « مائة ألف رأس من البقر وسبعة وعشرين ألف ، وأما الغنم فلا تحصى حتى بيعت الشاة منها بالجزيرة بدرهم وكان عدد الأسرى من الرجال والنساء والذرية سبعة آلاف وثمانى مائة وثلثين نفسا وعدد البغال والحمر أربعة عشر ألف رأس وستائة رأس وأما الدروع والسيوف والمغازم والتراس والبيضات فما لذلك عدد لكثرة فامتلات أيدى المسلمين وصلح حالهم وحال أهل الأندلس ، (٢٠٦) . والعبارة الأخيرة تبين مدى الأثر الاقتصادى الذى تحدثه هذه الغنائم من الرخاء والسعة على المواطنين الميرنيين .

وقد طبق سلاطين بنى مرين القواعد الشرعية المرعية فى توزيع هذه الغنائم ، فالسلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الميرنى قسم الغنائم السابقة « على المجاهدين بالسوية والاعتدال للفارس سهمان والراجل سهم واحد بعد أن نزع الخمس لبيت المال » (٢٠٧) .

٦ - المصادر :

كانت المصادر التى أمدت الخزانة الميرنية بمبالغ كثيرة من الأموال ، فكان الولاة يوقعون على التجار عقوبة المصادرة ، فيصادرون السلع التى يحول التجار اخفاءها لترتفع أسعارها ، وقد لا يكتفى الولاة بمصادرة السلعة ، فيوقعون غرامة تصل إلى خمسة أضعاف سعر السلعة المصادرة . وقد ألغى هذا النوع من المصادر فى عهد السلطان أبى الحسن الميرنى الذى رآه عبنا ثقيلا على كاهل التجار الذين تعرضوا لكثير من أذى الولاة (٢٠٨) . يقول ابن مرزوق : « ومن جملة ما رفع عنهم (التجار) وظائف استغراق السلع إذا ظهر الولاة على أن التجار تحملوا فى سرقتها الخزن فكانوا يجعلون عقوبة ذلك أخذ السلعة كلها أو تغريم خمسة مخازن وهو تضعيف المغرم المعهود خمس مرات فكان الولاة يجمعون من ذلك أموالا جملة يلتزمون بسببها ما لا يلتزمون به » (٢٠٩) .

وكانت المصادرة عقابا يواجه به ولاة الأمر المخراقات المسئولين والموظفين فى الدولة ، فالسلطان أبو سعيد عثمان الميرنى أمر بمصادرة أموال منديل بن محمد الكنانى نتيجة بعض الأخطاء الجسيمة التى أخذت عليه (٢١٠) . وأبو الحسن الميرنى أمر بمصادرة الأملاك التى اشتراها الخطيب أبو الفضل محمد بن أبى الحسن المزوغنى من أموال الأحباس والأوقاف ، التى كان يشرف عليها ، بعد أن ثبت تورطه فى إنفاق هذه الأموال بطريق غير سليم (٢١١) .

ج - عناصر الاقتصاد المرينى

١ - الصناعة

مثلت الصناعة في الدولة المرينية نشاطا من الأنشطة الاقتصادية الهامة ، التي يعتمد عليها المواطنون في الدولة المرينية ، إذ أمدت هذه الصناعات المواطنين باحتياجاتهم ولوازمهم ، ومما ساعد على قوة هذا اللون من النشاط الاقتصادي ، أن الموحدين خلقوا للمرينيين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها بعض مصادر التاريخ ، فالجزائى يذكر أن مدينة فاس - قاعدة الصناعة الرئيسية في المغرب الأقصى كان بها في أواخر العصر الموحدى ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين دارا لصناعة الأطرزة ، وسبعة وأربعون دارا لصناعة الصباغون ، وستة وثمانون دارا للدهاغة ، ومائة وستة عشر دارا للصباغة ، واثنا عشر دارا لسباكة الحديد والنحاس ، وأحد عشر دارا لصناعة الزجاج ، ومن كوش الجير مائة وخمسا وثلاثين ، وألف ومائة وسبعون فرنا لصناعة الخبز ، وأربعمائة من أحجار صناعة الكاغيد (الجلد) ، عدا ما في خارج المدينة من دور لصناعة الفخار ، تصل إلى مائة وثمانين دارا (٢١٢) .

ويذكر الجزائى أن الصناعة قد ازدهرت في العصر المرينى عما كانت عليه في أيام الموحدين ، بسبب اتساع العمران حول فاس القديمة ، ببناء فاس الجديدة أو المدينة البيضاء وحى الملاح (٢١٣) . ويؤكد ذلك الجزائى ، فبعد أن استعرض أنواع الصناعات السابقة التى ورثها المرينيون عن العهد الموحدى قال : « ولو مر (المار) بالمدينة البيضاء والملاح وما هو إلى ذلك من الكهوف مقيم الآن بفاس فكانت (المصانع) تنتهى لأكثر من ذلك » (٢١٤) .

ومما لا شك فيه أن ذلك التقدم الصناعى كان بسبب توفر المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة والتوتيا ، التى يصبغ بها النحاس الأحمر ليصبح نحاسا أصفر (٢١٥) . كذلك توفرت المواد الخام التى تدخل في صناعة مواد البناء من الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال (٢١٦) . كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتى استخدمت في صناعة أدوات الزينة (٢١٧) . وكذلك الباقوت المستخرج من جبل هزرجة بالقرب من أغمات (٢١٨) . كما توفرت أيضا أخشاب الأرز التى استعملت في بناء المنازل والمنشآت والسفن ، وهذه توفرت بكميات كبيرة في الغابات الكثيرة بالمغرب الأقصى ، كغابات جبال بنى يزغة ، التى تبعد عن فاس بثلاثين ميلا (٢١٩) . وتوفرت أيضا أنواع أخرى من الأخشاب استعملت في صناعة الفحم ،

كخشب البلوط المتوفر في منطقة جبل بنى بهلول (٢٢٠) .

وإلى جانب توفر المواد الخام توفرت الخبرات اللازمة للتقدم الصناعي ، وبرز ابن أمي زرع أن أكثر الأهالي في عدوة القرويين من فاس القديمة كانوا صناعا (٢٢١) . وقد اكتسب الصناع في العصر المريني خبرتهم من رصيد الخبرة الكبير الذي كان في عصر الموحدين ، والذي تضخم بسبب الخبرات الصناعية الوافدة إلى المغرب الأقصى من بلاد الأندلس (٢٢٢) .

ومن الصناعات التي ازدهرت في العصر المريني صناعة عصر الزيتون لاستخراج زيت الزيتون ، واشتهرت فاس بهذه الصناعة لقربها من غابات الزيتون في شمالي المدينة إلى نهر سبو ثم إلى نهر ورغة ، وحتى فيما وراء ذلك إلى سفوح الجبال التي تطل على البحر المتوسط (٢٢٣) . وصناعة السكر التي انتعشت في المناطق التي تجود فيها زراعة قصب السكر في جزائر بنى مرغناي وسلا ومراكش ، ففي هذه المراكز الثلاثة يعصر قصب السكر ، ويصنع منه القند ، ومن القند يكون السكر على أنواع كما يقول الفلقشندي (٢٢٤) . وكانت في مراكش أربعون معصرة لصناعة السكر ، وذلك لوفرة محصول قصب السكر هناك ، حتى أن حمل الحمار من هذا القصب كان يباع بدرهم (٢٢٥) .

كما نشطت في العصر المريني بعض الصناعات الدقيقة ، كصناعة الساعات والاسطرلابات (٢٢٦) . ففي سنة (٦٨٥هـ — ١٢٨٦ م) صنع المَعْدِل أبو عبد الله محمد بن الحباك ساعة لمعرفة الوقت ، وهي مختارة عن : « بدنا من الفخار بالقبة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منه الماء بقدر معلوم إلى أن يصل الخطوط فيعلم بذلك أوقات الليل والنهار في أيام الغيم ولياليها » (٢٢٧) . وصنعت ساعات أخرى غير هذه الساعة ، كالتى صنعها أبو عبد الله محمد الصنهاجي سنة (٧١٧هـ — ١٣١٧ م) (٢٢٨) . وأجرى عليها أبو عبد الله محمد بن العربي تعديلات في سنة (٧٤٧هـ — ١٣٤٦ م) (٢٢٩) . وفي سنة (٧٥٨هـ — ١٣٥٦ م) ، صنع المعدل أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني للسلطان أبي عنان المريني مجانة (ساعة) ، « بطيسان وطوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التي أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتفتح طاق » (٢٣٠) .

واهتم سلاطين بنى مرين اهتماما كبيرا بالصناعات الحربية لحاجتهم إلى الجيوش القوية التي يدافعون بها عن حدودهم ضد الأخطار التي تهددهم دائما من الشرق ، ولكي يقوموا بالجهاد المقدس دفاعا عن الإسلام في بلاد الأندلس ، وتدل الروايات على أن المرينيين كانوا يملكون ترسانة قوية لصناعة الأسلحة اللازمة لجيوشهم ، حيث استخدم الجيش المريني أحدث

أسلحة العصر في معاركه فالمعروف طبقا لرواية ابن خلدون ، أن المرينيين كانوا روادا في استعمال البارود ، بل لعلهم أول من استعملوه في صناعة المدافع التي استخدمت في قذف الأسوار ، وتحطيمها ، وجاءت أول إشارة لاستخدام هذه الأسلحة النارية ، عندما توجه السلطان أبو يوسف يعقوب المريني لفتح سجلماسة سنة (٦٧٢هـ — ١٢٧٣ م) ، « ونصب عليه آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة ترد الأفعال إلى قدرة باريها » (٢٣١) . ولم يكن لهذه المدافع اسم ، وإنما اكتفى ابن خلدون بوصفها . وقد استعمل المرينيون هذا السلاح الناري في الدفاع عن الجزيرة الخضراء التي هاجمها القشتاليون سنة (٧٤٢هـ — ١٣٤٢ م) (٢٣٢) . ونوع آخر من الأسلحة اهتم به سلاطين بني مرين وهو المعروف باسم (قوس الزيار) وكلفوا مهندسي الأسلحة بصنعه ، وقد استخدمت هذه القوس في حصار تلمسان الكبير في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، ويبدو أن هذه القوس كانت بعيدة المدى في إصابة أهداف العدو (٢٣٣) .

يضاف إلى الأسلحة السابقة تلك الأسلحة التقليدية من السيوف ، والرماح ، والدرق ، والمجانيق ، والعرادات ، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار .

كما ازدهرت بعض الصناعات الأخرى وثيقة الصلة بالجيش ، كصناعة الأزياء العسكرية اللازمة للقادة والجند ، وتحدث القلقشندي عن أشكال هذه الأزياء العسكرية للأشياخ والجنود فقال : « أما الأشياخ وعامة الجند فإنهم يتعممون بعمائم طوال قليلة العرض من الكتان ، ويعمل فوقها إحرامات يلفونها على أكتافهم ، ويتقلدون السيوف تقليدا بدويا ، ويلبسون الخفاف في أرجلهم وتسمى عندهم (الأثمة) ، ويشدون فوقها المهاميز ، ويتخلون المناطق وتسمى (الحوائص) أو (المضحات) وهي من الذهب أو الفضة ، وقد يصل وزن المضمة ألف مثقال ، ولذلك لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز - وهو يوم عرضهم على السلطان » (٢٣٤) . هذا عدا ما يصرف للأشياخ والجنود على مختلف رتبهم من الأثواب والشاش والجوخ وهي من لوازم الميدان (٢٣٥) .

ومن الصناعات التي ارتبطت بالجيش أيضا صناعة الأعلام والطبول اللازمة للجيش المريني ، وقد أطلق على علم الدولة المرينية اسم العلم المنصور ، أو سعد الدولة ، وهو علم أبيض من حرير مكتوب فيه بالذهب المنسوج ، وفي أعلى دائرة آيات من القرآن الكريم ، وكان هذا العلم يحمل في مواكب السلطان (٢٣٦) . ودون هذا العلم كانت تصنع أعلام أخرى صغيرة مختلفة الألوان يبدو أنها كانت ترمز إلى وحدات الجيش المريني وأفرع أسلحته (٢٣٧) . وما من شك في أن ضخامة الجيش المريني تظهر بالتالي ضخامة الصناعات

العسكرية ، ولوازمها ، فقد بلغ تعداد الجيش المرينى بعد فتح تلمسان فى عهد السلطان
أبى الحسن المرينى مائة وأربعين ألف جندى ، غير حفظة المدن والسواحل (٢٣٨) .

واهتم سلاطين بنى مرين أيضا بالصناعات اللازمة للأسطول المرينى ، وخاصة صناعة
السفن لأهميتها لهم فى العمليات الحربية فى الميدان الأندلسى ، وللدفاع عن سواحل دولتهم ،
وبلغ من اهتمام سلاطين بنى مرين ، أن أبى الحسن المرينى كلف أحد وزرائه ، وهو أبو ثابت
عامر بن فتح الله السدراقى ، بالإشراف على بناء دار صناعة السفن بسبتة (٢٣٩) . كما اهتم
بدار الصناعة الأخرى الموجودة بسلا ، فكان يرسل إليها أحمالا من خشب الأرز من موضع
(منزل خولان) ، ليصنعها المهندسون البحريون سفنا حربية (٢٤٠) . كما كان أبو عنان
المرينى يبنى السفن الصغيرة فى منزل خولان ، ثم تدفع هذه السفن فى وادى سبو حتى تصل
إلى البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) ، وبنى هناك من أنواع هذه السفن (شيطى) ، ويحمل
مائة وعشرين محاربا ، (وشلر) ويحمل ستين محاربا (٢٤١) .

٢ - الزراعة

ازدهرت الزراعة في العصر المريني بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى من دعائم لازمة للزراعة ، وأهمها وفرة مصادر المياه ، وجودة التربة ، وتنوع المناخ ، الذي كان له أثره في تنوع المحاصيل والثمار (٢٤٢) . وقد أشار المراكشي إلى هذه الحقيقة الهامة حين قال : « وهي (أى أرض المغرب الأقصى) أنصب رقعة على الأرض فيما علمت وأكثرها أنهارا مطردة وأشجارا ملتفة وزروعا وأعناها » (٢٤٣) . وأشهر مصادر المياه في المغرب الأقصى هي :

- ١ - نهر مُلُويّة : وينبع فيما بين تلمسان ورباط تازا ويصب في البحر المتوسط (٢٤٤) .
- ٢ - نهر سبو : وهو يحيط بمدينة فاس وشرقها وغربها (٢٤٥) .
- ٣ - نهر وُرْغَة : وهو يجاور نهر سبو ، وهما يصبان في البحر المحيط (المحيط الاطلنطي) بعد أن يلتقيا معا عند الموضع المعروف باسم المعمورة (٢٤٦) .
- ٤ - نهر بُهْتَا : ويقع هذا النهر بين مكناسة وسلا ويصب مياهه في البحر المحيط (٢٤٧) .
- ٥ - نهر أم الربيع وأبو الرقراق : وهما فيما بين سلا ومراكشي ، وينبعان من جبال صنهاجة (الأطلس المتوسط) ، ويصبان في البحر المتوسط ، ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى ، لوفرة مياهه ، وانتظام جريانه (٢٤٨) .
- ٦ - نهر تانسيفت ونهر السوس الأقصى : وهما على بعد أربعة أميال من مراكش ، ويصبان أيضا في البحر المحيط (٢٤٩) .
- ٧ - نهر شَفْشَاوَة : وهو بهلاد حاحة ويصب في البحر المحيط (٢٥٠) .

وهذه الأنهار لا يقل ماؤها ، ولا ينقطع شتاء ولا صيفا (٢٥١) . وكان لذلك أثره الكبير في استقرار الحياة الزراعية بالمغرب الأقصى . وغير هذه الأنهار الكبيرة فهناك بالمغرب الأقصى كثير من الأودية الصغيرة التي يظل فيها الماء طول السنة ، عدا فصل الصيف (٢٥٢) . وهذه تسهم بدورها في وفرة الإنتاج الزراعي وكثرته ليلبي بحاجة السكان .

وإلى جانب العوامل السابقة التي ساهمت في ازدهار الزراعة في العصر المريني ، اهتم سلاطين بني مرين بالزراعة ، فأقطعوا كبار رجال الدولة الإقطاعات الزراعية ، كالقضاة (٢٥٣) . وقادة الجيش ، وهم كبار الأشياخ الذين منحوا الإقطاعات الجارية (٢٥٤) . وكان إشراف هؤلاء على هذه الإقطاعات سبيلا إلى زيادة الإنتاج

في إقطاعاتهم مما كان له أثره في رخاء البلاد في العصر المريني .

ومن المحاصيل الزراعية التي توفرت في العصر المريني القمح والبقول والشعير (٢٥٥) .
وهي تمثل المحاصيل الرئيسية اللازمة لحياة الأهالي ، والعلوفات ، التي حرص المرينيون على توفرها لجيوشهم المحاربة . وقد ازدهرت زراعة القمح في طنجة ، وزلول - في شرق أزغلي - والبصرة ، وكوث وماسيته (٢٥٦) . وجهات أخرى كثيرة كبلاد السوس ، وسجلماسة (٢٥٧) . أما القطن والشعير فقد توفرت زراعتهما في كوث والبصرة وماسيته (٢٥٨) . كذلك توفرت أنواع أخرى من المحاصيل التي تأتي بعد القمح والبقول والشعير في الأهمية كالزيتون الذي انتشرت مزارعه شمالي فاس إلى نهر سبو ثم إلى نهر ورغة ، وفيما وراء ذلك حتى سفوح الجبال التي تطل على البحر المتوسط (٢٥٩) . وقصب السكر ، الذي كثرت زراعته بأغصات ، وجزائر بني مزغناي وسلا (٢٦٠) . والسمن والقنب وسائر البقول . وهذه الأنواع جادت زراعتها في إقليم أغصات الذي يبعد عن سجلماسة بثمانى مراحل (٢٦١) .

وإلى جانب هذه المحاصيل كانت هناك الخضرة والفاكهة ، والأزهار فقد زرع الفلاحون في المغرب الأقصى ما يحتاجه الأهالي لغذائهم اليومي من الخضراوات ، وقد ذكر القلقشندي ، بعضا من أنواعها وهي « الخيار ، والقثاء ، واللنت ، والبادنجان ، والقرع ، والجزر ، واللوييا ، والكرب ، والشمار ، والصعتر ، وسائر البقول » (٢٦٢) .

أما الفواكه ، فأنواعها كثيرة مستطابة ولذيذة ، منها البلح والعنب والتين والرمان ، والسفرجل والتفاح والكمثرى والمشمش والبرقوق والقراصيا والخوخ والتوت والجوز واللوز والأترج والليمون والليم والنارج والبطيخ الأصفر والأخضر (٢٦٣) . واشتهرت فاس بخصب بين جهات المغرب الأقصى بكثرة الفاكهة وتنوعها ، وتميزت عدوة القرويين بفواكه الخريف وعدوة القرويين بفواكه الصيف يقول ابن أبي زرع : « وبها (عدوة القرويين) الرمان السفرى الذى ليس في المغرب مثله حلاوة ولذة وولادة والتين الشعري والسبتي الطيب الحسن والعنب والخوخ والجزر والعناب والسفرجل والأترج وسائر الفواكه الخريفية تأتي في عدوة القرويين في نهاية الطيب والحسن والحلاوة وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وطيبها كالتفاح الطرابلسي الحلو الأخضر الذى ليس مثله في جميع المغرب لحسنه وحلاوته ... والتفاح اللوى والطلح والكلخي ، وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت كل ذلك في نهاية الطيب والحسن » (٢٦٤) .

ومن الأزهار والرياحين التي جادت في المغرب الأقصى ، والتي كثيرا ما ألهمت حماس الكتاب والشعراء ، الورد ، والبنفسج ، والياسمين ، والآس ، والرجس ، والسوسن ،

والبهار (٢٦٥) . وكان لكثرة الأزهار والرياحين أكبر الأثر في وفرة محصول عسل النحل ، وتوفره بكميات كبيرة حتى إن أهل المغرب كانوا يفضلون استعماله عن السكر ، واقتصر استعمال السكر عندهم على الغرباء والمرضى (٢٦٦) .

وبجانب هذا كله كانت هناك الغابات التي كانت مصدرا بمد أهالي المغرب الأقصى بالأخشاب والخطب ومن هذه الأخشاب خشب الأرز المستعمل في بناء المنازل وصناعة السفن (٢٦٧) . فيروى أن السلطان أبا الحسن كان يرسل أحمالا كثيرة من خشب الأرز إلى دار الصناعة بسلا ، لصناعة سفن الأسطول المريني (٢٦٨) . وكذلك فعل أبو عنان ، الذي كان يبنى بعض سفن الأسطول المريني الصغيرة والقوارب في دار صناعة السفن بمنزل خولان القريبة من غابات خشب الأرز (٢٦٩) . ومن أخشاب هذه الغابات البلوط الذي استخدم في صناعة الفحم ، وكانت تدخل منه أحمال كثيرة إلى فاس من جبل بني بهلول ، للاستعمال العادي كخطب ولصناعة الفحم (٢٧٠) . ومن أنواع الأشجار المنتشرة في غابات المغرب الأقصى العرعر ، وخشبه جيد يستعمل في الصناعات الخشبية ، والبناء (٢٧١) . والزان الأخضر ويصنع منه الفحم والقطران (٢٧٢) . وهناك أيضا أشجار الصنوبر ، وأشجار الأركان ، وهذا النوع الأخير له بذر يعصر ويستخرج منه زيت للطعام يسمى (زيت أركان) (٢٧٣) .

وساعدت كثرة هذه الغابات على توفر ثروة حيوانية ضخمة للمغرب الأقصى في العصر المريني ، لأن هذه الغابات وفرت كثيرا من عناصر الغذاء اللازم لهذه الحيوانات ، وتنوعت هذه الثروة الحيوانية بين الحيوانات الأليفة ، كالخيل ، والبغال ، والحمير ، والأبل ، والبقر ، والغنم (٢٧٤) . والحيوانات الوحشية ومنها « الوحش الحمر والبقر والنعام والغزال والمها » (٢٧٥) .

واهتم الناس أيضا بالدواجن والطيور ومنها الأوز والحمائم والدجاج والكركي واسمه عندهم (القُرْثُوق) (٢٧٦) . واهتم الناس أيضا بتربية الدجاج وحمايته في أقفاص كبيرة (٢٧٧) .

الثروة السمكية :

من المؤكد أن شواطئ المغرب الأقصى التي تطل على البحر المتوسط ، والمحيط الأطلسي ، كانت تزد سكانه في العصر المريني ، بكميات كبيرة من الأسماك مختلفة الأنواع (٢٧٨) . كذلك كانت أنهار المغرب مصدرا لكثير من أنواع الأسماك ، التي كانت لونا من ألوان الغذاء خاصة لهؤلاء السكان القرييين من هذه الأنهار ففي فاس كان نهر سبو بمد المدينة بأنواع عديدة من الأسماك منها الشايل ، والبوري ، وأصناف الحوت وكانت

الكميات التى تخرج من هذا النهر وفيرة حيث تصل إلى فاس أحمال كثيرة من هذه الأنواع (٢٧٩) . وأضاف الجزنائى أنواعا أخرى مثل اللبين والسلباخ والبوقه ، وذلك كله حوت للدهل الطعم كثير المنفعة (٢٨٠) . ومن قاع النهر يصاد الصدف الثمين الذى يقوم بالجوهر ، ولهذا سمى هذا النهر (نهر الجواهر) ، ومنه تصاد أيضا بعض السراطين المستعملة فى صناعة الأدوية (٢٨١) .

٣ - التجارة

انعكست حالة الأمن والاستقرار التي سادت الدولة المرينية على نشاطها التجارى ، وقد حرص سلاطين بنى مرين على توفير الأمن وكان ذلك هدفا رئيسيا لهم منذ اضطلاعهم بقيادة زمام الأمور فى بلاد المغرب الأقصى ، بعد أن عجز الموحدون عن توفير ذلك الأمن فأصاب البلاد ما أصابها من التدهور و الاضطراب (٢٨٢) . ودأب سلاطين بنى مرين على الضرب على أيدي كل من تسول له نفسه الاعتداء على الأموال ففى سنة (٦٦٩هـ — ١٢٧٠م) ، بعد إعلان قيام الدولة بعام واحد توجه السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى منطقة درعة لتأديب بعض القبائل العربية التي كانت تثير الشغب ، وتعتدى على الناس والأموال ، ونقل هؤلاء العرب إلى مراكش ليكونوا تحت رقابة دقيقة من عمال الدولة هناك (٢٨٣) .

كما سهر المرينيون على تأمين طرق المواصلات بين مدن الدولة فاستحدثوا تنظيمات جديدة على طول الطرق التي تربط بين العاصمة فاس والمدن الأخرى ، كمراكش ، وتلمسان ، وسبتة ، وسميت هذه التنظيمات (بالرتب) وهى عبارة عن خيام تقام على مسافات متساوية تقدر باثنى عشر ميلا ، يسكنها أهل المنطقة التي تقام بها ، ويمنحون إقطاعا من الأرض على قدر كفايتهم ، وتلزمهم الإدارة المرينية ببيع الشعير والطعام ، وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم والمرافق على أن يقوم أهل المنطقة بحراسة المسافرين وأمتعتهم فإن ضاع منهم شيء كانوا الضامنين له (٢٨٤) . يقول ابن مرزوق : « فلا يزال المسافر كأنه فى بيته وبين أهله فى ذهابه وإقباله » (٢٨٥) .

علاوة على ذلك نظمت الدولة فرقا أطلقت عليها اسم (الغرباء) وهذه الفرق مهمتها حراسة الطرق وخدمتها ، كما كانت هذه الفرق جهازا للسهر على أمن الدولة ، إذ كان هؤلاء (الغرباء) عيونا وجواسيس يراقبون أى خطر يهدد الأمن أو سلامة البلاد ، فيبادرون بإبلاغه للسلطات المسعولة (٢٨٦) .

وإلى جانب استقرار حالة الأمن ، توفرت للنشاط التجارى الأسواق الداخلية ، والخارجية ، وهى الميادين التي تدور فيها السلع يباعا وشراء ، كما توفر الإنتاج الزراعى والصناعى ، وهما الأساس القوى لازدهار أى نشاط تجارى ، وقد تناول البحث الحديث عن الإنتاج الزراعى والصناعى ، ويبقى الحديث عن الأسواق الداخلية والخارجية التي كانت ميدانا لهذا النشاط .

التجارة الداخلية :

تركز النشاط التجارى الداخلى فى الدولة المرينية فى الأسواق التى أقيمت فى المدن ، أذ جرت العادة فى المغرب أن تختص كل صناعة بسوق ، وكل سوق بصناعة . وغالبا ما تكون الأسواق حول المساجد على نسبة اتصالها بهذه المساجد وظيفيا (٢٨٧) . فحول المسجد وقرىبا منه نشطت الأحياء التى لها ارتباط باحتياجات المسجد (٢٨٨) . فهناك سوق الشماعين ، لوجوب الاستضاءة بالشموع فى الصلوات الليلية ، وهناك سوق العطارين ، والطيبين (باعة البخور) لوجوب التعطر والتبخير بالجوامع ، وهناك سوق القباقيب لوجوب الوضوء ، وسوق الكتبين لأن المساجد كانت مدارس ومعاهد للثقافة والعلم ، وإلى جانب هذه الأسواق كان هناك العدول ، والمأذنون لأن العقود كانت تم ويشهد عليها فى المساجد (٢٨٩) . وفى فاس يظهر هذا الارتباط القوى بين المسجد والأسواق التجارية ، حتى إن أبواب المساجد ، سميت بأسماء هذه المناطق الاقتصادية النشطة ، فمسجد القرويين له أبواب تحمل أسماء لها دلالات تجارية ، مثل باب الكتبين حيث كان باعة الورق والكتب ، وباب الشماعين ، وبقره باعة الشموع وباب الموثقين ، حيث يجلس الموثقون للقيام بأعمالهم فى كتابة العقود وتحريرها (٢٩٠) . ثم تتعاقب الأسواق طبقة طبقة إلى أن يكون آخرها إلى جوار سور المدينة وهى التى يجب أن تكون بعيدة عن المنازل والسكان حتى لا تؤذيهم برائحها الكريهة أو أدخنتها ، أو الأخطار الناجمة عن الحريق أو الدوى ، مثل الدباغين ، والصباغين ، والسراجين ، والحدادين ، والنجارين (٢٩١) .

وكانت هناك الأسواق الخاصة ببيع الأقمشة والملابس ، وأطلق على هذا النوع من الأسواق اسم القيسارية (٢٩٢) . وإلى جانب هذه الأسواق كانت هناك الحوانيت ، وفى العاصمة فاس تركزت فى وسط المدينة ، فى عدوة القرويين ، حوانيت القصابين ، مع وجود عدد منها فى الأحياء الأخرى ، وكان عدد هذه الحوانيت كلها نحو الأربعين (٢٩٣) . وهناك حوانيت أخرى كحوانيت الصباغين والختامين ، والسفاجين والخياطين وأطرزة الحاكمة (٢٩٤) . وكان فى فاس أيضا عدد من حوانيت الأطعمة الجاهزة التى تعد المأكّل ، مثل الفول المسلوق والمقانيق (السجق) ، والمعجنات والحلويات والفواكه المقلية ، وهذه الحوانيت كانت تجدد كثيرا من الرواد من الأهالى والمسافرين والغرباء (٢٩٥) .

وأهم ولاية الأمر ، وخاصة بمدينة فاس ، بإقامة الفنادق وتجديدها لأهميتها الاقتصادية ، فهى موضع إقامة التجار والغرباء من لهم أثر كبير فى الحركة التجارية ، فضلا عن أن هذه الفنادق كانت مخازن لمختلف أنواع السلع و التجارات ، حيث كان التجار الوافدون يخزنون فيها بضائعهم لتوزع بعد ذلك على التجار بالجملة (٢٩٦) . فأبو عبد الله الحلوody قام

بتجديد الفندق الكبير بحى الشماعين ، الذى أوقف السلطان أبو يعقوب يوسف دخله للإنفاق على مسجد القرويين (٢٩٧) . وقد بلغ دخل هذا الفندق فى العام عشرة آلاف درهم (٢٩٨) . وقد أصبح هذا الفندق (فندق الشماعين) من أهم مراكز التجميع لأكبر الشخصيات العاملة فى التجارة وأرباب المال ، فالخطيب أبو الفضل محمد بن أبى الحسن المزوغنى خطيب جامع القرويين بفاس ، وهو الذى تولى منصب النظر فى التركات ، وودائع أموال الأوقاف ، أنفق مما تحت يده من أموال التركات والودائع ، على أمل أن يدفعه من غلات ريعه وأثمان زرعه ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن أبنائه تصرفوا فى زروع أبيهم وكان هذا الخطيب يقول : كنت أطمع فى أن يعطينى السلطان أبو الحسن « ثلاثة أحمال من الذهب أذهب بها إلى فندق الشماعين وأصب المال صباً وأدفع لكل ذى حق حقه » (٢٩٩) .

ويتحدث الجزنائى عن مكانة فاس التجارية والاقتصادية فى عصر بنى مرين ، حيث كانت مركزاً لتجمع التجار من جميع البلدان والأقطار . وانتقل إليها (فاس) من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها متجر ومنزل وصناعة وتصرف واجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا (٣٠٠) . « فكانت فاس تقوم بدور العاصمة التجارية إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة ، فكانت لها تجارة واسعة مع سائر مدن الدولة ، خاصة ما كان قريباً منها مثل تازا شرقاً ومكناسة غرباً ، وحتى تلك المدن التى تبعد عنها مثل سلا ومراكش حيث كانت أسواق هذه المدن تهرص على ما تنتجه فاس من كاليات ، تحتاجها الطبقة المتوسطة من الأقمشة والأحذية وأغطية الرأس (٣٠١) .

التجارة الخارجية :

كانت تجارة المرور هى أهم أنشطة التجارة الخارجية فى الدولة المرينية ، حيث استفادت الدولة منافع كثيرة من الضرائب التى كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة ، ومن جانب آخر جنى التجار المرينيون منها أرباحاً وفيرة ، فكان هؤلاء التجار المرينيون يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط (٣٠٢) .

وكان ميناء سبتة بالإضافة إلى موانئ المغرب الأقصى الأخرى هو أهم المرافئ التى تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ، إذ كانت مركزاً لتجمع كثير من قوافل العصور والحريز والكتان (٣٠٣) . ومن أهم المنتجات التى صدرت إلى أوروبا ، صناعات المنسوجات الصوفية والجلود ، وقد اشتهرت هذه المنسوجات فى أوروبا باسم (Mainos) ميرينوس - وهى تسمية لا يخفى نسبتها إلى المرينيين من ظاهر اسمها المستعمل فى أوروبا (٣٠٤) .

وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها ، وجنسياتها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى - مهد المرينيين - وبين المرية قاعدة الاتصال الاقتصادية بين أوروبا وبلاد المغرب ، ولذلك حرص سلاطين بني مرين ، وسلاطين بني الأحمر على تأمين التجارة الخارجية ، وذلك بالنص على ضرورة احترام النصارى للتجار المسلمين وحسن معاملتهم وعدم الاعتداء عليهم أو على أموالهم ، وذلك ضمن المعاهدات والوثائق التي أبرمت بين المرينيين ومعهم بني الأحمر من ناحية ، ونصارى أسبانيا من ناحية أخرى (٣٠٥) .

وكانت أهم المنتجات التي استوردها المرينيون من بلاد الأندلس آلات الصفر والحديد من البسكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي (٣٠٦) . كما استورد المرينيون الأحواض الرخامية المصنوعة في المرية لاستورد السلطان أبو الحسن من المرية بيعة من الرخام الأبيض ، زنتها مائة وثلاثة وأربعون قنطارا ، وقد وضعت هذه البيعة في المدرسة المصباحية لإزاء مسجد القرويين (٣٠٧) .

وكانت قوافل الحج هي الوسيلة الرئيسية لربط المشرق العربي ومصر بالدولة المرينية في مجال التجارة الخارجية ، علاوة على ما أحدثته من تنشيط للتجارة الداخلية ، والصناعات المحلية ، فحملت هذه القوافل كثيرا من المنتجات المرينية التي بيعت في أثناء تقدم هذه القوافل إلى المشرق العربي ، وكانت الثياب الثمينة والحلى هي أهم ما تحمله قوافل الحج إلى المغرب الأوسط وإفريقية ، وطرابلس الغرب ومصر والحجاز (٣٠٨) .

وقد حمل تجار الجملة في الدولة المرينية ، عبء الاشتغال بالتجارة الخارجية ، فكانوا على صلة دائمة بالتجار الأوربيين الذي استوطنوها في مليلة ، وباريس وسبتة (٣٠٩) . كما كان يقع على عاتق هؤلاء التجار عبء توفير الأموال اللازمة للتجارة المصاحبة لقوافل الحج ، وكانوا أيضا ينظمون القوافل التي تحمل المنتجات المرينية إلى بلاد السودان من الأقمشة والجلود ، لتعود محملة بالتبر وريش النعام (٣١٠) . كما كان هؤلاء التجار يقومون بتزويدهم في مجال التجارة الداخلية ، فيجمعون الصناعات المحلية والسلع ثم يبيعونها يوما بعد يوم لتجار التجزئة ، وكان تجار التجزئة فئتين الأولى : تباع المنتجات الثمينة كالأقمشة الرفيعة ، والأحذية ، والحلى والأفاوية ، في أماكن ثابتة في قيسارية المدينة ، والثانية : تباع حاجات الاستهلاك اليومي من المواد الغذائية والاستهلاكية والفئة الأولى كانت أكثر يسارا ، وكانت تمثل دائما الطبقة الوسطى في المدن ، أما الفئة الثانية فكانت فقيرة (٣١١) .

المكايل والموازين

من الأمور وثيقة الصلة بالحياة الاقتصادية المكايل والموازين المستعملة في العصر المريني اذ هي تظهر مدى مرونة الحياة الاقتصادية في الدولة ، فالمرينيون استعملوا في حياتهم اليومية في بيعهم وشرائهم أنواعا كثيرة من المكايل والموازين ، وكانت المكايل عندهم أكثر استعمالا من الموازين ، فهم لا يلجأون إلى الموازين إلا للضرورة وعند تعذر الكيل . ومن هذه المكايل التي استعملها المرينيون (المد) وشاع استعماله في فاس ، ويعادل عند أهلها ثمانين أوقية (٣١٢) . كما استعملوا أيضا (المدى) ، وأطلقوا عليه (اللوح) ، وفي هذا اللوح من المد المستعمل عند أهل فاس مائة وعشرون مدا (٣١٣) .

واستعمل المرينيون أيضا الصاع ، فابن أبي زرع يذكر أن من بين السلع التي كانت تباع بالصاع الملح يقزل : « فالملح بالمدينة (فاس) كثير جدا يباع عشرة أصوع بدرهم » (٣١٤) . ومن المكايل المستعملة أيضا (الصفحة) ، فيذكر صاحب الذخيرة السنية أنه في سنة (٦٥٧ هـ — ١٢٥٨ م) : « كان الرخاء العظيم بالمغرب فلم يزل كذلك مدة خمس عشرة سنة ستة دراهم للصفحة الواحدة من القمح » (٣١٥) . وكانت الصفحة في العصر المريني تساوي خمسة عشر مدا (٣١٦) . واستعملوا أيضا نصف الصفحة ، وكانت تسمى عند أهل نكور في إقليم الريف (بالسدس) (٣١٧) . واستخدم الأهالي لكيال الدقيق ما يعرف (بالربع) ، يقول صاحب الذخيرة السنية : « والدقيق الطيب بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع درهم » (٣١٨) .

وأكبر المكايل التي استخدمها المرينيون (الوسق) فذكر القلقشندي عند حديثه عن الأرزاق التي أجراها سلاطين بني مرين للأشياخ الكبار وهم كبار القادة في الجيش المريني - « لكل واحد منهم في كل سنة عشرون ألف مثقال من الذهب يأخذها من قبائل وقرى ، وضياح ، وقلاع ، ويتصل له من القمح والشعير والحبوب من تلك البلاد نحو عشرين ألف وسق » (٣١٩) . والمعروف أن الوسق ستون صاعا بالصاع النبوي (٣٢٠) .

أما الموازين ، فاستخدم المرينيون منها القنطار ، وكان مقداره المقدار الشرعي وهو مائة رطل (٣٢١) . كما استعملوا الرطل في أوزانهم أيضا ، فيروي صاحب الذخيرة السنية أسعار بعض السلع في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية فكانت : « العسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعة أرطال بدرهم والسمن رطل ونصف بدرهم ولحوم البقر مائة أوقية بدرهم والكبش ستة دراهم والشاهل الطرى بقيراط وثلاثة بدرهم » (٣٢٢) . ووضح من النص السابق أنهم استعملوا الأوقية ، وكان في كل رطل

من الأبطال المستخدمة في ذلك الوقت ست عشرة أوقية (٣٢٣) وفي الأوقية عندهم واحد وعشرون درهما (٣٢٤) .

السكة

تعتبر السكة الواجبة الحقيقية لأي نظام اقتصادي ، إذ يتوقف على قيمة هذه السكة ، وقوتها الشرائية الحكم على مدى الاستقرار الاقتصادي للدولة ، وحفظها من الرفاهية والتقدم . ويعرف ابن خلدون - وهو أحد رجال الإدارة في الدولة المرينية - السكة بأنها : « الختم على الدينار والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صورا أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصة بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدينار بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا » (٣٢٥) .

وإذا كان ابن خلدون يعرف في النص السابق بالسكة ، وطريقة سكها وضبط أوزانها فإنه يؤكد على أنها « وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة » (٣٢٦) .

وكانت السكة المستعملة في الدولة المرينية ، تصنع من الذهب والفضة ، وكان أغلب الذهب الذي تصنع منه هذه السكة يأتي من بلاد السودان ، وبعضه كان يجلب من المناجم المحلية الموجودة في بلاد المغرب كالذهب الموجود في جبال تازي ، الذي وصفه البكري بأنه كان من أعتق الذهب وأجوده (٣٢٧) .

وأشار ابن أبي زرع إلى أن دور السكة في أيام بني مرين كانت في فاس ، فذكر أنه كانت توجد دار للسكة في عدوة القرويين وأخرى في عدوة الأندلس (٣٢٨) . كما كانت هناك دار أخرى للسكة في مراكش (٣٢٩) . وجعل المرينيون لدار السكة أمانة ، وهذه وظيفتها الإشراف على سك العملة ، ومراقبة صياغة الحل ، واشتملت هذه الأمانة على أمين وعدول وكتيب ومعاونين (٣٣٠) . وأول من عين أمينا وناظرا لدار السكة أيام بني مرين على ابن محمد الكومي المدينوني ، وظل في هذه الوظيفة خمسين عاما منذ سنة (٦٧٤ هـ — ١٢٧٥ م) (٣٣١) .

وكان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق - مؤسس الدولة المرينية - هو أول

من أهم بشأن السكة ، فأمر بتحقيق الدينار والدرهم والقنطار والرطل والأوقية والوسق والصاع والمد ، ومنع أيما من الناس من أن يحوز « من النقود إلا ما كان على سكوته ، أو على قدر ذلك وصفته ، وجودته ، واختار من جيد تلك النقود الحمدية المنسوبة فيما زعموا لمحمد الناصر (الموحدي) التي في الأوقية الواحدة منها ثلاثة وعشرون درهما ، (٣٣٢) .

ولم يحاول المرينيون الاحتفاظ بشكل الدينار الموحدى المربع الشكل فغيروا شكله إلى التدوير ، وبذلك عادوا به إلى شكله الأول قبل العصر الموحدى ، ولكن المرينيين احتفظوا بوزن الدينار الذى كان عليه أيام الموحدين وهو ٤,٧٢٩ من الجرام (٣٣٣) . ولعل السبب فى احتفاظ المرينيين بوزن الدينار على ما كان عليه فى أيام الموحدين حرص بنى مرين على ألا تهتز قوة الدينار الشرائية . وقد أشار ابن بطوطة إلى ارتفاع هذه القوة الشرائية فى أيامه ، فقد لاحظ ابن بطوطة أن القوة الشرائية بالمغرب (أيام بنى مرين) كانت تعدل ثلاثة أضعافها بمصر (٣٣٤) .

وكان هناك فى العصر المرينى نوع من العملة يفوق فى قيمته الدينار الذهبى العادى ، وهذا النوع عبارة عن دينار ذهبى كبير زنته مائة دينار من الذهب ، واختص بضرب هذا النوع من العملة بالذات دار الضرب الموجودة بمراكش ، ويبدو أن الكميات التى كانت تضرب من ذلك الدينار قليلة جدا ، ولا تكون إلا بإذن من السلطان المرينى نفسه ، وتصرف كهدايا ، وجوائز لبعض الشخصيات الهامة الأثيرة لديه ، ومن هذه الشخصيات التى قدم لها هذا النوع من الدنانير الذهبية الشريف أبو العباس ، فقد كان هذا الشريف - الذى ينتمى إلى أهل البيت - يتمتع بمكانة سامية لدى السلطان أى عنان المرينى ، وكان أبو عنان يأمر كل عام بسك دينار ذهبى من هذا النوع بدار السكة فى مراكش ، ليقدّم لهذا الشريف فى الاحتفالات التى كانت تقام كل سنة بمناسبة المولد النبوى (٣٣٥) .

أما الدراهم فيشير القلقشندي إلى أن الدراهم المستعملة فى المغرب أيام المرينيين نوعان : درهم كبير ، ودرهم صغير ، والدرهم الكبير يساوى ثلث الدرهم النقرة المستعمل بمصر والشام ، والدرهم الصغير يساوى سدس الدرهم النقرة (٣٣٦) . وعند الإطلاق والاستعمال فإن كلمة الدرهم تعنى الصغير دون الكبير ، إلا فى مراكش ونواحيها فإنه يراد بالدرهم عند الإطلاق الدرهم الكبير (٣٣٧) . أما قيمة هذه الدراهم بالنسبة للدنانير ، فكل : « مثقال ذهب (دينار) يساوى عندهم (المرينيون) ستين درهما كبيرا » (٣٣٨) .

وإلى جانب الدنانير والدراهم كانت هناك عملات أصغر قيمة من الدينار والدرهم ، لتسهيل عمليات البيع والشراء لأنه « لما كانت فى المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم

أو بجزء منه احتاج الناس من أجل هذا في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات ، (٣٣٩) . وقد رأى المقریزی أن هذه العملات الصغيرة لا يطلق عليها لفظ عملة (٣٤٠) .

وقد عرف المغرب الأقصى أيام الموحدين ألوانا من هذه العملات الصغيرة ، كأنصاف الدراهم وأرباعها وأثمانها والخرايب (٣٤١) . ويبدو أن هذه العملات استمر العمل بها أيام بنى مرين مع ظهور أنواع أخرى منها القيراط ، فيذكر صاحب الذخيرة السنية عند حديثه عن أثمان بعض أنواع الأسماك بأن : « الشايل الطرى بقيراط وثلاثة بدرهم » (٣٤٢) . والنص يعني أن القيراط يساوي ثلث الدرهم .

وأخيرا فإن العصر المريني تميز بقوة نقوده ، وكان ذلك معيارا لقراء الدولة وقوة اقتصادها (٣٤٣) . ويرى القلقشندي قائمة بمتوسط أسعار بعض السلع في العصر المريني مع مقارنة هذه الأسعار بالعملة المصرية في ذلك الوقت فيقول : « سعر كل وسق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار . وهو ثلاثة عشر درهما وثلث درهم من نقرة مصر ، والشعير دون ذلك . وكل رطل لحم بدرهم واحد من الدراهم الصغار ، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار وعلى نحو ذلك » (٣٤٤) .

هوامش الفصل الخامس

- (١) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٠٩ .
- (٢) التنسي : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٤ ، الجليلي : تاريخ الجزائر العام ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- (٣) طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، ص ٢٤٨ ، (« شيخ الموحدين » وصاحب هذا المنصب في الدولة الحفصية أشبه ما يكون برئيس الوزراء ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧) .
- (٤) ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٠٨ .
- (٥) الفرديل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣٢٥ .
- (٦) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٦١٦ .
- (٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٣ .
- (٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ - ١٧٧ ، (وهؤلاء الأمراء الأربعة هم أبو سعيد عثمان ، ومحمد بن عبد الحق ، وأبو يحيى ويعقوب بن عبد الحق ، المصدر السابق ، نفس الصفحات) .
- (٩) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٤ .
- (١٠) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، ٢٤ .
- (١١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
- (١٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٨ .
- (١٣) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ .
- (١٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .
- (١٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .
- (١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .
- (١٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٨) المصدر السابق ، ط بيروت ، ط ، ص ١٧٤ .
- (١٩) المصدر السابق ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
- (٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ .
- (٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٢ ، ١٣ .
- (٢٣) المصدر السابق ، ورقة ١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٣ .

- (٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١٢ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ .
- (٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
- (٢٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
- (٢٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٣٤ ، مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٨٨ .
- (٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .
- (٢٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٥٤ .
- (٣٠) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨٠ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ .
- (٣١) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٥٧ ، ابن الوردى : تمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .
- (٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ .
- (٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ، ٢٢٩ ، مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٣٥ ، ١٣٩ .
- (٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٧٥ .
- (٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٩ .
- (٣٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٧) المصدر السابق ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
- (٣٨) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
- (٣٩) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، ص ٦٢١ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .
- (٤٠) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .
- (٤١) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٨٦ .
- (٤٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤١ .
- (٤٣) المصدر السابق ، ورقة ٢٣٧ .
- (٤٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤٠ .
- (٤٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .
- (٤٦) ابن الأحمر : النسخة النسرينية واللحمة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ .
- (٤٧) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .
- (٤٨) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٩٩ .
- (٤٩) النظر الفصل الثالث .
- (٥٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٨ .
- (٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٦٤ ، جوليان : تاريخ

- أفريقيا الشمالية ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
- (٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٨ .
- (٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٥٤) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ص ٢٠٨ .
- (٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .
- (٥٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٠ .
- (٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٥٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ .
- (٥٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ ، محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ص ٢١٠ .
- (٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٩ .
- (٦٢) المصدر السابق ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (٦٣) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (٦٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٦٥) ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .
- (٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (٦٧) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٣ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٣٤٢ .
- (٦٨) ابن الأحمر : النفحة النصرية واللمحة المربنية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .
- (٦٩) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٦٢١ .
- (٧٠) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (٧١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .
- (٧٢) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار - تونس ١٩٦٤ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .
- (٧٣) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٩٥ .
- (٧٤) د . حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ١٤١ ، (وأقاليم المغرب الأقصى الإدارية في عهد الموحدين هي : فاس - سجلماسة - السوس - تلمسان - الصحراء سبتة وطنجة - المرجع السابق ، نفس الصفحة) .
- (٧٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ٣٩ - ٤٢ .
- (٧٦) المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٤ .
- (٧٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٣ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، مطبعة الحجاز ، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٢٠٦ .
- (٧٨) د . حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ١٦٥ .

- (٧٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٠ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ص ٢٠٤ .
- (٨٠) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٥ .
- (٨٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .
- (٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .
- (٨٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
- (٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ .
- (٨٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
- (٨٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٠ .
- (٨٨) المصدر السابق ، ورقة ١٩٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ .
- (٨٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٩٠) المصدر السابق ، ورقة ١١٩ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٦٥ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٦ .
- (٩١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٩٢) د. أحمد شلبي : تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ النظم القضائية في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط أولى ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٧ .
- (٩٣) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢ .
- (٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ١٧٥ .
- (٩٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .
- (٩٦) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، ص ١٦٣ .
- (٩٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٤٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ص ٦٢٨ ، الفردبيل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣٦٤ .
- (٩٨) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢١ ، د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ ، ص ٦٩ .
- (٩٩) حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٣٣٨ .
- (١٠٠) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، ص ١٦٣ .
- (١٠١) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢١ .
- (١٠٢) الفردبيل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣٢٣ .
- (١٠٣) ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ، ط : المطبعة الثعالبية ، الجزائر ١٩٠٨ ، ص ١٥٥ .
- (١٠٤) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

- (١٠٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ص ٢٧٥ ، المقرئ . نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .
- (١٠٦) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٩٠ .
- (١٠٧) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .
- (١٠٨) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٤ .
- (١٠٩) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
- (١١٠) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- (١١١) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .
- (١١٢) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٥ .
- (١١٣) ابن أبي زرع : الأئیس المطرب ، ت : الفيلاي ، ج ١ ، ص ٨١ .
- (١١٤) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٦ .
- (١١٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ص ١٤٧ .
- (١١٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .
- (١١٧) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
- (١١٨) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، ج ١ ، هامش ١٩٣ .
- (١١٩) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .
- (١٢٠) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- (١٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٢٣) د. ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الإسلامية ، ط ثالثة ، ص ٢٠٠ .
- (١٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
- (١٢٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ١٩٤ .
- (١٢٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ .
- (١٢٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٧٤ .
- (١٢٨) المصدر السابق ، ورقة ٧٥ .
- (١٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٣٠) المصدر السابق ، ورقة ٧٤ .
- (١٣١) عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في علمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٣ .
- (١٣٢) المصدر السابق ، ورقة ٧٥ .
- (١٣٣) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ١٧٢ .
- (١٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في علمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
- (١٣٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .
- (١٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٠ .

- (١٣٧) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٧٧ .
- (١٣٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٦ .
- (١٣٩) المصدر السابق ، ورقة ٤٦ ، ٤٧ .
- (١٤٠) د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٧٤ .
- (١٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٨ .
- (١٤٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٤٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٠٠ .
- (١٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٨ .
- (١٤٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .
- (١٤٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٠٠ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٦ .
- (١٤٧) موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ١٩٧١ ، ص ٥٢ ، المصدر السابق ، نفس الصفحة . جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
- (١٤٨) د. نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب في الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٤١ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ، ص ٥٧ .
- (١٤٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٦٥٠ .
- (١٥٠) المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ١٤٣ ، د. نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب في الإسلام ، ص ٤١ .
- (١٥١) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٦٥ .
- (١٥٢) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .
- (١٥٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣٩ .
- (١٥٤) مجهول الدخيرة السنية ، ص ٩٥ .
- (١٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .
- (١٥٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .
- (١٥٨) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
- (١٥٩) المصدر السابق ، ورقة ٥٥ .
- (١٦٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٥٠ .
- (١٦١) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٢ .
- (١٦٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩٢ .

- (١٦٣) المصدر السابق ، نفس الورقة .
- (١٦٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ .
- (١٦٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
- (١٦٦) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
- (١٦٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .
- (١٦٨) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- (١٦٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .
- (١٧٠) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٥ .
- (١٧١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
- (١٧٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٧٣) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .
- (١٧٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
- (١٧٥) المصدر السابق ، ورقة ١٦١ .
- (١٧٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .
- (١٧٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٤٩ .
- (١٧٨) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٢١ ، د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٣٠ ، حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٣٣٨ ، (نظر الموحدون إلى المرابطين على أنهم كفرة ومجسمين ومبدلين لأحكام الله ، ولذلك سلوى عبد المؤمن بن علي الموحدى بين أرض المرابطين ، وأرض المشركين وفرض عليها الخراج ، مستندا في ذلك لرأى الإمام مالك في فرض الخراج على أرض المشركين ، والتي استولى عليها المسلمون ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٢١) .
- (١٧٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦١ ، (في بيان ذلك يقول ابن مرزوق : (واقتصروا) سلاطين بني مرين) بعد هذا الأمر النكر « يشير بذلك إلى الضرائب التي لم ينص عليها الشرع » على الزكاة والعشر) ، المصدر السابق ، نفس الورقة .
- (١٨٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاي ، ص ٨١ .
- (١٨١) د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٣٠ .
- (١٨٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
- (١٨٣) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٤٥ .
- (١٨٤) مجهول : اللخيرة السنية ، ص ١٠٠ .
- (١٨٥) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣١ .
- (١٨٦) المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٢٤ .
- (١٨٧) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣٢ ، د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٢٧ .

- (١٨٨) انصدر السابق ، ص ١٣٢ .
- (١٨٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلاى ، ص ٩٧ .
- (١٩٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ .
- (١٩١) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .
- (١٩٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .
- (١٩٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٥٩ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .
- (١٩٤) المصدر السابق ، ورقة ١٥٩ - ورقة ١٦٤ .
- (١٩٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٣٩ ، انظر الفصل الثالث .
- (١٩٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .
- (١٩٧) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٢٥ .
- (١٩٨) المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
- (١٩٩) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ، (مما يدل على أن هذه الأنواع السابقة من الضرائب كانت غير مشروعة أن ابن مرزوق قال بعد أن عدد هذه الأنواع عن سلاطين بني مرين أنهم : « اقتصروا بعد هذا الأمر الكفر على الزكاة والعشر » ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦١) .
- (٢٠٠) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .
- (٢٠١) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٤٢ ، ٤٤ .
- (٢٠٢) د. حسن إبراهيم حسن ، د. على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ٢٥٢ .
- (٢٠٣) د. ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص ١١٤ ، (أما الفقيه فيتسع معناه لما يؤخذ عتوة أو بالصلح من الأراضي والعقار ، المرجع السابق ، نفس الصفحة) .
- (٢٠٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، هامش ص ٥٦٥ .
- (٢٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .
- (٢٠٦) المصدر السابق ، نفس الصفحات .
- (٢٠٧) المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
- (٢٠٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
- (٢٠٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ .
- (٢١١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٢ .
- (٢١٢) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٣٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلاى ، ج ١ ، ص ٦٥ .
- (٢١٣) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٣٤ .

- (٢١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢١٥) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٢ ، البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٢ .
- (٢١٦) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، د. حسن علي حسن : الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٩٣ .
- (٢١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، (ويذكر ابن أبي زرع أن الحبة من هذه الأصناف كانت تباع بمثل من الذهب أو أقل أو أكثر ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالي ، ج ١ ، ص ٤٥) .
- (٢١٨) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٣ .
- (٢١٩) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالي ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ .
- (٢٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٣ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٦ .
- (٢٢١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالي ، ص ٥٨ .
- (٢٢٢) د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٩٦ .
- (٢٢٣) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٢٨ .
- (٢٢٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .
- (٢٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٢٦) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٣٩ .
- (٢٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .
- (٢٢٨) المصدر السابق ، ص ٣٨ .
- (٢٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- (٢٣٠) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٤٠ .
- (٢٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، د. غوستان لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : محمد عادل زعير ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥ ، ص ٥٠٨ ، محمد القاسي : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، (ويذكر لوبون أن المؤرخين درجوا على الرأي بأن المعركة الأولى التي استعملت فيها المدافع هي معركة كريستي التي حدثت سنة ١٣٤٦ م بفرنسا ، ووضح مما سبق أن العرب استخدموا هذه الأسلحة قبل ذلك بوقت كبير ، د. غوستان لوبون : حضارة العرب ص ٥٠٧) .
- (٢٣٢) المرجع السابق ، ص ٨٠٥ ، عنان الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٢٨٢ .
- (٢٣٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ .
- (٢٣٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ .
- (٢٣٥) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .
- (٢٣٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ .
- (٢٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

- (٢٣٨) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ .
- (٢٣٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٤ .
- (٢٤٠) الجزائى : زهرة الآس ، ص ٢٨ ، محمد الفاس : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيعة ، العدد الثامن ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .
- (٢٤١) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- (٢٤٢) د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٦٢ .
- (٢٤٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥٥ .
- (٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .
- (٢٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ .
- (٢٤٦) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٤ .
- (٢٤٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ، المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٣٦٤ ، عبد العزيز بن عبد الله : جغرافية المغرب ، ط ثانية ، الدار البيضاء ١٩٥٦ ، ص ١٩ .
- (٢٤٩) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
- (٢٥٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .
- (٢٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٥٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٥٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .
- (٢٥٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
- (٢٥٥) مجهول : اللخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
- (٢٥٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ط بيروت ، ص ٨٠ ، ٨١ .
- (٢٥٧) المصدر السابق ، ص ٩٠ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٧٢ .
- (٢٥٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٠ ، ٨١ .
- (٢٥٩) روجيه لوتورلو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٢٨ .
- (٢٦٠) المصدر السابق ، ص ٩٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .
- (٢٦١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ ، (من هذه البقول ذكر القلقشندي ، الحمص والعدس ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٥) .
- (٢٦٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
- (٢٦٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
- (٢٦٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلاي ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
- (٢٦٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ ، الجزائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ .

- (٢٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .
- (٢٦٧) الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ .
- (٢٦٨) المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- (٢٦٩) الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٢٧ .
- (٢٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٦ .
- (٢٧١) محمد القاسى : التعريف بالمغرب ، ص ١٩ .
- (٢٧٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٧٣) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .
- (٢٧٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .
- (٢٧٥) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .
- (٢٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٧٧) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٨٥ .
- (٢٧٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ، (انتشرت في سبعة مصايد الحيتان التي لا يعدلها بلد في إصابة الحوت وجلبه واصطياده ، ويصاد بها مائة نوع من السمك ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
- (٢٧٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاى ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
- (٢٨٠) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ . الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، (وذكر ابن أبى زرع هذه الأنواع من الأسماك باسم اللبس والبورى والسيناخ والنسوقة ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ت : الفيلاى ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
- (٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٨٢) مجهول : اللخيرة السنية ، ص ٧٩ ، الجزتائى : زهرة الآس ص ٣٤ .
- (٢٨٣) مجهول : اللخيرة السنية ص ١٣٨ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ ، ابن خلطون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ .
- (٢٨٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
- (٢٨٥) المصدر السابق ، ورقة ٢٨٧ .
- (٢٨٦) المصدر السابق ، ورقة ١٦٣ .
- (٢٨٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٦ .
- (٢٨٨) الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٧٠ .
- (٢٨٩) المرجع السابق ، ص ٦٦ .
- (٢٩٠) الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٧٠ .
- (٢٩١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ص ٦٦ .
- (٢٩٢) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بنى مرين ص ١٦٠ .
- (٢٩٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
- (٢٩٤) الجزتائى : زهرة الآس ، ص ٣٤ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ت : الفيلاى ، ج ١ ، ص ٦٧ .

- (٢٩٥) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٠ .
- (٢٩٦) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المروة الإسلامية ط أول ١٩٦٩ ، ص ١٦٩ .
- (٢٩٧) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٧٣ .
- (٢٩٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٩٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١١٨ ، ١٢٢ (بلغت جملة ديون أبي الفضل واحدا وثلاثين ألف دينار وثلاثمائة دينار من الذهب العين ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٥٠) .
- (٣٠٠) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٩ .
- (٣٠١) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
- (٣٠٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٣ ، وانظر ص ٢٧٥ ، (وهذا النوع اشبه ما يكون بتجارة الترانزيت في أيامنا) .
- (٣٠٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .
- (٣٠٤) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
- (٣٠٥) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المروة الإسلامية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
- (٣٠٦) المرجع السابق ، ص ١٧١ .
- (٣٠٧) المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
- (٣٠٨) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٨ .
- (٣٠٩) المرجع السابق ، ص ١٥٩ (وزيادة حجم التجارة الخارجية بين المرينيين ومسيحي أسبانيا هو الذي يفسر شيوع العملة التي كان يستعملها نصارى أسبانيا في أنحاء الدولة المرينية ، وهي العملة المعروفة باسم « اللوبل » ، وهي تكبير دولبن عند الأسبان » عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ص ٧٦) .
- (٣١٠) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٣٨ .
- (٣١١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الجيلالي ، ج ١ ، ص ٥٨ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٥٩ - ١٦١ .
- (٣١٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٧ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، ص ٧٦ .
- (٣١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣١٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الجيلالي ، ج ١ ، ص ٤٦ .
- (٣١٥) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ٩٧ .
- (٣١٦) موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، ص ٧٦ .
- (٣١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٣١٨) مجهول : الدخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
- (٣١٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .
- (٣٢٠) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٧ ، د. ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص ٣٤٤ .

- (٣٢١) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٩١ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، ص ٧٦ .
- (٣٢٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
- (٣٢٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .
- (٣٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٢٥) ابن خللكون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٣١٧ .
- (٣٢٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .
- (٣٢٧) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ ، ابن مرزوق : المستند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٥ .
- (٣٢٨) ابن أبي زرع : الأنيس المغرب ، ط الرباط ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧ ، (وأشار الجزائى إلى وجود هذين الدارين للسكة منذ أيام الموحدين ، الجزائى : زهرة الآس ، ص ٣٣) .
- (٣٢٩) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٣٩ .
- (٣٣٠) عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٥ .
- (٣٣١) ابن يوسف الحكيم : اللوحة المشتبكة في ضوابط السكة ، ت : د. حسين مؤنس ، ص ٩٠ .
- (٣٣٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .
- (٣٣٣) ابن خللكون : العبر ، ط بيروت ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ص ٤٥٤ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ص ٧٥ ، ٧٦ .
- (٣٣٤) المرجع السابق ، القسم الثاني ، ص ٢٦ .
- (٣٣٥) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٣٩ .
- (٣٣٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١١٧ ، ابن يوسف الحكيم : اللوحة المشتبكة في ضوابط السكة ، ص ٨٩ .
- (٣٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٣٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٣٩) المقرئ : ثلاث رسائل في الحسبة ، مطبعة الجوانب ، ١٢٩٨ هـ ، ص ١٧ .
- (٣٤٠) المقرئ : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ت : د. محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ ، ص ٦٦ .
- (٣٤١) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٠٧ ، د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٢٢٩ .
- (٣٤٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
- (٣٤٣) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثاني ، ص ٢٦ .
- (٣٤٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية والفكرية في دولة بني مرين

الحياة الاجتماعية والفكرية في دولة بني مرين

أولا : الحياة الاجتماعية

(أ) المجتمع المغربي في دولة بني مرين :

شكل البربر السواد الأعظم في البناء الاجتماعي للمجتمع المريني ، فمن هؤلاء البربر كانت الطبقة الحاكمة التي انتمت إلى إحدى هذه القبائل البربرية ، وهي قبيلة بني مرين ، وبطبيعة الحال كان انتماء بني مرين إلى زناتة سيلا إلى علو كعب القبائل الزناتية في الدولة المرينية ، حيث كانت قبائل زناتة دوما أكبر عون للمرينيين سواء في مراحل تأسيس الدولة ، أو في المراحل الأخرى ، إذ كانت قبائل زناتة تشكل عنصرا كبيرا من عناصر الجيش المريني (١) .

كما ضم المجتمع المريني عددا من الأندلسيين الوافدين من الأندلس ، وتميزت من هؤلاء الأندلسيين مجموعتان الأولى مجموعة الأندلسيين المشتركين في الجيش المريني ، وكانوا من الجند النشابة حملة الأقواس بصفة خاصة (٢) . ولمهارتهم في الرماية تولوا قيادة المركب السلطاني ، ومن أشهر قادة هذا المركب من الأندلسيين إبراهيم البطروجي (٣) . أما المجموعة الثانية فهي طبقة العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم ، باحتلال النصارى الأسبان لها ، وهؤلاء كان لهم دورهم في الحياة الدينية والثقافية في الدولة المرينية (٤) .

كما كان هناك العرب ، الذين ضم الجيش المريني كثيرا منهم ، وكان معظمهم من الفرسان (٥) . ولكن المرينيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية ، خاصة في مرحلة تأسيس دولتهم ، إذ كانت القبائل العربية مذبذبة بين ولائها للموحدين وطاعتها لبني مرين (٦) . وهذا ما دعا السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى نقل بعضهم من درعة إلى مراكش ليكونوا هناك تحت رقابة عمالة (٧) . ويؤكد وجهة النظر هذه أن القبائل العربية في إفريقيا هي التي حملت لواء المعارضة ضد الوجود المريني هناك ، وساهمت في إعادة إفريقيا للحفصيين ثانية على النحو الذي أشار إليه البحث قبل ذلك في عهد أبي الحسن المريني (٨) .

وقد ارتبطت الأسرة المرينية الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب ، فابن

مرزوق يروى أن الحاج أبا ريان سلطان بنى مهلهل ، كان خالا للسلطان أبي سعيد المريني ، وقد كان هذا الشيخ هو ووترمار بن عريف من قبيلة سويد العربية ، ضمن رجالات العرب الذين يشاورهم السلطان أبو الحسن المريني في مجلسه (٩) . وقد تركزت معظم هذه القبائل العربية في عدة مواضع من نواحي المغرب الأقصى ، فأقامت قبائل جشم وهي : سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر في تامسنا ، وأقامت قبائل معقل في السوس الأقصى وتشمل هذه القبائل : الأثيج ، وذوى حسان والشبانان . أما قبائل رياح فقد أقامت في أزغار وبلاد الهبط (١٠) .

إلى جانب هذه الأجناس في المجتمع المريني كانت هناك عناصر أخرى تمثل أقليات صغيرة من الأتراك الغز ، والروم ، واليهود .

١ - الغز :

وهم من الممالك الغز المصريين (١١) وهؤلاء ينتمون إلى القبائل التركية التي كانت تسكن في إقليم ماوراء النهر (١٢) . وهؤلاء ظهروا في المجتمع المغربي منذ عهد المرابطين الذين استعانوا بهم في جيوشهم (١٣) . وفي عهد الموحدين كانوا مصدر خطر كبير على الدولة إذ خاضوا صراعا مريرا مع الموحدين بزعامة أميرهم شرف الدين قراقوش ، ثم نجح الموحدون بعد ذلك في ترويضهم والاستفادة من خبراتهم العسكرية ، فأصبحوا يشكلون عنصرا قويا من عناصر جيوشهم ، وأغدق الموحدون عليهم الأموال والأعطيات (١٤) ولكن الغز في ظل الدولة المرينية ، لم تكن لهم تلك المكانة التي كانت لهم في الدولة الموحدية ، وكانت هيتهم تميزهم عن غيرهم من سكان البلاد إذ كانوا يضفرون شعورهم كالنساء (١٥) .

٢ - الروم :

أما الفرنج (١٦) . ومعظم هؤلاء كانوا يمثلون فرقة ضمن فرق الجيش المريني ، وكان قائدهم يطلق عليه اسم قائد جند النصاري (١٧) . وحرص سلاطين بني مرين على جمعهم في مكان واحد عرف بحي الملاح بالقرب من البلد الجديد (١٨) . وكان لهم دورهم في الحياة السياسية وخاصة خلال عصر نفوذ الوزراء (١٩) .

٣ - اليهود : وجدت أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى ، وكان أكثرهم بالعاصمة فاس حيث سكنوا حي الملاح مع الروم (٢٠) . وكان لليهود دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية ، حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة ، فكان خليفة بن حيون بن زمامة حاجبا للسلطان يعقوب بن عبد الحق (٢١) . وتولت أسرة بني وقاصبة اليهودية قهرمة القصر السلطاني في عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٢٢) . وفي عهد آخر سلاطين

بنى مرين السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني ، تولى منصب الوزارة اثنان من اليهود هما هارون وشاويل ، وقد أدى تحكم اليهود في الدولة عن طريق هذين الوزيرين ، إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني وسقوط الدولة المرينية (٢٣) .

(ب) البناء والتعمير :

حرص المرينيون على تنشيط حركة البناء والتعمير في دولتهم ، باعتبارها مظهرا لحياتهم الاجتماعية الراقية المتقدمة ، وقد شملت حركة البناء والتعمير جميع جوانب الحياة في المجتمع المريني ، من مدن جديدة ، ومنشآت عامة كالمساجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، والفنادق والقناطر علاوة على المنشآت العسكرية .

المدن الجديدة :

شعر المرينيون دائما بحاجتهم إلى إقامة المدن الجديدة ، فبنوا خلال عهدهم عددا كبيرا من المدن الجديدة ، وكانت هذه المدن آية من آيات الفن والعمارة في ذلك الوقت ، وأصبحت هذه المدن ظاهرة تميز فن العمارة المريني ، عن غيره من فنون العمارة الحفصية ، والعبد الوادية ، والأندلسية (٢٤) .

١ - فاس الجديدة :

أو (المدينة البيضاء) ، وهذه المدينة أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ببنائها سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) أثر عودته من عبوره الأول إلى بلاد الأندلس (٢٥) . ويذكر ابن خلدون أن سبب بناء هذه المدينة يرجع إلى اتساع نطاق الدولة المرينية ، وكثرة الوافدين على السلطان المريني فرأى السلطان يعقوب : « أن يختط بلدا يتميزه بسكنائه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه » (٢٦) .

ولكن صاحب الروض العاطر الأنفاس . يروى سببا آخر لبناء هذه المدينة ، وهو أن الفقيه أبا إبراهيم إسحاق بن يحيى الوريياغي ، والذي عرف بالأعرج الذي كان إماما بجامع السلطان بفاس ، وكان ذلك الشيخ يأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وذات يوم أكثر عليه الشيخ في الكلام ، فقال له السلطان : اخرج من بلدي ، فلما خرج ، أصاب السلطان ألم شديد ، فأمر السلطان برد الشيخ ، فقال الشيخ الوريياغي : لا أدخل حتى يخرج هو ولا نكون أنا وهو في بلد واحد ، فخرج السلطان في الحين ، فسكنت عنه الآلام ، فأمر ببناء المدينة البيضاء (٢٧) .

ويبدو أن هذه الرواية صحيحة ، لأن ابن خلدون ، يروى أن السلطان يعقوب ، انتقل إلى المدينة البيضاء سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) (٢٨) . بينما يروى صاحب الحلل الموشية ، أن المدينة البيضاء تم بناؤها في ذى الحجة سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م) (٢٩) .

على كل حال فالمدينة بنيت ملاصقة لمدينة فاس القديمة ، في ساحة الوادي ، ونزل فيها السلطان بمحاشيته وذويه ، واختطوا بها الدور والمنازل ، والقصور ، وأجريت إليها المياه (٣٠) . وأصبحت هذه المدينة كما يقول ابن خلدون : « من أعظم آثار هذه الدولة وأنبأها على الأيام » (٣١) .

٢ - البنية :

وهذه المدينة أمر ببنائها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ، وقد اختار لها مكانا لصق مدينة الجزيرة الخضراء ، وكان الهدف من بنائها أن تكون مركز تجمع للقوات المرينية ، لأن الجزيرة الخضراء ضاقت بالمقاتلين المرينيين ، ولأن السلطان يعقوب أراد أن يقى أهل الجزيرة الخضراء ضرر العسكر وجفائهم (٣٢) . وفي سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) شرع السلطان يعقوب بن عبد الحق في بناء سور لهذه المدينة (٣٣) .

٣ - المنصورة :

أو منصوره تلمسان ، وهذه المدينة بنيت في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني في أثناء حصاره الطويل لتلمسان سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) (٣٤) حيث اختط السلطان يوسف قصرا لسكنه بمكان فسطاظه من معسكره حول تلمسان واتخذ بعد ذلك مسجدا للصلاة ، ثم أدار الأسوار على هذا النطاق ، وأمر الناس بالبناء ، فبنوا الدور الواسعة ، والمنازل الرحبة والقصور الأنيقة ، وأنشأوا البساتين ، وأجروا لها المياه (٣٥) . وفي سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) ، تم استدارة السور حولها ، وأصبحت مصرا ، « من أعظم الأمصار والمدن وأحفظها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق واحتفال بناء وتشيد منعة ، وأمر (السلطان يوسف) باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيد له مأذنة رفيعة ، فكان من أحفل مساجد الأمصار وأعظمها وسماها المنصورة » (٣٦) ولا زالت آثار أسوار هذه المدينة ، ومثلثة مسجدها الباقية حتى الآن تشهد على براعة المهندسين المرينيين وحسن ذوقهم (٣٧) .

٤ - تطاوين :

أو تطوان ، وهذه المدينة أسسها السلطان أبو ثابت المريني سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) ، وكان الهدف من بنائها هدفا عسكريا ، لاتخاذها لنزول الجند

المريني ، للأخذ بمخنتي مدينة سبتة (٣٨) . وكان السلطان يوسف بن يعقوب قد بنى قصبتها سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها (٣٩) . والمعروف أن القصبة بالمغرب تكون وسط المدينة ، إذا كانت المدينة مربعة الشكل ، واقعة في سهل ، وتكون في أعلى الجبل وإذا كانت المدينة مثلثة الشكل ، منتشرة كالبرنس ، على سفح الجبل (٤٠) .

وكما اهتم المرينيون ببناء المدن الجديدة ، حرصوا أيضا على تجديد بعض المدن ، وبناء أسوارها ، وتجديد أبوابها ، ففي سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، أصدر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أوامره من الجزيرة الخضراء ببناء باب الجيسة ، وإصلاحه وتجديده ، وكان أبو يوسف قبل ذلك في سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، قد أمر بهدم السور القبلي من عدوة الأندلس من باب زيتون بن عطية ، إلى باب الفتوح ، وإعادة بنائه وترميمه (٤١) . والسلطان يوسف بن يعقوب المريني أمر بتجديد بناء مدينة وجدة ، وأسوارها وقصبتها وحماماتها ، وقصرها الكبير ، ومسجدها الجامع في سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) (٤٢) .

ولعل أروع مثال يدل على مدى البراعة والخبرة التي تمتع بها المهندسون والصناع المرينيون ، قدرتهم الفائقة على إنجاز المشروعات والقصور السلطانية ، التي كانوا يكلفون بنائها في أزمان قياسية ، ومن ذلك القصر الذي بناه المهندسون والصناع للسلطان أبي الحسن المريني في أسبوع واحد ، وساهم في إقامته البنّاءون ، والتجارون ، والجاسون ، والزليجيون ، والرخامون ، والفنيون ، والدهانون ، والحدادون ، والصفارون ، واشتمل هذا القصر حسب أوامر السلطان أبي الحسن ، على أربع قباب مختلفة ، وديرتين متصلان بهما ، منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة ، بالجبس ، والزليج ، والنقش في الأرض المحكم التجارة والصناعات المشتركة (أي التوريق والتسطير) ، ونقش ساحة هذا القصر وفرشها بالزليج والرخام ، بما فيها من طيافير الرخام ، والسواري والنجاسة في السقوف ، ودهنها وتلييس الأبواب ، والخوخ بالنحاس المموه بالذهب ، والحديد المقصدر ، وكان تصميم القصر قد رسم على قطعة من الكاغد ليلتزم به المهندسون والصناع (٤٣) .

وإلى جانب حركة البناء والتعمير التي قام بها سلاطين بني مرين وحركة الإصلاح والترميم في المدن المرينية ، كانت هناك المشروعات العمرانية الخاصة التي يقوم بنائها الأفراد على مختلف المستويات ، ومن هذه المشروعات ما قام به الشريف أبو العباس في سبتة ، من أبنية ضخمة ، تصور وجه الحضارة المرينية كالرياض الأعظم الذي أمام باب الميناء الأسفل الذي تألق في بنائه وأبدع صنعته وجلب إليه الماء بالدوليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ، كالرياض الذي بالصفارين حيث كان يعود مع خواص الناس وعامتهم (٤٤) .

وظهرت فاس الجديدة ذات شكل بديع ، حيث تعددت أشكال المباني التي أقامها أهلها ، وكان أكثرها ، يتكون من طابقين ، أو ثلاثة طوابق أو أربعة (٣) .

المنشآت العامة :

١ - المساجد :

اهتم المرينيون ببناء المساجد الجديدة ، فاحتوت كل مدينة من المدن الجديدة التي سبق الحديث عنها على مسجد كبير ، كالمسجد الجامع بفاس الجديد ، الذي بنى سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ، وقد عُلقت بهذا المسجد ثرياه التي كان وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مائتان وسبعة وثمانون كأسا . (٤٥) وغير هذه المساجد في المدن الجديدة ، مساجد أخرى لاتقع تحت الحصر بنيت في سائر جهات الدولة ، وفي الزوايا والأربطة (٤٦) .

ويعد مسجد العباد بالقرب من قبر الولي الصالح أبي مدين شعيب مُتحفا للعمارة الدينية المرينية ، حيث زين بالفسيفساء المصنوعة من الخزف ، ومصلاه تتكون من خمس بلاطات ، وثلاثة صفوف ، وجدرانه وسقفه ذات تربيعات مزخرفة بطلاء من الجص المنقوش ، ومحرا به عبارة عن فجوة ذات زوايا منظمة ، قوسها محمول على اسطونتين لكل منهما تاج أنيق ، مسبوق بقبة مقرنصة ، ويحف بصحن المسجد رواق ذو دعائم منشورية الشكل ، أما المئذنة فهي مزينة بالأجر المشبك والخزف (٤٨) .

وقد بنى هذا المسجد في عهد السلطان أبي الحسن المريني ، على يد عم الخطيب بن مرزوق ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (٤٩) . ويصف ابن مرزوق وهو شاهد عيان هذا المسجد بقوله « اشتمل (مسجد العباد) على الوضع الغريب وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات ونجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى في الوضع قد رقت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة فلا يختلج في النفس شكل ولا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة وهي كلها مبنية أحكاء بالأجر والفضة واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل والعاج والأبنوس المذهب ، (٥٠) .

وابتنى السلطان أبو عنان المريني مسجد سيدي الحلوى ، ويحتوى هذا المسجد على مصلى تشتمل على ثمانية أعمدة ، وعلى الواجهات الأربع لمئذنته ، أشكال من الفخار المموه بالطين (٥١) .

واهتم سلاطين بني مرين كثيرا بترميم المساجد واصلاحها ، وتزويدها باحتياجاتها ، حفاظا على الرونق الحضارى لهذه المساجد ، ففي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق زود

مسجد القرويين ببيلة بباب الحفاة طولها سبعة وعشرون شبرا ، وهي مغطاة بالرصاص ، متصلة بخارج الباب ، وفوق هذا الباب أشباك من الخشب فتحت فيه أربع خروجات ، وارتفاع هذا الباب ستة عشر شبرا . وفي أيام ناظر الأحباس الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أبي الصبر فرش أمام هذا الباب بالرخام الأبيض والأكحل ، ويتدفق الماء من الجهة المعلقة له نحو هذه البيلة ، وينصب على رخام أبيض وأزرق وأحمر يغسل فيه الحفاة أرجلهم ثم يغور الماء بعد ذلك في قناة معلقة لذلك (٥٢) . وفي سنة (٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) زود أبو عبد الله بن أبي الصبر ناظر الأحباس مسجد القرويين بعنزة « فيها غرابة الصنعة وتقاسة الخشب وإتقان الألصاق ودقة الخروط والتقش ما يقضى بالعجب » (٥٣) . وكانت هذه الإضافات والإصلاحات تتم تحت إشراف كامل من سلاطين بني مرين بل إن بعضهم تبرع لإتمام هذه الإصلاحات من ماله الخاص ، فالسلطان يوسف بن يعقوب تبرع بمخلخال من الذهب ، زنتهما خمسمائة دينار من الذهب ، للمساهمة في إعادة بناء الحائط الجوفي لمسجد القرويين ، وأشرف على إعادة بناء هذا الحائط الفقيه القاضي أبو غالب المغيلي ، واتفق البناء سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) (٥٤) .

ونال مسجد الأندلس بالعدوة الأندلسية نفس العناية التي لقيها مسجد القرويين ، ففي سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، قام والي فاس أبو الحسن علي بن محمد الحلوذي ببناء الباب المدرج على غرار الباب المدرج بمسجد القرويين ، ووضع في أسفل الباب نقيرا من الخشب ملس بالرصاص ، وجلب إليه الماء من عيون ابن الصاديء ، ليدخل عليه الحفاة ، وعمل عليه شبكا من خشب الأرز ، بباب يدخل إليه من أراد الصعود إلى أدراجه ، ووضع في نهاية الأدراج باباً عظيماً ، وصنع عن يمين الخارج من أسفل الأدراج سقاية ونمقتها بالجص والحجر المنجور ، وأنواع الأصباغ ، كل ذلك بصناعة محكمة (٥٥) .

وفي سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) أمر السلطان يوسف بن يعقوب ، بإصلاح مسجد الأندلس وتجديده وجلب الماء إليه من نهر مصمودة ، وفي عهد حفيده أبي ثابت ، أعاد جلب الماء إلى المسجد من العين الموجودة خارج باب الحديد كما كان عليه في أيام الناصر الموحدي ، وتولى الإشراف على عملية الإصلاح أبو العباس أحمد الجبائي (٥٦) .

كما حرص سلاطين بني مرين على تهيئة المساجد في دولتهم كي تؤدي رسالتها على أتم وجه ، ومن ذلك ما أمر به السلطان أبو عنان المريني ، بأن يوضع في أعلى المآذن في مساجد فاس ، صاري من خشب ، وفي النهار يرفع عليه علم في أوقات الصلاة ، وفي الليل يوقد سراج مزهر ، ليستدل من بعد من لم يسمع نداء المؤذن على أوقات الصلاة ، وفي يوم الجمعة أمر بأن يرفع على الصاري علم أزرق ، ليعلم الناس أن اليوم يوم الجمعة ، وهذه الخطوات تلت

على مدى اهتمام السلاطين بالروح الدينية والتزامهم بها (٥٧) .

٢ - المدارس :

تعتبر المدارس المرينية أبلغ دليل على روعة العمارة المرينية ، حيث اهتم المرينيون باستكمال كافة لوازم هذه المدارس ومتطلباتها ، حيث كان الطلبة يقيمون فيها على نفقة السلطان المريني . وجاء اهتمام سلاطين بني مرين بالمدارس ، لأنهم اتخذوا منها ميدانا لتدريس الفقه المالكي (٥٨) . ويبدو أن ذلك عجل برحيل مذهب التوحيد الذى سيطر على بلاد المغرب أمدا طويلا .

وقد أنشأ المرينيون مدارسهم بمفهوم جديد ، حيث لم تكن هناك في المغرب قبل العصر المريني مدارس للتعليم العالى المتخصص ، ولسكنى الطلبة ، وإنما كان العلماء المدرسون يلقون دروسهم في المساجد ، وبصفة خاصة في جامع القرويين ، وقد اهتم المرينيون مدارسهم في العاصمة فاس وفي غيرها من مدن المغرب الأقصى (٥٩) .

وكانت مدرسة الصغارين أولى المدارس التى بناها سلاطين بني مرين في دولتهم ، بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وسميت بهذا الاسم لأنها أقيمت بالقرب من السوق الذى تصنع فيه أوانى النحاس الأصفر ، ولما تم بناؤها عين لها السلطان المدرسين ، وأجرى على طلبتها النفقة ، وزود المدرسة بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس (٦٠) . وجاءت مدرسة الصغارين بسيطة في فنها المعماري ، حيث يحتوى صحنها في الوسط على بركة مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، وألحق بها مصلى صغير تؤدي فيه الصلوات (٦١) . كما اهتم أبو يوسف يعقوب مدرسة أخرى بمراكش (٦٢) .

وجاء السلطان أبو سعيد المريني ، فاهم ببناء المدارس ، فأسس في فاس وحدها مدرسة العطارين ، ومدرسة المدينة البيضاء ، ومدرسة الصهريج ، والمدرسة الكبرى مدرسة الوادى ، والمدرسة المصباحية ، نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الباصلوقى ، وهو أول من عين للتدريس بها (٦٣) . وتحتوى هذه المدرسة على مائة وسبع عشرة غرفة ، وتحتفظ بظلة جميلة من الخشب المنقوش ، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاها (٦٤) . وقد جلب السلطان أبو الحسن المريني لهذه المدرسة من الأندلس بيعة من الرخام الأبيض ، وزنها مائة وثلاثة وأربعون قطارا (٦٥) .

ولم يقف سلاطين بني مرين عند الاهتمام ببناء المدارس في عاصمتهم فاس ، وإنما أنشأوا المدارس في سائر بلاد المغرب ، فأنشأ أبو الحسن المريني « في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة فأنشأ بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة وبيد مكناسة وسلا

وطنجة وسبتة وأنفا وأزمور وأسفى وأغمات ومراكش والقصر الكبير وبالعباد ظاهر تلمسان وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان (٦٦) فكانت إحدى هذه المدارس ، وهى مدرسة سلا متخصصة فى دراسة الطب (٦٧) . ويؤكد ابن مرزوق أن هذه المدارس كانت آية فى فن البناء والعمارة ، حيث اشتملت فى عناصر بنائها على : « المباني العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال فى البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعها من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش » (٦٨) .

وتعتبر المدرسة العنانية التى أسست سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) قمة الفن المعمارى المرينى (٦٩) . إذ أن الآثار المعمارية المرينية السابقة ، كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحدى ، الذى يمتاز بالبساطة ، والبعد عن كثرة الزخارف ، مسيرة لمبادئهم الدينية . فبناء هذه المدرسة يؤكد أن المرينيين أدخلوا على الفن الموحدى التنسيق والتزييق ، وصلوا ويهتمون بالنقش على الجص ، والخشب ، ولا يتركون موضعا فى الحيطان أو السقوف والأبواب ، دون أن ينقشوه ، وبالفوا فى ترصيع الأرض ، وأسافل الجدران بالزليج الرقيق المختلف الألوان ، واستخدموا الرخام بجميع ألوانه ، وهذه المميزات ، أضفت على منشآتهم البهاء المزوج بالركة والعلوبة (٧٠) .

وهذه المدرسة العنانية استغرق بناؤها سبع سنين ، ولندع جوليان (٧١) يصف لنا هذه المدرسة التى وصفها الكتانى فى سلوة الأنفاس بأنها المدرسة العجيبة (٧٢) . يقول : « ويفضى بابها بمصراعيه الخشبيين المصفحين بالبرنز المتقن الصنع إلى مدخل ذى درجات حافاتها من الجزع والخزف وبجوانبه دكات من الخزف المتعدد الألوان . أما صحنها الفسيح المغطى بالرخام الأبيض أو الوردى وبالجزع . فقد كسيت جوانبه بالفسيفساء ، وفتحت نوافذ غرفة وسط زخرف من الجص » (٧٣) . ثم ينقل جوليان وصف ب . ريكار فى هذا الضدد :

« وفى أعلى ذلك تحتضن الدعامات مدايميك العقود الكبيرة المستعارة الخشبية التى تحمل الإفريز الأعلى المزخرف بالآيات القرآنية والمحمى بظلة لم يأت مثلها فى الروعة » (٧٤) . ويستأنف جوليان الوصف : « وتضىء كوى بلورية المصلى المكون من بلاطين عرضائيتين بأطرافهما الهندسية المتداخلة على أكمل وجه ... كما وجدت مبيضاة مسقوفة على أروع صورة » (٧٥) .

وقد زار السلطان أبو عنان هذه المدرسة عند تمامها ، فلما عرض عليه المهندس القائم على تنفيذها ملفا يتضمن تكاليف البناء ، ألقى به أبو عنان فى الوادى الذى يجلب الماء للمدرسة وقال قولته المشهورة (٧٦) :

ليس لما قرت به العين ثمن لا بأس بالغالى إذا قيل حسن

وأمر أبو عنان ، بأن تقام أمام مدرسته منجاة (ساعة) لمعرفة الأوقات ، قام بصناعتها أبو الحسن على بن أحمد التلمساني (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) (٧٧) .

ويبدو أن المرينيين أرادوا بالتوسع في التعليم - بإنشاء المدارس على نحو لم تعرفه بلاد المغرب من قبل - اقتحام جميع المنافذ على مذهب التوحيد للقضاء عليه ، وقد نجحت هذه السياسة بفضل ما كان لدى الناس من ارتباط شديد بالمذهب المالكي ، فما لبث معظمهم أن ترك مذهب التوحيد وعاد في هدوء إلى مذهب الإمام مالك ، الذي كان يلقي رواجاً كبيراً في بلاد المغرب الأقصى ، ومما يعزز ذلك أن المرينيين أقاموا مدارسهم على أساس أن الطالب يتعلم ويقيم في المدرسة ، وذلك ليتيحوا خلق جيل جديد من الطلبة ليسوا من أهل المدن فحسب ، وإنما من بين أهل البوادي والأرياف ، فانتشر التعليم بفضل هذه السياسة على نحو كبير .

٣ - المستشفيات ودور الرعاية :

منذ تقلد بنو مرين زمام الأمور في بلاد المغرب الأقصى وهم يحرصون على بناء المارستانات (المستشفيات) لعلاج المرضى ، فأول سلاطينهم يعقوب بن عبد الحق ، بنى المارستانات للمرضى والمجانين ، ورتب لهذه المستشفيات الأطباء لتفقد أحوال المرضى ، وأجرى على الجميع المرتبات والنفقات من بيت المال ، ورتب كثيراً من أموال الجزية للاهتمام بالجلداني والعميان (٧٨) .

وتابع سلاطين بنى مرين بعد ذلك الاهتمام بالشئون الصحية وبناء المستشفيات فابتنى السلطان يوسف بن يعقوب (مارستانا) لعلاج المرضى بمنصورة تلمسان (٧٩) . وابتنى السلطان أبو الحسن المريني بفاس مارستانات لمداواة المرضى والاعتناء بهم (٨٠) . كما جدد إحدى هذه المستشفيات التي كانت بالقرب من القيسارية بفاس (٨١) . واعتنى السلطان أبو الحسن أيضاً بالعيون الساخنة التي يتداوى بها الناس ، فبنى (حمة خولان) ، على وجه محكم كما يقول الجزنائي ، لعلاج المرضى بما يخرج من هذه العين من مياه معدنية ساخنة (٨٢) . وتولى إدارة هذه المارستان في العصر المريني نظار يعينون لهذا الغرض ، ومن الذين تولوا إدارة مارستان فاس في عهد أبي عنان ، محمد بن القاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (٨٣) .

واهتم المرينيون أيضاً بدور الرعاية الاجتماعية التي تقدم خدماتها لمواطني الدولة غير القادرين ، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق أسس عدداً من الزوايا والأربطة لإيواء المسافرين ، وعابري السبيل وذوى الحاجات خصوصاً في النواحي المقفرة البعيدة عن العمران ، وأوقف

عليها الأوقاف الكثيرة . وأمر بتطهير الأيتام (أى ختاتهم) وكسوتهم والإحسان إليهم بالبراهم والطعام (٨٤) .

واهتم سلاطين بنى مرين كثيرا برعاية الشيوخ والضعفاء ، الذين لا يستطيعون النفقة على أنفسهم فخصصت لهم رواتب تكفيهم ورصدت أسماؤهم ، كما يقول ابن مرزوق في جرائد العمال تحت اسم شيوخ الجامع ، وبنى لهم السلطان أبو الحسن دورا لإقامتهم ، وكانت توزع عليهم الكسوة في كل سنة بصفة منتظمة (٨٥) . وما طبقة الدولة على الشيوخ طبقة أيضا على الأيتام ، وأكثر من ذلك فإن السلطان أبا الحسن أعطى لكل يتيم قطعة من الأرض تكفيه . وكانت عاشوراء موسما لختان الأيتام وكسوتهم فكانت الدولة تصرف لكل يتيم قميصا وأحزاما ، ويعطى عشرة دراهم ، وما يكفيه لطعامه من اللحم (٨٦) .

٤ - الفنادق :

ارتبط إنشاء الفنادق في العصر المريني بازدهار الحركة التجارية في البلاد ، حيث لعب الفندق دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب ، إذ كانت هذه الفنادق في أغلب الأحيان ملتقى للتجار من شتى البلدان والنواحي ، ولذلك اتخذ الفندق وضعاً معيناً يتفق مع وظيفته الاقتصادية ، فكان أشبه ما يكون بمخزن أو سقيفة ، بها شهود عدول لتحرير عقود البيع والشراء ، وبها أيضا سمسارة يسهلون عمليات البيع والشراء ، وكان بها المنادون على البضائع التي تباع بالمراد العلني ، كما كان بالفنادق أمناء لتسعير البضائع ، والتأكد من سلامتها من الغش ، وأيضا مترجمون يتولون الترجمة بين التجار من مختلف الجنسيات ، وضم الفندق أيضا بعض نواحي الخدمة اللازمة للتجار والمقيمين به فاشتمل على برادعى وسراج ، لإصلاح أدوات الدواب ، ويطار ليعالج الدواب وينعلها ، ومستودعات للعربات والدواب والعلف والبضائع ، وفي الدور الأول من الفندق غرف ليستأجرها النزلاء والمسافرون للمبيت (٨٧) . ومن أشهر هذه الفنادق بمدينة فاس فندق الشماعين الذي كان مركزا كبيرا لرجال المال والتجارة (٨٨) . أنشأه القاضي أبو عبد الله بن أبي الصبر في موضع كان خربا بالقرب من مسجد القرويين (٨٩) . وانتشر على طول الطرق في أنحاء الدولة المرينية ما يشبه الفنادق الصغيرة ، وهذه كانت تقوم بخدمة المسافرين ، والمحافظة على أمتعتهم ، وقد تواجدت هذه الفنادق الصغيرة على مسافات ثابتة يعلمها المسافرون تقدر بأثنى عشر ميلا (٩٠) .

٥ - القناطر :

أجرى المرينيون في أيامهم تجديدات شاملة لمعظم القناطر التي تصل بين عتوق الأندلس والقرويين في مدينة فاس القديمة ، وتضمنت هذه التجديدات إصلاح ما يحتاج إلى

الإصلاح ، وإعادة بناء ما تهدم من هذه القناطر . ومن القناطر التي أصلحت قنطرة (أنى طوبة) ، أصلحها السلطان أبو سعيد المرينى ، كما أعاد أبو سعيد - على نفقة الدولة - بناء قنطرة (الصباغين) وقنطرة (الرملة) . وقنطرة (السلسلة) ، وهذه الأخيرة هدمها السيل العظيم الذى اجتاحتها سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) ، كما تطوع الأهالى ببناء قنطرة (الوقادين) (٩١) وهذه القناطر كانت لها أهميتها فى حركة الاتصال بين العدوتين .

واعتنى السلطان أبو الحسن المرينى ببناء المزيد من القناطر داخل فاس وغيرها من مدن المغرب فأنشأ قنطرة (وادى ردات) ، وقنطرة (بنى بسيل) ، وقنطرة (الوادى) ، وقنطرة الرصيف ، وقنطرة (وادى سطيف) بتلمسان ، وقنطرة (باب الجياد) ، وقنطرة (مينا) (٩٢) .

يضاف إلى ذلك اهتمام أبى الحسن بمشروعات المياه وتوصيلها بسهولة إلى مستعمليها من الناس ، يقول الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن فرحون اليعمرى : « ما مرت فى بلاد المغرب بسقاية ولا مصنع من المصانع التى يعسر فيها تناول مياه الشرب والوضوء فسألت عنها إلا وجدت من إنشاء السلطان أبى الحسن » (٩٣) . وقد انفق أبو الحسن أموالا طائلة لتوصيل المياه إلى داخل مدينة سلاحيث الموضع المعروف باسم (برج حمام) . وكذلك فى تلمسان حيث أدخل المياه إلى مواضع لم يعهد دخول الماء إليها كمنشر الجلد ، وسويقة إسماعيل (٩٤) .

٦ - التحصينات الدفاعية :

اهتم المرينيون اهتماما كبيرا بإقامة التحصينات الدفاعية ، وذلك راجع بالطبع إلى طبيعة دولتهم التى تميزت بكثرة الحروب التى خاضتها ، سواء فى مرحلة تأسيسها أو فى مرحلة ازدهارها وتوسعها ، وتركزت أهم هذه التحصينات الدفاعية على الحدود الشرقية للمغرب الأقصى ، لمواجهة خطر بنى عبد الواد ، وفى بلاد الأندلس ، وعلى طول سواحل الدولة المطلة على البحر المتوسط لمواجهة خطر الأسطول الأسباني ، على ساحل البحر المحيط لمواجهة نفس الخطر .

وقد انحصرت المنشآت العسكرية ، قبل عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، فى إقامة المدن ذات الصبغة العسكرية ، مثل البنية التى بنيت فى بلاد الأندلس لصق الجزيرة الخضراء ، لتكون مقرا للجيش المرينية المحاربة فى الميدان الأندلسي (٩٥) . ومنصورة تلمسان التى حملت نفس الصفة منذ أول إنشائها (٩٦) . وكذلك تطوان بالقرب من سبتة (٩٧) . وأفراك التى بناها السلطان أبو سعيد المرينى بالقرب من سبتة (٩٨) . وبالإضافة إلى إقامة المدن ذات الطبيعة العسكرية ، بناء الحصون والأسوار حولها ، وشحن هذه الحصون بالأقوات والمؤن ،

كبناء السور الغربى لسلا ، لأكال استدارة السور حولها حتى لا يقتحمها أحد من البحر (٥) . وبناء السور حول (بادنس) مرفأ الجواز إلى بلاد الأندلس (١٠٠) . كان ذلك فى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق ، الذى شحن أيضا حصن تاونت على الحدود الشرقية لدولته فى مواجهة يغمراسن بن زيان (١٠١) . وفى عهد السلطان يوسف بن يعقوب أعيد بناء مدينة وجدة ، وحصنت أسوارها ، كما بنى نفس السلطان حصن تاوريرت على الحدود الشرقية فى مواجهة بنى عبد الواد (١٠٢) .

وانخذت التحصينات الدفاعية فى الدولة المرينية منذ عهد السلطان أبى الحسن المرينى شكلا جديدا يتميز بضخامة هذه التحصينات ، واختلافها فى كثير من الأحوال عما سبقها من تحصينات فى الفترات السابقة . ففى عهد هذا السلطان ، انشئت المحارس على طول الساحل من آسفى إلى جزائر بنى مزغناى ، وهذه المحارس عبارة عن أبراج عالية ، رتب فيها السلطان أبو الحسن المستطلعون والمستكشفون للبحر ، فإذا ما ظهرت أية قطعة بحرية للعدو بادر هؤلاء المستطلعون والحراس إلى اشعال النار فى الابراج ، والدوى بالنفير ، فتنبه سائر المحارس على طول ساحل الدولة المطل على البحر المتوسط ، فى ليلة أو أقل من الليلة (١٠٣) .

وعلى نفس النمط أقام السلطان أبو الحسن أبراج الماء ، وهذه الابراج أقامها فى الماء أمام سبته لتشرف على حركة السفن ، وتراقب الداخل والخارج منها ، والبرج الأول كان يبحر (بشول) أمام سبته ، والثانى فى مشحن سبته ، كما بنى برجين من نفس الطراز بجبل الفتح لنفس الغرض (١٠٤) .

وقرر أبو الحسن المرينى بعد استيلائه على جبل الفتح سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٧ م) تحصين جبل الفتح لأهميته الاستراتيجية ، إذ يقف هذا الجبل على عتبة عدوة الأندلس ، فهو على حد قول ابن مرزوق : مفتاح هذه العدو ومغلقتها . وكان مشروع تحصين هذا الجبل - على الصورة التى يريدتها السلطان أبو الحسن ، وهى احاطة الجبل بكاملة بسور يحتمضه من سفحه - يعد ضربا من المستحيل فى نظر الكثيرين ، ولكن أبا الحسن صمم على تنفيذ هذا المشروع الدفاعى الضخم ، ورصد له الأموال ، وحشد له العمال والثقات والأمناء ، حتى تم بناؤه (١٠٥) . وصارت التربة الحمراء بالمبائى الحافلة والمساكن العالية بيضاء ، وصارت بها أسواق وجامع للصلاة والخطبة وحمام . وتعدد فيها المساجد وفى غيرها من سفح الجبل اتخذت فيها قرى ومساكن (١٠٦) . وشحن أبو الحسن أبراج الجبل كلها والسفح والدور بالأبطال والشجعان من الرجالة والفرسان ، وأجرى عليهم ومن معهم من أسرهم المرتبات الكافية (١٠٧) .

ولم يكن اهتمام أى الحسن بجبل الفتح فحسب ، وإنما اهتم أيضا بجميع المعادل والحصون التى للمسلمين بالأندلس ، فشحنها بالحبوب ، وسائر الأقوات ، وما تحتاجه هذه الحصون من الآلات من الخشب والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والجلد والجبن والشحم ، والزيت كل هذا بكميات تثير العجب والدهشة (١٠٨) .

(ج) المظاهر الاجتماعية :

هناك بعض المظاهر الاجتماعية التى يمكن تتبعها من خلال المصادر والمراجع ، وهى تتعلق بالحياة الخاصة لسلطين الدولة المرينية ، وتتعلق أيضا بمواطنى الدولة على اختلاف طبقاتهم .

(أ) الحياة اليومية لسلطين بنى مرين :

كان من عادة معظم سلطين بنى مرين أن يجلس الواحد منهم فى بكرة كل يوم ، ويحضر مجلسه الأشياخ الكبار - (وهم قادة الجيش) - فيمد لهم السماط - (الموائد) - الذى يحتوى على ألوان مختلفة من الأطعمة والحلوى ، بعضها مصنوع من السكر ، ومعظمها مصنوع من العسل والزيت ، فيأكلون ويتفرقون إلى أماكنهم (١٠٩) . وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه ، وقد لا يركب ، أما فى آخر النهار فقد يركب السلطان فى حرسه الخاص بعد العصر ، ويخرج إلى مكان فسيح فى الصحراء ، وغالبا ما يكون ذلك فى يومى الاثنين والخميس ، ويقف على مكان مرتفع ، ويسمى ذلك المكان مجلس العرض أو برج الذهب ، وتتطارد أمامه الخيل ، ويتطاعن الفرسان ، فى بيان عمل ، تمثل فيه الحرب أمام السلطان ، على سبيل التدريب (١١٠) . وقد يحضر مجلس العرض أبناء الملوك ، وبعض السفراء الذين يتصادف وجودهم فى ذلك الوقت ، وقد يعرضون عليه هناك ما يحملون معهم من الهدايا (١١١) . وبعد انتهاء البيان العمل ، يعود السلطان فى موكبه إلى قصره (١١٢) .

ثم يعقد السلطان بعد ذلك مجلسا يضم عددا من العلماء وشيوخ بنى مرين ، وكبار رجال الدولة وأعيانها ، فتقدم أمامهم الموائد ، فيأكلون ، ويأكل معهم السلطان ، وبعد الانتهاء من الطعام ، يعرض كاتب السر مالدیه من تقارير يريد عرضها على السلطان تتضمن مهام الدولة ، وقد يجلس مع السلطان بعد ذلك من يسامره فى بعض الليالى ، وربما اقتضت الحال مبيت كاتب السر عنده (١١٣) .

وكان السلطان أبو الحسن المرينى ، غالبا ما يجلس للقراءة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر ، فكان يقرأ الأخبار والسير ، كالسير لأبى الربيع ، وسراج الملوك ، وفتوح الشام ، وغيرها من كتب الحديث ، كصحيح مسلم والبخارى ، وكان الخطيب ابن مرزوق

أحد الذين تولوا القراءة بين يدي أئى الحسن . وغالبا ما كان السلطان يواصل ذلك المجلس العلمى بعد صلاة المغرب ، ومما كان يحرص على قراءته فى ذلك الوقت الموطأ ، ومن العلماء الذين كانوا يحضرون ذلك المجلس أبو عبد الله الرندى ، وأبو زيد بن الإمام ، وشقيقه أبو موسى ، وأبو عبد الله السطى ، وأبو عبد الله بن عبد الرازق ، وأبو عبد الله الآبلى ، وأبو عبد الله بن الصباغ المكناسى ، وأبو عبد الله بن الحفيد السلوى (١١٤) . وبعد صلاة العشاء ، تقرأ على السلطان بعض الشكاوى والرسائل التى تتعلق بالدولة ، ويتولى التوقيع عليها بنفسه (١١٥) .

٢ - البلاط المرىنى :

فى مطلع قيام الدولة ، كان يغلب على البلاط المرىنى طابع البداوة ، ولم يستقر سلاطين بنى مرين كثيرا فى بلاطهم فى أول دولتهم ، إذ كان عليهم دائما ، القيام بزيارات دورية لأقاليم الدولة ، لدعم السلطة المرىنية فى هذه الأقاليم ، وحل ما بها من مشكلات (١١٦) . ومما يلفت النظر أن السلطان المرىنى عندما كان يقوم بهذه الجولات ، كان عدد سكان فاس الجديد (مقر البلاط) يهبط إلى النصف تقريبا ، لأن معظم سكانها كانوا من العسكريين ، ورجال البلاط الذين يرافقون السلطان المرىنى دائما ، فإذا عاد السلطان ، امتلأت المدينة مرة ثانية ودهت فيها الحياة من جديد (١١٧) .

ويذكر ابن مرزوق أن البلاط المرىنى كان يحوى خداما يختصون بالسلطان فى خطط متعددة وعلى مراتب مختلفة ومعروفة ، وكان لولى العهد مثل ذلك ، فكان له حاجبه ، وكاتبه وأمينه ومتولى مراكبته ، فإذا ماتولى السلطان ترك خدامه مكانهم إلى خدام ولى العهد ، وفى بعض الحالات كان السلطان الجديد يحتفظ بخدام أبيه مبرة لوالده ، ووفاء له ، وهنا ما حدث حيث احتفظ السلطان أبو الحسن بكثير من رجال البلاط الذين كانوا فى عهد والده السلطان أئى سعيد المرىنى (١١٨) .

وبأئى السلطان فى البلاط المرىنى على قمة الهرم ، ومن بعده الوزراء ، وكان هؤلاء أصحاب السلطة بعد السلطان ، وفى عصر نفوذ الوزراء ، أصبحت السلطة المطلقة فى أيديهم ، وكان هؤلاء الوزراء دائما موضع الاحترام من قادة الجند ، وكبار موظفى الدولة ، الذين كانوا عادة من بنى مرين ، أو من القبائل العربية الكبرى (١١٩) : ولم يكن للنساء دور مباشر فى هذا البلاط ، لأنهن كن محجوبات فى القصور ، ولكن الذى لاشك فيه أنهن كن يلعبن أدوارا غير مباشرة فى التأثير على السلطان ، ولا يغيب عن أذهاننا ، طلب والدته السلطان أئى الحسن إلى ولدها السلطان ، حين تشفعت لديه للعفو عن أحد الأشخاص ، وأبطأ فى تحقيق رغبتها (١٢٠) .

وآخر درجة في البلاط ، كانت تشمل الخدم ، وغالبهم كان من الخصيان من الرقيق أو من المعتوقين ، وقد نظموا في داخل البلاط بطريقة هرمية ، وكان في ذلك مجال كبير للتنافس والغيرة ، وكثيرا ما كانت قصور بنى مرين مجالا لكثير من الدسائس والمؤامرات ، التى كان لها أثرها على الدولة نفسها ، كما حدث حين قتل أحد هؤلاء الخدم من الخصيان السلطان يوسف بن يعقوب المرينى (١٢١) .

٣ - الاحتفالات :

كانت هناك احتفالات ومناسبات كثيرة يظهر فيها السلطان المرينى أمام جمهور شعبه الذى كان يشارك فى هذه الاحتفالات ، إما بالتجمع لرؤيتها والتمتع بها ، أو بالمشاركة الفعلية فى هذه الاحتفالات ، ومن بين هذه الاحتفالات :

(أ) الاحتفال باستقبال وفود الدول :

جرت العادة فى الدولة المرينية أن يشارك أبناء الشعب فى استقبال الوفود التى تأتى لزيارة السلطان المرينى ، إظهارا للحفاوة بهذه الوفود ، وتعبيرا عن جو الصداقة والود ، وكانت تقام لذلك الاستقبالات والاحتفالات التى يحضرها السلطان ، ومن هذه الاحتفالات ، الاستقبال الشعبى الذى أقيم بمناسبة قدوم وفد من دولة مالى يحمل هدية عظيمة للسلطان أبى سالم المرينى ، وقد تضمنت هذه الهدية زرافة ، كانت غريبة الشكل لأن أحدا من الناس فى العصر المرينى لم يشاهدها قبل ذلك (١٢٢) .

وكان يوم وصول ذلك الوفد يوما مشهودا ، حيث جلس السلطان لاستقبالهم بمجلس العرض ببرج الذهب ، « ونودى فى الناس بالبروز إلى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حذب حتى غمر بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة إعجابا بخلفتها » (١٢٣) ، وفى الحفل أنشد الشعراء قصائدهم ، مدحا وتهنئة ، وقدم الوفد مامعه من الهدايا للسلطان ، « والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزوع فى أوتار قسيسهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحشون التراب على رءوسهم على سنة ملوك العجم » (١٢٤) . وقد أنشد ابن خلدون فى هذا الحفل قصيدة قال فيها (١٢٥) :

قدحت يد الأشواق من زند وهفت بقلبي زفرة الوجد

إلى أن قال :

ورقيمة الأعطاف حالية موشية بوشائح البرد
وحشية الأنساب ما أنست فى موحش البيداء بالقرد

تسمو بجيد بالغ صعدا شرف الصروح بغير ما جهد

(ب) الاحتفال بسفر السلطان :

كان من عادة السلطان المريني إذا سافر ، أن يخرج من قصره ، وينزل بموكبه خارج العاصمة كي يرتحل من هناك ، وقيل الصبح تدق طبول كبيرة لإشعار الناس بسفر السلطان ، وبعد صلاة الصبح تخرج القبائل ، وكل قبيلة تقف في مكان معلوم لها في طريق السلطان صفا صفا ، ولكل قبيلة رجل يحمل علما يقف به في مكان معلوم في الترتيب لا يتعداه (١٢٦) .

فإذا صلى السلطان الصبح جلس نحوه جماعة تعرف بالطلبة ، يقرعون حزبا من القرآن ، ويذكرون شيئا من الحديث النبوي (١٢٧) . ويصف القلقشندى التقاليد المرعية للسلطان في هذا الاحتفال فيقول : « فإذا أسفر الصبح ركب (السلطان) وتقدم أمامه العلم الأبيض المعروف بالعلم المنصور ، وبين يديه الرجالة بالسلاح والخيل المجنوبة ، بثياب السروج الموشية ، ويعبرون عن ثياب السروج بالبراقع . وإذا وضع السلطان رجله في الركاب ، ضرب على طبل كبير يقال له تريال ثلاث ضربات إشعارا بركوبه . ثم يسير السلطان بين صفى الخيل ، ويسلم كل صف عليه بأعلى صوته « سلام عليكم » ويكتفانه يمينا وشمالا ، وتضرب جميع الطبول التي تحت البنود الكبار الملونة خلف الوزير على بعد من السلطان ، ولا يتقدم أمام العلم الأبيض إلا من يكون من خواص علوج السلطان وربما أمرهم بالجولان بعضهم على بعض ثم ينقطع ضرب الطبل إلى أن يقرب من المنزل » (١٢٨) .

(ج) الاحتفال بالمولد النبوي :

وأول من اعتنى بالاحتفال بالمولد النبوي السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، ففي سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) أمر « بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له وصيره عيدا من الأعياد في جميع بلاده » (١٢٩) . وسار سلاطين بني مرين بعد ذلك على هذه السنة من الاحتفال بالمولد النبوي ، ففي عهد السلطان أبي الحسن المريني ، يستعد الناس لهذه المناسبة بأنواع المطاعم والحلويات ، والطيب والبخور ، وإظهار الزينة والتأنق فيها (١٣٠) .

وعلى المستوى الرسمي تبدأ الاحتفالات عادة في شهر ربيع الأول ، بعد صلاة المغرب ، حيث يعد السلطان مجلسا حافلا ، يستدعى الناس إليه ، فيجلسون فيه بترتيب معلوم ، ويتناولون الطعام ، « فإذا قضى شأن الطعام أحضر من الفواكه الحاضرة في الوقت ما يوجد في إبانة ثم يأتي باليابس بعدها ثم يأتي بالكعك والحلاوات ثم يؤتى بمدام

السكر ، (١٣١) . وبعد ذلك يتلو المقرءون القرآن ، وينشد المنشدون القصائد والمدائح النبوية ، فتطير بها قلوب الناس فرحا ، وفي نهاية الحفل يوزع البخور والشمع على الفقراء والمسافرين ، وفي نهاية الاحتفالات ، يجلس الكتاب لتوزيع العطاء بهذه المناسبة على الشرفاء ، وكبار الفقهاء والأئمة والخطباء والفضلاء (١٣٢) . وقد تابع سلاطين بنى مرين بعد ألى الحسن الاحتفال بالمولد النبوى ، وزاد أبو عنان فى هذه الاحتفالات ، حتى أن ابن ألى دينار اعتبره أول من اعتنى بهذه المناسبة من بين سلاطين بنى مرين (١٣٣) .

(د) صلاة العيد :

كانت صلاة العيد من المناسبات التى يجرى الاحتفال بها على جميع مستويات الشعب ففى ليلة العيد ، ينادى والى المدينة فى أهلها بالمسير ، فيخرج أهل كل سوق ، متجملين بأحسن الثياب ، ومعهم علمهم الذى عليه رمز صناعتهم أو مهنتهم الذى يدل عليهم ، ويبيت الناس خارج المدينة فإذا ركب السلطان لصلاة العيد فى الصباح الباكر ، اصططف الناس صفوفا يستعرضها السلطان وهى تمشى أمامه ، ثم يركب السلطان ، ويركب العسكر معه ميمنة وميسرة ، ومن خلفه الخدم والأعلام منشورة والطبول خلف الموكب تدق حتى يصلى السلطان ثم يعود ، فيصرف أصحاب الأسواق والمهن إلى بيوتهم ، ويحضر طعام السلطان خواصه ، وأشياخ الدولة (١٣٤) .

٤ - الأفراح والأتراح :

لم تختلف الأفراح والأتراح فى المجتمع المرينى كثيرا عما هو معروف لدى سائر المجتمعات الأخرى فى بلاد المغرب ، وقد تحدث ابن خلدون فى إشارات موجزة عن بعض الأفراح السلطانية ، فعندما تزوج الأمير أبو الحسن المرينى من فاطمة ابنة السلطان ألى يحيى ابن ألى زكريا الحفصى ، زفت العروس فى موكب ضخم من أساطيل الدولة الحفصية حتى وصلت إلى المياه الإقليمية للدولة المرينية عند مرسى غساسة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) (١٣٥) . وكان السلطان أبو سعيد المرينى والد ألى الحسن ، قد أعد مواكب الدواب لاستقبال العروس ، ونقلها إلى قصرها هى وأمتعتها وأثقالها ، وصيغت حكومات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها وأعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله فى دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء مايتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع وتحدث الناس به (١٣٦) .

وقد تزوج السلطان أبو الحسن من أختها الثانية عزونة بعد وفاة فاطمة فى موقعة طريف ، وبلغ صداق عزونة خمسة عشر ألف دينار من الذهب ، ومائتا خادم ، وزفت هى

الأخرى إلى السلطان أئى الحسن فى الأساطيل الحفصية حتى مرسى غساسة وكان يرافقها الأمير الفضل بن أئى يحيى صاحب بونة (١٣٧) .

وعلى المستوى الشعبى كان للأفراح طابعها الخاص الذى يختلف عن الأفراح السلطانية ، فغالبا ماتكون هذه الأفراح أكثر انطلاقا ، وتدور أحداثها فى منزل العروسين ، حتى إذا جاء موعد الزفاف ، دقت الموسيقى ، وكانت الاحتفالات تستمر عادة أسبوعا حتى تنتقل العروس إلى منزل الزوجية (١٣٨) .

ومن المناسبات الأخرى التى كانت مجلبة للفرح والسرور الولادة والطهارة ، فبعد تمام الطهارة ، يلبس الطفل رفيع الثياب ، ويحمل على بغل عبر المدينة ، تعبيرا عن فرحة أهله (١٣٩) .

أما عن العادات المتبعة فى الجنائز ، فيحدثنا ابن مرزوق عن أشهر الجنائز وأعظمها ، وهى جنازة والده السلطان أئى الحسن المرنى ، فقد شيعت هذه السيدة إلى مقرها الأخير فى موكب مهيب ، تحرك من تلمسان فى المغرب الأوسط إلى شالة قرب ساحل البحر المحيط ، وقد ضم الموكب السلطان وكبار رجال الدولة والشرفاء والعلماء والصلحاء ، وأمر السلطان ببناء مسجد فى كل موضع كان المبيت فيه من تلمسان إلى شالة ، ومع المسجد عمارة وزاوية ، وأوقف السلطان باسمها بعض الأوقاف لينفق منها على هذه المواضع (١٤٠) . وكان معظم سلاطين بنى مرين يحرصون على الخروج لتشجيع العلماء والصالحين والصوفية ، ومن هؤلاء السلاطين السلطان أبو العباس أحمد المرنى ، الذى خرج لتشجيع جنازة الشيخ الصوفى ابن عباد (١٤١) .

وعلى المستوى الشعبى كان الحزن يغمر بيت الميت ، ويغسل الميت ثم يكفن ويحمل إلى المقبرة بعد الصلاة عليه ، وكان محظورا على النساء السير فى الجنائز ، بل يسير الرجال مرددين بعض الأدعية الدينية ، وغالبا ما كانت المقابر بالقرب من أسوار المدينة (١٤٢) .

وأربطت بالأتراح زيارة القبور ، حيث دأب كثير من سلاطين بنى مرين على زيارة قبور موتاهم ، ويحدثنا ابن مرزوق عن اهتمام أئى الحسن الشديد بقبر والده السلطان أئى سعيد المرنى ، حيث كان يواظب على زيارة قبره مبرة له ، ويجرى الجرايات الكثيرة على ضريحه ويرتب القراء للقراءة عليه ليلا ونهارا ، لايفترون ، حتى أصبح مكان الضريح ملاذا لكل خائف أو طالب حاجة (١٤٣) . كما كانت أضرحة الصالحين محل اهتمام السلاطين والعامة ، فالسلطان أبو الحسن كان يختص قبر الولى الصالح أئى مدين بتلمسان بالزيارة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع ، وقد رصد ابن مرزوق معظم هؤلاء الصالحين الذين اهتم السلطان أبو الحسن بزيارة قبورهم والترحم عليهم (١٤٤) .

٥ - الملابس :

اختص السلطان المرينى لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع ، ولا يلبس هذا النوع من الثياب ذو سيف غير السلطان (١٤٥) . أما الزى العسكرى للسلطان والأشياخ وعامة الجند فى سائر الأيام ، فإن الجميع كانوا يتعممون بعمائم طويلة ، قليلة العرض ، مصنوعة من الكتان ، مع إحرامات يلقونها على أكتافهم ، وكانت تغلب عليهم الطبيعة البدوية ، إذ كانوا يتقلدون سيوفهم تقليدا بدويا ، ويلبسون الخفاف فى أرجلهم ، وتسمى عندهم الأئمة ، ويشدون فوق هذه الأئمة المهاميز ، ويتخذون المناطق وهى (الحوائص) ، ويعبرون عنها بالمضيمات وهى من الفضة أو الذهب ، وربما بلغت كل مضمة من هذه المضيمات ألف مثقال ، ولكنهم لا يلبسونها إلا فى يوم الحرب أو يوم التمييز (العرض العسكرى) (١٤٦) .

أما العلماء وأهل الصلاح فانهم يلبسون البرانس الملونة ، وقد يسمح لهم أحيانا بلبس البرانس البيضاء ، أما ملابس القضاة والعلماء والكتاب وعامة الناس ، فقريبة الشبه من زى الجند ، إلا أنهم يضعون على رؤسهم العمام الخضراء (١٤٧) . أما الفقراء ، كالأيتام ، فأنهم كانوا يلبسون قمصانا ويربطون على هذه القمصان الأحزمة ، وفى كثير من الأحيان كانت الدولة توفر لهم هذا الكساء كل عام (١٤٨) .

ثانيا : الحياة الفكرية

شهد المغرب الأقصى في عهد المرينيين حصاد قرنين من المجهودات العلمية ، بفضل جهود المرابطين والموحدين في مجالات الثقافة والعلم والأدب ، وما أن جاء المرينيون حتى انطلقت الحياة الفكرية في عهدهم إلى آفاق أرحب وأوسع ، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضوج (١٤٩) . وقد دعم سلاطين بني مرين انطلاق الحياة الفكرية في عهدهم بدعائم أهمها :

١ - أن سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينية (١٥٠) . وعلى هذا الأساس لم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة .

٢ - احتضن سلاطين بني مرين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم ، وآرائهم وأفكارهم ، بل لقد سمح المرينيون في كثير من الأحيان بتدريس آراء الموحدين في مدارسهم ، احتراما منهم لحرية الفكر (١٥١) .

٣ - أن المرينيين أوجدوا في المغرب الأقصى أكبر قاعدة فكرية وثقافية قامت في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي ، وتمثلت هذه القاعدة في ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التي انتشرت في أنحاء المغرب الأقصى على نحو لم يسبق له مثيل ، دون تمييز بين المدن الصغرى ، والمدن الكبرى ، بل امتدت هذه المدارس إلى مناطق أخرى من بلاد المغرب ، في المغرب الأوسط حين كان تحت سلطة المرينيين .

٤ - لم يضع سلاطين بني مرين أمام العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأندلسهم المهاجرين إلى المغرب الأقصى - تحت وطأة الزحف النصراني على ممتلكات المسلمين في الأندلس - أية عوائق ، تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية ، واجتمع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين ، بل لقد انضم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس سلاطين بني مرين العلمية ، وشغل بعضهم مناصب كبرى في الدولة المرينية ، كأمين خلدون ، وابن الخطيب ، وابن الأحمر ، وابن رضوان ، وابن مرزوق ، وابن جزي والمقرئ ، وغيرهم من العلماء الذين تغيثوا ظلال بني مرين (١٥٢) . وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تطعيم الحركة الفكرية في العصر المريني برصيد هائل وضخم من الثقافة الأندلسية المتنوعة .

واستطاع بنو مرين بهذه الدعائم الأربعة تنمية الحركة الفكرية ، وتعميق جذورها في المغرب الأقصى ، حتى أصبحت فاس عاصمة للفكر في بلاد المغرب ، إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة ، ويمكن استيعاب جوانب هذه الحركة الفكرية الواسعة من خلال ما يأتي :

(أ) مجالس سلاطين بنى مرين العلمية :

كانت مجالس سلاطين بنى مرين ندوات علمية رفيعة ، والذي دفع سلاطين بنى مرين إلى عقد هذه المجالس ، شغفهم بالعلم وحبهم له ذلك الحب الذى كان سمة غالبية على أكثر سلاطينهم يقول الكتانى : « وكانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ولذلك استفحل ملكهم وطالت دولتهم وعظمت صولتهم فكانوا مقرا للعلوم والأخبار ومحل اجتماع دائرة العلم الذى عليه المدار » (١٥٣) .

وقد عقد سلاطين بنى مرين مجالس العلم ، للمناظرة والمحاضرة ، ومطالبة الأدباء ومحاورة الشعراء (١٥٤) . وكان الكثير من هؤلاء السلاطين محبا للعلم مهتما به ، ومنهم على سبيل المثال السلطان أبو عنان المرينى الذى كان « فقيها يناظر فيه العلماء الجلة وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله فصيح القلم كاتباً بليغا حسن التوقيع شاعرا مجيدا ومن نظمه » (١٥٥) :

إذا تصدر للرياسة خامل جرت الأمور على الطريق الأعوج

وقد عرف البلاط المرينى في عهد السلطان أبى الحسن المرينى أعظم مجالس العلم التى شهدت الدولة المرينية ، حيث احتضن البلاط المرينى في عهده حشدا من العلماء لا يحصى عددا ، ويكفى للتعبير عن كثرتهم أن عدد من استشهد من علماء ذلك البلاط ، عند رحيل أبى الحسن من افريقية ، - بسبب غرق الأسطول الذى كان يقلهم - كان أربعمائة عالم ، فكيف بأعداد العلماء الآخرين الذين لم يركبوا ، والذين كانوا في مواطن أخرى غير افريقية في عهد أبى الحسن (١٥٦) . وما من شك في أن كثرة المدارس التى أنشأها المرينيون ، كان لها أكبر الأثر في تخريج أجيال كثيرة من العلماء وإلى جانب هذه المدارس الرسمية التى كانت تشرف عليها الدولة ، كانت المساجد على عادتها تقوم برسالتها التقليدية ، فامتلأت بالعلماء والفقهاء يدرسون العلم ، ويقصدهم الناس للشورى ، أو قراءة القرآن ، كما قصد هذه المساجد الصلحاء والعباد ، وقاموا بدورهم في تقديم الفتوى والعلم للناس على اختلاف مستوياتهم (١٥٧) .

وكان السلطان أبو الحسن المريني من أبر سلاطين بني مرين بالعلماء ، وأعرفهم بقدرهم وكان يحرص أشد الحرص على تتبع أخبار العلماء في أنحاء دولته ، حتى إذا سمع عن عالم مبرز له رسوخ قدم في العلم ، أرسل في استدعائه ، وضمه إلى خواص أهل مجلسه ، وأجرى عليه الجرايات والنفقات التي تكفيه (١٥٨) .

فاجتمع بمحضرة أعلام ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازا حين استيلائه عليها ثم استمر على هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية (١٥٩) . ولعل هذا هو الذي يفسر كثرة العلماء في البلاط المريني في عهده .

ومن هؤلاء العلماء الذين ضمهم مجلس السلطان أبي الحسن على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي ، الذي كان إماما في القراءات (١٦٠) . والخطيب ابن مرزوق الذي كان قمة في الحديث والفقه (١٦١) . ومحمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الذي اشتهر بالآبلي الذي كان أعلم أهل عصره بالعلوم العقلية كما يقول الكتاني (١٦٢) . والفقيه النحوي أبو عبد الله الرندي . وأبو زيد عبد الرحمن بن الإمام ، وشقيقه موسى ، وأبو عبد الله بن الصباغ المكناسي ، وأبو عبد الله بن الحفيد السلوي ، وأبو عبد الله بن عبد السلام (١٦٣) .

وكان السلطان أبو الحسن يتخير من بين علماء مجلسه من يقرأ بين يديه أمهات الكتب ، والمؤلفات العربية ، وبصفة خاصة كتب الفقه والحديث ، فكان ابن مرزوق الخطيب يقرأ بين يديه ، صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وكتاب الشفاء ، وتهذيب ابن هشام ، والحلية للحافظ أبي النعيم الأصبهاني ، والمدهش للجوزي ، وجملة من كتب الوعظ والحديث ، وكذلك الموطأ ، والتهذيب لابن الحاجب (١٦٤) .

علاوة على ذلك فقد شجع سلاطين بني مرين حركة التأليف والعلماء وأجزلوا لهم المهبات والعطايا ، على مؤلفاتهم واختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل حيث كان العلماء يعرضون على سلاطين بني مرين إنتاجهم العلمي والأدبي ، أولا بأول طمعا في نيل مكافآتهم ، وكانت جوائز سلاطين بني مرين لهؤلاء العلماء والأدباء سخية تذكرنا بما كان يحدث في البلاط الأموي والعباسي من تقدير العلماء والأدباء .

ومن أمثلة ذلك أن الفقيه أبا عبد الله بن أبي زكريا العزفي أهدى إلى السلطان أبي الحسن كتابا ألفه في ذم الخمر وبيان عيوبها ، فاستحسنه السلطان ، وأمر أن يوضع الكتاب - وكان سفرا ضخما - في كفة والدرهم من دار السكة في الكفة الأخرى ، وأعطى لأبي عبد الله الموزون من الدراهم (١٦٥) . ونفس السلطان أهدى إليه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

ابن السبيل التعاليمى أسطرلابا ، صنعته بنفسه ، فأعطاه السلطان أبو الحسن مثل وزن الأسطرلاب دنانير من الذهب (١٦٦) .

(ب) المذهب المالكى :

استعاد المذهب المالكى مكانته التى كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين ، الذين صادروا معظم كتب ومؤلفات هذا المذهب وأحرقوها (١٦٧) . وكان سلاطين بنى مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب ، فأبو الحسن المرىنى كان يحرص على أن تقرأ بين يديه المؤلفات العديدة فى المذهب المالكى ، وكان يصغى جيدا لما يلقى عليه من أدلة أهل السنة ، ويبيان مذهبه ، فإذا ما عرضت أدلة المعتزلة أو غيرهم من المذهب الأخرى أعرض عنها ، ونهى عن الخوض فيها ، وزجر من تمادى فى ذلك (١٦٨) .

وكان سلوك سلاطين بنى مرين ينبىء دائما عن حفاوتهم بالمذهب المالكى ، وعلمائه أحياء وأمواتا ، لأنه المذهب الأثير عند شعبهم ، فقد قام السلطان أبو عنان المرىنى ، بتجديد ضريح الشيخ أبى مهمونة دراس بن إسماعيل ، وهو من أوائل حملة المذهب المالكى إلى بلاد المغرب (١٦٩) . وجعل أبو عنان على قبره رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ، ونصبت عند رأسه فى رمضان سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) .

ومنذ قيام الدولة المرىنية وولع الشعب المرىنى ومثقفيه بالمذهب المالكى ظاهر وواضح فى عدد العلماء المتزايد الذين كانوا يعكفون على دراسة مؤلفات المذهب المالكى الأساسية (١٧٠) . وبلغ من هيمنة المذهب المالكى فى العصر المرىنى ، أن أحد علمائه ، بل لعله أكبر علماء مذهب مالك فى وقته ، وهو عبد الرحمن بن عفان الجزولى ، كان يحضر مجلسه العلمى أكثر من ألف فقيه ، مالكى معظمهم يستظهر المدونة (١٧١) . هذا إلى جانب العديد من علماء المذهب المالكى الآخرين الذين قاموا بتدريس المذهب المالكى فى المدارس المرىنية والمساجد ، حيث كان هذا المذهب محورا لنظام التعليم فى العصر المرىنى (١٧٢) . ومن أمثال هؤلاء العلماء ، أبو محمد عبد الله القشتالى ، المدرس بمدرسة الخلفاوين ، والذي كان يدرس فيها مختصر المدونة للبراذعى (١٧٣) . ومصباح بن عبد الله الهالصى ، الذى تنسب إليه المدرسة المصاحبة لأنه أول من درس بها المذهب المالكى (١٧٤) . وأبو الحسن الصغير الذى كان يدرس المذهب أيضا بجامع الأصدع فى فاس ، وكان يحضر مجلسه نحو مائة نفس ، واشتهر عنه أنه كان يفتح فى مجلسه أكثر من ثمانين كتابا فيعرضها حفظا عن ظهر قلب كما يقول الكتالى (١٧٥) . وقد كان فكر أبى الحسن الصغير مثارا لتأليف عدد من الكتب والمؤلفات التى تتعلق بالمذهب المالكى ، والتى ترد على بعض المسائل التى نحاض فيها أبو الحسن الصغير ، ومن ذلك الكتاب المسمى « نصرة الفقير فى الرد على أبى الحسن الصغير »

لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (١٧٦) .

ومنهم أيضا إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي تلميذ أبي الحسن الصغير ، جلس لتدريس مذهب مالك بمدرسة عدوة الأندلس ، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة (١٧٧) .
وأخيرا أحمد بن أبي محمد قاسم بن عبد الرحمن الشهير بالقباب ، الذي اشتغل بتدريس مختصر البراذعي بالمدرسة في المدينة البيضاء ، وبقراءة كتاب الموطأ بالجامع الأعظم من مدينة فاس فظهر علمه وحفظه ومعرفة (١٧٨) .

(ج) العلوم الدينية :

شهد العصر المريني ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، والتوسع في دراستها إلى مدى بعيد ، مع الميل إلى التبسيط والتفريع فيها ، ودليل ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا في هذه العلوم ، ووفرة مؤلفاتهم (١٧٩) . والذي يلفت النظر أن هذه العلوم تأثرت بالروح الدينية التي سادت المغرب أيام المرينيين ، تلك الروح التي تشبعت بالمذهب المالكي ، وأصبحت هذه العلوم تواكب هذا المذهب ، حيث عكف العلماء وتلاميذهم على دراستها والتأليف فيها ، فأبو محمد عبد الله الورياضي ، وهو أحد كبار الفقهاء في العصر المريني ، كان يعرف المذاهب الأربعة ويقوم بتدريسها وترجيح مذهب مالك عليها (١٨٠) .

١ - التفسير وعلوم القرآن :

اهتم العلماء والمفسرون في العصر المريني بدراسة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، واهتم سلاطين بني مرين أيضا بالقرآن الكريم وتفسيره ، وفهمه ، فعلى سبيل المثال كان السلطان أبو عنان حافضا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه (١٨١) . ويروى الكتابي أن أبا عنان استدعى محمد بن إبراهيم الصغار المراكشي ، وهو من علماء القراءات السبع ، فكان يعارضه القرآن برواياته السبع (١٨٢) .

ومن العلماء الذين اهتموا بتفسير القرآن الكريم ، محمد بن يوسف بن عمران المزدغي المتوفى سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) وكان محدثا حافضا ، له كتاب في تفسير القرآن (١٨٣) ، ومحمد بن محمد بن علي المعروف بابن البقال المتوفى سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) (١٨٤) ، ومحمد بن علي العابد الانصاري المتوفى سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م) الذي اختصر التفسير للزغشري ، وجرده من مسائل الاعتزال (١٨٥) . وابن البنا العددي الذي كانت له موضوعات كثيرة في التفسير وحاشية على الكشف للزغشري (١٨٦) . ومنهم أيضا الخطيب ابن مرزوق الذي كان مشاركا في

تفسير القرآن (١٨٧) . ومحمد بن أبي البركات السكاك المتوفى سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) (١٨٨) . ومحمد بن أبي غالب بن أحمد السكاك المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) (١٨٩) .

وازدهرت في العصر المريني أيضا بعض العلوم المتصلة بالقرآن الكريم كعلم القراءات ، فكان من مشاهير هذا العلم أبو عبد الله الشريشي الحراز المتوفى سنة (٧١٨ هـ / ١٤١٥ م) وهو من شريش ، أذكر أشياخا جلة من أئمة علم القراءة والضبط وعلم القراءات ، وله تأليف عديدة في ميدان علوم القرآن منها رجز بعنوان « مورد الظمان في رسم أحرف القرآن » ، وله نظم آخر في رسم القرآن سماه « عمدة البيان » ، وتأليف آخر في رسم القرآن مثل مورد الظمان ولكنه منشور (١٩٠) .

ومن شيوخ القراءات في العصر المريني أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) ، ومن تأليفه التجويد ومختصره ، والمنايع في قراءة نافع ، وترتيب الأداء ، والجمع بين الروايات في الإقراء ، وتبيين طبقات المد وترتيبها (١٩١) . ومن الأساتذة في علوم القرآن ، ميمون الفخار المتوفى سنة (٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) . وكان فقيها أستاذا ، له تأليف عدة في علوم القرآن رسما وقراءة ، منها التحفة ، والذرة والمورد المروي في نقط المصحف العلي (١٩٢) . ومن تلاميذه ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديري ، الذي ألف رجزا في القراءات سماه « النافع في أصل حروف نافع » (١٩٣) . ومن علماء القراءات أيضا محمد بن علي البقال المتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (١٩٤) . وأحمد بن محمد الزواوي (١٩٥) .

٢ - علم الحديث :

ازدهر علم الحديث في العصر المريني ، باعتبار أن الحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، ومن أوائل علماء الحديث في ذلك العصر الحافظ عبد المهيمن الحضرمي ، الذي كان إماما في علم الحديث ، وحجة في حفظه ورجاله ، ذكر الزركشي أنه كانت له أربعينيات في الحديث ، ومجلس لتدريس الحديث بتونس أيام وجود المرينيين بها (١٩٦) . وكان محمد بن عبد الرازق الجزولي من علماء الحديث الذين تألقوا في مجلس السلطان أبي عنان ، حيث كان هذا السلطان يأخذ عنه الحديث (١٩٧) .

وقد لقي علم الحديث رواجا كبيرا ، حيث كان بعض العلماء من المتصوفة كابن عاشر ، يتكسبون من نسخ كتب الحديث وبيعها (١٩٨) . ولذلك كانت كتب الحديث أوسع انتشارا من غيرها من المؤلفات الأخرى ، وبمعكس ذلك حرص الأهالي على تعليم أبنائهم للحديث ، فكان عبد الله محمد العبدوسي ، وهو أحد علماء الحديث ، يحفظ وهو صغير في

كل خميس خمسة أحاديث من صحيح مسلم ، وكان والده يعطيه على حفظها درهما (١٩٩) .

ونتابع الكلام عن رجال الحديث في العصر المريني ، فكان منهم محمد بن عبد الرحمن التميمي ، الذي يروى الحديث بأسانيده ومتونه ، ويستظهر مطولاته (٢٠٠) . ويعتبر ابن رُشيد الذي توفي سنة (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) شيخ المحدثين في العصر المريني إذ كان « فريد عصره جلالة وعدالة وحفظا وأدبا وسمتا وهديا واسع الأسمعة عالي الاستاد صحيح النقل أصيل الضبط تام العناية بالصناعة الحديثية قيما عليها بصيرا بها محققا فيها ذاكرة للرجال » (٢٠١) . له رحلته التي سماها « ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريميتين لى مكة وطيبة » وقد ملأها بمسائل الحديث بالأسانيد العديدة ، التي تدل على علو كعبه في هذا المجال (٢٠٢) . ويذكر ابن القاضي أنه كانت له دراية كبيرة بعلم الجرح والتعديل المتصل بعلم الحديث يقول : « وكان له تحقق بعلوم الحديث وضبط أسانيده وميز رجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله » (٢٠٣) .

واشتهر أيضا في هذا المجال محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) الذي ألّف تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث ، وأيضا الجامع المعد في جزأين (٢٠٤) . وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف بالقباب المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) الذي كان له مجلس كبير في الحديث حضره لسان الدين بن الخطيب (٢٠٥) . ومنهم أيضا يحيى بن أحمد السراج المتوفى سنة (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) الذي كان فقيها محدثا مكثرا في الرواية ، انتهت إليه رواية الحديث ورياسته في العصر المريني (٢٠٦) .

٣ - الفقه :

لقى علم الفقه في العصر المريني تقدما كبيرا ، يدل على ذلك كثرة الفقهاء الذي نبغوا وتفوقوا فيه في هذا العصر ، والمؤلفات الكثيرة التي ألّفت في مختلف فروع الفقه ، ويرجع البعض السبب في نهضة الفقه في العصر المريني إلى ما تعرض له الفقهاء ، وعلماء الفقه من الضغط والتحرش بهم في العصر الموحدى ، الأمر الذي دعا الفقهاء إلى معاودة نشاطهم بقوة كبيرة في العصر المريني ، خاصة وأن الفقهاء أصبحت لهم المكانة السامية في البلاط المريني ، وفي مجالس العلم ، التي كانت تعقد في هذا البلاط ، كما تولى الفقهاء أرفع المناصب في الدولة في مجالات منها القضاء والخطابة والإفتاء ، ولذلك امتازت كتاباتهم بكثرة الجمع والتحصيل ، وحسن التصرف والتعليل (٢٠٧) .

ومن أشهر العلماء المشتغلين بالفقه في العصر المريني محمد بن محمد الإبن أحمد المقرئ المعروف (بالمقرئ الكبير) المتوفى سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) (٢٠٨) وأحمد بن قاسم بن

عبد الرحمن الجذامي الذى عرف (بالقباب) ، والمتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) . وكانت له مجالسه فى الفقه والأصول ، وأخذ عنه الفقه جماعة من جلة العلماء كالشاطبى ، ومن مؤلفاته ، اختصار أحكام النظر لابن العطاف ، وشرح على قواعد عياض ، وشرح على بيوع ابن جماعة ، وكان فكر القباب مثارا لتأليف بعض الكتب فألف العقبانى « لب الباب فى مناظرات القباب » (٢٠٩) .

ومما يلفت النظر أن كبار علماء الفقه فى الدولة المرينية ، كانوا يعيرون طريقة المختصرات التى حرص على وضعها بعض العلماء والفقهاء وبخاصة فى ميدان الفقه ، وقد عارضها هؤلاء العلماء معارضة كبيرة ، وكان القباب يرى أن ابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، أفسدوا الفقه بما ألفوه من مختصرات فى هذا العلم ، وقد عبر عن هذا القباب حين لقي ابن عرفة فى تونس وعرض ابن عرفة على القباب مختصره الفقهى (٢١٠) . فقال له القباب « تأليفك هذا لانفع به للمبتدئ لصعوبته ولا يحتاج إليه الشهير » (٢١١) . وكان ذلك الاعتراض سببا فى أن ابن عرفة أخذ فى بسط عبارته فى آخر مختصره وكذلك اعترض اليزناسنى ، وهو الفقيه الكبير على ابن شاس ، حين استشاره ابن شاس فى وضع مختصره الذى سماه (الجواهر) ، فأشار عليه اليزناسنى ألا يفعل . ولكن ابن شاس ، مضى فى تأليف مختصره ولم يعمل بإشارة اليزناسنى (٢١٣) .

(د) المواد العلمية :

لم تكن الحياة الفكرية فى الدولة المرينية قاصرة على العلوم الدينية ، وإنما شملت أيضا مختلف المواد العلمية الأخرى ، كاللغة والنحو ، والتاريخ والسير والرحلات ، والجغرافيا والفلك ، والرياضيات ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب . وهذه العلوم قامت بدورها فى إذكاء الحركة الفكرية ، ودعمها فى العصر المرينى حتى أصبح التقدم فى مجالاتها سمة من سمات هذا العصر .

١ - اللغة والنحو :

تابع علماء اللغة فى العصر المرينى الجهود التى بذلها علماء اللغة فى العصر الموحدى ، تلك الجهود التى كانت تستهدف التعرف على أسرار اللغة ومعانيها (٢١٤) . وقد زاد من اهتمام العلماء فى العصر المرينى بعلوم اللغة ، نشاط حركة البحث فى العلوم الدينية من تفسير وقرآيات وفقه وحديث ، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم ، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة ، إذ هى الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم . ولذلك كان معظم العلماء فى العصر المرينى على صلة كبيرة بالدراسات اللغوية ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى دعم اللغة العربية وتقويم الألسنة فى ذلك العصر .

ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن البقال المتوفى سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) ، كان له حظ وافر من الأدب واللغة والبيان والعروض (٢١٥) .
ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن الشيخ الكبير الذي كان له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب (٢١٦) .

ومن العلماء الذين كانت لهم اهتمامات كبيرة بعلوم اللغة محمد بن يحيى العبدري المعروف (بالصدفي) ، كان إماما في العربية ذا كرا للغة (٢١٧) . ومنهم أيضا إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج ، ومن مؤلفاته في علوم اللغة ، كتاب في التورية على حروف المعجم أكثره مروى بالأسانيد ، وثالث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين (٢١٨) .

وأدى اهتمام العلماء في مختلف التخصصات بعلوم اللغة إلى نهضة كبرى في علم النحو ، فظهر عدد كبير من علماء النحو البارزين ، منهم على سبيل المثال ، محمد بن موسى السلوى المتوفى سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، الذي أظهر تفوقا واضحا في تدريس علم النحو بفاس ، ومن الكتب التي كان يهتم بتدريسها في فاس كتاب سيبويه (٢١٩) .

ويعتبر ابن آجروم أشهر علماء النحو في العصر المريني ، وهو صاحب المقدمة المشهورة باسم الأجرومية ، وقد وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو (٢٢٠) . وقد استفاد منه كثير من العلماء كالسيوطي الذي عرف منه كثيرا من مسائل النحو ، وقبـل ذكر ذلك صراحة في بغية الوعاة فقال : « وهنا شيء آخر وهو أنا استفدنا من مقدمته (ابن آجروم) أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو لأنه غير بالخفض مرة وهو عبارتهم وقال : الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم » (٢٢١) . وقد نقل السيوطي في بغيته عن الراعي ألوانا من العلوم الأخرى التي برع فيها ابن آجروم مثل الفرائض والحساب ، وله مصنفات وأراجيز في القراءات ، ولكن الغالب عليه معرفة النحو والقراءات ، وكان يلقن علومه ومعارفه لأهل فاس حتى توفي سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) (٢٢٢) .

ومن النحاة الذين تألقوا في العصر المريني محمد بن علي بن حياقي الغرناطي ، النحوي المحقق المتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (٢٢٣) . ومحمد بن علي (البقال) الذي كان له تحقيق في علم النحو والمتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (٢٢٤) ومن نخبة العصر المريني المشهورين أيضا عبد الرحمن بن صالح بن علي المكودي المتوفى سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) ، وهو أحد النحاة المبرزين بمدينة فاس ، له شرح على ألفية ابن مالك ، أجاد فيه غاية الإجابة ، وكذلك أكـب على فهمه طلبة مدينة فاس ، وله نظم في

التصريف ، وشرح على مقدمة ابن آجروم (٢٢٥) . ومنهم أيضا الجاديري المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، صاحب كتاب المذكر والمؤث (٢٢٦) .

٢ - التاريخ والسير والرحلات :

تألق في العصر المريني عدد كبير من المؤرخين ، وكتاب السير والرحلات وقد أرخ معظم هؤلاء للدولة المرينية ، والبحث اعتمد على عدد كبير من أبحاث هؤلاء المؤرخين . وتناولت معظم هذه المؤلفات بالدراسة في البحث الخاص بمصادر الرسالة . ومن هؤلاء المؤرخين ابن أبي زرع صاحب الأنيس المطرب ، وابن عذارى المراكشي صاحب البيان المغرب ، والجزنائي الذي ألف كتاب زهرة الآس في تاريخ بناء مدينة فاس ، وابن خلدون ومؤلفه الضخم العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ولسان الدين بن الخطيب ، صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة ، وابن مرزوق الخطيب ومؤلفه الضخم عن أبي الحسن المريني ، والذي سماه ، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن . وقد تهيأ هؤلاء الثلاثة ابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابن مرزوق ، ما لم يتهيأ لغيرهم من المؤرخين ، إذ أنهم كانوا على صلة قوية بسلطين بنى مرين والبلاط المريني ، ومن ثم كانوا يراقبون أحداث العصر المريني في أيامهم عن كثب ، لذا حفلت مؤلفاتهم بكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن الدولة المرينية .

ومن مؤرخي العصر المريني أيضا إسماعيل بن الأحمر ، الذي أوى إلى كنف بنى مرين ، وتضمنت مؤلفاته كروضة النسرين ، والنفحة النسرينية واللمحة المرينية كثيرا من أخبار بنى مرين ، كما عاش في العصر المريني ، صاحب الحلل الموشية ، وصاحب الذخيرة السنية ، وابن عبد الملك المراكشي ، وهو من كتاب السير والتراجم ، وأبي عبد الله الزرعي السبتي ، وله مؤلف ضخم يقع في أربعين سفرا رتب على حروف المعجم في أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم (٢٢٧) . ومن المؤرخين أيضا ابن القنفذ ، صاحب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (٢٢٨) .

ويضاف إلى هؤلاء المؤرخين الرحالة من أمثال العبدري صاحب الرحلة الشهيرة (٢٢٩) ، وابن رُشيد صاحب رحلة ملء العيبة (٢٣٠) . وابن بطوطة ورحلته المشهورة ، التي أمر السلطان أبو عنان ابن حزي الكلبى بتلويها ، وصياغتها ، صياغة أدبية ، كانت من أعظم ماكتب في أدب الرحلات (٢٣١) .

من الرواد المؤرخين للحضارة الإسلامية أبو الحسن علي الخزاعي التلمساني ، الذي ألف كتابا عن الحضارة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ بعنوان «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية» ، (٢٣٢) . وفي هذا الكتاب لم يترك أبو الحسن خطة ولا وظيفة ولا مرتبة ولا صناعة ، أو عملا آخر من

أعمال المجتمع الإسلامى إلا وأثبت أصله فى الإسلام ، ودليله من السنة وعمل الخلفاء الراشدين ، وأول من باشر تلك الأعمال من الصحابة ، أو ممن ولاه الرسول ﷺ عليها (٢٣٣)

٣ - الجغرافيا والفلك :

ظهر فى العصر المرنى عدد من العلماء الذين اهتموا بالدراسة والبحث فى علمى الجغرافيا والفلك ، ومنهم على سبيل المثال ، ابن البناء العددى المتوفى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) (٢٣٤) . ويقف ابن البناء على قمة العلماء فى هذين العلمين ، حيث ذكر ابن شاطر أن ابن البناء العددى كان ينظر فى أحكام النجوم ، وعلم الهيئة ، ومؤلفاته فى مجالى الفلك والجغرافيا تشهد بتفرده فى هذين العلمين . ومن هذه المؤلفات ، تنبيه الفهوم على مدارك العلوم ، وله رسالة فى الرد على مسائل مختلفة نجومية وفقهية ، ومنهاج الطلاب فى تعديل الكواكب ، والمستطيل والسيارة فى تعديل الشارة ، وله المناخ من تعديل الكواكب ، والمناخ فى رؤية الأهلة ، والمناخ فى تركيب الأرياح ، وتأليف فى أحكام النجوم ، ومداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية ، ومقالة فى علم الاسطرلاب ، ورسالة العمل بالصفحة الزقالية ، وأخرى فى السكازية (٢٣٥) .

وإلى جانب هذه المؤلفات ، له عدة قوانين تمثل خلاصة دراساته وأبحاثه ، مثل قانونه فى معرفة الأوقات بالحساب ، وقانون فصول السنة ، وقانون ترحيل الشمس ، وله كلام عمل الطلسمات ، وكلام على الزجر والقال والكهانة ، وكلام على خط الرمل (٢٣٦) .

ومن علماء الفلك فى العصر المرنى عبد الرحمن بن محمد الجادهرى المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، الذى كان جغرافيا فلكيا متفوقا جمع بين العديد من المهارات المتعددة ، من العمل بآلة الاسطرلاب ، وبالصفحة السكازية ، وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول ، وله مؤلفات جغرافية منها ، تنبيه الأنام على ما يحدث فى أيام العام ، وروضة الأزهار فى علم وقتى الليل والنهار (٢٣٧) .

٤ - الرياضيات :

نشط علم الرياضيات فى العصر المرنى ، يشهد بذلك النشاط الصناعى الضخم وحركة البناء والتعمير الكبرى التى كانت فى أيام المرنين ، إذ هى تمثل الجانب التطبيقى لهذا العلم ، حيث تقدمت فى هذا العصر الآلات والأجهزة العلمية كالاسطرلابات والساعات ، وهذه الآلات والأجهزة اعتمدت كثيرا على علم جر الأثقال أو الميكانيكا (٢٣٨) .

ومن علماء الرياضيات البارزين في العصر المريني محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج المتوفى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (٢٣٩) . وهو من الوافدين إلى فاس من إشبيلية ، برع في الحيل الهندسية ، ونقل الأجرام ، ورفع الأثقال ، ونظرا لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة ، فقد أشرف على بناء دار الصناعة البحرية في مدينة سلا (٢٤٠) .

ومن علماء الرياضيات أيضا محمد بن الشيخ الكبير ، الذي برع في علم الحساب (٢٤١) ، وكذلك ابن البناء العددي المتوفى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ، وهو الذي ألف كتاب التلخيص في علم الحساب ، ورفع الحجاب عليه (٢٤٢) . وأحمد بن عبد الله العطار المتوفى سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) ، وهو من العلماء البارزين في علم الحساب (٢٤٣) .

٥ - الفلسفة والمنطق :

شهد العصر المريني نشاطا في علمي الفلسفة والمنطق ، ولكن الدراسة في علم المنطق كانت أكثر من الفلسفة ، لأن المشتغلين بالمنطق ، لم يلقوا المعارضة ، أو المقت الذي كان يلقاه المشتغلون بالفلسفة ، فابن الخطيب يذكر أن أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني ، وهو من المشتغلين بالعلوم والفلسفة ، مُقت لاشتغاله بعلم الفلسفة (٢٤٤) . ورغم ذلك كان هناك عدد من المشتغلين بالفلسفة والمؤلفين فيها من أمثال محمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسي المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) وهو الذي اختصر المقدمات لابن رشد (٢٤٥) .. ومن مؤلفاته أيضا الأسئلة والأجوبة ، واختصار الحدود للشيرازي (٢٤٦) . ومنهم أيضا ابن البناء العددي الذي ألف في الفلسفة ، مراسم الطريقة في علم الحقيقة ، وله شرح عليه ، والمقالات الأربع (٢٤٧) .

أما المنطق فيلاحظ أن العلماء الذين درسوا المنطق كانوا من هؤلاء العلماء الذين استفادوا منه في دراستهم لعلوم أخرى كالفلك والرياضيات ، كابن البناء العددي الذي ترك مؤلفات عديدة في المنطق منها الكليات في المنطق وشرح عليه ، والقوانين ، الذي وضعه ابن البناء لابن القاضي العمراني ، والأصول والمقدمات (٢٤٨) . ومنهم المقرئ الكبير الذي كان مشاركا في الأصلين الجدل والمنطق (٢٤٩) .

٦ - الطب :

وهو من العلوم التي لقيت رواجاً كبيراً ، لاهتمام المربين بصحة المواطنين في دولتهم ، ولكثرة المارستانات التي أنشئت لعلاج المرضى والمصابين في عهدهم ، ومن مشاهير العلماء المشتغلين بالطب ، أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بابن شعيب المتوفى سنة

(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٢٥٠) . تتلمذ ابن شعيب على يد يعقوب الدراس بتونس ، فأخذ عنه الطب والهيئة ، وسافر إلى غرناطة ، وهناك قام بدراسة ضخمة عن تغيير الأدوية المنفردة (٢٥١) . ومنهم أيضا محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي المتوفى سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، وكان له « نظر في الطب ودون فيه » (٢٥٢) .

ومن الأندلسيين الذين عملوا بالطب في العاصمة المرينية فاس محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي ، رحل هذا الطبيب إلى فاس ، حيث تولى بها الإشراف على المارستان ، كان ذلك في ربيع الثاني سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) في عهد السلطان أبي عنان المريني (٢٥٣) .

ومن المؤلفات الطبية المشهورة في العصر المريني ، الكتاب الذي ألفه ابن الخطيب وعنوانه « عمل من طب لمن حب » وهو مؤلف طبي كبير ، تناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة ، مع ذكر أسباب كل مرض ، وأعراضه ، وطرق علاجه ، وتحولاته ، ونظام الغذاء الذي يناسبه ، كما يتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها ، وذكر ابن الخطيب في مقدمة الكتاب ، أنه لم يجد لخدمة أبي سالم أفضل من الطب ، فألف له هذا الكتاب تعبيراً عن حبه لهذا السلطان ، وكان ذلك في سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) (٢٥٤) .

(هـ) المكتبات :

حرص المرينيون على تدعيم العلم والعلماء ، بإنشاء المكتبات اللازمة لهم ، وكانت هذه المكتبات ركائز قوية للحركة الفكرية في الدولة المرينية ، فأول سلاطين بني مرين يعقوب ابن عبد الحق ، زود المدرسة التي أنشأها ، والمعروفة باسم مدرسة الصغارين ، بمجموعة فريدة من الكتب ، ذكر بعض المؤرخين ، أنها تألفت من ثلاثة عشر حملاً ، وهذه الكتب هي التي طلبها السلطان يعقوب بن عبد الحق من شانجة - (سانشو) ملك قشتالة - أن يرسلها إلى المغرب بعد أن تم توقيع الصلح بينهما في أثناء عبوره الرابع إلى بلاد الأندلس سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، وكانت هذه الكتب نواة للمكتبة السلطانية بفاس (٢٥٥) . وذكر السلاوي أن هذه الكتب ضمت « جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحها كالتلخيص والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك » (٢٥٦) .

وجرت العادة في المغرب أن تكون دور الكتب بالمساجد والأربطة والمدارس ، وأعظمها ما يكون بقصر السلطان (٢٥٧) . إلا أن إنشاء دار مستقلة للكتب في العصر المريني

بوجه خاص ، يرجع الفصل فيه للسلطان أى عنان المرينى ، فمن رغبة هذا السلطان فى العلم وحب له ، نبعت فكرة إنشاء دار للكتب على نحو ماهو معروف لدينا الآن ، إذ احتوت هذه الدار على كتب تخدم شتى العلوم كما يقول الجرتائى « من علوم الأبدان والأديان واللسان والأدهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها » (٢٥٨) . وقد جرى المرينيون فى تنظيم هذه المكتبة على ماهو معروف الآن من استخدام أمناء المكتبات لحفظ الكتب ، وتنظيمها ، واستقبال الزائرين للمكتبة ، وتقديم الكتب التى يرغبون فى الاطلاع عليها (٢٥٩) .

وقد ألحق أبو عنان بهذه المكتبة الكبرى ، خزانة كبرى للمصاحف ، أعد بنفسه تصميمها « وسهل بها على الناس تلاوة القرآن فى كل وقت من الأزمان وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجلييلة السنية وأباحها لمن أراد التلاوة فيها ... وكتب (أبو عنان) فوق هذه الخزانة « مانصه الحمد لله أمر بإنشاء هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس أيد الله أمره وأعز نصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبعمائة رزقنا الله خيرها » (٢٦٠) . ولم تكن المكتبات العامة فى العصر المرينى فى العاصمة فاس وحدها ، وإنما كانت هناك بعض المدن فى المغرب الأقصى اشتهرت بكثرة الكتب الموجودة بها فى العصر المرينى ، مثل سبتة ، التى كانت كما يصفها المقرئ خزانة للكتب (٢٦١) .

(و) الأدباء والشعراء :

شهد العصر المرينى حركة أدبية واسعة ظهرت قوة متفوقة ، ساعد على قوتها وازدهارها تشجيع سلاطين بنى مرين وأمرائهم للأدباء والشعراء فى دولتهم ، واجزالهم العطاء لهم ، فنبغ عدد كبير من الشعراء والأدباء فى ظل البلاط المرينى ، واحتلوا مكانة مرموقة ، ووظائف كبرى ، فالشاعر أبو القاسم رضوان البرجى ، تولى وظيفة إنشاء بواب السلطان أى عنان المرينى (٢٦٢) . وأعطى السلطان يعقوب بن عبد الحق الشاعر عبد العزيز الملووزى ، ألف دينار وخلعة على قصيدة نظمها وأنشدت بمحضره فى يوم عيد الفطر (٢٦٣) . وكان الأمير أبو مالك - أول ولى عهد لبنى مرين - يكافئ نفس الشاعر الملووزى على اشعاره ، وخاصة مايرتجله من الشعر ، حتى إنه أعطاه فى يوم خمسمائة دينار وكسوه (٢٦٤) . ومن الشعراء من أوكلت إليه مهمة الرد على الرسائل الشعرية التى كانت توجه إلى السلطان المرينى أحيانا من بلاط بنى الأحمر فى الأندلس ، وكان الشعراء فى هذه الحالة يدبجون القصائد التى تتضمن الأفكار التى يريد السلطان المرينى أن يعبر عنها . ومن ذلك أن ابن الأحمر سلطان غرناطة أرسل قصيدة إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق بعد واقعة (زنة) المشهورة يستعطفه على لسان شاعره أى عمرو بن البرابط يقول فى مطلعها (٢٦٥) :

هل من معينى فى الهوى أو منجدى من متهم فى الأرض أو من منجد
هذا الهوى ذاع فهل مسعف باجابة واناة أو مسعد

وقد صُدِّر السلطان يعقوب بن عبد الحق جوابه على رسالة ابن الأحمر بنظم لشاعره عبد العزيز الملزوزى « بما نصه ليك لا تخشى اعتداء المعتدى .. الخ .. وكذلك أجاب عنها مالك بن المرحل بقوله شهد الاله وأنت بأرض اشهدى الخ . فأجابهما أبو عمرو بن المرباط كاتب ابن الأحمر بقوله قل للبغاء وللعداء الحسد .. الخ » (٢٦٦) . وقد أتاحت هذه المناسبات ازدهارا كبيرا لشعر المناسبات فى العصر المرينى ، وشعر الوصف أيضا ، حيث كان سلاطين بنى مرين يمدون متعة كبيرة - وخاصة المتلوقين منهم للشعر - فى تكليف الشعراء بوصف ما يروق لهم من أشياء ، فالسلطان أبو عنان ، كلف شاعره أبا القاسم النجارى ، بوصف صيد رآه فى غدِير ، فقال (٢٦٧) :

ولرب يوم فى حماك شهدته والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يهلك من صفحاته درعاً تحيّد به الرياح صيقلها
والمنشآت به تدير حبالاً للصيد فى حيل تدير حبالها

كما كان ولاية الأمر فى الدولة المرينية ، على قدر رفيع من تنوع الأدب والشعر ، فأبو عنان المرينى ، يستقبل الخليلى ، الذى قدم سفيرا عن سلطان غرناطة ابن الأحمر ، أنشد فى حضرة أبي عنان ، أبياتا لابن خفاجة يفتخر فيها ببلاد الأندلس ، فقال أبو عنان عن ابن خفاجة « كذب هذا الشاعر - يشير بذلك إلى كونه جعلها (الأندلس) جنة الخلد ، وأنه لو خير لاخترها على ما فى الآخرة - وهذا خروج من ربة الدين » (٢٦٨) . فقال الخليلى : « يامولانا بل صدق الشاعر لأنها موطن جهاد ، ومقارعة للعدو وجلاد ، والنبى ﷺ الرؤوف الودود الرحيم العطوف يقول : « الجنة تحت ظلال السيوف » ، فاستحسن منه (أبو عنان) هذا الكلام ، ورفع عن قائل الأبيات الملام ، وأجزل صلته (الخليلى) » (٢٦٩) .

وكان من بين سلاطين بنى مرين وأمرائهم شعراء موهوبون ، ينظمون الشعر ، وأن كان يغلب على قصائدهم القصر ، ومن هؤلاء السلاطين ، السلطان أبو العباس أحمد المرينى الذى تولى أمر بنى مرين سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ، فهذا السلطان كانت له ميول أدبية وولع بالشعر ، يقول عنه الكتانى : « كان أدبيا شاعرا مجيدا مدركا بديع التشبيه » (٢٧٠) . ومن شعره (٢٧١) :

يا عاذلى دع عنك عدل العاذل واخلع عذارك فى الحبيب الواصل

وإذا ذكرت عشية بمحاسن فاذكر عشائنا بدار العادل
وله أيضا :

أما الهوى يا صاحبي قالفته وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيت فوت النفوس وحليها فتخذته دينا إلى ومذهبا
وكان الأمير أبو مالك بن أبي يوسف ، يروى كثيرا من الشعر ، ويأخذ نفسه بنظمه ،
فينظم منه البيتين والثلاثة ، فمن شعره في الافتخار بنفسه (٢٧٢) :

أجود بمالى لكل العفاة واقتحم الهول فى العضلات
أقود الجيوش وأصلى الحروب واقتطف الهام بالمرهفات
وأحمى ثغرى من أن تنال وأغزو وأنهب أرض العُدات

كما شغل الأدب أذهان الناس على اختلاف مستوياتهم ووظائفهم فى الدولة المرينية ،
فجلسوا يتحاورون فى معنى لفظ ، أو تشبيه شئ ، ومن ذلك ما رواه المقرئ على لسان أبى
عبد الله بن جُزَى الأندلسى ، كاتب السلطان أبى عنان المرينى ، قال : تنازع الكتاب أرباب
الأقلام والروساء أصحاب السيوف فى تشبيه العذار ، وقالت كل فرقة : لا نشبه إلا بما هو
مناسب لصنعتنا ، فلما فرغوا قال ابن جزى معبرا عن ذلك (٢٧٣) :

أتى أولو الكتب والسيوف الأولى عزموا
من بُعد سيلمى على حرب وإسلامى
بكل معنى بديع فى العذار على
ما تقتضى منهم أفكار أحلامى
فقال ذو الكتب : لا أرضى المحارب فى
تشبيهه لا وأنفاسى وأقلامى
وقال ذو الحرب : لا أرضى الكتاب فى
تشبيهه ومظلاتى وأعلامى
فقلت أجمع بين المدهيين معا
باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وتعددت أغراض الشعر التى تناوها الشعراء فى العصر المرينى ، ومن هذه الأغراض
الثناء ومن الذين برعوا فيه الشاعر أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ، الذى اشتهر بمراثيه
العديدة فى جاريته صبح ، وكانت هذه الجارية رومية من أجمل الجوارى حسنا ، فأدبها ذلك
الشاعر ولقنها حظا كبيرا من العربية ، حتى نظمت الشعر ، واشتد حبه لها وغرامه بها ،

وما لبثت أن ماتت ، وهو أشد ما يكون حبا لها ، فكان بعد وفاتها لا يرى إلا في تأوه دائم ،
وأسف شديد على وفاتها ، ومن رثائه لها قوله (٢٧٤) :

ياقبر صُبْحَ حَلِّ فيكِ بمهجتي أسنى الأمانى
وغدوت بعد عيانها أشهى البقاع إلى العيان
أخشى المنيعة أنها تقضى مكانك عن مكان
كم بين مقبور بفاس وقابر بالقيرروان

ويروى عن ابن شعيب ، أنه كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر المحدثين (٢٧٥) .

وقد اشتهر في العصر المريني عدد كبير من الشعراء منهم محمد بن محمد
القشتالي (٢٧٦) . ومحمد بن عبدون الذى أطلق عليه شاعر أهل العلوة (٢٧٧) .

ومن أعظمهم مالك بن المرحل « وكان شاعرا رقيقا مطبوعا نافذ الدهن شديد الإدراك
قوى العارضة سريع البديهة رشيق الألفاظ حلو الدعاة » (٢٧٨) . توفي سنة
(٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) . « وكان شاعر المغرب في وقته واستعان على ذلك بالمقاصد
اللسانية لغة وبيانا وعربية وعروضا وحفظا واطلاعا ... له أنظام بدعية وتأليف حسنة منها
التوشيات النبوية على حروف المعجم والتزم افتتاح بيوتها بمحروف السروى سماها الوسيلة
الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى ، ومنها كتاب الفصيح لثعلب وشرحه » (٢٧٩) .
« أوصى مالك بن المرحل أن يكتب على قبره أبيات أربعة هي (٢٨٠) :

زُرْ غريبا بمغرب نازحا ماله ولى
تركوه موسدا بين ترب وجندل
ولتقل عند قبره بلسان التزلزل
رحم الله عبده مالك بن المرحل

كما لمع في البلاط المريني عدد كبير من الشعراء الأندلسيين ، الذين وفدوا إلى هذا
البلاط وشغلوا فيه - بفضل ما تمتعوا به من ملكات أدبية وشعرية - أرق مناصب الدولة ،
وقد رحل بعض هؤلاء الشعراء إلى المشرق ، فجمعوا في أسلوبهم بين رقة المشاركة ، وجزالة
المغاربة ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الحاج التميمي الغرناطي ، الذى غذى البيعة الأدبية في العصر
المريني بكثير من ألوان الشعر التى روى بعضها المقرئ في كتابه نفح الطيب ، ومن بينها
قصيدة من خمسة وثلاثين بيتا ، يهنيء فيها الشاعر السلطان أبا عنان عند شفائه من مرض ألم
به (٢٨١) . ومنهم أبو القاسم بن رضوان النجارى ، الذى تولى وظيفة الإنشاء بباب سلطان
المغرب أوى عنان المريني (٢٨٢) .

ويعد لسان الدين بن الخطيب أشهر هؤلاء الشعراء الأندلسيين ، الذين عاشوا أمدا طويلا ، بين ربوع الدولة المرينية ، وكانت قريحة ابن الخطيب تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التي تمر بها الدولة المرينية في الفترة التي أقام فيها في الدولة المرينية ، ومن ذلك نونيته المشهورة ، وهي قصيدة طويلة ، مدح فيها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان ، والقصيدة تزيد على المائة بيت. يقول في مطلعها (٢٨٣) :

أطاع لسانى في مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تِلْسانِ

وكان ابن الخطيب قد كتب قبل هذه القصيدة نثرا ، خاطب به السلطان أبا سالم المريني حين ورد على ابن الخطيب - وهو مقيم بشالة سلا - رسالة تحبزه بفتح أى سالم لتلمسان ، وكانت هذه الرسالة بمثابة برقية تهنئة منه لأبى سالم المريني (٢٨٤) .

وكانت أول أعمال ابن الخطيب الأدبية المغربية قصيدته التي أنشدها بين يدى السلطان أبى سالم المريني في حفل مشهود حين قدومه إلى المغرب ، وكانت هذه القصيدة بداية لحياة ابن الخطيب الأدبية المغربية ، وفي مطلع هذه القصيدة يقول (٢٨٥) :

سلا هل لديها من مخيرة ذكرُ وهل أعشب الوادى ونمٌ به الزهرُ
وهل باكر الوسمى داراً على اللوى عفت آيها إلا التوهّم والذكرُ

وتميزت أشعار ابن الخطيب المغربية بطول النفس ، فكثير من هذه الأشعار كان من المطولات ، وهذا يدل على ارتباط الشاعر النفسى ببنى مرين ، وقوة عاطفته نحوهم ، وتنوعت الأغراض التي قبلت فيها هذه المطولات بين الأغراض السياسية والاجتماعية ، فمن مطولات ابن الخطيب التي خاطب بها السلطان أبا عنان المريني على أثر انصرافه من بابه ، هذه القصيدة التي بلغت مائة بيت يقول في مطلعها (٢٨٦) :

أبدى لداعى الفوز وجهَ منيبٍ وأفاق من عَدَلٍ ومن تأنيبٍ

وأخيرا ، فقد كان هؤلاء الشعراء الأندلسيون سببا في دفع الحركة الأدبية ، وخلق جيل من الشعراء المغاربة ، بما أوجدوه في الدولة المرينية من حيوية في مجال الشعر .

ولإلى جانب الشعراء كان هناك الأدباء الذين حلقوا فن الكتابة ، التي ازدهرت كثيرا في العصر المريني بسبب وجود عدد كبير من مشاهير الكتاب من أمثال ، عبد المهيمن الحضرمي ، وابن خلدون وابن مرزوق الخطيب . كانت كتاباتهم نماذج فذة في فن النثر . وقد شجع سلاطين بنى مرين هؤلاء الكتاب ، وضموا كثيرا منهم إلى ديوان الإنشاء وتعتبر الرسائل التي صدرت عن هذا الديوان بأقلام هؤلاء الكتاب - إلى بلاط المماليك في مصر ، وبنى الأحمر في الأندلس - نماذج طيبة لفن الكتابة في ذلك العصر .

ومن الفنون الأدبية الأخرى التى عرفها العصر المرينى فن المقامات ، ومنها « مقامة الافتخار بين العَشر الجوار » لعبد المهيمن الحضرمى (٢٨٧) . كما ارتقى فن الخطابة ، وقد مارسها كثير من سلاطين بنى مرين ، خاصة خطيبهم التى كانوا يوجهونها إلى جنودهم ، قبل بدء القتال ، ومن تلك الخطب ، خطبة السلطان أبى يعقوب يوسف المرينى ، قبل إحدى معاركه الكبرى بأسبانيا ، يقول فيها : « يامعشر المسلمين ، وعصابة المجاهدين : أن هذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وإن اللجنة قد منحت لكم أبوابها وزيدت أترابها فخذوا فى طلابها ، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين ، فى جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات شهيدا ، ومن عاش عاش غاثا مأجورا حميدا ، فاصبروا وصابروا وربطوا واثقوا الله لعلكم تفلحون » (٢٨٨) . ومن نماذج الخطابة فى العصر المرينى الخطب الدينية التى كانت تلقى فى المواسم الدينية ، وأيام الجمع ، والأعياد ، ولاهين عباد الرندى مدونة ، تحفل ببعض الخطب ، كان الخطباء فى العصر المرينى يحرصون على قراءة ما يتعلق منها بالمولد النبوى فى حضرة السلطان المرينى تبركا بها ، وكذلك يقرعونها فى المجتمعات فى المواسم والأعياد (٢٨٩) . كما كان هناك من فنون النثر المناظرات ، ومن أمثلتها ، المناظرة التى كانت بين مالك بن المرحل وابن أبى الربيع النحوى ، حول لفظة وقعت فى شعر مالك بن المرحل وهى لفظة « كان ماذا » وأنكرها عليه ابن أبى الربيع (٢٩٠) .

(ز) التصوف :

وقبل أن نختتم البحث ينبغى أن نتحدث عن التصوف الذى كان له دوره فى الحركة الفكرية ، حيث امتاز العصر المرينى بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته ، ولم يكن سلاطين بنى مرين يشعرون بأى خطر من امتداد نفوذ الصوفية ، لأن الدولة المرينية كانت قوية مهيبة الجانب ، ولأن المرينيين من ناحية أخرى انصرفوا إلى استكمال بناء صرح الحضارة المغربية (٢٩١) . وتطلب ذلك المزيد من حرية الفكر ، التى أتاحها المرينيون للجميع وفى ظلها ازدهر التصوف . وصرنا نرى معظم سلاطين بنى مرين قريبين من كبار أقطاب التصوف أحياء وأمواتا ، فالسلطان أبو الحسن المرينى هو الذى بنى مسجد العباد بالقرب من قبر قطب التصوف أبى مدين شعيب ، وجاء المسجد آية من آيات الفن المعماري فى العصر المرينى (٢٩٢) . وأبو عنان المرينى بنى مسجدا لقطب آخر من أقطاب التصوف وهو الحلو (٢٩٣) .

ودأب كثير من سلاطين بنى مرين على متابعة زيارة قبور هؤلاء المتصوفة تبركا بهم ، وإظهارا للاهتمام بهم ، فأبو الحسن المرينى كان يزور قبر أبى مدين شعيب فى يوم الأربعاء من كل أسبوع (٢٩٤) . ويروى الكتانى أن السلطان أبا العباس أحمد بن أبى سالم حضر جنازة الصوفى ابن عاشر الذى كان عند أهل فاس بمثابة الشافعى عند المصريين (٢٩٥) .

ولقى المتصوفة الأحياء تقدير سلاطين بنى مرين ، واحترامهم ، فكانوا يحفظون لهم مكانتهم ويقدرهم دورهم الدينى ومكانتهم العلمية والصوفية ، بل أن بعض المتصوفة كان يفرض شروطا معينة حين يطلب السلطان المرينى لقاءه ، وكانت مكانة هؤلاء الزهاد والمتصوفة تدفع السلاطين إلى قبول هذه الشروط فى مقابل لقاءهم والاستماع إليهم ، وإلى مواعظهم ، ونصائحهم ، وقد حدث هذا حين فرض الشيخ أبو عبد الله الكومى الضرير المراكشى على السلطان أبى الحسن المرينى شروطا ، قبلها هذا السلطان ، والترم بها تماما طول فترة اللقاء مع الشيخ المتصوف (٢٩٦) . ونفس السلطان ، انتقل بنفسه إلى مدينة آسفى ، للقاء الشيخ المتصوف أبى عبد الله الهزمى ، ويحكى ابن مرزوق قصة هذا اللقاء فيقول : « فلما وصل (أبو الحسن) بموكبه إلى المسجد .. ثم لما دخل إلى الصحن والشيخ (الهزمى) على حاله مستندا إلى القبلة وكان آية وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة أردت (ابن مرزوق) أن أشير على الشيخ بلقائه وأنا وأبو الفضل بن أبى مدين فنهانا (أبو الحسن) عن ذلك وقصده فقبل يده وجلس بين يديه وقبل الشيخ كذلك يديه نفعه الله وقال (أبو الحسن) ياسيدى أوصنى أفدنى أدع لى فأوصاه وأفاده ودعا له فقال له (أبو الحسن) ياسيدى هالك تقبل مناما تلبسه بحسب البركة مما نتخيره فقال يأمر المسلمين هذه الجبة على نحو من عشرين عاما وكأنها لم ينتصف عنها اللباس ومن البعيد أن يبقى من العمر قدر مامر بها وأنا اليوم فى الثمانين » (٢٩٧) .

وجدير بالملاحظة أن المتصوفة فى العصر المرينى تركوا بصماتهم على كثير من جوانب الحياة فى المجتمع المرينى سواء من الناحية السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية ، فكان من بين المتصوفة من تولى منصب القضاء ، كالحسن بن عثمان التجانى (٢٩٨) ، ومحمد بن على الكزولى (٢٩٩) . ومحمد بن أحمد بن بكر بن يحيى المقرئ الذى كان قاضيا للجماعة بفاس ، وألف فى التصوف كتابه المعروف باسم « إقامة المريد ورحلة المتبتل » وكتاب « الحقائق والرقائق » (٣٠٠) ومن المتصوفة من تولى الإمامة والخطابة بالعاصمة فاس ، كأبى عبد الله محمد بن إبراهيم الرندى ، الذى كان إماما وخطيبا بمسجد القرويين (٣٠١) . ومنهم من كان يقوم بمعاونة السلطان فى أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كمحمد بن موسى اللخفاوى الاشبلى ، الذى استعان به السلطان أبو عنان للضرب على أيدي المعتدين والعابثين (٣٠٢) . ومن المتصوفة من حاول القيام بدور سياسى فى صف السلطان يوسف بن يعقوب عن حصار تلمسان ، فقصده العالم المتصوف أبو زيد الهزميرى ، والسلطان فى حصاره العظيم لتلمسان ، الذى دام سبع سنوات ، وكانت الحالة فى تلمسان سيئة إلى الغاية على حد تعبير الكتانى ، حيث أكل الناس الفيران ، وبلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير من الذهب ، ولكن السلطان يوسف رفض المحاولة التى قام بها ذلك الشيخ الصوفى ، ويذكر الكتانى أيضا ، أنه لم

تكبد تمر أيام بعد عودة أبي زيد ، حتى قتل السلطان يوسف ، واتجه جيشه نحو الغرب داخلا المغرب الأقصى بسلطان آخر (٣٠٣) .

وقد حسم المتصوفة كثيرا من المسائل التي دار حولها الخلاف بين العلماء في فاس في عصر بني مرين ، ومن هذا مارواه صاحب سلوة الأنفاس من أن جدلا عظيماً دار في فاس ، واستمر ثلاثة أيام بين العلماء حول الحوض والصراط أيهما أسبق ، فلما سئل في ذلك العالم المتصوف أبو زيد الهزميري المتوفى سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) (٣٠٤) : « نظر إلى السماء واتسعت عيناه اتساعاً عظيماً ، ثم قال الجنة الميزان الحوض الصراط ويشير بأصبعه إلى السماء » (٣٠٥) .

وخرج السائل من عنده إلى مجلس العلماء ، فاذا المجلس على حالة من الخلاف حول نفس المسألة ، فأخبرهم السائل بما قاله الهزميري ، فبكى أبو عبد الله البقوري وقال : ليس الخبر كالبيان (٣٠٦) . والمعروف أن أبا زيد الهزميري هو صاحب الطريقة الهزميرية بالمغرب ، وكان ابن شاطر وابن البناء العددي كلاهما من تلاميذه وعلى طريقته (٣٠٧) .

ومما يلفت النظر أن العصر المريني ضم عددا كبيرا من المتصوفة المتضلعين في مختلف العلوم والمعارف (٣٠٨) . وهؤلاء كان لهم دورهم في خدمة التصوف على أسس صحيحة ، كمحمد بن موسى الحلفاوي المتوفى سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) الذي كان حافظا للحديث ، ذاكرا للفقهاء باحثا في مسائله (٣٠٩) . وكبيحي ابن السراج المتوفى سنة (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) ، الذي انتهت إليه رئاسة الحديث في وقته (٣١٠) . وأحمد بن سعيد الشهير بالجباك المتوفى سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م) ، الذي كان فقيها متصوفا شاعرا ، نظم كثيرا من قصائد الشعر في التصوف (٣١١) .

وجاء انتشار علماء الصوفية في مدن المغرب الأقصى ، وتنقلهم بينها ، إلى جانب المدارس التي أنشأها المرينيون ، فرصة عظيمة لإذكاء الحركة الفكرية في المغرب الأقصى - مهد الدولة المرينية - وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة في أرياف المغرب الأقصى وبواديها (٣١٢) . فابن عاشر قطب الصوفية في العصر المريني والمتوفى سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، تنقل بين سلا وطنجة وفاس .

ومن أشهر الصوفية في العصر المريني الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عباد المتوفى سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) (٣١٣) . طلب العلم صغيرا ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم تعلم العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية ، ثم أخذ بعد ذلك في طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الإلهية (٣١٤) ومن

كلامه : « الاستغناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الأنس بالله تعالى الاستيحاش من الناس » (٣١٥) . ومن كلامه أيضا : « من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولاخلص بسره إلى فضاء مشاهدة الوجدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته » (٣١٦) .

هوامش الفصل السادس

- (١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، انظر الفصل الأول .
- (٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ .
- (٣) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
- (٤) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ ، ج ٧ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .
- (٥) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، د. حسن على حسن : دراسات في تاريخ المغرب العربى ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٨ ، ص ٢٦٤ ، (وتآلف العنصر العربى بالمغرب الأقصى في عهد المرينيين ، من بقايا العرب الفاتحين ، يضاف إليهم القبائل العربية التى جاءت إلى المغرب فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، على شكل الموجات التى عرفت فى التاريخ المغربى باسم الغزوة الحلالية ، المرجع السابق ، ص ٢٦١) .
- (٦) انظر فيما سبق الفصل الأول .
- (٧) مجهول : اللخيرة السنية ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ .
- (٨) انظر فيما سبق الفصل الأول .
- (٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤٦ .
- (١٠) السلاوى : الاستقصا ، ط الدار البيضاء ، ج ٣ ، ص ٣١ ، ٣٢ .
- (١١) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، هامش ص ٢٨٨ .
- (١٢) د. عبد المنعم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، ط أولى ١٩٥٩ ، ص ١٣٤ .
- (١٣) د. حسن على حسن : دراسات فى تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٦٤ .
- (١٤) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٨٩ .
- (١٥) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٣٦٦ ، (ويطلق جوليان على هؤلاء الغز اسم المرتزقة الآسيويين ، أما ابن خلدون فيطلق عليهم وعلى غيرهم من أجناد الروم اسم المرتزقة ، ضمن العناصر المكونة للجيش المرينى فى إحدى الغزوات الموجهة لإشبيلية ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٧ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨) .
- (١٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٦ .
- (١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٣ .
- (١٨) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .
- (١٩) انظر الفصل الثالث .

- (٢٠) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، (يذكر ياقوت أن فاس كانت من أكثر بلاد المغرب يهودا ، وانهم كانوا يختلفون إليها من جميع الآفاق ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ .)
- (٢١) ابن الأحرر : النفاة النسرنية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .
- (٢٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٩ .
- (٢٣) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
- (٢٤) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثاى ، ص ٥٥ ، ٥٦ .
- (٢٥) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧
- (٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة . انظر خريطة المدينة بقسم الخراط .
- (٢٧) مجهول : الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، مخطوط ، ورقة ١٧٧ ، الكتاى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
- (٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .
- (٢٩) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ .
- (٣٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٤٩ .
- (٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٩٥ ، الزركلى : الاعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .
- (٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ ، الزركلى : الاعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .
- (٣٣) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ .
- (٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- (٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٢١ .
- (٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ ، (مأذنة ، هكلا فى الأصل) .
- (٣٧) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٨ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرنى ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .
- (٣٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧١ ، (ويسمى ابن خلدون تيطاوين) .
- (٣٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٤٠) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٢ .
- (٤١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاى ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
- (٤٢) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .
- (٤٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المرينية ، القسم الثاى ، ص ٥٧ - ٥٩ ، (الأزرق : افريز زخرفى يدور حول الجزء السفلى من الجدار) ، (مانويل جوميت : الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة : د. لطفى عبد البديع ، د. السيد عبد العزيز سالم ، الدار القومية للتأليف والترجمة ، ج ١ ، ١٩٦٨ ، ص ٤٨٨) ، التوريق : زخرفة نباتية متداخلة ، ص ٤٩ .)

- (٤٤) المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٤٠ .
- (٤٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاي ، ص ٤٢ ، ٥٧ .
- (٤٦) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤٣ .
- (٤٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧١ .
- (٤٨) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، (دعائم : دعائم تسند جلدان البناء من الخارج) ، (مانويل جوميث : الفن الإسلامي في أسبانيا ، ص ٤٩٢) ، بالآجر المشبك : زخرفة هندسية أو نباتية متشابهة ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٤٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٠ .
- (٥٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٠ ، ٢٧١ .
- (٥١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ٣٠ .
- (٥٢) الجزنائي : زهرة الآس ص ٦٣ ، ٦٤ .
- (٥٣) المصدر السابق ، ص ٦٥ .
- (٥٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاي ، ج ١ ، ص ٩٨ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٦٦ ، (ويذكر الجزنائي أن ذلك الإصلاح كان في سنة (٦٩٦ هـ) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٥٥) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٦٦ .
- (٥٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلاي ، ج ١ ، ص ١١٠ .
- (٥٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٣٩ .
- (٥٨) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- (٥٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ ، محمد الفاسي : التعريف بالمغرب ، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ١٩٦١ ، ص ٤٧ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١٧٣ .
- (٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢١٠ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٢٨ ، (وأطلق عليها الجزنائي اسم المدرسة اليعقوبية) .
- (٦١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
- (٦٢) محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٥ .
- (٦٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٢ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، ٨٧ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، محمد الفاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .
- (٦٤) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
- (٦٥) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٧ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة الإسلامية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

- (٦٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ .
- (٦٧) محمد القاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البنية ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٣٠ .
- (٦٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ .
- (٦٩) محمد القاسي : التعريف بالمغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
- (٧٠) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٧٠ ، محمد القاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البنية ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٣٠ ، (الزليج : نوع من الخزف تسمى به الجدران وتتخذ زخارفه أشكالاً هندسية ، مانويل جوميث : الفن الإسلامي في أسبانيا ، ص ٤٩) .
- (٧١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
- (٧٢) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .
- (٧٣) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
- (٧٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (٧٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة (انظر خريطة هذه المدرسة بقسم الملاحق) .
- (٧٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .
- (٧٧) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٤٠ .
- (٧٨) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ .
- (٧٩) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .
- (٨٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٦ .
- (٨١) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٤٣ .
- (٨٢) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
- (٨٣) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٩١ .
- (٨٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ ، محمد القاسي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البنية ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .
- (٨٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
- (٨٦) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
- (٨٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٤١ ، ٤٢ .
- (٨٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٢ ، الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٧٣ .
- (٨٩) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
- (٩٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
- (٩١) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٣١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٧ .
- (٩٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٧ .
- (٩٣) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٨ .
- (٩٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٧ .
- (٩٥) ابن خلدون : المعبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ .

- (٩٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- (٩٧) المصدر السابق ، ٢٣٧ .
- (٩٨) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
- (٩٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
- (١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٩٤ .
- (١٠١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .
- (١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
- (١٠٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦٦ ، عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثاني ، ص ٥٧ .
- (١٠٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٧ .
- (١٠٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ .
- (١٠٦) المصدر السابق ، نفس الورقة . (وتعدد ، هكنا في الأصل) .
- (١٠٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ ، ٢٦٢ .
- (١٠٨) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٣ .
- (١٠٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ١١٨ .
- (١١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام ، ص ٢٠٣ .
- (١١١) المصدر السابق ، ورقة ٤٢ .
- (١١٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .
- (١١٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٢ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١١٨ .
- (١١٤) المصدر السابق ، ورقة ٤٣ .
- (١١٥) المصدر السابق ، ورقة ٤٤ .
- (١١٦) انظر الفصل الأول ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١١٥ .
- (١١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (١١٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٣ .
- (١١٩) روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١٦٦ .
- (١٢٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٨ ، (انظر الفصل الخامس) .
- (١٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، روجيه لوتورنو : فاس في عصر بني مرين ص ١١٦ ، ١١٧ .
- (١٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣١٠ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

- (١٢٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ٣١٠ .
- (١٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى ، الاستقصا ، ١٢٠/٢ .
- (١٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢٠٨ .
- (١٢٧) المصدر السابق نفس الصفحة .
- (١٢٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (١٢٩) السلاوى : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٤٣ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٤٥ (مع خلاف فى اللفظ) .
- (١٣٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٥٣ ، ٥٤ .
- (١٣١) المصدر السابق ، ورقة ٥٤ .
- (١٣٢) المصدر السابق ، ورقة ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٣٣) ابن أبى دینار : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
- (١٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .
- (١٣٥) ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٥٢ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٦٨ .
- (١٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ٢٥٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، (مع خلاف فى اللفظ) .
- (١٣٧) ابن خلدون : الجهر ط بولاق ج ٧ ، ص ٢٦٧ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٧٩ .
- (١٣٨) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .
- (١٣٩) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
- (١٤٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣١ .
- (١٤١) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٤٩ .
- (١٤٢) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
- (١٤٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ١٣٣ .
- (١٤٤) المصدر السابق ، ورقة ٦٨ وما بعدها .
- (١٤٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
- (١٤٦) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ .
- (١٤٧) المصدر السابق .
- (١٤٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٨٠ .
- (١٤٩) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .
- (١٥٠) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٧ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٧٣ .
- (١٥١) الفردبيل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٦ .
- (١٥٢) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ج ١ ، ص ١٨٥ .
- (١٥٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .
- (١٥٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

- (١٥٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٣١٥ (مع خلاف في اللفظ) .
- (١٥٦) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج ١ ، ص ١٨٥ .
- (١٥٧) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ٨٣ .
- (١٥٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٤١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ١٩٢ .
- (١٥٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن مخطوط ورقة ١٤١ .
- (١٦٠) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٧٧ .
- (١٦١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٣٤ .
- (١٦٢) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ ، ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ، ص ٢١٥ .
- (١٦٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٣ .
- (١٦٤) المصدر السابق ، ورقة ١٥٠ - ١٥٦ .
- (١٦٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ٢٠٥ .
- (١٦٦) المصدر السابق ، نفس الورقة .
- (١٦٧) المصدر السابق ، ورقة ٣٨ .
- (١٦٨) الجزنائي : زهرة الآس ، ص ١٥ ، ١٦ .
- (١٦٩) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
- (١٧٠) الفردل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص ٣٢٢ .
- (١٧١) المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٥٨ .
- (١٧٢) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص ٢٤٠ .
- (١٧٣) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
- (١٧٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، محمد القاضي : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البيئة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٨ .
- (١٧٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .
- (١٧٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .
- (١٧٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٨٤ .
- (١٧٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .
- (١٧٩) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج ١ ، ص ١٨٩ .
- (١٨٠) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ابن عساكر : دوحه الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، ط فاس ، ١٣١٤ ، ص ٢٧ .
- (١٨١) السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠١ .
- (١٨٢) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

- (١٨٣) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٣٨ .
- (١٨٤) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
- (١٨٥) ابن القاضي : جلد الاقتباس ، ص ١٤٤ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج ١ ، ص ١٩٤ .
- (١٨٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- (١٨٧) المصدر السابق ، ص ١٤١ .
- (١٨٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .
- (١٨٩) المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن القاضي ، جلوة الاقتباس ص ١٤٨ .
- (١٩٠) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١١٤ .
- (١٩١) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .
- (١٩٢) المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢ ، ٣ .
- (١٩٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٢٥٩ .
- (١٩٤) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
- (١٩٥) المصدر السابق ، ص ٦٠ .
- (١٩٦) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٢٧٩ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ١٤٤ .
- (١٩٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ .
- (١٩٨) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٧٨ .
- (١٩٩) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .
- (٢٠٠) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٣٩ .
- (٢٠١) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٩١ .
- (٢٠٢) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
- (٢٠٣) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٨٠ .
- (٢٠٤) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
- (٢٠٥) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٦٠ .
- (٢٠٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .
- (٢٠٧) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
- (٢٠٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن مريم : البستان لذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنبه ص ١٥٥ .
- (٢٠٩) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٦٠ .
- (٢١٠) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج ١ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
- (٢١١) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٦٠ .
- (٢١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
- (٢١٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

- (٢١٤) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٥٧١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٣٩١ .
- (٢١٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، ابن عساكر : دوحه الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، طبع حجر ، فاس ١٣١٤ ، ص ٣٢ .
- (٢١٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
- (٢١٧) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٣٨ .
- (٢١٨) المصدر السابق ، ص ٨٨ ، المقرئ : نفع الطيب ، ج ٧ ، ص ١٠٩ .
- (٢١٩) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ط أولى ١٩٦٤ ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- (٢٢٠) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .
- (٢٢١) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
- (٢٢٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
- (٢٢٣) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
- (٢٢٤) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
- (٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .
- (٢٢٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .
- (٢٢٧) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
- (٢٢٨) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٧٨ .
- (٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
- (٢٣٠) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
- (٢٣١) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، (وعن ابن جزي انظر للمقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ١٧٠) .
- (٢٣٢) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ص ٢٠٩ .
- (٢٣٣) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ، ص ١١٤ .
- (٢٣٤) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٧٧ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ط حجر بفاس ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ج ١ ، ص ٧٣ .
- (٢٣٥) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ج ١ ، ص ٧٣ (الصفيحة الرقالية والسكازية ، نوعان من الاسطرولابات والأولى تنسب إلى مخترعها أبو إسحاق النقاش (الزرقالي) الأندلسي ، وأمكن بواسطة هذه الصفيحة الرقالية رسم المسقطين الجسمين للدائرة خط الاستواء ، ودائرة البروج على نفس السطح ، النظر ، شاخت وبوذوث : تراث الإسلام ، ترجمة : د. حسين مؤنس وأحسان صدقي العمدة ، عالم المعرفة - الكويت ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
- (٢٣٦) المصدر السابق ج ١ ، نفس الصفحة ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٧٧ .
- (٢٣٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
- (٢٣٨) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٩٢ .

- (٢٣٩) ابن القاضى : جنوة الاقتباس ، ص ١٨٠ .
 (٢٤٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
 (٢٤١) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .
 (٢٤٢) ابن القاضى : جنوة الاقتباس ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
 (٢٤٣) المصدر السابق ، ص ٥٧ .
 (٢٤٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ت : محمد عبد الله عنان ، ط دار المعارف ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

- (٢٤٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، ابن القاضى : جنوة الاقتباس ، ص ١٤٧ .
 (٢٤٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
 (٢٤٧) المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
 (٢٤٨) المصدر السابق ، نفس الصفحات .
 (٢٤٩) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ص ١٥٥ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ .

- (٢٥٠) ابن القاضى : جنوة الاقتباس ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
 (٢٥١) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٧ .
 (٢٥٢) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .
 (٢٥٣) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٥١٥ .
 (٢٥٤) المصدر السابق ، ط دار المعارف ، ج ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ .
 (٢٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ١ ، ص ٢١٠ ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٠٦ ،

Toynbee, A., Op. Cit., P.336.

- (٢٥٦) السلاوى : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٣١ .
 (٢٥٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ .
 (٢٥٨) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ ، ابن القاضى : جنوة الاقتباس ص ٤٦ .
 (٢٥٩) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .
 (٢٦٠) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ .
 (٢٦١) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ، ص ٢١٠ .
 (٢٦٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ، ص ١٠٦ - ١١٢ .
 (٢٦٣) السلاوى : الاستقصاء ، ط الدار البيضاء ج ٣ ، ص ٦٤ .
 (٢٦٤) مجهول : الدخيرة السنية ١٤١ .
 (٢٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ (والقصيدة من القصائد الطويلة ، فهى تقع فى تسعة وأربعين بيتا ، المصدر السابق نفس الصفحات) .
 (٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ .
 (٢٦٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .
 (٢٦٨) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨١ .

- (٢٦٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٢٧٠) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ١٦٦ .
- (٢٧١) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
- (٢٧٢) مجهول : الذخيرة السننية ص ١٤٠ .
- (٢٧٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .
- (٢٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .
- (٢٧٥) المصدر السابق ، ط دار المعارف ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
- (٢٧٦) ابن القاضي : جنوة الاقتباس ص ١٤٦ .
- (٢٧٧) المصدر السابق ص ١٧٨ .
- (٢٧٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ٩٩ .
- (٢٧٩) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
- (٢٨٠) المصدر السابق ج ٣ ، ص ١٠٠ .
- (٢٨١) المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ، ص ١٠٨ - ١٢١ .
- (٢٨٢) المصدر السابق ج ٦ ، ص ١٠٦ - ١١٢ .
- (٢٨٣) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٢ - ٣٧ .
- (٢٨٤) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٧ - ٤٠ .
- (٢٨٥) المصدر السابق ج ٥ ، ص ٨٥ - ٨٩ ، ابن الخطيب : اللمعة البدرية ص ١١٠ - ١١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .
- (٢٨٦) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ، ص ٤٥١ - ٤٥٩ .
- (٢٨٧) عبد الله كنون : النبوغ المقرئ ج ٢ ، ص ١٧٥ .
- (٢٨٨) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
- (٢٨٩) المقرئ : نفع الطيب ج ٥ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
- (٢٩٠) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥ - ٧١ .
- (٢٩١) عبد العزيز بن عبد الله : الفكر الصوري والانتحالية بالمغرب ، مجلة البنية ، السنة الأولى ، ١٩٦ ، ١٩٧ .
- (٢٩٢) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .
- (٢٩٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٠ ، ٢٧١ .
- (٢٩٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن مخطوط ورقة ٦٨ .
- (٢٩٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٢ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
- (٢٩٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٥٧ - ٦٠ .
- (٢٩٧) المصدر السابق ورقة ٦٠ ، ٦١ ، (نحو من عشرين عاما ، هكذا في الأصل) .
- (٢٩٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
- (٢٩٩) ابن القاضي : درة الحجال ج ٣ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس

- ص ١٤٣ ، عبد العزيز بن عبد الله : الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب ص ٩٧ .
- (٣٠٠) ابن فرحون : الديباج المذهب ط أولى ١٣٥١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
- (٣٠١) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٢ ، ص ١٣٥ .
- (٣٠٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ١٩٢ .
- (٣٠٣) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٢ ، ص ٥٣ ، التنسي : نظم الدرر : مخطوط ص ٤٧ .
- (٣٠٤) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٢٦٣ .
- (٣٠٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ج ٢ ، ص ٥٤ .
- (٣٠٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٠٧) المصدر السابق ج ٢ ، ص ٥٢ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ٧٣ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ج ١ ، ص ٧١ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
- (٣٠٨) ابن القاضي : جلوة الاقتباس ، ص ١٩٢ .
- (٣٠٩) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ١٩٢ .
- (٣١٠) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .
- (٣١١) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- (٣١٢) الفردبيل : الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ٣٩٤ .
- (٣١٣) الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .
- (٣١٤) المقرئ : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٣٤١ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٢٠١ .
- (٣١٥) المقرئ : نفح الطيب ج ٥ ، ص ٣٤٣ .
- (٣١٦) المصدر السابق ج ٥ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

الملاحق

ملحق رقم (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم إلى الملك المؤيد بفضل الله العادل الممام ، ذى الشيم المحموده والاهتمام أمير المسلمين ، وناصر الدين المجتهد فى إقامة دعوة الحق أنى يوسف بن عبدالحق ، نورالله تعالى به الآفاق ، وجمل بهائه الجيوش والرفاق ، من وليه ومحبة فى الله تعالى المستجير برحمة الله تعالى دعوته ، والمبتل له بالدعاء فى ائتلاف كلمة الإسلام وصلاحي شأنه محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر بن نصر سلام عليكم . على حضرته العلية ورحمة الله وبركاته أما بعد فإن الله تعالى أيد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرّم مسالك الشتات والاختلاف وأنعم على عباده ببلوكتكم السنية ، وإظهار جنودكم المرينية الذين هم فى حرب الأعادى أولو بأس شديد . (طويل)

مرين جنود الله أكبر عصبه فهم فى بنى أعصارهم كالمواسم
مشقة أسماعهم لدائح مسورة أيمانهم بالصوارم

تطول علينا بمعلوم حلتك ، ومشهود جدك وقد جعلك الله رحمه تحيى بجيشها بجيوشك السريعة ، وخلفك سلما إلى الخير وذريعة ، فقد تطاول العدو النصرانى على الإسلام ، واهتضم جنابه كل الاهتضام ، وقد استخلص قواعدا وفرق بلدانها وقتل رجالها وسبى ذراريتها ونساءها وغنم أموالها . وقد جاءنا أبراقه وأرعاده ، وعدده وابعاده ، وطلب منا أن نسلم له ما بقى بأيدينا من المناير والصوامع والمخاريب والجوامع ، ليقم بها الصلبان ، ويثبت بها الأقسى والرهبان .

وقد وطأ الله لك ملكا عظيما شكرك الله على جهادك فى سبيله ، وقيامك بحقه وإجهادك فى نصر دينه وتكميله ، ولديك من نية الخير فابعث باعث بعثك إلى نصر مناره واقتباس نوره وعندك من جنود الله من يشتري الجنات بنفسه ويحضر الحرب بإماته فإن شئت الدنيا فالأندلس قطوفها دانية ، وجنائها عالية وإن أردت الآخرة بها جهاد لا يفتر وهذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، واحتمال معروفكم ونحن نستعين بالله العظيم وبملائكته المسومين ، ثم بكم على الكافرين ، فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ . والله تعالى يجمعنا على كلمة التوحيد ينصرها . ونعمة الإسلام بالملك يشكرها ورحمة الله نتحدث وننشرها . والسلام الموصول المبارك على أمير المسلمين ورحمة الله وبركاته^(١) .

ملحق رقم (٢)

وقد ذكر الإمام الخطيب أبو عبدالله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر ابن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثلث ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر النفيس الملوكة ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الإنان عشرين مذهبة ومن الخلاصي ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الأكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن المشقفات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المنوعة والفرس والخاد المنبوق والحلل ثمانمائة ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجواهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهامير الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب بما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجواهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلد أشرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مغربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلية مذهبة وهي من حرير أبيض مرابطها حرير ملون وعمودها عاج وأبنوس وأكبارها من فضة مذهبة ومن البزات الأحرار المنتقات أربعة وثلاثون ومن عتاق الخيل العرب ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والإناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة^(١).

ملحق رقم (٣)

يقول ابن الوردي : « وهذا السلطان أبو الحسن ملك عالم مجاهد عادل كتب من مدة قريبة بخطه ثلاثة مصاحف ، ووقفها على الحرمين وعلى حرم القدس وجهاز معها عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكا بالشام ووقف على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة . ووقفت على نسخة توقيع بمساحة الأوقاف المذكورة بمؤن وكلف وأحكار أنشأه صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى أحد الموقعين الآن بدمشق . (نص توقيع ابن نباتة المصرى) .

أوله الحمد لله الذى أرهف لعزائم الموحدين غرياً وأطلعهم بمهمهم حتى فى مطالع الغرب شهبا ، وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قربا . وكان القلبان قلبا ، وأيد بولاء هذا البيت الناصرى ملوك الأرض وعييد الحق سلما وحررا ، وعضد ببقائه كل ملك إذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلا ويوم السماح عشبا ، وإذا ركب البحر لنهب الأعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، وإذا بعث هداياه المتنوعة كانت عرابا تصحب عربا ، ورياضا تسحب سحببا ، وإذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآنا عجبا واهتزت بذكره عجبا .

ومنها : وذو الولاء قريب وإن نأت داره ، ودان بالهبة وإن شط شط بحره ومزاره ، وهو بأخباره النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد وإن حالت عن الاكتمال بطلعته أميال السرى ، ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الإسلام والمسلمين ، وسره بما كتب من اسمه فى أصحاب اليمين « وما أدراك ما أصحاب اليمين » هو الذى مد اليمين بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر الله حزيه بما سطر من أحزابها ، ومد الرماح أرشية فاشتقت من قلوب الأعداء قلبا والأقلام أردية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طيبا .

ومنها : ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعزى وطالما خط فى صفوف الأعداء بالهذى .

ومنها : وأمر بترتيب خزنة وقراء ، عن مطالع أفقها ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسنات فى إطلاقها وطلقها ، وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التى سرت من

مغرب الشمس إلى مشرقها ، ورغب في المساعدة على تلك الأملاك من أحكار ومعنونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المساعدة في دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه ، وقوبل بالإسعاف والإسعاد وقفه ومسايعه وختمها بقوله : « والله تعالى يمنع وقف هذه الجهات بما سطر له في إكرام الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقف ^(١) .

ملحق رقم (٤)

وللى هذا - وصل الله سعدكم ، (أبو عنان المريني) - وحرس مجدكم ووالى النعم عندكم - فإننا تعرفنا في هذه الأيام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ، ما عندكم من استدعاء الأساطيل المنصورة من محل إنشائها ، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها ، وأن فروض العزائم شرع في أدائها ، وأولياء الملة قد تذامرت على أعدائها ، وحكماؤها (قد) شمرت لإزالة دائها ، فسألنا الله لإتاحة الخيرة ، وتكليف الصنائع المسرة ، وبادرنا لسبر ما عندكم من التشوف إلى مالنا من الأساطيل الجهادية ، والمقاصد الودادية . فإن توفر لكم في الاستعانة بها أرب ، أو بان في الاحتياج إليها مذهب ، نشرع في إصلاحها وتيسيرها ، وننظر في إبرام أمورها ، لتكون مرهفة الحد ، آخذة أهبتها قبل القصد ، ونعلمكم - مع ذلك - أن رسولنا إليكم في الأيام الماضية والأشهر المتقاضية فلانا ، لما وصل من لديكم أوصل في الطعام المعتاد من سلفكم - قد سهم الله - إلى هذه الجزيرة وعدا - وأنهى إليها اجتهدا في أمره وجدا ، وأنكم جددتم من حسنات بيتكم عهدا ، فأورينا في الشكر زندا ، وأوضحنا في الثناء قصدا (٣١ : ب) وقد كانت عادة والدكم - أزلفه الله إليه ، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه - أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الأمداد ، وتعيين موضعه من سواحل البلاد . ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل في سبيل الجهاد ، وتخلدوا من الأعمال الصالحة ما يهدى من يؤمل حسن المعادة أذكرناكم بذلك على سبيل الوداد ، وكرم الاعتقاد ، ووجهنا من يقرر لديكم ما عندنا من جميل الولاء في أخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم في هذه الأشياء ، ويهجرى من تبين الخلوص على سبيل السواء ، وهو القائد الكذا أبو فلان ، وصل الله عزته ، ووالى رفعتة . ومقامكم يتفضل بالإصغاء إليه ، والقبول من ذلك على ما لديه ، والسلام !!

مخلق رقم (٥)

وبعده ما صورته : « للشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأخطى الأرفع الأجد
الأسمى الأوحد الأنوه الأرق ، العالم المعلم الرئيس الأعرف المتفنن الأبرع المصنف المفيد
الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبى عبدالله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأستى الأعز
الأرفع الأجد الوجيه الأنوه الأحفل الأفضل الحسيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم
أبى محمد بن الخطيب ، قابله أبده الله بوجه القبول والإقبال ، وأضفى عليه ملائس الإنعام
والإفضال ، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة فى خدمة
أمرنا أعال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يمدد له
حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية ،
فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله فى كل شهر .
ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم والأقوات
على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيدة خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن
وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ، فلا يطلب فى شئ من ذلك بمغرم ولا وظيف ،
ولا يتوجه فيه إليه بتكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدًا تامًا . واحتراما
عاما ، أعلن بتجديد الخطوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى
الآن ، ومن الآن إلى ما يأتى على الدوام ، واتصال الأيام ، وأن يحمل بجانبه فيمن يشركه
أو يقدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت . والوظائف إذا افترضت ، حتى
يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له
الأزواج التى يمرثها بتالمغت من كل وجيبة وتماشى من كل مغرم أو ضريبة ، بالتحريم التام
بحول الله وعونه . ومن وقت على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ،
ان شاء الله ، وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، وكتب
فى التاريخ » ، انتهى .

وقوله : « وكتب فى التاريخ » هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان ، يكتب بقلم
غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة « صح فى التاريخ » .

ملحق رقم (٦)

نص الوثيقة

الصادرة من السلطان يوسف الأول إلى قائده ابن كاشة ، مفوضا فيها بإبرام الصلح مع بيدرو الرابع ملك أراجون ، لصالح السلطان أبي الحسن المرينى ، نقلا عن النسخة المخطوطة والمحفوظة بمحفوظات التاج الأرجونى ببرشلونة .

تحت رقم (٤٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه ، أننا الأمير عبدالله يوسف ، ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ، بن فرج ، بن نصر ، سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادى آش وما إليها ، وأمير المسلمين - لما انعقد الصلح بيننا وبين السلطان الأجل المرفع الأوفى المبرور الأخلص دون بطره ، سلطان أرغون وبلنسية وقرصعة وميورقة ... وقمط برجلونة . أسعده الله بطاعته ورضاه . طلبنا من محل أبينا السلطان الجليل المعظم الأشهر الأوحى أمير المسلمين أبى الحسن سلطان العدو - أيده الله أن - ينعم بالأذن لنا فى عقد صلح معه على بلاده ، على ما جرت به عوائد صلحه مع تلك المملكة ، وأعطانا مقدرة لعقد ذلك . فاقضى نظرنا أن وجهنا إلى السلطان دون بطرة بروم عقد الصلح على بلاد السلطان أبى الحسن بالعدوة والأندلس القائد الأجل الأعز الأرفع الأجدد الحسيب الأصيل الأفضل خاصة ، الحظى لدينا ، المبرور الأخلص ، أبى الحسن بن كاشة ، وصل الله عزته ورفعته وأمرنا له بهذا المكتوب ، وظهيرا على أن يعقده فى ذلك فنحن نمضيه ، ونلزمه من أذن لنا فيه ، بما عندنا فى ذلك من قبل السلطان أبى الحسن ، ولأن يكون هذا ثابتا ، ولا يلحق فيه شك ، أمرنا بكتب هذا المكتوب ، وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا ، مثابة علينا لإمضاء حكمه وذلك فى السادس عشر لشعبان من عام خمسة وأربعين وسبعمائة (ديسمبر ١٣٤٤)^(١) .

ملحق رقم (٧)

جداول بأسماء الخلفاء والسلاطين والحكام الذين عاصروا الدولة المرينية

أ - بنو مرين

- ١ - أبو محمد عبدالحق بن أبي خالد محيو بن أبي بكر
(٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) ابن حمامة المريني .
- ٢ - أبو سعيد عثمان بن عبدالحق (أدرغال)
(٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)
- ٣ - محمد (الأول) بن عبدالحق
(٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)
- ٤ - أبو يحيى أبو بكر بن عبدالحق
(٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)
- ٥ - أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق
(٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)
- ٦ - أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله
(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
- ٧ - أبو ثابت عامر بن أبي عامر
(٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م)
- ٨ - أبو الربيع سليمان بن أبي عامر
(٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
- ٩ - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب
(٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)
- ١٠ - أبو الحسن علي بن عثمان
(٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
- ١١ - أبو عنان فارس المتوكل بن علي
(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
أبو زيان محمد بن فارس أبي عنان
(ولي ثم عزل في الحال)
- ١٢ - محمد السعيد بن أبي عنان (وعمره خمس سنوات)
(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م)
- ١٣ - أبو سالم إبراهيم بن علي
(٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م)
- ١٤ - أبو عامر تاشفين بن علي
(٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)
- ١٥ - عبدالحليم بن أبي علي عمر (انفرد بسجل ماسة منذ
ربيع الأول سنة ٧٦٣)
(٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م)
- ١٦ - أبو زيان محمد (الثاني) المنتصر ابن أبي عبد الرحمن
(٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
- ١٧ - أبو فارس عبدالعزيز المستنصر بن علي
(٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
- ١٨ - أبو زيان محمد (الثالث) السعيد بن عبدالعزيز

- ١٩ - (أ) أبو العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم ومعه (١٣٧٤ هـ / ١٣٧٤ م)
- ١٩ - (ب) عبدالرحمن أبو يفلوسن (بمراكش) (١٣٧٤ هـ / ١٣٧٤ م)
- ٢٠ - موسى بن أبي عنان ، المتوكل على الله أبو فارس . (١٣٨٤ هـ / ١٣٨٤ م)
- ٢١ - أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد (١٣٨٦ هـ / ١٣٨٦ م)
- ٢٢ - أبو زيان محمد (الرابع) الواثق بالله ابن أبي الفضل المستنصر ، (للمرة الثانية) (١٣٨٦ هـ / ١٣٨٦ م)
- ٢٣ - أبو فارس بن أحمد (١٣٩٣ هـ / ١٣٩٣ م)
- ٢٤ - عبدالعزيز بن أحمد (١٣٩٦ هـ / ١٣٩٦ م)
- ٢٥ - عبدالله بن أحمد (١٣٩٧ هـ / ١٣٩٧ م)
- ٢٦ - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن أحمد (١٣٩٨ هـ / ١٣٩٨ م)
- ٢٧ - أبو محمد عبدالحق بن أبي سعيد (١٤٢٧ هـ / ١٤٢٧ م)
- (الثاني)

ب - بنو الأحرار في الأندلس

- ١ - أبو عبد الله محمد (الأول) الغالب بن يوسف بن نصر. (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م)
- ٢ - أبو عبد الله محمد (الثاني) الفقيه ابن محمد (الأول). (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م)
- ٣ - أبو عبد الله محمد (الثالث) المخلوع ابن محمد (الثاني) (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م)
- ٤ - أبو الجيوش نصر بن محمد (الثاني) (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
- ٥ - أبو الوليد إسماعيل (الأول) بن فرج (٧١٣ هـ / ١٣١٣ م)
- ٦ - محمد (الرابع) بن إسماعيل (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م)
- ٧ - أبو الحجاج يوسف (الأول) النيار بن إسماعيل (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)
- ٨ - محمد (الخامس) الغنى (بالله) ابن يوسف (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م)
- ٩ - أبو الوليد إسماعيل (الثاني) بن يوسف (٧٦٠ هـ / ١٣٥٤ م)
- ١٠ - أبو سعيد محمود (السادس) بن إسماعيل (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)
- محمد (الخامس) ، للمرة الثانية (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م)
- ١١ - أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس) (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م)
- ١٢ - محمد (السابع) المستعين بن يوسف (الثاني) (٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م)
- ١٣ - أبو الحجاج يوسف (الثالث) الناصر ابن يوسف (الثاني) (٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)
- ١٤ - محمد (الثامن) المتمسك بن يوسف (الثالث) (٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م)
- ١٥ - محمد (التاسع) الصغير بن نصر (٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م)
- ١٦ - محمد (الثامن) ، للمرة الثانية (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م)
- ١٧ - أبو الحجاج يوسف (الرابع) بن محمد (السادس) (٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م)
- ١٨ - محمد الثامن (للمرة الثالثة) (٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م)
- ١٩ - محمد (العاشر) الأحنف بن عثمان (٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م)
- ٢٠ - سعد المستعين بن علي (٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م)
- ٢١ - محمد (العاشر) ، للمرة الثانية (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)
- ٢٢ - سعد (للمرة الثانية) (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)
- ٢٣ - أبو الحسن علي بن سعيد (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)

ج - المماليك في مصر

١ - المماليك البحرية

- ١ - المعز عز الدين أيك (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)
- ٢ - الظاهر ركن الدين بيبرس (الأول) (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م)
- ٣ - السعيد ناصر الدين بركة خان (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)
- ٤ - العادل بدر الدين سلامش (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)
- ٥ - المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)
- ٦ - الأشرف صلاح الدين خليل (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م)
- ٧ - الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (للمرة الأولى) (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م)
- ٨ - العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)
- ٩ - المنصور حسام الدين لاجين المنصورى (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م)
- ١٠ - الناصر ناصر الدين محمد (للمرة الثانية) (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م)
- ١١ - المظفر ركن الدين بيبرس (الثانى) (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
- ١٢ - الناصر ناصر الدين محمد (للمرة الثالثة) (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
- ١٣ - المنصور سيف الدين أبوبكر بن الناصر (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)
- ١٤ - الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)
- ١٥ - الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م)
- ١٦ - الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م)
- ١٧ - الكامل سيف الدين شعبان (الأول) بن الناصر (٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م)
- ١٨ - المظفر سيف الدين حاجى (الأول) (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م)
- ١٩ - الناصر ناصر الدين الحسن بن الناصر (للمرة الأولى) (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
- ٢٠ - الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م)
- ٢١ - الناصر ناصر الدين الحسن (للمرة الثانية) (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م)

- ٢٢ - المنصور صلاح الدين محمد (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)
- ٢٣ - الأشرف ناصر الدين شعبان (الثاني) (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
- ٢٤ - المنصور علاء الدين على (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م)
- ٢٥ - الصالح صلاح الدين حاجي (الثاني) (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م)
- ٢٦ - برقوق (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)

٢ - المماليك البرجية

- ١ - الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس العثماني . (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)
- ٢ - الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)
- ٣ - المنصور عز الدين عبدالعزيز بن برقوق (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
- ٤ - العادل المستعين بالله أبو الفضل (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
- ٥ - المؤيد سيف الدين شيخ المحمدي (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
- ٦ - المظفر شهاب الدين أحمد بن المؤيد الشيخ . (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
- ٧ - الظاهر سيف الدين ططر (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
- ٨ - الصالح ناصر الدين محمد بن ططر (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
- ٩ - الأشرف سيف الدين برسبای . (٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م)
- ١٠ - العزيز جمال الدين يوسف بن برسبای (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م)
- ١١ - الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م)
- ١٢ - المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)
- ١٣ - الأشرف سيف الدين إينال العلاني الظاهري الأجرد (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)
- ١٤ - المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م)
- ١٥ - الظاهر سيف الدين خشقدم (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م)

د - بنو حفص في أفريقية

- ١ - أبوزكريا يحيى (الأول) ، (استقل عن الموحدين) (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م)
- ٢ - أبو عبد الله محمد (الأول) المنتصر (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)
- ٣ - أبوزكريا يحيى (الثاني) ، الوائق (خلعه إبراهيم الأول) (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م)
- ٤ - أبو إسحق إبراهيم (الأول) ، (أعدم سنة ٦٨١) (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)
أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة (الدعي) رمضان
الانقسام
- ٥ - أبو حفص عمر (الأول) ، (بتونس) (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)
أبو زكريا يحيى المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم (الأول) (ببجاية حتى سنة ٦٩٨) (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)
- ٦ - أبو عبد الله (أبو عصيد) ، محمد (الثاني) (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)
المنتصر بن يحيى (الثاني) (بتونس)
أبو البقاء خالد الناصر (الأول) (ببجاية .) (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م)
أنفرد بالحكم بعد ذلك
- ٧ - أبو بكر (الأول) الشهيد بن يحيى (الأول) (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
(ببجاية . ثم انفرد بالحكم)
- ٨ - أبو البقاء خالد (الأول) الناصر ، (وحده) (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
أبو بكر (الثاني) المتوكل ، (بقسنطينة وبجاية) (٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- ٩ - أبو يحيى زكريا اللحياني بن أحمد ، (بتونس) (٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- ١٠ - أبو ضربة محمد (الثالث) المستنصر (بتونس) (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م)
- ١١ - أبو يحيى أبو بكر (الثاني) المتوكل ، (وحده) (٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)
- ١٢ - أبو حفص عمر (الثاني) (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م)

الاحتلال المرينى (٧٤٧ هـ)

أبو العباس أحمد (الأول) ، الفضل (بقسنطينة) (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

(بجاية)

أبو زيد عبد الرحمن بن أبى بكر الثانى ،

(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

(بقسنطينة)

(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبى بكر الثانى ، (بجاية)

(٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)

١٣ - أبو العباس أحمد (الأول) الفضل المتوكل ، (نهاليم)

(٧٥١ هـ / حتى ٧٧٠ هـ)

١٤ - أبو إسحق إبراهيم (الثانى) المستنصر (بتونس)

تولى من

(٧٥٤ هـ / ١٣٥٢ م)

استولى بنو مرين على بجاية

(٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م)

احتل بنو مرين أفريقيا كلها للمرة الثانية

(٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م)

أبو إسحق إبراهيم (الثانى) المستنصر (استقر بتونس)

(٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)

أبو عبد الله محمد المنصور بن أبى بكر (الثانى) ،

(استقر ببجاية)

(٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م)

١٥ - أبو البقاء خالد (الثانى) بن إبراهيم (الثانى) ،

(٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م)

١٦ - أبو العباس أحمد (الثانى) المستنصر ، (وحده)

(٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م)

١٧ - أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد (الثانى)

(٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)

١٨ - أبو عبد الله محمد (الرابع) المنتصر بن محمد

(٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م)

١٩ - أبو عمر عثمان بن محمد (الرابع)

(٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م)

حكم حتى سنة

هـ - بنو زيان في المغرب الأوسط

أ - الفرع الأكبر بنو عبدالواد :

- ١ - أبوعيسى يغمراسن بن زيان (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)
- ٢ - أبوسعيد عثمان (الأول) بن يغمراسن بن زيان (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
- ٣ - أبوزيان محمد (الأول) بن عثمان (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م)
- ٤ - أبوحمو موسى (الأول) بن عثمان (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م)
- ٥ - أبوتاشفين عبدالرحمن (الأول) بن موسى (٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

ب - السيادة المرينية :

- ١ - أبوالحسن علي (المريني) (٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)
- ٢ - أبوعنان فارس (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)

(زيانيون كانوا بالملقى ثم حكموا في وقت واحد)

- ١ - أبوسعيد عثمان (الثاني) بن عبدالرحمن (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م)
- ٢ - أبوثابت الزعيم بن عبدالرحمن

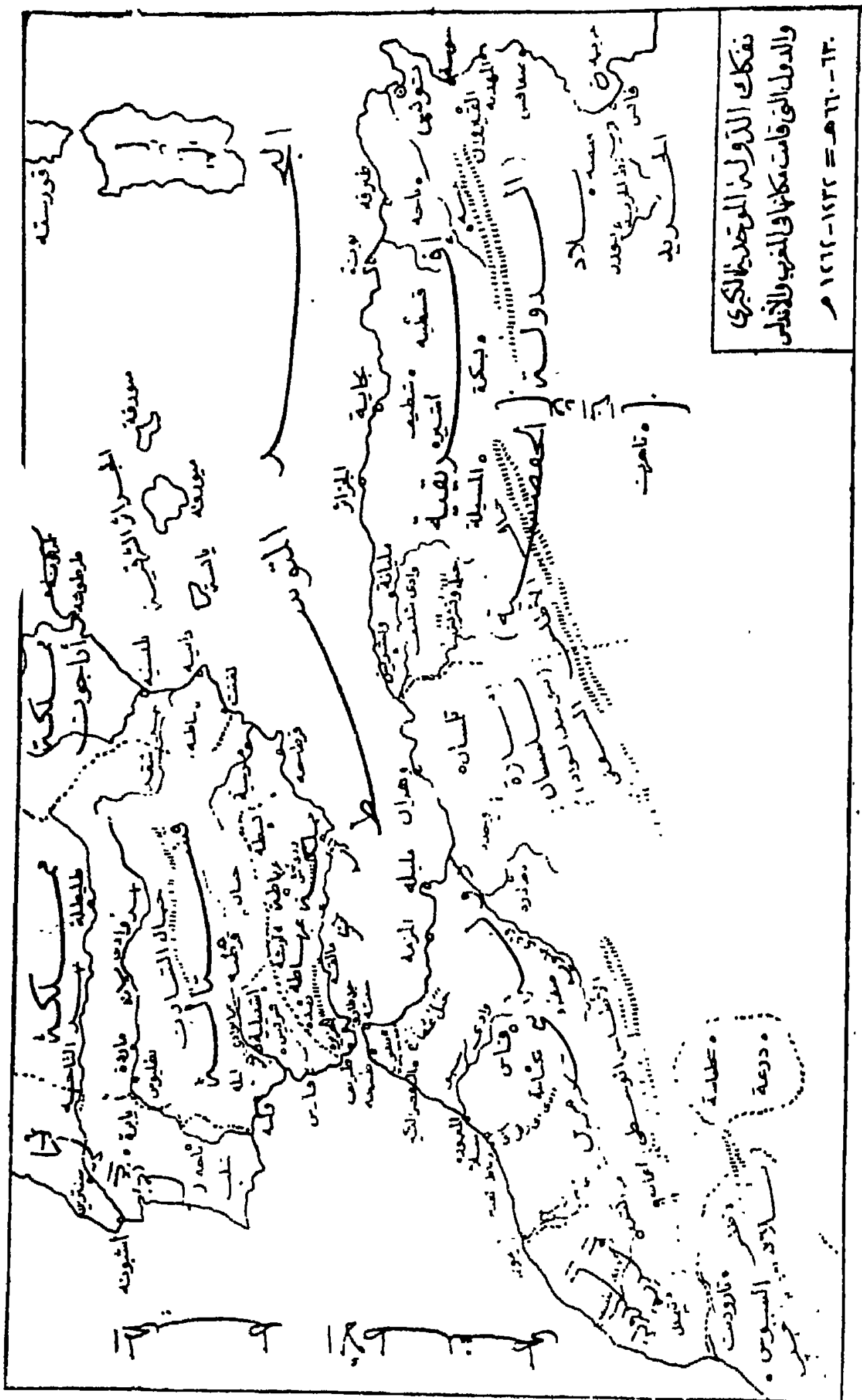
جـ - الفرع الأصغر (بنو زيان)

- ٦ - أبوحمو موسى (الثاني بن يوسف) (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م)
- ٧ - أبوزيان محمد (الثاني) بن عثمان (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)
- ٨ - أبوتاشفين عبدالرحمن (الثاني) بن موسى (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م)
- ٩ - أبوثابت يوسف بن عبدالرحمن (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)
- ١٠ - أبوالحجاج يوسف بن موسى (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)
- ١١ - أبوزيان محمد (الثالث) بن موسى (٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م)

- ١٢ - أبو محمد عبدالله (الأول) بن موسى (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م)
- ١٣ - أبو عبدالله محمد (الثاني) الوائلي بن موسى (٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)
- ١٤ - عبدالرحمن (الثالث) بن محمد (الثاني) (٨١٤ هـ / ١٤١١ م)
- ١٥ - سعيد بن موسى (٨١٤ هـ / ١٤١١ م)
- ١٦ - أبو مالك عبدالواحد بن موسى (للمرة الأولى) (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
- ١٧ - أبو عبدالله محمد (الثالث) بن عبدالرحمن (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م)
- ١٨ - عبدالواحد (للمرة الثانية) (٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م)
- ١٩ - أبو العباس أحمد المعتصم بن موسى (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م)
- ٢٠ - أبو عبدالله محمد (الرابع) المتوكل (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)

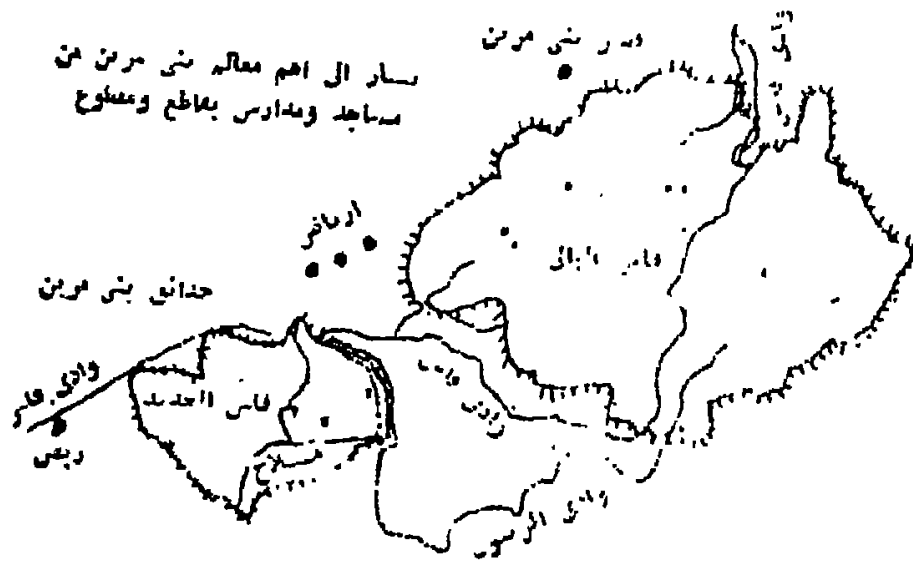
ملحوظة :

اعتمدت في رصد هذه التواريخ على جداول زامباور ، والجداول التي ضبطها الأستاذ الدكتور محمد حلمي محمد أحمد في كتابه الخلافة والدولة في العصر العباسي .



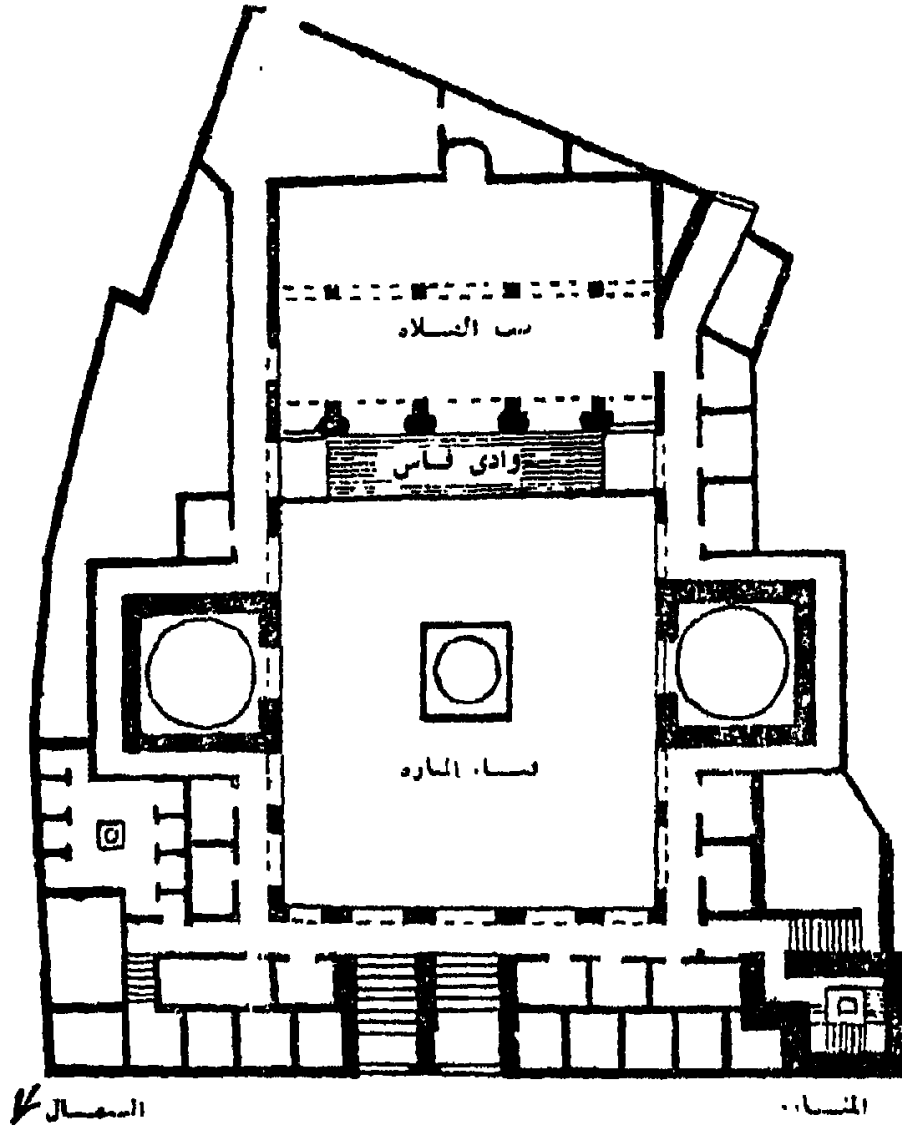
نفاك الدولة الموحدة الكبرى
والدول التي قامت مكانها في المغرب والأندلس
٦٣٠ - ٦٦٠ هـ = ١٢٣٢ - ١٢٦٢ م

عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٥٦٩ .



شكل 20 - مدينة فاس في عهد بني مرين .

جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .



سجل 23 - رسم للمدرسة العمانية بفاس (الغالب السجل)

جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

١ - التتسى :

عبد الجليل ، نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بنى زيان .
مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم ٨٦٦١ ح) . .

٢ - ابن الأحمر :

إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ، النفحة
النسرينية واللمحة المرينية رقم (٣٥٧ / ٤ / تاريخ)
مخطوط مصور بالميكرو فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن
الخزانة العامة بالرباط . (المغرب) .

٣ - مجهول :

ألف سنة (١٠٩٩ هـ) .
الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس . (رقم ٣٣٧
تاريخ) .
مخطوط مصور بالميكرو فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
عن الخزانة العامة بالرباط .

٤ - ابن مسرورق :

محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني . المسند الصحيح
الحسن . (رقم ١٨٥ تاريخ) .
مخطوط مصور بالميكرو فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن
الخزانة العامة بالرباط .

٥ - النويرى :

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم البكرى المعروف
بالنويرى .
نهاية الأرب في فنون الأدب (رقم ٥٤٩ معارف عامة) . بدار الكتب
والوثائق المصرية .

ثانيا : المصادر العربية

١ - ابن بطوطة :

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي :
(٧٠٤ هـ - ٧٧٦ هـ) .

تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار الجزء الثاني - الطبعة الثانية . مطبعة التقدم .

٢ - البغدادي :

صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (٧٣٩ هـ) .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ت : علي محمد البجاوي .
الجزء الأول والثاني والثالث . الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
دار إحياء الكتب العربية .

٤ - البكري :

أبو عبيد (ت : ٤٨٧ هـ) .
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ط . مكتبة المثنى ببغداد .

٤ - الجزائلي :

أبو الحسن علي
زهرة الآس في بناء مدينة فاس .
تحقيق : الفردبيل .
ط . ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م مطبعة باستيد جوردان - الجزائر .

٥ - ابن حجر :

شهاب الدين أحمد (العسقلاني) (ت : ٨٥٢ هـ) .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الجزء الأول والثاني والثالث والخامس
ت : محمد سيد جاد الحق .
دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٦ - ابن حزم :

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي
(٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ) .

جمهرة أنساب العرب .

تحقيق : عبدالسلام محمد هارون - الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ .

٧ - أبو حمو :

موسى بن يوسف .

واسطة السلوك في سياسة الملوك مطبعة الدولة التونسية .

تونس - ١٢٧٩ هـ .

٨ - الحميسرى :

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى (جمعه ٨٦٦ هـ) .

صفه جزيرة الأندلس .

تحقيق : الألفى بروفنصال .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

القاهرة : ١٩٣٧ م .

٩ - ابن حوقل :

أبو القاسم بن حوقل النصيبى .

صورة الأرض .

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

١٠ - الخشنى :

أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد (ت ٣٦١ هـ) .

قضاة قرطبة وعلماء إفريقية .

ت : السيد عزت العطار الحسينى .

مكتبة الخانجى - القاهرة ١٣٧٢ هـ .

١١ - ابن الخطيب :

لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ) .

كناسة الدكان بعد انتقال السكان .

ت : د. محمد كمال شبانة .

طبعة : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

— :

اللمحة البدرية في الدولة النصرية

ت : محب الدين الخطيب .
المطبعة السلفية - القاهرة .
١٣٤٧ .

: —

القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام .
ت : د. أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى
دار الكتاب - الدار البيضاء : ١٩٦٤ .

: —

الإحاطة فى أخبار غرناطة
ت : محمد عبدالله عنان
طبعة الخانجي ، واستخدمت أيضا طبعة دار المعارف لنفس المحقق ،
وأشرت إليها فى هوامش الرسالة بطبعة دار المعارف .

١٢ - ابن خلدون :

عبدالرحمن . (ت ٨٠٨ هـ) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السلطان الأكبر . الجزء السابع .
المطبعة المصرية بيولاى - ١٢٨٤ هـ .
وطبعة مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت : ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
الجزء الأول ، والسادس .

١٣ - ابن أبى دينار :

أبو عبدالله محمد بن أبى القاسم الرعنى القيروانى .
المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس .
الطبعة الثالثة - ١٣٨٧ هـ .
تحقيق : محمد شمام .
المكتبة العتيقة تونس .

١٤ - ابن أبى زرع :

على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى عمر بن أبى زرع الفاسى .
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس .
نشر دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط : ١٩٧٣ .

— :

وطبعة أخرى حققها : محمد الهاشمي الفيلاي . الجزء الأول والثاني .
المطبعة الوطنية - الرباط : ١٣٥٥ - ١٩٣٦ .

— :

وطبعة أخرى : طبعت طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٣ هـ .

١٥ - الزركشي :

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم .
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .
تحقيق : محمد ماضور .
الطبعة الثانية : ١٩٦٦ م .
المكتبة العتيقة بتونس .

١٦ - الزركلي :

خير الدين .
الأعلام ، قاموس تراجم .
الطبعة الثانية : ١٩٥٤ م .
في عشرة أجزاء .
مطبعة كوستاتوماس - القاهرة .

١٧ - السلاري :

أحمد بن خالد الناصري .
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
الجزء الأول والثاني - مصر (١٣١٢ هـ) .

— :

وطبعة الدار البيضاء : ١٩٥٤ .
ت : جعفر الناصري ومحمد الناصري .
الجزء الثالث والرابع .
دار الكتاب - الدار البيضاء .
وأشرت إلى هذه الطبعة في هوامش الرسالة بطبعة الدار البيضاء تميزا لها
من الطبعة الأخرى .

١٨ - السيوطي :

جلال الدين عبد الرحمن .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .
الجزء الأول الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م
مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة .

١٩ - ابن عذارى :

المراكش .
البيان المغرب .
تحقيق : أوثنى ميراندا وإبراهيم الكتاني .
ومحمد بن تاويت : الجزء الرابع : ١٩٥٦ .
المطبعة الحسنية : تطوان .

٢٠ - ابن عساكر :

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح دوحه الناشر
لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر .
طبع حجر بفاس ، سنة ١٣١٤ هـ .

٢١ - ابن فرحون :

المالكي (١١٠٠ - ٧٩٩ هـ)
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب وبهامشه كتاب نيل
الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي .
الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٥١ هـ .

— :

وطبعة أخرى للديباج المذهب
تحقيق : د. محمد الأحمدى أبو النور .
الجزء الأول والثاني
دار التراث : القاهرة

٢٢ - ابن القاضي :

أحمد بن محمد بن محمد ، جلوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام .
مدينة فاس .
طبع حجر فاس : ١٣٠٩ هـ .

— :

درة الحجال في أسماء الرجال .

تحقيق : محمد الأحمدى أبو النور .
دار التراث بالقاهرة : والمكتبة العتيقة بتونس . .
الطبعة الأولى : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
الجزء الثانى والثالث .

٢٣ - القلقشندى :

أبو العباس أحمد
صبح الأعشى
الجزء الخامس ، والسابع ، والثامن طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م .

٢٤ - ابن القنفذ :

أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب .
(ت : ٨١٠ هـ - ١٤٠٧ م) .
تحقيق : محمد الشاذلى النيفر وعبدالمجيد التركى .
الدار التونسية للطباعة والنشر : ١٩٦٨ م .

٢٥ - الكتانى :

محمد بن جعفر بن إدريس الحسنى الإدريسي .
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس .
الجزء الأول والثانى والثالث .
طبع حجر بفاس سنة ١٣١٦ هـ .

— :

الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة
فاس .
طبع حجر بفاس سنة ١٣١٤ هـ .

٢٦ - الماوردى :

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى .
الأحكام السلطانية .
طبعة : مطبعة الوطن : القاهرة ١٢٩٨ هـ .

٢٧ - مجهول :

الخلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية .

تحقيق : ي . س . علوش .
المطبعة الاقتصادية : رباط الفتح ١٩٣٦ م .

٢٨ - مجهول :

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية .
تحقيق : محمد بن أبي شنب .
مطبعة جول كربونل . الجزائر .
١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م .

٢٩ - مجهول :

كاتب مراکشى من كتاب القرن السادس الهجرى (الثانى عشر
الميلادى) الاستبصار فى عجائب الأمصار .
تحقيق : د . سعد زغلول عبد الحميد .
مطبعة جامعة الإسكندرية : ١٩٥٨ م .

٣٠ - أبو الحسن :

يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .
(٨١٣ هـ - ٨٧٤ هـ) .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
الجزء التاسع . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٣١ - المراكشى :

عبدالواحد .
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب .
تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العرنى العلمى .
طبعة أولى : ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
مطبعة الاستقامة : القاهرة .

٣٢ - ابن مريم :

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد .
البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان .
المطبعة الشالبية - الجزائر : ١٩٠٨ م .

٣٣ - المقرئى :

تقى الدين أحمد بن على .
إغاثة الأمة بكشف الغمة .
تحقيق : د. محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

— :

الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .
مطبعة التأليف - القاهرة ١٨٩٥ م .

— :

ثلاث رسائل فى الحسبة .
مطبعة الجوانب - قسطنطينية ١٢٩٨ هـ .

— :

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
الجزء الثانى الأقسام : الأول والثانى والثالث .
نشر : د. محمد مصطفى زيادة .
القاهرة : ١٩٧١ م .

٣٤ - المقرئى :

أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى .
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
تحقيق : د. إحسان عباس .
دار صادر - بيروت .
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

— :

أزهار الرياض فى أخبار عياض .
تحقيق : مصطفى السقا (وآخرون) .
الجزء الأول : ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٥ - ابن الموقت :

- محمد بن محمد بن عبدالله المراكشي .
السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية .
الجزء الأول والثاني .
طبع حجر بفاس سنة ١٩٣٦ م .

٣٦ - النباهني :

- أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن .
تاريخ قضاة الأندلس .
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع .
بيروت - لبنان .

٣٧ - ابن الوردى :

- زين الدين عمر .
تاريخ ابن الوردى .
الجزء الثاني - المطبعة الوهية ١٢٨٥ هـ .

— :

- تتمة المختصر في أخبار البشر .
الطبعة الأولى - الجزء الثاني .
تحقيق : أحمد رفعت البدرأوى .
دار المعرفة بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٣٨ - ياقوت :

- شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله .
الحموى الرومى البغدادى (٦٢٦ هـ) .
معجم البلدان .
دار بيروت ودار صادر : ١٩٥٧ م .
وطبعة : الخانجي الأولى سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .
تحقيق : محمد أمين الخانجي .

٣٩ - يحيى بن خلدون :

- محمد بن محمد بن محمد بن الحسن .
بغية الرواد في ذكر الملوك في بني عبدالواد .

تحقيق : الفرد بـل .
الجزء الأول والثاني .
مطبعة بـير فونطانا الشرقية بالجزائر .
سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م .

٤٠ - ابن يوسف الحكيم :
أبوالحسن على .
اللوحة المشتبكة في ضوابط السكة .
تحقيق : د. حسين مؤنس .
مدريد : ١٩٦٠ م .

٤١ - أبو يوسف :
يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) .
كتاب الخراج .
الطبعة الرابعة - ١٣٩٢ هـ .
المطبعة السلفية - القاهرة .

ثالثا : المراجع العربية

- ١ - إبراهيم أحمد العدوى : (دكتور) .
التاريخ الإسلامى آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية .
مكتبة الأنجلو المصرية ط : ١٩٧٦ .
- ٢ - إبراهيم على طرخان : (دكتور) .
دولة مالى الإسلامية .
الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة : ١٩٧٣ م .
- ٣ - إحسان عباس : (دكتور) .
تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى القرن التاسع الهجرى .
الجزء الأول والثانى ، ط : أولى
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٤ - أحمد شلى : (دكتور) .
تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام
مكتبة النهضة - ط : أولى ١٩٧٦ .
- ٥ - أحمد النائب الأنصارى :
المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب منشورات مكتبة
الفرجاني - طرابلس الغرب ليبيا .
- ٦ - أرسلان : شكيب :
الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية الجزء الثانى - ط أولى
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م
المطبعة الرحمانية بمصر .
- ٧ - حركات : إبراهيم :
المغرب عبر التاريخ
الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م
دار السنمى - الدار البيضاء .

- ٨ - على إبراهيم حسن : (دكتور) .
على إبراهيم حسن : (دكتور) .
النظم الإسلامية
الطبعة الرابعة : ١٩٧٠ .
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

— :

انتشار الإسلام والعروبة فيما بين الصحراء الكبرى معهد الدراسات
العربية العالية .
القاهرة : ١٩٥٧ .

- ٩ - حسن أحمد محمود : (دكتور) .
الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا .
الجزء الأول - الطبعة الثانية : ١٩٦٣
دار النهضة العربية .

- ١٠ - حسن الباشا : (دكتور) .
دراسات في الحضارة الإسلامية .
دار النهضة العربية .
طبعة : ١٩٧٥ .

- ١١ - حسن حسنى عبدالوهاب :
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية .
مكتبة المنار - تونس : ١٩٦٤ .

— :

خلاصة تاريخ تونس
الطبعة الثالثة - تونس : ١٣٧٣ هـ .

- ١٢ - الزاوى : الطاهر أحمد .
ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى .
الطبعة الأولى : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت .

١٣ - زاهر رياض : (دكتور) .

الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى .

مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٦٨ م

١٤ - السيد عبدالعزيز سالم : (دكتور) .

تاريخ مدينة المرية الإسلامية .

قاعدة أسطول الأندلس .

دار النهضة العربية - بيروت .

الطبعة الأولى : ١٩٦٩ م .

— :

المغرب الكبير (العصر الإسلامي) .

الدار القومية للطباعة والنشر : ١٩٦٦ م .

١٥ - صلاح الدين المنجد : (دكتور) .

مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين .

دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٦٣ م .

١٦ - عبدالله علي علام : (دكتور) .

الدولة الموحدة بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي .

دار المعارف : ١٩٦٨ م .

١٧ - عبدالحميد حاجيات :

أبوحمو موسى الزباني

حياته وآثاره .

طبعة - ١٩٧٤ م .

١٨ - عبد الرحمن زكي : (دكتور) .

الجيش المصري في العصر الإسلامي الجزء الأول والثاني .

مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٧٠ .

— :

تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية سلسلة الألف كتاب

رقم ٣٨٤ .

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع .

الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا .
معهد الدراسات الإسلامية .
مطبعة يوسف - القاهرة .

١٩ - عبدالرحمن علي الحجى : (دكتور) .
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة .
دار القلم - دمشق .
طبعة ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ .

٢٠ - عبدالرحمن الجليلي
تاريخ الجزائر العام .
الجزء الثاني . منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
الطبعة الثانية : ١٩٦٥ م .

٢١ - عبدالعزيز بن عبدالله :
مظاهر الحضارة المغربية .
دار السلمي - الدار البيضاء .
القسم الأول - ط : أولى ١٩٥٧ م .
القسم الثاني - ط : أولى ١٩٥٨ م .

— :

عبدالعزیز بنعبدالله
جغرافية المغرب
الطبعة الثانية ١٩٥٦ .
الدار البيضاء .

٢٢ - عبدالمنعم حسنين : (دكتور) .
سلاجقة إيران والعراق .
مكتبة النهضة المصرية .
طبعة أولى : ١٩٥٩ .

٢٣ - عثمان الكعاك :
مراكز الثقافة في المغرب

معهد الدراسات العربية العالية .
القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٨ م .

الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط .
معهد الدراسات العربية العالية .
القاهرة : ١٩٦٥ م .

٢٤ - **على حسنى الخربوطلى : (دكتور)** .
الإسلام في حوض البحر المتوسط .
دار العلم للملايين - بيروت .
طبعة : ١٩٧٠ م .

٢٥ - **عمر رضا كحالة :**
مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام .
مطبعة الحجاز بدمشق : ١٩٧٤ .

٢٦ - **عنان : محمد عبدالله .**
عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس .
القسم الثاني : عصر الموحدين .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
المطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

— :
الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال .
نشر مؤسسة الخانجي - القاهرة .
الطبعة الثانية : ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

— :
نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصرين مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر
الطبعة الثالثة : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٢٧ - **فؤاد دياب :**
المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر .
كتب سياسية - الكتاب رقم ١٤١ .

٢٨ - كرد علي : محمد

الإسلام والحضارة العربية

الجزء الثاني - ١٩٣٤ م

مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .

محمد جمال الدين سرور : (دكتور) .

دولة بنى قلاوون فى مصر .

دار الفكر العربى : ١٩٤٧ .

٣٠ - محمد حلمى محمد أحمد : (دكتور) .

الخلافة والدولة فى العصر العباسى

مكتبة الشباب .

طبعة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٣١ - محمد ضياء الدين الرئيس : (دكتور) .

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية .

الطبعة الثانية : ١٩٦١ م .

مكتبة الإنجلو المصرية .

: —

النظريات السياسية الإسلامية .

الطبعة الثالثة : ١٩٦٠ م .

مكتبة الإنجلو المصرية .

٣٢ - محمد بن عبد السلام بن عبود :

تاريخ المغرب .

الجزء الأول - الطبعة الثانية ١٩٥٧ .

دار الطباعة المغربية - تطوان .

٣٣ - محمد بن عمرو الطمار :

تاريخ الأدب الجزائرى .

الجزائر - طبعة : ١٩٦٩ م .

٣٤ - محمد الفاسى :

التعريف بالمغرب .

معهد الدراسات العربية العالية .

طبعة : ١٩٦١ م .

٣٥ - محمد الفاضل بن عاشور :

أعلام الفكر الإسلامى فى تاريخ المغرب العربى .

مكتبة النجاح - تونس .

٣٦ - محمد كمال شبانة : (دكتور) .

يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة .

لجنة البيان العربى - الطبعة الأولى : ١٩٦٩ م .

٣٧ - محمد الهادى العامرى :

تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول .

الشركة التونسية للتوزيع .

الطبعة الأولى : ١٩٧٤ م

٣٨ - محمد ولد دادة :

مفهوم الملك فى المغرب .

دار الكتاب اللبنانى - ودار الكتاب المصرى .

طبعة أولى : ١٩٧٧ .

٣٩ - مراجع عقيلة الفناى : (دكتور) .

سقوط دولة الموحدين .

منشورات جامعة بنغازى

الطبعة الأولى : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤٠ - موسى لقبال :

الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها .

الطبعة الأولى : ١٩٧١ م .

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .

٤١ - نقولا زيادة : (دكتور) .

الحسبة والمحتسب فى الإسلام .

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٣ م .

كما أشرت فى هامش الرسالة إلى الأطلس العربى ، الذى طبع بإدارة المساحة العسكرية

بالقاهرة - واستخدمت الطبعة الخامسة ١٩٧٢ م .

رابعاً : رسائل جامعية غير مطبوعة

- ١ - حسن علي حسن : (دكتور) .
الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين
الخامس والسادس من الهجرة .
رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم : ١٩٧٣ م .
- ٢ - طاهر راغب حسين :
الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن
رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٧٥ .
- ٣ - علي محمد عمر : (دكتور) .
دولة الظاهر برقوق وأسرته في مصر .
رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم : ١٩٧٧ .
- ٤ - محمد عيسى صابر سليم الحريري
الدولة الرسمية بالمغرب قيامها وتطورها .
رسالة ماجستير بكلية دار العلوم : ١٩٧٥ .

خامسا : كتب مترجمة الى العربية

- ١ - الفرديل :
الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربى حتى اليوم .
ترجمة : عبدالرحمن بلوى .
دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازى : ١٩٦٩ .
- ٢ - جوليان :
شارل أندريه .
تاريخ أفريقيا الشمالية .
ترجمة : محمد مزالى والبشير بن سلامة
الدار التونسية للنشر : ١٩٧٨ .
- :
تاريخ أفريقيا .
ترجمة : طلعت عوضى أباطة .
دار نهضة مصر - ١٩٦٨ م .
- ٣ - خليل أدهم الدم :
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة
الجزء الأول : ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
دار المعارف - القاهرة .
- ٤ - روجيه لوتورلو :
فاس في عصر بنى مرين .
ترجمة : د . نقولا زبادة .
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت - سلسلة مراكز الحضارة .
طبعة : ١٩٦٧ .
- ٥ - رولاند أوليفر : وجون الفيج .
موجز تاريخ إفريقيا .
ترجمة : د . دولت أحمد صادق .

الدار المصرية للتأليف والترجمة .
سلسلة دراسات افريقية .
طبعة : يونية ١٩٦٥ .

٦ - زامباور : إدوارد فون .

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى .
ترجمة : د. زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود .
الجزء الأول ، ط ١٩٥١ م .

٧ - غوستاف لوبون : (دكتور) .

حضارة العرب
ترجمة : محمد عادل زعيتر
طبعة : ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م دار إحياء الكتب العربية .

٨ - ليفى بروفنسال :

الإسلام فى المغرب والأندلس .
ترجمة : د. السيد محمود عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى .
سلسلة الألف كتاب رقم (٨٩) .
مكتبة نهضة مصر .

٩ - مانويل : اجوميث ، مورينو .

الفن الإسلامى فى أسبانيا
ترجمة : د. لطفى عبدالبديع ، والسيد محمود عبدالعزيز سالم .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .
طبعة : ١٩٦٨ .

١٠ - يوسف أشباخ :

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين .
ترجمة : محمد عبدالله عنان .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
الجزء الثانى : ط : القاهرة ١٩٤١ م .

سادسا : أبحاث نشرت في بعض المجلات العربية

- ١ - أحمد مختار العبادي : (دكتور) .
حياة ابن الخطيب المغربية .
مجلة البينة ، وزارة الدولة للشئون الإسلامية - المغرب .
العدد الأول - السنة الأولى - مايو : ١٩٦٢ م .

— :

- فترة مضطربة في تاريخ غرناطة .
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية .
في مدريد .
المجلدان السابع والثامن : ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

— :

- من التراث العربي الأسباني :
مجلة عالم الفكر - وزارة الإعلام في الكويت .
المجلد الثامن - العدد الأول - أبريل ، مايو ، يونيو ١٩٧٧ .

- ٢ - حسن إبراهيم حسن : (دكتور) .
مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية .
مجلة البينة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية والمغرب .
العدد الأول - السنة الأولى - مايو : ١٩٦٢ م .

- ٣ - حسن علي حسن : (دكتور) .
الجيش المغربي في دولة الموحدين .
حوليات كلية دار العلوم .
العدد الخامس : ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .

— :

- الغزو الهلالي للمغرب .
المجلة التاريخية المصرية .
المجلد الرابع والعشرون ١٩٧٧ .

- ٤ - عبد العزيز بن عبد الله :
الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب .
مجلة البيئة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب .
العدد - السنة الأولى : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ٥ - ماريانو أريباس بالار :
بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة .
تطوان - مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية .
العدد الثامن ١٩٦٣ م .
- ٦ - محمد الفاسي :
نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني الأدبية .
مجلة البيئة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب .
العدد الثامن - السنة الأولى : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ٧ - محمد المنونسي :
علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني .
تطوان . مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية .
العدد الأول : ١٩٥٦ م .
- ٨ - محمود علي مكي : (دكتور) .
الرحلات بين المشرق والأندلس .
مجلة البيئة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب .
العدد الثاني - السنة الأولى - يونيو ١٩٦٢ م .

سابعا : المراجع الإفرنجية

1. Abdallah laroui,
I'histoire du maghreb un essai de synthèse (1970).
2. Condé,
Historia de la Dominación de los Arabes en Espana, Vol. III.
3. Fage, J., D.,
Africa Discovers Her Past, London (1970).
4. Gautier, E.,F.,
Le passé de L'Afrique du Nord, (1964).
5. Julien, A.,
Hist. de l'Afrique du Nord (De la conquête ARABEA 1830), (1968).
6. Pedro Aguado Bleye,
Manual de historia de Espana, Vol. I, Madrid (1963).
7. Roland Oliver,
The dawn of African history, second editon, (London).
8. Roland Oliver, & J. D. fage,
A short history of Africa, (Penguin Books).
9. Toynbee, A.,
La rousse encyclopedia of ancient and medieval history.

It studies mainly the system of administration i.e. the sultan, his heirs, the Cabinet, secretaries and Guards. It explains also the administrative divisions of the country. The different offices of the state, and the police.

The economic life illustrates the financial system of the dynasty, its resources and economic activities, such as, industry, agricultural affairs and trade.

The sixth chapter : social and intellectual life of Bani Marin.

It explains the classes of the society, the policy of Bani Marin in their building and material affairs, social aspects illustrating the daily life of the Sultans, their courts and their Festivals. It explains also the policy of Bani Marin to encourage the intellectual life and especially religious studies and at last encouraging poets and learned people.

The thesis ends with some Appendices, illustrating maps and lists of the references.

Summery of the Thesis

This thesis studies «The political life and the aspects of civilization in the «Dynasty of Bani-Marin» «at Al-Maghreb. This dynasty arose in the Far Maghreb» in the second half of the seventh century A.H./13th A.D., and continued its activities till it fell in 869 A.H. 1465 A.D.

This thesis contains six chapters and appendixes.

The first chapter : The Rise of the Dynasty of Bani Marin.

It studies the abode of Bani Marin in Al-Maghreb. how they gained leadership over the tribes there, also their political role during the reign of al Mowahhids, their activities in conquering the great cities of al Maghreb and their capture of al-Mowahhids capital «Marocco» (668 A.H./1269 A.D.) and at last the Bani Marin efforts to establish their rule in Al-Maghreb and spain.

The second chapter: The Estabilization of the Dynasty and its expansion.

It deals With the efforts of Bani Marin to estabilize their dynasty since the sultan Abi-Ya'qub yousif, then Abi-Thabit Amer, Abi Al-Rabie suliman, Abi Said othman Al-Marini. It explains also the extent of the dynasty during the reign of Abi Al-Hassan Al-Marini and his son abi Anan Al-Marini.

The Third chapter: The reign of the influence of the Ministers and the fall of the Dynasty of Bani Marin.

It explanis how the dynasty of Bani Marin began to decline since the suyeranity of the Ministers, and how the Bani Al-Ahmar interferred into the internal affairs of Bani Marin, and the intrigues of the ministers of Bani Al-Ahmer, that led to the fall of the Dynasty.

The fourth chapter: Foreign relations of Bani Marin.

It explains the foreign relations : ploitical, economic and cultural of Bani Marin with their neighbours. The Bani Marin had wide relations with egypt, Bani hafs in Tunis, Bani Abd-Al Wad in the middle Maghreb, Bilad Al-Sudan, Bani al-Ahmar and with the Christians of spain.

The fifth chapter : The administration and economic intitutions of Bani Marin.

تغلب جميع منشوراتنا من :

دارالمقام الكويت

شارع السور - عمارة السور - مجلس بلدية الناحية القديمة
ص.ب. ٤٦٠١٠ - ت. ٢٦٥٧٤٠٧ / ٢٦٥٨٤٦٨

دارالمقام دبي

طريق النفط - نهاية الشيخ راشد القديمة
ص.ب. ١١٨١٧ - ت. ٤٣٣٨٨٦